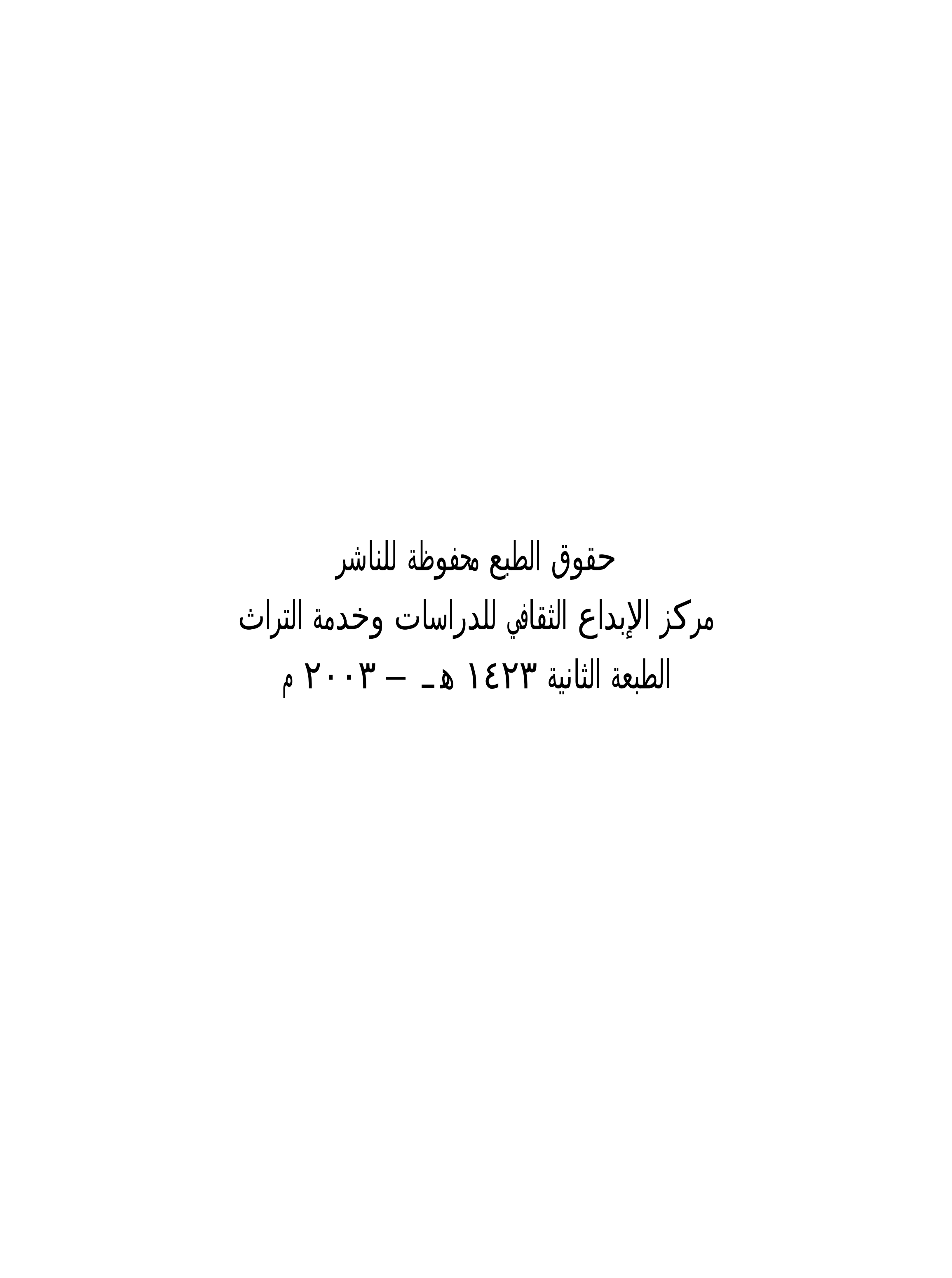
المُهَاجِرُ إلَى اللّٰهِ

الإمَامُ أحْمَدُ بنُ عيسَى

عليه السلام



مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث
الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

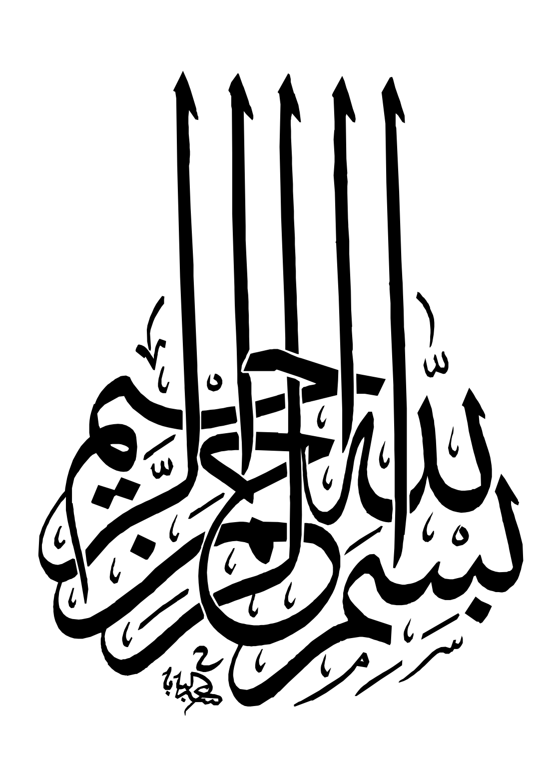
سلسلة أعلام حضرموت ١

المهاجر إلى الله
الإمام أحمد بن عيسى

(٢٧٣ - ٣٤٥ هـ)

بقلم خادم السلف
أبي بكر العدني ابن علي المشهور

فرع الدراسات وخدمة التراث
أربطة التربية الإسلامية - عدن

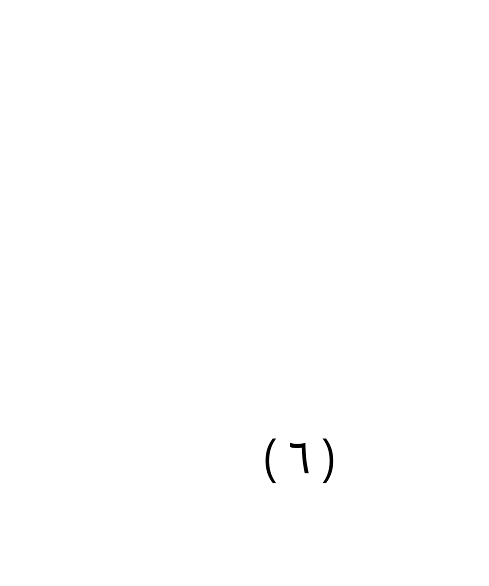

بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنا أَعطَيناك الكَوثَر . فصل لِربك

وانحَر. إِن شانِئَك هو الأَبتر



الإهداء

إلى شيوخِي الأفاضل..

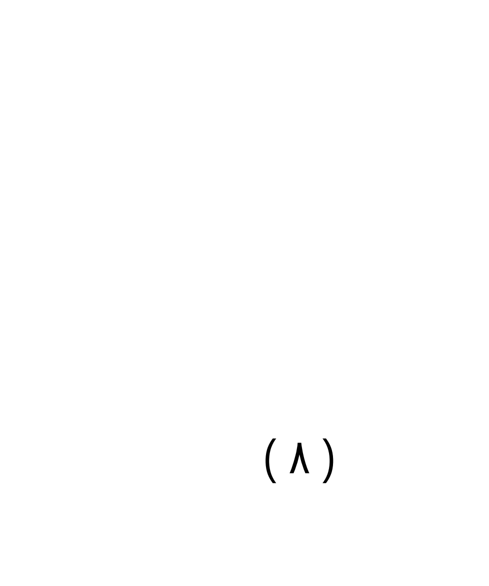
بِقيةِ السلَف..

وأمثلةِ الطريقِ في الخَلَف..

وإلى أحفادِ الإمامِ المهاجرِ في مشـارق الأرض وفي مغار ا..

وإلى الراغبين في التعرفِ على نماذجِ «السـفينةِ التي من ركِبها نجَا ومن تخَلف عنها هلَك» ..

المُؤلّف



المقدمة

الحمد للّه القائل في محكم بيناته : مِن المُؤمِنين رِجالٌ صدقُوا ما عاهدوا اللّه علَيهِ فمِنهم من قَضى نحبه ومِنهم من ينتظِر ومـا بدلُوا تبدِيلا [الأحزاب: ٢٣] صدق اللّه العظيم .

والصلاةُ والسلام على معلمِ الناسِ الخير وداعيها إلى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة.. سيدِ هـذه الأمـة وقـدوتِها إلى الصـفات المستحسنة.. إمامِ المتقين سيدِنا محمدِ بن عبد اللّه ، وعلـى آلـه الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، وعلـى التـابعين وتابع التابعين لهم بإحسانٍ وصدقِ اتباعٍ إلى يوم الدين .

وبعد فيقول العبد الفقير إلى عفو مولاه أبـوبكر العـدني ابـن علي بن أبي بكر بن علوي المشهور العلوي نسباً الحضرمي وطنـاً الشافعي مذهباً الصوفيّ مشربا العصري تجربةً ومعاناةً : إنه لما أظْلَم الزمان، وانعدم في محيط العصر تعريف الجيل -خصوصاً من أبنـاء محافظة حضرموت- بتاريخ رجالهم وشيوخهم ، الذين حملـوا في الوطن مشعل الهداية ، وراية الإيمان والتقى والولاية ، أشار علـي بعض الإخوة المخلصين أن أكتب للجيل المعاصر «سلسلةً مختصرةً» عن تاريخ الشيوخ الأفاضل ، الذين إذا رؤوا ذُكِر اللّه ، وأن يكون

عرض هذه التراجم بلسان العصر وأسلوبه ، كي لا يفوت علـى المتأخرين الاستفادةُ من تجربة ومعاناة المتقدمين ، ولتظل الصلةُ بين الأجيال قائمةً على أصولها ، ولمساعدة الشباب على فـك رمـوز المعجم من أخبار وأحوال الشيوخ الأوائل ، التي شحِنت ا كتب التراجم القديمة ، وصارت في نظر الشباب لغزاً محيراً .

وقد استعنت باللّه في هذا الأمر ، وبدأت في كتابة هذه التراجم مبتدئاً بالإمام المهاجر إلى اللّه أحمد بن عيسى النقيب بن محمد بـن علي العريضي.. إلخ النسب المبارك .

ولن أقتصر في عرض التراجم على شخصياتِ « أحفاد الإمـام المهاجر » وحدهم ، بل إنني سـأتعرض إلى كـثيرٍ مـن العلمـاء والفضلاء من أهل وادي حضرموت المنـتمين لمدرسـة السـلف الصالح، وأسأل اللّه تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكـريم ، ومقرباً إلى جنة النعيم ، وخدمةً لعباده السائرين على المنهج القويم ، واللّه ولي التوفيق ، وهو حسبي ونعم الوكيل.

سلسلة نسب الإمام المهاجر

هو السيد الشريف أحمد المهاجر ابن عيسى النقيب ابن محمد بن علي العريضي ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علـي زيـن العابدين ابن الإمام الحسين السبط ابن الإمام علي بن أبي طالـب وفاطمة الزهراء بنت المصطفى صلى اللّه عليه وآله وصحبه وسلم.

ميلاده ونشأته

ولد الإمام المهاجر أحمد بن عيسى في مدينة « البصرة » بالعراق ، حيث كان يقيم أهلُه وذَووه ، وقد اختلف المؤرخـون في تحديـد ولادته ، كتب المؤرخ السيد محمد ضياء شهاب في كتابه « الإمـام المهاجر »[1] : لم يذكر أحد فيما علمنا سِن المهاجر بـالتحقيق ، فلعل المراجع التي تخبرنا بذلك قد ضاعت ، ولا عجب فقد ضاعت مراجع كثيرةٌ جداً ، ولكنا نستنتج بما لدينا من بصيصٍ ضئيل لعلنا نصادف جانباً من الحقيقة .

ثم قال بعد بحثٍ واستنتاجٍ ومقارنةٍ تاريخيةٍ بأعمال أولاده وبعض

---

(١) راجع كتابه « الإمام المهاجر » ص١١٩ .

شيوخه: يبدو أن ولادة السيد المهاجر كانت عام ٢٧٣ .

وأما السيد البحاثة سالم بن أحمد بن جندان فقد كتب في مقدمةِ مسنده بما يشير إلى أن المهاجر سمع من النابلسي البصري وعمره أربع سنوات ، فتكون ولادته عام ٢٧٩ .

ونشأ في البصرة تحت رعاية أبويه نشأةً دينيةً علميةً ، عبر عنها السيد محمد بن أحمد الشاطري في « أدوار التاريخ الحضرمي » بقوله: نشأ المهاجر بين آبائه وأعمامه من أئمة ونقباء وعلماء في بيئة تزخر بالعلم والنبل والفضل ، وفي بلد تموج بكبار العلماء ، فدرس العلوم الإسلامية إذ ذاك من حديث وتفسير وفقه وأدب وتاريخ إلى العلوم العقلية على أولئك ، وتثقف بثقافة أهل ذلك العصر ، وقد أجمع المؤرخون القدماء والمعاصرون على تقاه وصلاحه[1] .

وكان عصر الإمام المهاجر عصراً زاهراً بالثقافات والعلوم المتنوعة كالعلوم الشرعية واللغوية والفلسفة والفلك والأدب والتصوف والرياضة الحسابية وغيرها ، كما روى الإمام المهاجر عن جملة من

---

(١) راجع « أدوار التاريخ الحضرمي » (١: ١٥٦) .

علماء زمانه ، وروى عنه آخرون ، وممن روى عنهم : ابن منده الأصبهاني ، وعبدالكريم النسائي ، والنابلسي البصري ، ولقيه الحافظ الدولابي بالبصرة عام ٣٠٦ ، وابن صاعد ، والحافظ الآجري ، وعبد اللّه بن محمد بن زكريا العوفي المعمر البصري ، وهلال الحفار العراقي ، وأحمد بن سعيد الأصبهاني ، وإسماعيل بن القاسم الحصصي ، وأبو القاسم النسيب البغدادي ، وأبوسهل بن زياد، وغيرهم .

وكما كان هذا العصر زاخرا بالعلوم والثقافات فقد كان أيضا مسرحاً للفتن والحروب والصراعات الفكرية والعسكرية ، وبين ثناياها رأى المهاجر كثيراً من المحن والبلايا العامة، بل رأى تفَرق الطالبيين في البلدان ، ورأى سوء الحالة التي عانى منها الخاص والعام، وتيقن تفاقم الأمر وهو يشهد الدول الإسلامية تتلاشى وحدتها الفكرية والسياسية وتتحول إلى فوضى اجتماعية وأحداث دامية .

ثورة الزنج وفتنة القرامطة

بدأت ثورة الزنج عام ٢٢٥ في عهد الخليفة العباسي المهتدي ، فقاسى السيد المهاجر ما قاساه البصريون والعراقيون وغيرهم مـن أهوال ، وأصيبت البصرة بنكباتٍ[(١)] ، أما فتنة القرامطة فقد بدأت منذ عام ٢٧٨ بزعامة رجل سمى نفسه يحيى بن المهدي في البحرين،

---

(١) ثار الزنوج في فرات البصرة بقيادة رجلٍ خارجي من الأزارقة في قرية «ودريفن» اسمه « لمول » ويسمي نفسه علي بن عبد الرحيم ، من قبيلة عبـد القـيس في البحرين ، ثم في الأحساء ، ودعا إلى تحرير العبيـد في البصـرة وضـواحيها ، واستمال قلو م حتى تركوا مواليهم وانضموا إليه ، فعظم شأنه وقويت شوكته، ثم سار إلى بغداد وأقام هناك سنةً واحدةً ، ثم عاد إلى البصرة في عهد المهتدي ، ثم حاربه المعتمد عام ٢٥٦ فانتصر صاحب الزنج ، واضطر أهـالي البصـرة ومـا جاورها إلى مغادرة البلاد ، واستولى الزنج على البصرة سنة ٣٥٧ وذبحوا كـثيراً من أهلها وخربوا مسجدها وأشعلوا النار في المدينة ، وراجع في ذلـك كتـاب «المهاجر» ص٢١-٢٢ .

وقال : إن مما ساعد الزنج أن الحاميةَ التي كانت في المدينة ضئيلةٌ جداً ، وقد مزقّتها الضغائن الحزبية والحزازات العصبية ، ويبدو أن المدينة كانت تعاني عصبيةً طائفيةً بين الربعيين -وهم شيعة- وبين السعديين وهم سنية . راجع « المهاجر » ص٢٣. وانتهى أمر الزنج عام ٢٧٠ بعد معارك دامية استمرت أربعة عشر عاماً؛ ولكن آثار هذه الفتنة الشنعاء استمرت زمناً طويلاً.

وعمل مع أعوانه على نشر مبادئهم في كافة طبقات ا تمع ، حتى نشروها في جنود الخليفة ، وساعد انشغال الخليفة بفتنة الخـوارج والزنوج على سرعة انتشارهم وتمكنهم في البلاد .

وهكذا عانت البصرة في تلك الحقبة من المحن والفتن ما حرمهـا نصيبها من الطمأنينة والسلام ، وكم رأى الإمام المهاجر من تلـك الفظائع على مدينة البصرة والعراق كلـه منـذ أن شـب إلى أن كهل[1] .

المهاجر يشهد تفرق الطالبيين

أشار المؤرخ عبد اللّه بن نوح في ذيله على كتاب « المهـاجر » ص٣٧ إلى شهود الإمام المهاجر في هذه المرحلة العصيبة من حياته تفَرق العلويين من العراق إلى كافة أنحاء العالم .

وكان في هذا التفرق منافع كثيرةٌ ، إذ انتشر الإسـلام بـذلك التفرق في أقطار كثيرة ، فمنهم من هاجر إلى بلاد الهند ومنهم إلى سومطرة ومنهم إلى جزر الشرق الأقصى وحدود الصين .

---

(١) المصدر السابق ص٢٧-٢٩.

شخصية المهاجر في البصرة(١)

تكونت شخصية هذا الإمام في جو مليء بالمتناقضات ، علـوم وآداب وفلسفات بجوانب حوادثَ داميةٍ وخوفٍ ورعب وصراع ، إضافة إلى نشاط تجاري وزراعي ، بل كان يشهد السفن الكـثيرة القادمة من شتى الأقطار ومعهم محصولا م وما يجلبونه من البضائع والسلع والجنسيات البشرية .

كما كان يشهد في مجرى حياة أسرته شرف المحتد وعزة النفس

---

(١) كتب عبد اللّه بن نوح في ذيل كتاب « المهاجر » ما مثاله:

كان أحمد المهاجر على كرم محتده رفيع المكانة ، عالماً متمولا ، وكان والده عيسى نقيباً للأشراف ، وجده محمد بن علي أكبر أولاد أبيه ، ولد بالمدينة المنورة ثم انتقل إلى البصرة وتوفي سنة ٢٠٣ ، وجده علي العريضي ابن الإمـام جعفـر الصادق ، نسبةً إلى العريض بلدة على أربعة أميال من المدينة ، كان أصغر أولاد أبيه وتوفي والده وهو طفل، خرج مع أخيه محمد بن جعفر بمكة حينما قام بحركته هناك ، ومع محمد بن محمد بن زيد حين قاد حركتـه بـالعراق ، ورحـل إلى خراسان وجاء إلى البصرة وكتب إليه أهل الكوفة يلتمسون مجيئه مـن المدينـة المنورة، فقدم إليها وأقام ا زمناً يأخذون عنه، توفي عام ٢١٠ ، ومن هذا البيت آل العريض بيت المختص ومنهم بنو العجمي من أهل الحـائر ، وآل الرومـي، وينتهون إلى عيسى بن محمد العريضي . راجع المصدر السابق ص٤٣-٤٥ .

ونقاء الضمير ، إلى جانب الثروة المالية والجاه الواسـع ، مشـوباً بالتقوى والاستقامة وألوان الشجاعة ، وهذا أخوه محمد بن عيسى أحد الأبطال الذين قادوا الجيوش وفتحوا البقاع .

هجرة الإمام المهاجر من البصرة

تضافرت الأسباب مجتمعةً في صدر الإمام المهاجر تحثه على اتخاذ قرارٍ حاسمٍ يحفظ به ذريته وذويه من رياح الفتن المتلاحقة على تربة العراق الخصيب ، وكان قرار الخروج من العراق إلى بـلاد اللّـه الواسعة ليس بالقرار الصعب أو المستحيل ، فكثير من الطالبيين من أهله وأسرته قد هاجروا خلال تفاقم الفتن إلى أرجاء عديدة مـن العالم .

لقد كان الإمام المهاجر يبحث عن البديل الملائم الذي يأمن فيه على تِركَتِهِ البشرية وذُريته العلوية ، ويبدوا أن الأقـدار حركـت دواعيه ليرحل ببعضٍ من أسرته إلى الحجاز .

جمع المهاجر أفراد أسرته وأقاربه ، وأباح لهم مكنون رغبتـه في الرحيل عن البصرة وعرض عليهم الأسباب وأوضـح القـرائن ، فوافقوه وأقروا رأيه وأخذوا يعدون العدة في سبيل ترتيب أوضـاع

المهاجرين والمتخلفين ، وكانت الهجرة في أثناء العام الهجري ٣١٧ من البصرة إلى المدينة المنورة .

خرجت القافلة من البصرة إبان خلافة المقتدر باللّه ٢٩٨-٣٢٠ وفيها عدد من آل البيت النبوي وأتباعهم ، وهم :

١- الإمام المهاجر إلى اللّه أحمد بن عيسى[1] .

٢- زوجته زينب بنت عبد اللّه بن الحسن العريضي .

٣- ابنه عبد اللّه بن أحمد المهاجر .

٤- أم البنين بنت محمد بن عيسى بن محمد زوجة

---

(١) يكاد المؤرخون يجمعون على إطلاق لقب المهاجر على الإمام أحمد بن عيسى منذ أن هاجر من العراق إلى الحجاز ثم استقر في حضرموت ، كتب السيد محمد بن أحمد الشاطري في « الأدوار » : أما سبب تلقيبه بالمهاجر فلأنه هاجر من البصرة إلى حضرموت لأسباب إصلاحيةٍ ، أهمها الاطمئنانُ على سلامة دينه ودين أتباعه في موضع آمن ، ولم تكن الهجرة من هذا الإمام بِدعاً ، فهي شيءٌ معتاد عند أئمة الأسرة النبوية منذ أن بدأ الرسول صلى اللّه عليه وسلم فهاجر من مكة إلى المدينة، وتلاه الإمام علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه حين هاجر من الحجاز إلى العراق، وقد تبعه بنوه وأحفاده من بعده كالإمام الحسين بن علي والإمام زيد بن علي بن الحسين ، ومحمد النفس الزكية بن عبد اللّه المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط وأخواه إبراهيم وإدريس جد الأدارسة في المغرب ، وغيرهم كثيرون. «الأدوار» (١: ١٥٦) .

عبداللّه بن أحمد.

٥- إسماعيل بن عبد اللّه بن أحمد الملقب « بالبصري » .

٦- الشريف محمد بن سليمان بن عبيد اللّه جد الأشـراف الأهادلة[1] .

٧- الشريف أحمد القُديمي جد الأشـراف آل قُـديم ، أو بنوالقُديمي[2] .

---

(١) هو الشريف محمد بن سليمان بن عبد اللّه بن عيسى بن علوي بن محمـد بـن حمحام بن عون ابن الإمام موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي العريضي.. إلخ .

هكذا ذكره السيد علي المحدث الطاهر ابن الحسين الأهدل في كتابه « بغيـة الطالب لمعرفة أولاد علي بن طالب » والأهدل لقب شريف ، قال بعضهم معناها الأدنى ، أي : الأقرب . انتهى عن «المشرع الروي» (١: ١٢٤) ، وتنتشر ذريـة الشريف محمد بن سليمان المذكور في شمال اليمن إلى اليوم.

(٢) أشارت بعض كتب الأنساب والتراجم إلى بني القديمي وما تفرع عنـهم مـن الذرية، ومنها رسالة « السيرة المصطفوية والأنساب الفاطمية » للعلامـة السـيد علوي بن عبد الرحمن السقاف المكي، وفيها : أن جملة أبناء الحسنين بوادي سردد وما داناها: بنو القديمي ، وبنو الشجر ، وبنو أحمد ، وبنوالولي ، وبنو الصوفي ، وبنو إسماعيل ، وبنو العرب ، وبنو الجروفي ، وبنوالصـديق ، وبنـو البحـر ، وبنوالثلج ، وبنو الشاح.

٨- حاشية الإمام المهاجر، وهم سبعون فـرداً منـهم مواليـه:
جعفر بن عبد اللّه الأزدي، ومختار بن عبد اللّه بـن سـعد، وشويه بن فرج الأصهباني.

سلكت القافلة طريق الشام ، إذ كانت الطريق المعتمـدة مـن العراق إلى البلاد المقدسة مضطربة الأمن ، وقد اندرست واندثرت الآبار والعيون والبرك والمحطات المعدة لراحة المسـافرين ، كمـا اندثرت العلامات التي يهتدي ا الناس لسلوك الطريق [1] .

وصلت القافلة إلى المدينة المنورة قادمة من طريق تبوك ، ونـزل المهاجر بمن معه عند أقاربه وذويه ممن كان بالمدينة المنورة ، وأقـام مدة عام كامل ، وهذا العام هو ٣١٧ ، وقد شهد على الصـعيد

فهذه ثلاث عشرة قبيلة يجمعها حسن بن يوسف بن حسن بن يوسف بـن حسن بن يحيى بن سالم بن عبد اللّه بن حسين بن علي بن آدم بن إدريـس بـن حسين بن محمد الجواد ابن علي الرضى ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصـادق . راجع المصدر السابق ص١١ .

(١) كانت هذه القافلة تسمى درب زبيدة نسبةً إلى زبيدة زوجة هارون الرشيد ، إذ كانت قد أنفقت في حيا ا الأموال الطائلة لإصلاح وتأمين خدمات هذه الطريق الممتدة عام ٩٠ ، راجع المصدر السابق ص٤٨-٤٩ ، وكان اندثار هذه الطريق بعد عهد الخليفة المتوكل .

العام فتناً وأحداثاً عظاماً ، ففي موسم الحج دخل القرامطة إلى مكة وعاثوا فيها الفساد ، كما انتزعوا الحجر الأسود من مكانه وحملوه معهم [1] .

في النصف الثاني من عام ٣١٨ توجه الإمام المهاجر بمن معه إلى مكة ، وحج ذلك العام والكعبة من غير الحجر الأسـود ، فكـان الحجاج يضعون أيديهم مكان الحجر .

وفي موسم الحج التقى الإمام المهاجر بجملة من حجاج التـهائم وحضرموت ، فابتهجوا به ورافقوه وامتلؤوا بعلمـه وأخلاقـه ، وأخبروه بفتنة الخوارج المسيطرة على أرض حضرموت آنـذاك ، وطلبوا منه الخروج إليهم فأوعدهم بذلك .

الرحلة إلى التهائم وحضرموت

كانت حضرموت في هذه المرحلة من تاريخهـا تحـت تـأثير الإباضية، وهم أتباع عبد اللّه بن إبـاض المـدي ، وكـان أول

(١) انتزع القرامطة الحجر الأسود وحملوه إلى هجر ، وبقي موضعه خالياً نحواً مـن اثنين وعشرين سنة ، ثم أعادوه قائلين : أخذناه بقدرة اللّه ، ورددناه بمشيئة اللّه . المصدر السابق ص٤٩.

ظهورهم في القرن الثاني الهجري على يد عبد اللّه بن يحيى الأموي ، وكان يلقب نفسه بطالب الحق[1] .

كتب عنهم المسعودي في تاريخه : ولحق بقية الخـوارج بـبلاد حضرموت، فأكثرها إباضية إلى هذا الوقت - أي : إلى العام ٣٣٢ عام تأليف تاريخه – ولا فرق بينهم وبين من بعمان من الخوارج إلى هذا الوقت. اهـ .

وبقي المذهب الإباضي سائداً ، وكذلك أهـل السـنة ، إلا أن التأثير كان للخوارج في عموم حضرموت حتى وصل إليها الإمـام المهاجر .

---

(١) ظهر طالب الحق في تلك الفترة التاريخية ومعه جماعةٌ من الخوارج ، فاكتسـحوا حضرموت ونواحيها ، ثم ملكوا صنعاء ، وهاجموا مكة المكرمة ، واشـتبكوا في حروب دامية مع الأمويين حتى انتهت بهزيمة الخوارج ، وقُتل الأعور مع جملة من رجاله وبعث برؤوسهم إلى دمشق عام ١٣٠ ؛ ولكن فتنتهم لم تنتـه . راجـع المصدر السابق ص٥١-٥٢ .

لماذا اختار المهاجر الهجرة إلى حضرموت؟

كتب السيد ضياء شهاب في كتابه « الإمام المهاجر » ما مثاله:

لو كانت الثروة غايته فليست حضرموت ببلد ثروة ، وهو نفسه كان ثرياً ، إذن فهل ذهب لينافح نِحلةَ الخارجية ؟ وليكون حاجزاً أمام القرامطة الذين يتقدمون؟

الواقع أن الظروف التي أحاطت به والحوادث كانت من أهم الدوافع التي حدته إلى ترك وطنه ناجياً بنفسه ودينه.. أَلَم تكُن أرض اللّهِ واسعةً فتهاجروا فيها ، وحديث « يوشِك أنْ يكُونَ خير مال المُسلِمِ غنَم يتبع ا شعف الجبال ومواقع القَطْرِ يفِر بدِينه من الفِتن » [1] .

لقد اخترق الإمام المهاجر بذكائه الثاقب حجب المستقبل ، واستشف الستار بنور بصيرته النافذة ، فأرشده اللّه إلى الصواب ، فجعل اللّه له من هجرته إلى حضرموت ثروة إشعاع وهداية للناس، مع ثروته المالية التي بنى ا وأصلح كثيراً مما أفسده الزمان ، كما هدى اللّه به أيضا غلاة الخوارج، وكان للجميع علَم هدايةٍ ونور طريقٍ .

---

(١) المصدر السابق ص٥٦ .

ركب المهاجر ما بين التهائم ومرتفعات حضرموت

خرج الركب الميمون من أرض الحجاز ميمماً صـوب الـيمن السعيد ، ينتقل من قريةٍ إلى أخرى في مظهرٍ فخيمٍ وموكبٍ عظيمٍ ، وبدأت أمور القضاء والقدر تفعل فعلها في نفوس أعضاء الحركـة المباركة ، فهذا السيد محمد بن سليمان الأهدل فـو نفسـه إلى النـزول في قرية المراوعة من ائم اليمن[1] ، وذاك السيد أحمـد القديمي يختار النـزول بوادي سردد من تلك التـهائم ، ليكـون بإرادة اللّه تعالى مظهراً لآل البيت النبـوي وانتشـاراً لذريتـهما المباركة.

أما الإمام المهاجر فقد واصل رحلته من بلاد إلى أخرى حتى بلغ قرية الجُبيل بوادي دوعن ، وكان أهلُها من المحـبين لآل البيـت النبوي، ومكث بين إكرام الأهالي وتعليمهم وإرشادهم ما شاء اللّه

---

(١) جاء في كتاب « المهاجر » ص٤٩ : قَدِم جد بني الأهـدل إلى الـيمن ، وهـو محمد بن سليمان ، فنـزل قرية المراوعة قبلي بيت الفقيه ، وانتشر نسـله حـتى نـزل بعضهم وادي سهام والفخرية وزبيد وأبيات حسين ، وانتقل بعضهم إلى حضرموت.

له أن يمكث ، ثم انتقل إلى الهجرين و ا « الجعـاثم » مـن قبيلـة الصدف ، وهم سنيون [1] .

وبدأ الإمام المهاجر في استجلاب الناس على اختلاف مشار م ومبادئهم يدعوهم إلى التماسك والتآخي والتحابب تحـت مظلـة الإسلام الجامعة ، وكان منهم الخوارج ، فقد جاء إلـيهم جماعـة منهم وتأثروا بدعوته وأخلاقه وتابوا على يديه ، كما قام المشـايخ من آل عفيف سكان الهجرين بنصرة الإمام المهاجر ، والوقوف إلى جانبه مستمدين ومستفيدين ومدافعين ، وقد حمل الإمام المهاجر لهم غاية الود والعرفان لجميلهم وصدقهم[2] .

وابتنى الإمام المهاجر في الهجرين داراً لا زال أثـره إلى اليـوم ، واشترى نخيلاً وعقاراً ثم وهبها إلى مولاه « شويه » قبيل انتقاله عن الهجرين .

ونـزل بعد خروجه عن الهجرين بقارة بني جشير الواقعة بقرب قرية بور، وأهلها آنذاك سنيون ، ونشر بين أهلها الدعوة إلى اللّـه

(٢) تعتبر الهجرين موقعاً وسطاً من قرى الصدف ، حيث كانت قراهم ممتـدةً مـن أواسط وادي دوعن إلى عندل والأحروم وما يلي سدبة.

(١) أشار إلى هذه النصرة كتاب « المهاجر » نقلاً عن مصادر موثوقة ، راجع ص٥٧.

الدعوة إلى الله مع كمال الأخلاق والصبر على جفا ا وبـ داو ا ، ومنها انتقل إلى قرية الحُسيسة[1] ، واشترى أراضي زراعيةً تسـ مى «صوح» بأعلى قرية «بور» .

وفي هذه المرحلة التف حول الإمام المهاجر غالب القبائل هناك ، ولم يتأخر عن اتباع دعوته والتأثر بمذهبه سوى جماعات الخوارج ، ولهذا اتجه الإمام المهاجر نحوهم بكليته راغبا في إقناعهم .

الإمام المهاجر والخوارج

كان دخول الإمام المهاجر إلى حضرموت حدثاً تاريخياً عظيماً ، وكان الحكم إذ ذاك لآل زياد في شمال اليمن ، أما أهل حضرموت

---

(٢) الحُسيسة- بضم الحاء وفتح السين المكررة بينهما تحتية مشددة مكسورة- وهـ ي قرية بين تريم وسيؤون على نصف مرحلة من تريم، استوطنها المهاجر، وكانـ ت مدينة عامرة، واشترى ا أكثر أراضي « سوح» ، وهي القلعة المعروفة فيها والبئر العلْوية التي بأعلى مدينة بور، وهذه البئر مشهورة حفرها السيد الجليل علوي بن عبيدالله بن أحمد المهاجر وطواها بحجارة كبار كتب اسمه على كل الحجارة مـ ن الجبل الأعلى، وهو المدماك، انظر « المهاجر » ص١١٠.

والحسيسة الآن خراب ومهجورة، وقد ذكر المؤرخون أن خرا ا كان علـ ى يد عقيل بن عيسى الصِيراتي سنة ٨٣٩ .

فكانوا مستقلين بالأمر ، ولم يكن كل أهل حضرموت إباضية وإن كانت سلطة القائمين بالمذهب الخارجي تكاد تعم القطر في أزمنـةٍ قصيرةٍ متقطعةٍ ، وكان آلُ أبي فضل وآلُ الخطيب التريميون علـى مذاهب الحق المنتشرة في العالم الإسلامي ذلك العهد .

بدأ الإمام المهاجر يحاور ويناظر الإباضية بالحكمـة والموعظـة الحسنة، ويلاحق مواقع انتشارهم ، مستفيداً من تأثر بقية الفئـات الاجتماعية بدعوته ، ومتخذاً أسلوب الهدوء والخلق النبوي وسيلةً ناجحةً لاستجلاب المخاصم ، وكان الخـوارج يقبلـون الجـدل والأخذ والرد حول مذهبهم ويناقشون العلماء في مختلف المسائل ، وكان للإمام المهاجر قصب السبق في الإقناع والحجة .

كتب السيد الشاطري في « الأدوار » ص١٢٣ : ويظهر أ ـم - أي : الخوارج - يقبلون الجدل والأخذ والرد حول مذهبهم فيما له وما عليه بالطرق السلْمِية ، كما وقع لهم مع الإمـام المهـاجر أحمد بن عيسى العلوي في أثناء القرن الرابع الهجري ، فإنه استعمل معهم طريقة الإقناع والاقتناع ونشر بواسـطتها في حضـرموت المذهب السني ، حتى توارى المذهب الأباضي من حضرموت شيئاً فشيئاً إلى أن رحل عنها ، فعمها المذهب الشـافعي في الأعمـال

والأحكام ، والمذهب الأشعري في العقائد .

هل كان هناك صدام مسلح بين المهاجر والخوارج؟

تضاربت روايات المؤرخين حول مسألة المواجهة المسلحة بـين الإمام المهاجر من جهة وبين فئة الخوارج من جهة أخرى ، فبعض المؤرخين يثبت الصدام المسلح ويعتبره الفيصل الناجز بين الفريقين ، وذلك بهزيمة الخوارج على يد أنصار المهاجر، وأما فريق آخر فينفي حدوث هذا التصادم بل ويراه مستحيلا .

كتب السيد الشاطري في « الأدوار » (١: ١٥٠) بعد أن ذكـر مواجهة المهاجر للخوارج : ومع ذلك فلم يقع بينه وبين الإباضيين أي صدام مسلح كما تفيد المراجع التاريخية التي بين أيـدينا ، ولا يستطيع الباحث المؤرخ أن يجزم بشيء من ذلك وإن سطره بعـض المعاصرين الذين كتبوا في تاريخ حضرموت[١] .

(١) يشير السيد الشاطري إلى ما كتبه السيد العلامة عبد اللّه بن محمد السـقاف في تعليقاته على « رحلة الأشواق القوية » لباكثير ، فقد صرح فيها بوقوع معـارك حربية بينه وبينهم ، وقال: يقال: إن معركة فاصلة وقعت ببحران عندما كـان المهاجر مقيماً بالهجرين انكسرت فيها شوكةُ الأباضية ، وانتقل المهاجر على إثرها

أما السيد محمد ضياء شهاب وعبد اللّه بن نوح في كتاب ((المهاجر)) فقد أشاروا إلى معركة بحران [1] ولكن دون تأكيد لمصدر النقل الذي يثبت صحة قيام هذه المعركة .

أما السيد عبد الرحمن بن عبيد اللّه فيقول : إنه ما زال – أي المهاجر – وأولاده يقارعوهم الحجج حتى أضرعوا خدود الأباضية وأخفتوا أصواتهم ، وكتب بذلك أيضا : إن المهاجر أضعف شوكة الأباضية بما أورده عليهم من صحيح الاستدلال ، ثم تلاه العالم الشيخ سالم -يعني : ابن بصري- فأنزل البدعة إلى أسفل

من الهجرين إلى قارة بني جشير ، قال الشاطري: ولكنني اتصلت به -أي السقاف- وكتبت له في الموضوع ليتفضل بذلك المصدر التاريخي فلم يأتِ به .

ونسب بعضهم هذه المادة إلى تعليقات المرحوم أحمد بن حسن العطاس ولم نعلم المصدر الأصلي ، وفي تعليقات العلامة محمد بن عقيل بن يحيى على ديوان ابن شهاب تصريح بأنه هو وأنصاره وبنوه من بعده إلى حدود سنة ٦٠٠ قاتلوا الإباضية ثم تركوا السلاح ولم أطلع على مصدره ، ولعله استنتج من ذلك من أن العلويين إنما حملوا السلاح للقتال والنضال ؛ ولكن لا يمكن إثبات ذلك إلا بنص، إذ قد يكون حملُ السلاح عادةً تقليدية أو للدفاع عن النفس . انتهى من «الأدوار» (١: ١٥٠) في الحاشية .

(١) بحران صحراء بين الهجرين وقرية سدبة سكانها من كِندة.

مرتبتها، ثم عززهما الفقيه المقدم .

الإمام المهاجر والنسب الشريف

دأب البعض من حملة الأقلام في الماضي والحاضر على بذر الشكوك والريب في كل ما يتعلق بآل البيت النبوي ، ومن هذه الشكوك الكلام في الانتساب إلى الدوحة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، ولعل غرض البعض من هؤلاء ينحصر في رغبة التأكد والتيقن ، وهذا مطلب لا غبار عليه ، وأما البعض الآخر فإنما مطلبه الحَط من مقدار أهل هذا البيت ونكايةٌ م حسداً وتشفياً ، وقد عرف التاريخ الإسلامي من كلا الفريقين أقواماً وأقلاما.

ولهذا السبب كان الإمام المهاجر حريصاً كل الحرص على توثيق نسبه ونسب سلالته قبل خروجه من العراق إلى حضرموت ، وكان الإمام معروفاً في البصرة نسبا وحسبا ، وكان بإمكان الخوارج الذين واجههم المهاجر في حضرموت أن يطعنوا في هذا النسب لو وجدوا لذلك سبيلا ، ولكن لا وسيلة لجحوده ، بل لم تذكر مصادر التاريخ طعنا في نسب المهاجر إبان وجوده في البصرة ولا

بعد خروجه إلى الحجاز ثم إلى حضرموت، وإنما طلب بعض علماء حضرموت بعد موت الإمام المهاجر تأكيداً لنسب بنيه من مصادر معتبرة، فرحل الإمام المحدث علي بن محمد بن جديد إلى العـراق ورجع بما يؤكد صحة النسب .

كتب في هذا المضمار الشيخ أبو مخرمة في « تاريخه » : لما قـدم أحمد بن عيسى اعترف له أهل حضرموت بالفضل وما أنكروه ، ثم إنهم بعد ذلك أرادوا إقامة البينة توكيدا لما ادعوه[1] ، وكان بتريم إذ ذاك ثلاث مئة مفتي ، فسار الإمام المحدث علي بن محمد بن جديد إلى العراق ورجع بالنسبة الشريفة .

ويستفاد من هذا أن أهالي حضرموت قد علموا صحة النسـب للإمام المهاجر فلم يعترضوا عليه ، ولم يطالبوه بإثبات نسبه حـتى من كان معارضاً لدعوته كالخوارج ، وإنما نشأ الإشكال متأخراً ، ثم ما لبث أن زال بعد أن تبين بالدليل القطعي بعد عـودة الإمـام

---

(١) اعتبر بعض الباحثين هذه اللفظة « ما ادعوه » طعنا في صحة النسب ، وبنى عليها بعض المغرضين حكماً جائراً لا يحمل من الحق رسماً ولا اسماً ، والحقيقة أن هـذه اللفظة مهما كان غرض صاحبها فهي لا تحمل نفيا ولا إثباتا ، بقدر ما توهمـه البعض على غير حجة .

المحدث علي بن محمد بن جديد ببرهان صحة اتصال ذرية المهـاجر بأصولهم الشريفة ، ولم يبق بعد ذلك للمغرضين إلا التعلق بأهداب الوهم والظنون المريضة يلتمسون منها الحط من مقدار هذا البيـت المبارك.

وقد تناول السيد علوي بن طاهر هذا الموضـوع بإسـهاب في إحدى مقالاته المطولة بمجلة « الرابطة العلوية » (م٣/٢: ٩٥) فقال: ومكانة المهاجر ووجود أسرة له وأقارب بالبصرة وبقاء ابنه محمـد على أمواله وكذلك أبناء علي والحسن والحسين ، وذهاب حفيده السيد جديد بن عبداللّه للنظر في تلك الأموال وزيارة الأقارب ، ثم ذهاب السيد علي بن محمد بن جديد ، ومسارعة العـدول مـن العراقيين إلى الشهادة بصحة النسب واستثمار الأبنـاء والحفـدة بحضرموت من ريع أموالهم بالعراق سنين طويلة ، ووجود أخـوان وبني أعمام السيد المهاجر بالعراق ، والصلات المستمرة بينـهم ، ووجود السادة الأهادلة وبني قديم باليمن ، وكل ذلك دليل علـى ثبوت النسب وشهرته ، وليس بالسهل للسيد علي بن محمد بـن جديد أن يثبت هذا النسب بعد سنين من وفاة آبائه بعيـدا عـن العراق لو لم يكن النسب ثابتا معروفا بالبصرة ، فإن عليـا ولـد

بحضرموت وكذا والده محمد بن جديد ؛ ولكنهم كانوا على اتصال بمواطن آبائهم وأجدادهم حينما ذهبوا[1].

وقد قام جملة من علماء المشجرات والأنساب والتاريخ بتحقيق أنساب ذرية الإمام المهاجر ، وصنفت في ذلك الكتب والمراجع العديدة منها :

١- ا دي ، والمبسوط ، والمشجر للنسابة الحجة أبو الحسن نجم الدين علي بن أبي الغنائم محمد بن علي العمري البصري ، توفي عام ٤٤٣ .

٢- ذيب الأنساب ، مخطوط للعلامة محمد بن جعفر العبيدلي ، توفي سنة ٤٣٥ .

٣- « عمدة الطالب الكبرى » للعلامة النسابة ابن عنبة جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن مهنا الداوودي .

٤- النفحة العنبرية في أنساب خير البرية للعلامة ابن أبي الفتوح أبي فضيل محمد الكاظمي ، عاش إلى سنة ٨٥٩ .

٥- « تحفة الطالب بمعرفة من ينتسب إلى عبد اللّه وأبي طالب »

---

(١) « المهاجر » ص٦٦ .

للعلامة المؤرخ أبي عبد اللّه محمد بن الحسين السمرقندي المكـي، توفي سنة ٩٩٦ .

٦- زهر الرياض وزلال الحياض للعلامة ضامن بن شدقم المتوفى عام ١٠٨٥ .

ولابن عنبة والإمام المرتضى الزبيدي رسالتان مستقلتان في هـذا النسب الشريف ما تزالان مخطوطتان، ومن الدراسات الحديثـة في هذا المضمار ما كتبه العلامة النسابة السيد سقاف بن علي الكاف رحمه الله تعالى كتاب « دراسة حول أنساب آل البيت » وما كتبه العلامة السيد محمد بن أحمد الشاطري « تزويد الراوي » ردا علـى منكر للنسب تكلم في أجهزة الإعلام.

وغير هذه المراجع كثير ومتداول، والعلة التي تنخـر في الأمـة ليست بسبب قلة التوثيق وندرة المراجع، وإنمـا لضـياع الأمانـة واستعداء أهل الخيانة مع استعلاء ممقوت لدى جملـة آل البيـت، وضعف مستوى ثقافتهم الشرعية، ووقوعهم مثـل غيرهـم مـن أضدادهم تحت تأثير الثقافات الاستشراقية، الـتي غـزت المنطقـة الإسلامية.

وفاة الإمام المهاجر

بعد جهاد طويل وصبر وعناء وطول تجربة واحتكاك بظروف واقع حضرموت أسس الإمام المهاجر قواعد الدعوة إلى الله بمنهجه المتفرد، ورسخ في حضرموت مذهب أهل السنة، وحمل أبناءه وتلامذته وكافة أهل تلك المرحلة أن يقبلوا سلامة المبدأ وعدالة المقصد، وانتقل إلى عالم مولاه راضياً مرضياً في تمام خمس وأربعين وثلاث مئة للهجرة، ودفن في شعب الحُسيسة الشرقي المعروف بـ « شعب مخدم»[1] الذي لم يزل معلوماً ومشهوراً إلى اليوم.

ويلاحظ الزائر ذلك الشعب، وقد شيدت على ضريح الإمام المهاجر تلك القبة والملاحق التي حولها في أعلى الجبل وفي أسفله، ودفن في الحائط الأدنى السيد العلامة أحمد الحبشي، وشيدت عليه أيضاً قبة أخرى، وهناك أضرحة متعددة في خارجها، ولآل الحبشي علاقة وإشراف متوارث على ذلك الشعب منذ القدم، وكانت تقام في ذكرى دخول الإمام المهاجر زيارة سنوية ظلت مدة طويلة قائمة ثم انقطعت؛ ولكنها أعيدت الآن بصورة محدودة، وأضيف إليها في

---

(١) المصدر السابق ص١١٧ نقلا عن « المشرع » .

عام ١٤٢٢ هـ بعض الزيادات المناسبة للعصر، حيث عقدت الحلقة العلمية الأولى عن وصول الإمام المهاجر إلى حضرموت، واشترك في هذه الحلقة العديد من طلاب العلم والباحثين الذين قدموا لأول مرة دراسات علمية عن الإمام المهاجر وتاريخه وعلومه وآثار انتقاله وهجرته إلى حضرموت من خلال المحاضرات واللقاءات المنعقدة في كل من سيؤون وتريم، والتي نأمل أن تظل تقليداً سنوياً يعكس الصورة العلمية والتاريخية القيمة التي أرستها مدرسة المهاجر وما جاء من بعده لخدمة الإسلام والأمة والوطن.



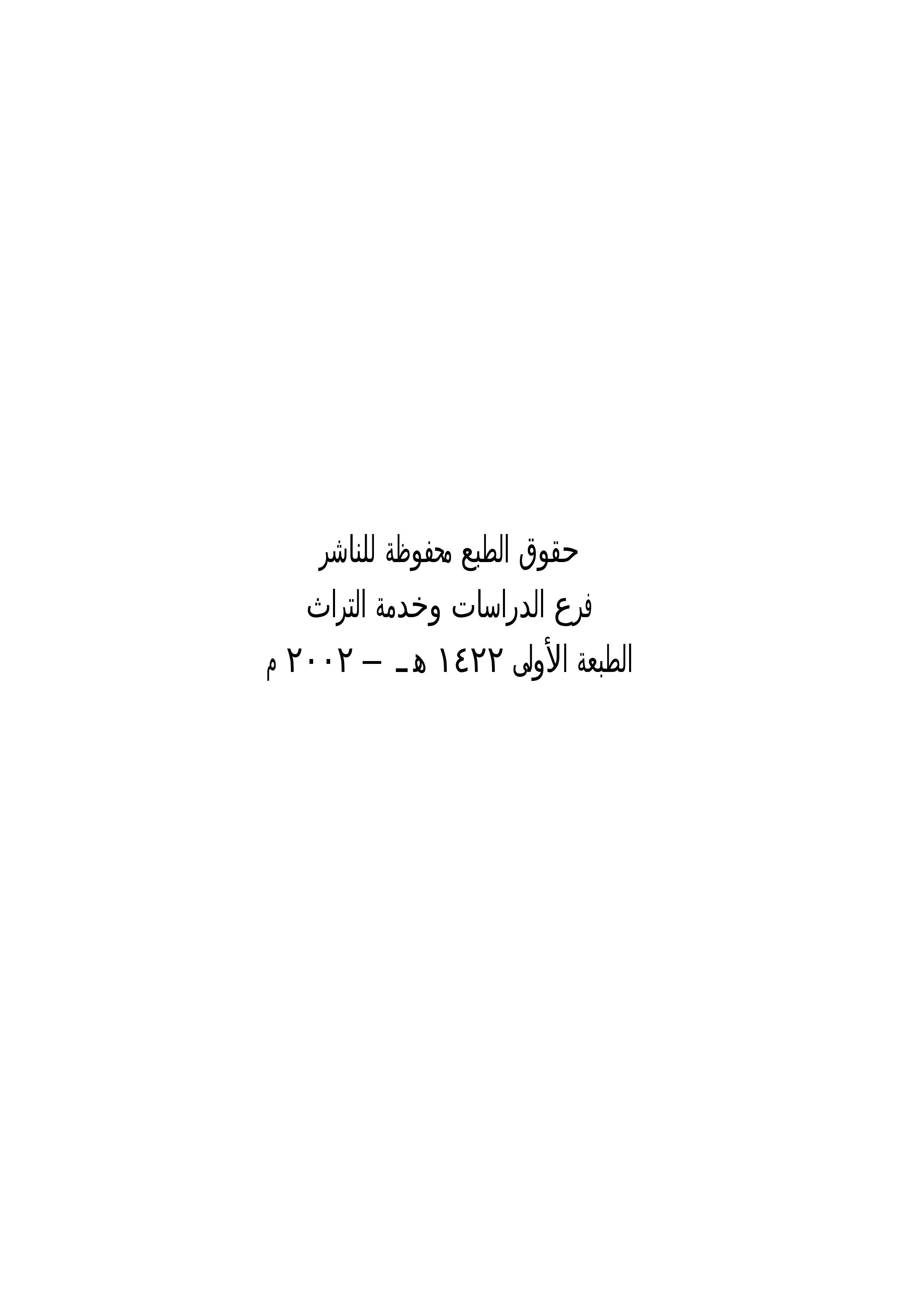


الفهرس



عبيدالله وأبناؤه الثلاثة

(١)



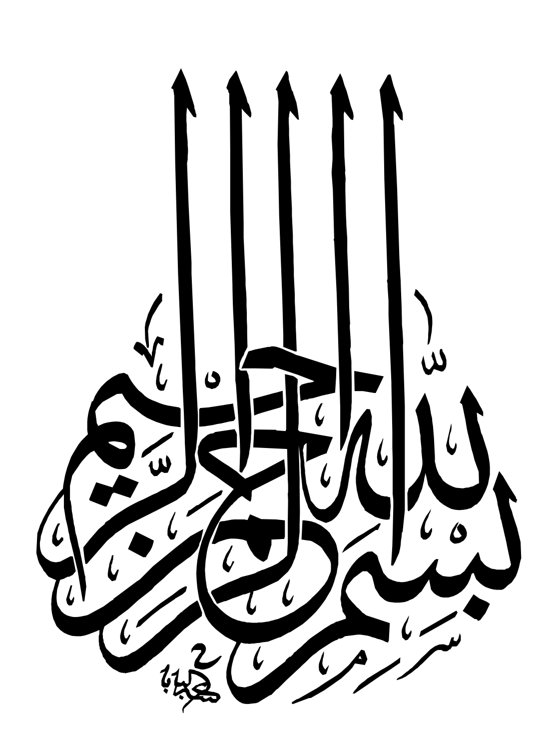
فرع الدراسات وخدمة التراث
الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م

عبيدالله وأبناؤه الثلاثة

بصري وعلوي وجديد

(٢٩٥ – ٣٨٣ هـ)

الغلاف الداخلي


بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني..

بسم الله الرحمن الرحيم

ِإنا أَعطَيناك الكَوثَر . فصل ِلربك وانحَر.

ِإن شاِنئَك هو الَأبتر



لِسانُ الحَال

وكم بدورٍ بذاك الحَي قد برزت

تمد زوارها مِن فَيضِها الزخِـرِ

وكَم غُريِبية الأسرارِ قد غَمرت

بفَضلِ هطالِها الـزوار كـالمَطَرِ

أئَمةُ الدينِ آلُ المُصطَفَى فلَهـم

مكارِم عدها يربو على الزهـرِ

وراثُ طه على التحِقيقِ إن لَهم

محاسِناً أدهشت ألْباب ذِي الفِكَرِ

الشيخ علي بن أبي بكر السكران

((الغرر)) ص١٠١

الإهداء

إلى شيوخِي الأفاضل..

بِقيةِ السلَف.. وأمثلةِ الطرِيقِ في الخَلَف..

وإلى أحفادِ الإمامِ المهاجرِ في مشارِقِ الأرضِ ومغارِبها..

وإلى الراغِبين في التعرفِ على نمَاذِجِ «السفِينةِ التي من ركِبها نجَا، ومن تخَلف عنها هلَك».

المُؤلِّف

سلسلة النسب الشريف

عبد اللّه بن أحمد المهاجر ابن عيسى ابن محمد ابن علي العريضي ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الإمام السبط الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب وفاطمة زهراء البتـول بنت المصطفى محمد صلى اللّه عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

ولادته ونشأته

ولد الإمام عبيد اللّه بن أحمد في مدينة البصرة من أرض العـراق الخصيب، وفيها نما وترعرع وتلقى أولويات معارفه وعلومه تحـت ملاحظة والده الإمام المهاجر ، وهو أصغر أولاد أبيـه ، كانـت ولادته عام ٢٩٥ تقريبا ، وهاجر مع أبيه وهو ابن عشرين سنة[١] .

وأما إخوته فهم محمد ، وعلي ، والحسين ، وهـؤلاء اسـتقروا بالبصرة مع ذراريهم ، ولم يهاجر منهم أحد[٢].

نبغ الإمام عبيد اللّه في علوم عصره حيث زج به والده مبكراً في واقع الحياة العلمية فاستوعب واستفاد علماً وعملاً وتجربةً ، وقـد

---

(١) عن كتاب ((الإمام المهاجر)) بتصرف ص٦٣ .

(٢) المصدر السابق.

كانت البصرة آنذاك من أهم عواصم العلـم والحركـة التجاريـة والفكرية .

عاصر الإمام عبيد اللّه مع إخوته هم الأب الحريص على التربية وحسن السلوك ، كما استشعر عبيد اللّه ما يجيش في صدر والـده من هم الفتن المحيطة بالبيت المبارك ، خصوصاً فيما يتعلق بتربيـة الأبناء والأحفاد في مجتمع البذخ والمال والمتع المتاحة لآل البيت مع علو الجاه ، حيث كان آل البيت بعد ما أصا م عبر المراحل يحظون بالعطف الكبير من المحبين ، وتهيأت لكثيرٍ منهم أسـباب الثـراء وإفاضة الأموال ، مما حدا ببعض أبناء هذا البيت أن يميلوا إلى التنعم والترفه والإفراط في المتع ، حتى إن بعضهم قـد تنتظـره ثلاثـون وصيفة بالند والبخور لدى خروجه من مغتسله[1]، إضافة إلى هموم الفتن الماحقة الساحقة التي جعلت البصرة وما حولها تغلي كالمرجل، وتشهد الفظائع والجرائم والتقتيل، وتمزيق الأعراض ، كفتنة الزنج ، وفتنة القرامطة وفتنة الصراع بين السنيين والشيعة ، وغيرها .

ولهذا فقد كان عبيد اللّه من أول المباركين خطـوةَ والـده في

---

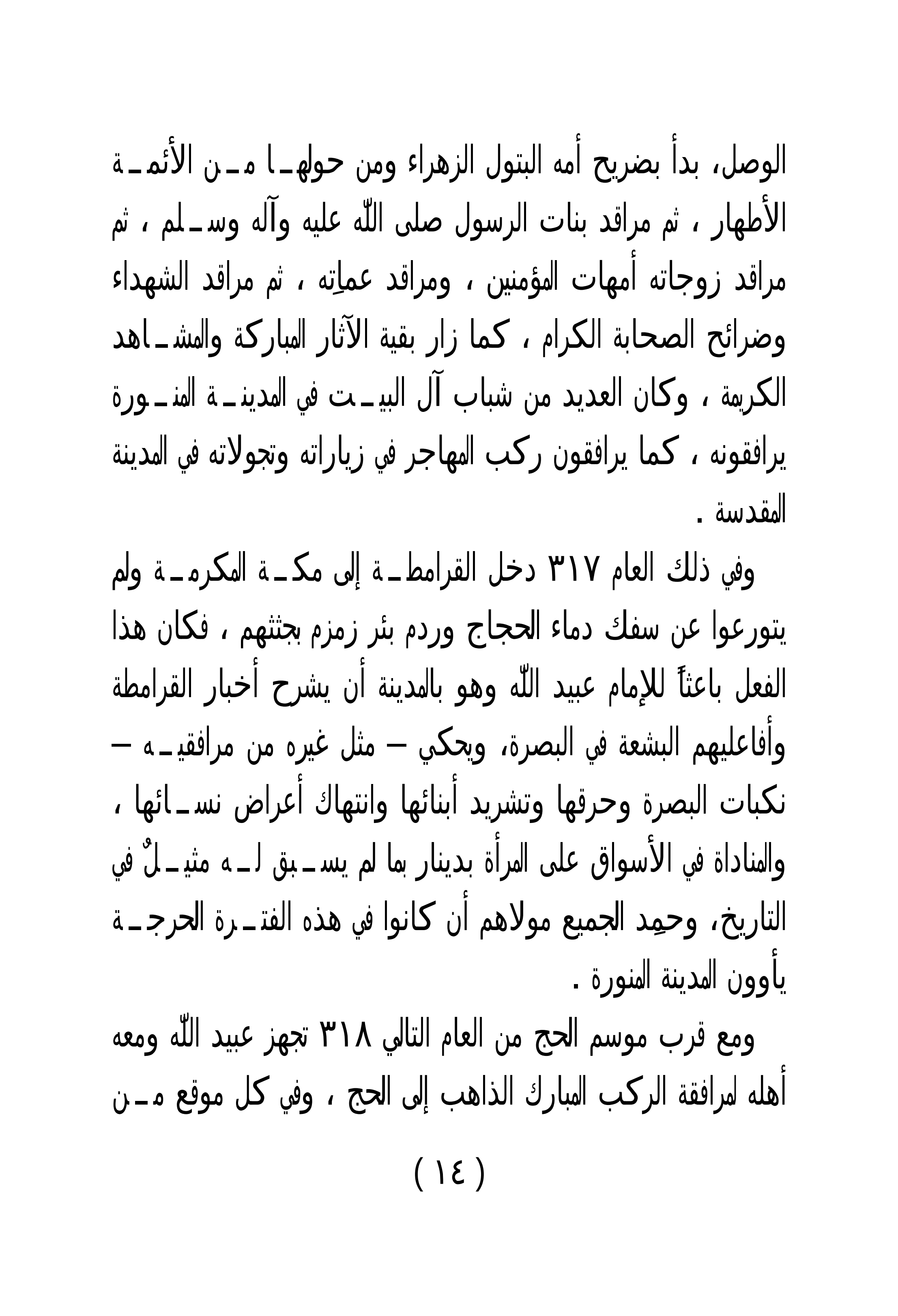
(١) من ((مذكرة الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف)) ، نسبها إلى مصدرٍ تاريخي قديمٍ .

البحث عن موطن آخر تنشأ فيه الذرية المباركة نشـأة سـليمة ، وكان هو أيضا الفتى المختار من بين إخوانه للمرافقـة في رحلـة الانتقال عن البصرة .

لم يأت موعد الهجرة من العراق إلا وعبيد اللّه بن أحمد قد أعد العدة مع أهله وزوجته أم البنين بنت محمد بن عيسى بـن محمـد للرحلة مع والدها إسماعيل الذي عرف فيما بعد بلقب بصري .

خرج عبيد اللّه مرافقاً لركب والده الإمام المهاجر عبر طريـق الشام مرحلةً بعد مرحلةٍ حتى المدينة المنورة، ومعهم كل من جـد السادة الأهادلة وجد السادة آل القديمي كما ذكرت كتب التاريخ، وهناك أبصرت عين الشاب المتطلع إلى منبع أصالته وأرومته.. أبصر موطن آبائه وأجداده.. حيث يأرز الإيمان ، و تهفو الأفئدة ، وآوى إلى ذلك المسجد المبارك يتأمل الروضة الشريفة حيث كان جـده المصطفى صلى اللّه عليه وسلم يجلس ويصـلي ويخطـب ويجهـز الجيوش في سبيل اللّه ، كما وقف أمام الضريح يسلم على الأصـل النير والأب الخير ، وقلبه مفعم بالاطمئنان بعد أن بلغ مدينة سـيد ولد عدنان صلى اللّه عليه وآله وسلم .

وزار البقيع حيث يرقد آل البيت ، دوحـة الأصـل وأسـاس



الوصل، بدأ بضريح أمه البتول الزهراء ومن حولها من الأئمة الأطهار ، ثم مراقد بنات الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم ، ثم مراقد زوجاته أمهات المؤمنين ، ومراقد عماتِه ، ثم مراقد الشهداء وضرائح الصحابة الكرام ، كما زار بقية الآثار المباركة والمشاهد الكريمة ، وكان العديد من شباب آل البيت في المدينة المنورة يرافقونه ، كما يرافقون ركب المهاجر في زياراته وتجولاته في المدينة المقدسة .

وفي ذلك العام ٣١٧ دخل القرامطة إلى مكة المكرمة ولم يتورعوا عن سفك دماء الحجاج وردم بئر زمزم بجثثهم ، فكان هذا الفعل باعثاً للإمام عبيد اللّه وهو بالمدينة أن يشرح أخبار القرامطة وأفاعليهم البشعة في البصرة، ويحكي – مثل غيره من مرافقيه – نكبات البصرة وحرقها وتشريد أبنائها وانتهاك أعراض نسائها ، والمناداة في الأسواق على المرأة بدينار بما لم يسبق له مثيلٌ في التاريخ، وحمِد الجميع مولاهم أن كانوا في هذه الفترة الحرجة يأوون المدينة المنورة .

ومع قرب موسم الحج من العام التالي ٣١٨ تجهز عبيد اللّه ومعه أهله لمرافقة الركب المبارك الذاهب إلى الحج ، وفي كل موقع من

مواقع المناسك كان الإمام عبيد اللّه بن أحمد يتذكر تاريخ الإسلام، وعظمة الدعوة النيرة التي جاء ا خير الأنام صلى اللّه عليه وآلـه وسلم . وآلمه أن يرى الركن الأسعد من الكعبة – موقـع الحجـر الأسود – خالياً بعد أن حمله القرامطة في العام الماضي معهـم إلى الأحساء ، ولم يجد بداً من لمس موضع الحجر وتقبيله عوضاً عـن الحجر المفقود .

واغتبط عبيد اللّه بن أحمد أيما اغتباط وهو يشهد التفات الحجيج على والده الإمام المهاجر يطلبون منه الدعاء ، ويأخذون عنـه درر العلم ، ويستظلون بفيئه الوارف ، ويسيرون خلفه حيـث سـار يهتدون ديه ويؤمنون على دعائه ، واستأنس غاية الاستئناس بمـا شاهده من تعلق حجاج حضرموت وإلحاحهم على والـده كـي يرحل إلى بلادهم ، مؤكدين رغبتهم في الأخذ عنه والدفاع عنـه والسير في ركابه ، واستشعر ميـل والـده إلى تلبيـة رغبتـهم ، والنـزول عند طلبهم .

ولذلك لم يكن الأمر غريباً عليه عندما وجه الإمام المهاجر سير القافلة نحو اليمن بعد انقضاء موسم الحج ، شهد عبيد اللّـه سـير القضاء والقدر في توزيع ركب آل البيت بين ائم اليمن ، فحـلا

المقام للإمام محمد بن سليمان الأهدل ببلاد المراوعـة ، واختـار الشريف أحمد القديمي النـزول بوادي سردد ، بينما ظَلّ والـده مصمماً على المُضِي قُدماً من مدينةٍ إلى أخرى ومن سهلٍ إلى جبلٍ حتى بلغ وادي حضرموت ، وعِلِم أن في الأمر سِرا لا يظْهـر إلا فيما بعد .

تكيف الإمام عبيدالله بن أحمد مع واقع حضرموت

منذ أن حل الإمام المهاجر بقرية الجبيل بوادي دوعن أدرك عبيد اللّه بن أحمد ما ينتظره من المجاهدة والصبر في سبيل تحقيق ما كان والده يصبو إليه ، حيث رأى شظَف العيش وبداوة القوم واتسـاع خرق الخلاف بين فئات الإسلام من سنيين وخوارج ، فلـم يـألُ جهداً – منذ اللحظة الأولى – في صرف جل وقته بين يدي والده الإمام ملبياً حاجته ، مساعداً له في هذه المهمة الشاقة ، حتى ظهرت عليه دلائل الرضا والفرح والاستئناس بثمرات الجهـد المبـذول ، وصار من كل يوم وليلة يزيد من هذا الجهد ، ويسعى إليه راغبـا بعد أن شهد آيات القبول .

الإمام عبيدالله والرحلة في طلب العلم

توطد المقام النبوي في وادي حضرموت على يد الإمام المهاجر ، وكان ولده – عبيد الله – على مدى المراحل كلها خـير رفيـقٍ ومساعدٍ ، سواءً كان الحال في بداية الأمر والإمام المهاجر في الجُبيل ثم الهجرين ثم قارة بني جشير ، أو بعد أن توطد المقام للإمام في قرية الحُسيسة والتفاف الجميع تحت رايته .

وفي هذه المرحلة المثمرة أشار الإمام على ولده بالازديـاد مـن طلب العلم، خصوصاً بعد أن صار الجميع في حضرموت يتلَهفُون للتلَقي من معِينِ أهل السنة ، ويرغبون في الأخذ عن أهل البيـت ، فتوجه عبيد الله بن أحمد إلى الحرمين الشريفين وهما آنذاك من أهم مصادر علوم أهل السنة، وملتقى علماء الخافقين ، ومكث بمكـة المكرمة عدةَ أعوامٍ مكِباً على التحصيل ، وآخذاً عن كـل شـيخٍ حفِيل ، وكان من أهم من أخذ عنه وانتفع به الشـيخ أبوطالـب المكي محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي ، شيخ أهل السـنة ، وصاحب كتاب « قوت القلوب » المتوفى سنة ٣٨٦ .

وكان الإمام عبيد الله بن أحمد قد قرأ عليه « قوت القلـوب » وأخذ الإجازة والسند من أبي طالب المكـي في كافـة أسـانيده

ومروياته ، ومن كثرة مجالسة الإمام عبيد اللّه لأبي طالب تأثر كثيراً بنفَسِه الصوفي ، حتى قيل عنه: « إنه أولُ مـن تـنفس الأنفـاس الصوفية بحضرموت » .

تصدر الإمام عبيداللّه في حضرموت

أجمع المؤرخون على ظهور الإمام عبيد اللّه بحضـرموت بعـد عودته من الحرمين ظهوراً كبيراً ، وكان والده الإمام المهـاجر أول المباركين ذلك والساعين إليه ، بـل أَذِنَ لـه أن يجلـس للإفتـاء والتدريس فيملأ بعلمه المحراب ، وأبدع في تبليغ ثمـرات الكتـاب والسنة ، و يأ للخلافة بين يدي والده ، إذ لم يشذ أحـد أثنـاء تصدره ، بل كانوا إلى ازدياد .

ولما جرى الأمر المحتوم على والده الإمام المهاجر ، آلـت إليـه الخلافة دون منازع ، وكان أحق ا وأهلَها ، فظهر علَمـا بـارزاً وأدى ما لزم به على أكمل الوجوه ، بل اقتدى بوالـده في كافـة شؤونه ، ومن ذلك أنه وهب كافة أراضيه وأملاكه في الحسيسـة لمولاه جعفر بن مخدم ، وانتقل عنها إلى قرية سمل ، وهي ليسـت ببعيدةٍ عن الأولى ، واتخذ له فيها داراً واشترى عقاراً وغَرس نخيلاً

وأشجاراً ، وتزوج من تلك القرية بامرأةٍ ولدت له ابناً سماه جديداً، وقد وٍلد له من قبلُ ولد سماه علَوياً ، وستأتي ترجمتهما جميعا.

ومن هذه القرية المتواضعة استمر نشاط الإمام عبيد اللّه كما كـان والده من قبل ، وانتفع به خلْق كَثِير ، كما بذل جهـوداً عظيمـةً في سبيل زيادةِ العمل الزراعي واستغلال ثمراته ، فكان ينفق على الفقـراء الأرامل والأيتام والمساكين ، وينفق على طلبة العلم وعلـى المـنقطعين والمسافرين ، مع غاية من التواضع والانكسار والمواظبة على الأعمـال الصالحة آناء الليل وأطراف النهار .

وكان اسمه منذ ولادته « عبد اللّه » إلا أنه من شـدة تواضـعه وانكساره رغب في أن يصغر اسمه فيدعى « عبيد اللّه » فثبت الاسم بالتصغير ، وهو في الحقيقة بالعلم والتواضع كبير .

وقضى الإمام عبيد اللّه بعد والده ردحاً من الزمن يرسي دعائم المدرسة النبوية مدرسة الأخلاق والأخوة الإيمانية ، وينشئ عنـهاً جيلاً من أبناء حضرموت ينطوون تحت راية آل البيت من جهـة، ويوحدون القطر المبارك على منهج أهل السنة والجماعة .

ولما بلغ الإمام عبيد اللّه من العمر ثلاثة وتسعين عاماً قرت عيناه بأولاده الثلاثة الذين برزوا في مجال الخلافة من بعده ، فمات رحمه

اللّه تعالى بعد أن علم أن ميراث المهاجر بأيد أمينة تحافظ عليها وتوسع دائرة نشره بين الناس ابتغاء رضوان اللّه ، وهم بصري وعلَوي وجدِيد .

وكانت وفاة الإمام عبيد اللّه عام ٣٨٣ ، واختلفوا في موقع دفنه، فقيل: إنه دفن في قرية سمل ، وقيل : إنه دفن في العرض النجدي قرب مدينة بور، ولم يبقِ لنا الزمن أي أثر من الآثار المعاصرة له برغم كثرة ما مدحه الشعراء وما وصفوه به من الخير والتقى في عصره ، إلا أن الشيخ علي بن أبي بكر السكران قال فيه:

عفِيف الدينِ عبد اللّهِ أكْرم بذاك الفَحل والحَبر الجَليل
أبِ الأشرافِ معدن كُل جودٍ وبحرِ العلمِ سيدِنا الفَضِيل

رحمه اللّه رحمة الأبرار .

سلسلة نسب الأبناء الثلاثة

هم بصرِي وعلَوي وجدِيد أبناءُ عبيد اللّه بن أحمد المهاجر ابن عيسى بن محمد ابن علي العريضي ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين السبط ابن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم .

الإمام بصري بن عبيداللّه

ولد بصري بن عبيد اللّه بن أحمد في مدينة البصـرة مـن أرض العراق سنة ٣٠٥ ، و ا نشأ وتلقى باكورة المعـارف العلميـة ، وكان اسمه الأول إسماعيل، ولُقب ببصرِي إلا أن اللقب صار فيمـا بعد أكثر شهرةً من الاسم .

انتقل من البصرة إلى حضرموت مع قافلة جده المهاجر وأبيه عبد اللّه وعمره إذ ذاك حوالي الثانية عشرة .

نال البصري نصيباً وافراً من رعاية جده المهاجر ، فقرأ عليه في الحديث والتفسير ، وتأدب به ، كما حظي باهتمام والده عبيد اللّه وأخذ عنه علوماً كثيرةً ، خصوصاً بعد عودته من الحرمين وتصدره في الوادي .

نبغ الإمام بصري مبكراً وظهر علَماً في الحـديث وروايتـه ، وأسهم في بناء مدرسة الإمام المهاجر إسهاماً ظهـر أثـره علـى الآخذين والمتلقين عنه من طلبة العلـم ومـن أولاده ، كالعلامـة سالم بن بصري .

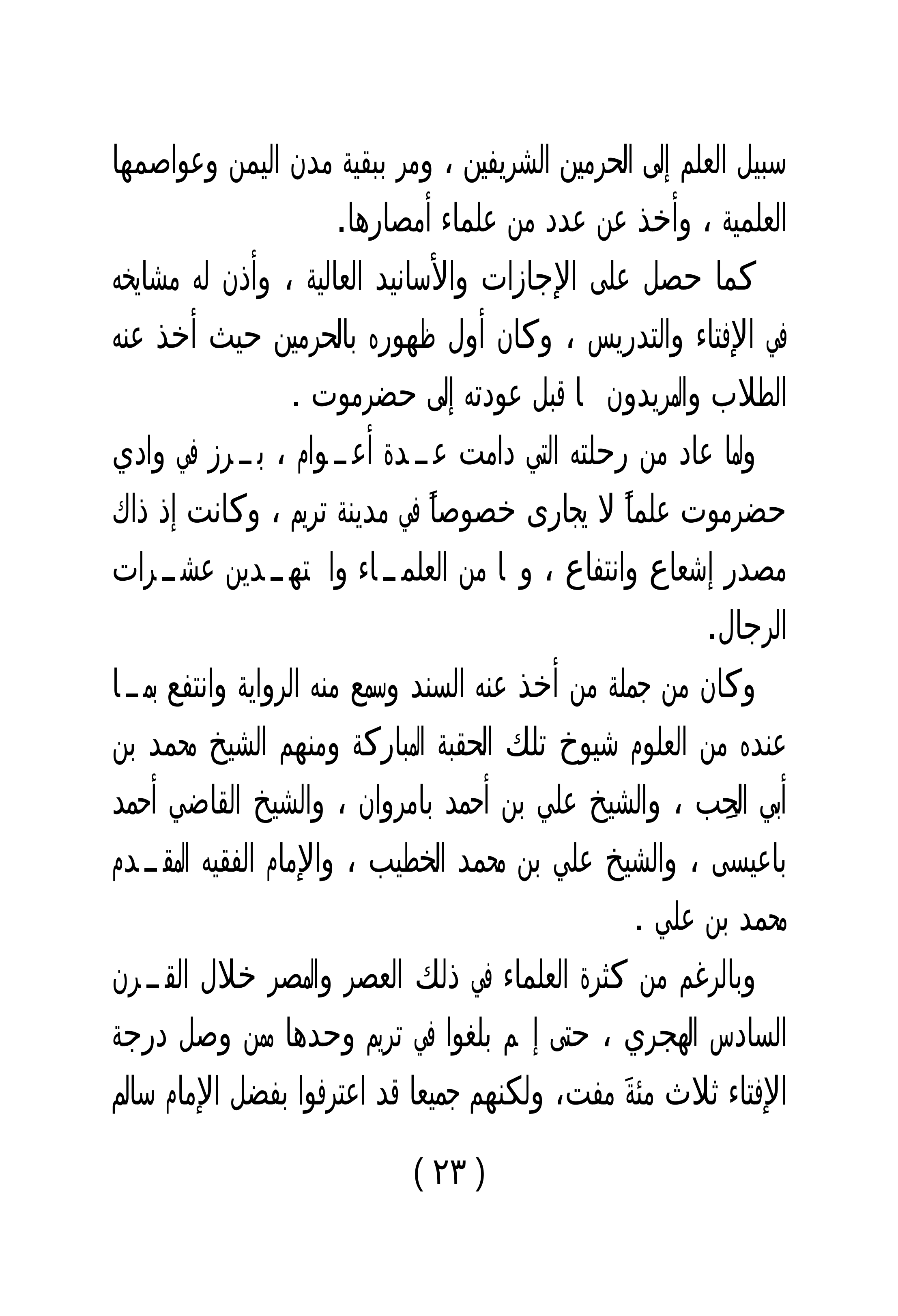
كما انتفع به أخواه علوي وجديد ، وكانا له في علمه وعملـه ونشاطه الديني والاجتماعي خير مساعدينِ ورفيقينِ ، خصوصاً بعد

تحمل بصري خلافةَ العلم بعد انتقال والدهم عبيد اللّه بن أحمد سنة ٣٨٣ .

أنجب بصري ذريةً صالحةً تسلسل فيها العلم والعمل ، ولكـن أخبارهم وآثارهم اندثرت ولم يبق منها شيء ، وقد أشار المـؤرخ العلامة محمد بن علوي في كتابه « غرر البهاء الضوي » إلى ذلـك فقال ص١١٦ : وقد عد صاحب كتاب « الدر الثمِين » ستةً مـن الفضلاء من ذرية الإمام بصري كلهم علمـاءُ أجِـلاّءُ ومشـايخ فُضلاء، اندثرت جل أخبارهم ، وذهبت غالب آثارهم . اهـ . إلا أن ما حفِظَته لنا تراجم الشيوخ عن ولدِه سالم بن بصـري يعتـبر ملْمحاً كافياً عن أثر الإمام بصري في زمنه وعهده .

الإمام سالم بن بصري

ترجمت « البرقة المشيقة » و« الغرر » و« المشرع » لهذا الإمـام النحرير ، وكذا بقية كتب التراجم ، وأجمعوا على بلوغـه رتبـة الاجتهاد بجدارة ، مع كمال الورع والتقوى ، وكان جل انتفاعـه من أبيه الإمام البصري ، بل هو صورته ومثاله، كما انتفع بجملة من مشايخ عصره ، كالشيخ العلامة سالم بن أبي فضل ، ورحـل في



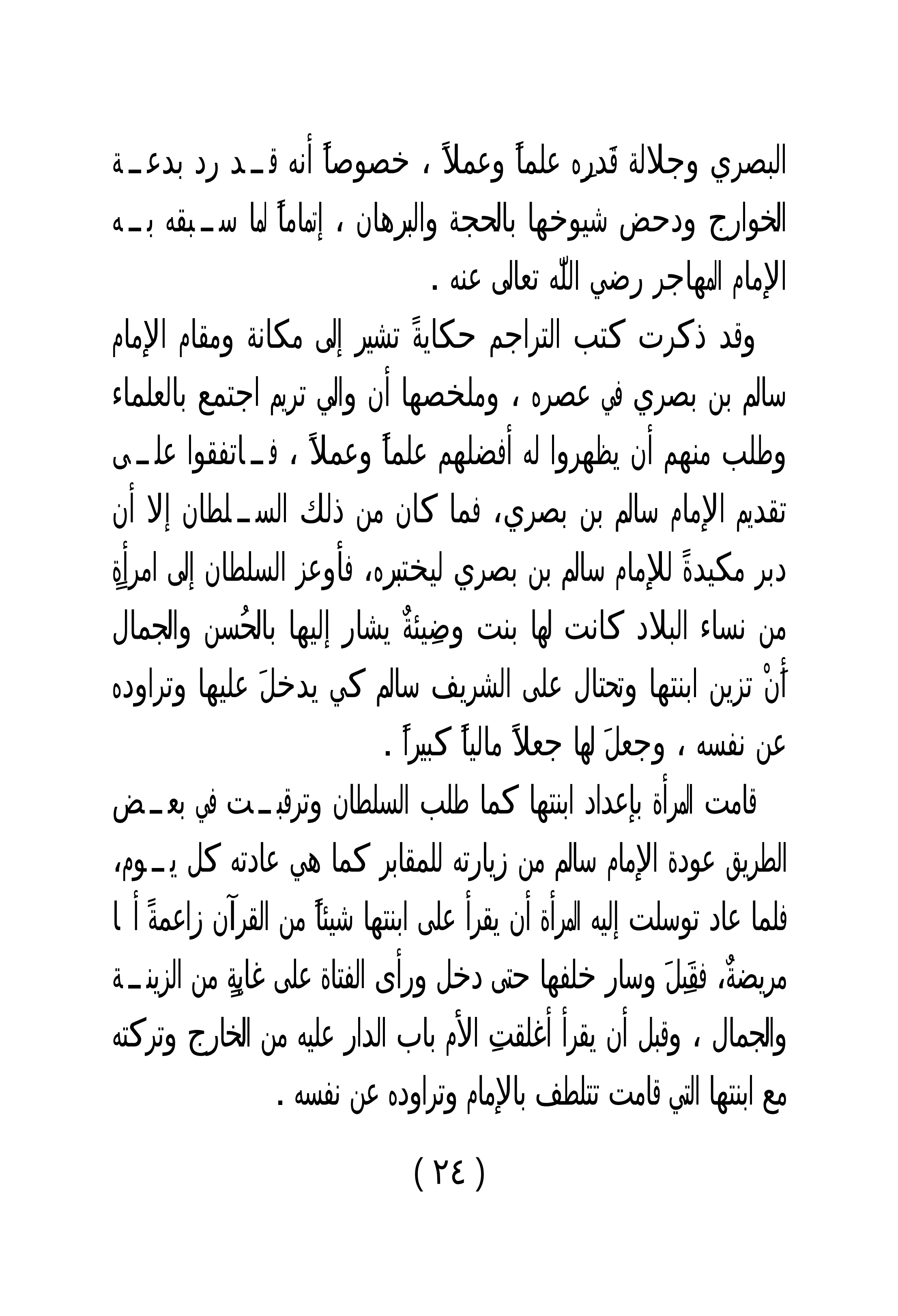
سبيل العلم إلى الحرمين الشريفين ، ومر ببقية مدن اليمن وعواصمها العلمية ، وأخذ عن عدد من علماء أمصارها.

كما حصل على الإجازات والأسانيد العالية ، وأذن له مشايخه في الإفتاء والتدريس ، وكان أول ظهوره بالحرمين حيث أخذ عنه الطلاب والمريدون ا قبل عودته إلى حضرموت .

ولما عاد من رحلته التي دامت عـدة أعـوام ، بـرز في وادي حضرموت علماً لا يجارى خصوصاً في مدينة تريم ، وكانت إذ ذاك مصدر إشعاع وانتفاع ، و ا من العلمـاء وا تهـدين عشـرات الرجال.

وكان من جملة من أخذ عنه السند وسمع منه الرواية وانتفع بمـا عنده من العلوم شيوخ تلك الحقبة المباركة ومنهم الشيخ محمد بن أبي الحِب ، والشيخ علي بن أحمد بامروان ، والشيخ القاضي أحمد باعيسى ، والشيخ علي بن محمد الخطيب ، والإمام الفقيه المقـدم محمد بن علي .

وبالرغم من كثرة العلماء في ذلك العصر والمصر خلال القـرن السادس الهجري ، حتى إ م بلغوا في تريم وحدها ممن وصل درجة الإفتاء ثلاث مئةَ مفت، ولكنهم جميعا قد اعترفوا بفضل الإمام سالم



البصري وجلالة قَدرِه علماً وعملاً ، خصوصاً أنه قد رد بدعة الخوارج ودحض شيوخها بالحجة والبرهان ، إتماماً لما سبقه به الإمام المهاجر رضي اللّه تعالى عنه .

وقد ذكرت كتب التراجم حكايةً تشير إلى مكانة ومقام الإمام سالم بن بصري في عصره ، وملخصها أن والي تريم اجتمع بالعلماء وطلب منهم أن يظهروا له أفضلهم علماً وعملاً ، فاتفقوا على تقديم الإمام سالم بن بصري، فما كان من ذلك السلطان إلا أن دبر مكيدةً للإمام سالم بن بصري ليختبره، فأوعز السلطان إلى امرأةٍ من نساء البلاد كانت لها بنت وضِيئةٌ يشار إليها بالحُسن والجمال أنْ تزين ابنتها وتحتال على الشريف سالم كي يدخلَ عليها وتراوده عن نفسه ، وجعلَ لها جعلاً مالياً كبيراً .

قامت المرأة بإعداد ابنتها كما طلب السلطان وترقبت في بعض الطريق عودة الإمام سالم من زيارته للمقابر كما هي عادته كل يوم، فلما عاد توسلت إليه المرأة أن يقرأ على ابنتها شيئاً من القرآن زاعمةً أنها مريضةٌ، فقَبِلَ وسار خلفها حتى دخل ورأى الفتاة على غايةٍ من الزينة والجمال ، وقبل أن يقرأ أغلقتِ الأم باب الدار عليه من الخارج وتركته مع ابنتها التي قامت تتلطف بالإمام وتراوده عن نفسه .

استعظم الإمام سالم ذلك الأمر ، ولم يجد بداً من إخراج نعله وأخذ يضرب بها الفتاة على وجهها وجسمها وهو في شدة الغضب والانفعال ، ثم خرج من المنزل مسرعاً والفتاة تصرخ بأعلى صوتها مما حل بها ، إذ جاءت أمها فرأت ما يهول ، وقد صار موقع كل ضربة من النعل حزازةَ جذام ، فجن جنونها وهرعت إلى السلطان تعلمه بالأمر ، فجاء ورأى ما حل بالفتاة فتيقن عِظَم حالِ الإمام سالم ، فما كان منه إلا أن أرسل إليه واعتذر له غاية الاعتذار وطلب منه الصفح عن الفتاة وأمها ، وأن يدعو الله لها بالشفاء من الجذام ، فقَبِلَ الاعتذار وصفح عن الفتاة وأمها ، ودعا لها بالعافية فشفاها الله . وقد تناولت كتب التراجم بعض تفاصيل حياته واختلفوا في وفاته ، فقال بعضهم : إنه مات مقتولاً ؛ ولكن السيد الشاطري في « الأدوار » أكد وفاته على فراشه عام ٦٠٤ ، ودفن بتربة زنبل بتريم .

كان هذا هو أحد ثمرات العطاء الإلهي الذي من به على الإمام البصري بن عبيد الله ابن الإمام المهاجر[1].

---

(١) أجمعت كتب التراجم على انقراض ذرية الإمام بصري في منتصف القرن السابع الهجري ، ولم يبق منهم بعد هذا القرن أحد .

وقد انقضت حياة الإمام البصري على خير ما تنقضي عليه حياة العلماء والعظماء الأفذاذ ، ما بين علم وعمـل ونفـع وانتفـاع وإصلاح بين الناس ، وحتى ناداه منادي مولاه فلبى النداء راضيا ، ودفن بقرية سمل ، ولا زال قبره معروفاً ا إلى اليوم ، رحمه اللّـه رحمة الأبرار .

الإمام جديد بن عبيداللّه بن أحمد المهاجر

هو أصغر أولاد عبيد اللّه ، وأمه أم ولد ، تزوجها عبيد اللّه بعد انتقاله من الحُسيسة إلى قرية سمل بعد وفاة والده عام ٣٤٥ .

نشأ جديد تحت رعاية أبيه واهتمام أخويه بصري وعلوي ، ونما وترعرع في جو من النشاط الاجتماعي والحماس الديني المنبعث من نشاط بيئة الإمام المهاجر ، حفظ ((جديد)) من القرآن شيئاً كثيراً ، وأخذ أسس العلوم الشرعية وكذا اللغوية والقرآنية على يد جملة من الشيوخ ، ويأتي في مقدمتهم أخواه بصري وعلوي .

وقد كان عصر الإمام جديد عصر اهتمام ومثـابرة وتنـافس شريف على طلب العلم والأخذ عن الشيوخ ، ولهذا بذل كل ما في وسعه ليكسب رهان العلم والعمل متمثلا معنى قول الشاعر :

لا تحسبِ المَجد تَمراً أنت آكِلُه   لن تبلُغَ ا د حتى تلْعق الصِبرا

ولكن جديداً أبدع بين أقرانه حـتى جـاوزهم وسـبقهم إلى التحصيل ، وأخذ عالي المعارف والعلوم وحققها ، مما قر به عـين أبويه وأخويه ، فكان بعد ذلك سنداً لهما ، وعضداً لـدعو ما ، يسافر من قرية إلى قرية ، ومن مدينة إلى أخرى ناصحاً ومـذكراً ومعلماً ، يتألف قلوب العوام ، ويجادل المخالفين بالحسـنى مـع استشهاده بالحجج البينة ، حتى تأدب له الجميع ، وانطوى تحـت لوائه الجم الغفير من أهل البدع والمخالفات .

أذن الإمام عبيدالله إبان مرحلة تصدره لولديه جديد وعلـوي كي يذهبا إلى بيت الله الحرام ، وكلف جديداً أن يرحل إلى العراق لزيارة من بقي هناك من الأقارب ، وربط صلات الوشـائج بـين الثاوين هناك وبين المقيمين بحضرموت ، وفي هذا المعـنى كتـب صاحب « الجوهر الشفاف » أن سفَر جديدٍ من إلى البصرة كـان حينما حج مع أخيه علوي لقبض الغلات وزيارة الأقارب ، وأنـه رجع ماراً بشواطئ الخليج ، ودخل الأحساء ، والقطيف ، وعمان، وانعطف إلى ظفار .

وفي هذه الرحلة اتسعت دائرة الأخذ والإسناد والاتصال بكبار

علماء الإسلام في البلدان التي زار فيها وعبر فيها ، وفي هذا الصدد كتب المؤرخ عبد اللّه بن نوح ما مثاله ص١٠٢ في ذيـل كتـاب «الإمام المهاجر» :

جديد : ولد بحضرموت وبرز بإذن والده إلى جانب أخويـه في حلبة التدريس ، ورواية الحديث وإجازته ، وانتفع به خلق كثير ، وأقبل عليه الطلاب من كل حدب وصوب .

استحسن الإمام جديد الانتقالَ من قرية سمل بعد وفاة والده عام ٣٨٣ إلى قرية بيت جبير على مقربة من مدينة تريم التاريخية ، وتدير هناك واتخذ عقاراً ونخيلاً ، وتصدر في القرية للتدريس والنفع العام والخاص ، وحرك فيها أيدي العوام والخواص بالزرع والضـرع ، والاكتفاء بموارد القرية وتطويرها وتحسـين نوعيا ـا الزراعيـة والحيوانية ، حتى صارت في عهده إحدى المناطق الخصبة المشـار إليها بالبنان ، وازدحم الطلاب في تلك القرية ينهلون من المعـين الدافق ، كما تأثر الجميع بلطفه وكرمه الواسع ولطـف أخلاقـه وسعة صدره للناس وعذوبة منطقه ، ورزقه اللّه في تلك القرية ذريةً مباركةً أدرك بعضهم ردحاً من عمره ، وأخذوا عنه الأخذ التام ، وتسلسل فيهم وفي من جاء من بعدهم شـرف العلـم والعمـل

والاستقامة ، وحب العمل والاعتناء بطلب الرزق الحلال ؛ إلا أن القضاء والقدر جرى مجراه فلم يبق من آثار هـؤلاء الرجـال إلا النادر، كما انقرض هذا البيت المبارك مثل انقراض بيت آل بصري في منتصف القرن السابع الهجري .

كتب صاحب « الغرر » : والسيد الإمام الشيخ جديد بن عبـد اللّٰه الغالب عليه وعلى ذريته التبحر في فنون العلم والزهد والورع ، ولم يبق أحد منهم إلا ثلاثة فقهاء علماء ، وخمسة قـد طُمِسـت أسماؤهم في « الدر الثمين » الذي انقطعت منه أوراق حكى فيهـا أخبارهم ومآثرهم وفضائلهم، وكلهم شافعيةٌ أشعريةٌ على عقائـد أهل الكتاب والسنة[1].

وكتب أيضا صاحب « الغرر » ثم إن بني جديد انقرضوا كـبني بصري ، وآخر موتاهم امرأةٌ بزبيد اسمها جديدة ، وعد صـاحب

---

(١) « الدر الثمين » ، أو « الياقوت الثمين » ، كتاب مخطوط اعتنى مؤلفه فيه بتراجم السادة العلويين منذ حلول الإمام المهاجر ، ولكن الإهمال وطول العهد بالتـأليف تسبب في تمزق بعض أوراق هذا الكتاب ، حتى إن صاحب الغرر خلال القـرن العاشر يشكو من تمزقه ، وأن ذلك كان سببا في طمس كثير من أخبار بني بصري وبني جديد وآثارهم ، ولكن هذا الكتاب يعد الآن معدوما ولا يعرف له مكان ما عدا اسمه الوارد.

((الياقوت)) -أي: ((الدر الثمين))- منهم اثني عشر شيخاً عالمـاً ، اندثرت أخبارهم ، ومناقبهم في الكتاب ، ولهم مآثر عديدةٌ لم يبق منها إلا مسجدهم المنسوب إليهم في حاميتهم بتريم .

بنوجديد.. **رجال العلم والعمل**..

سبقت الإشارة إلى انطماس آثار هذا البيت المبارك بانطمـاس بعض المؤلفات ، وكذلك انقراضهم في منتصف القـرن السـابع الهجري إلا أن ما بين أيدينا من التراجم ذكرت بعض المناقب لأفرادٍ منهم، ومع أننا قد افردنا للسادة بني جديد كتيبا خاصا في هـذه السلسلة إلا أنه يحسن أن نضعهم هنا مرة أخرى نموذجاً ساطعاً يدل على ذلك العصر ورجاله.

١- نور الدين علي بن محمد بن جديد[1].

---

(١) أحد علماء القرن السابع الهجري ، ولد بتريم ونشأ ا ، وترجمت لـه أمهـات التراجم كالجَندِي في ((تاريخه)) ، وابنِ سمرة في ((الطبقات)) ، وترجم لـه في ((المشرع)) ، و((الغرر)) ، وفي ((البرقة المشيقة)) ، و((العقد النبوي)) .

تلقى أولويات علومه بحضرموت ثم انتقل إلى الحرمين ، وجـد في الطلـب وزاحم في سبيل العلم بالركب ، نافس الأقران في تحصيل علوم السنة والقـرآن ، حتى عظم صيته في الجهات والأقطار والأقاليم ، وسافر إلى الهند والعراق وغيرها

من البلاد ، ولما قدم إلى عدن بعد عودته من الحرمين أدرك القاضي إبراهيم بن أحمد القريظي فأخذ عنه كتاب ((المستصفى من سنن المصطفى)) ، ثم خرج لزيارة الشيخ مدافع بن أحمد العيني ثم الفقيه الخولاني ببلدة الوجيز ، وتزوج هو وأخوه عبد الملك من ابنتي الشيخ ، وأخذ عن الشيخ مدافع أخذاً تاماً ، وسكنا برهة من الزمن بذي دهيم ، وأخذ الناس الحديث عن الشريف علي بن جديد، وممن أخذ عنه الشيخ الإمام محمد بن مسعود السفالي والإمام أبوالناصر الحميري ، وأحمد بن محمد الجندي ، والإمام حسن بن راشد والإمام الشيخ محمد بن إبراهيم الفشلي ، وكان الفشلي يقول عنه : أبو جديد رجلٌ ثقةٌ من الحفاظ ، ذكره صاحب ((العقد النبوي)) (١: ٢٥٣) .

ولما عاد إلى حضرموت اعتنى بعلوم الحديث وحققها ، ونشر الأسانيد العالية، وأفاد الطلاب بفنون المعرفة التي تلقاها، ويذكر أنه أول من حذف السند من الحديث اختصارا ، واعتمادا على ما عنده من الحفظ ، وما عند تلاميذه من الاستيعاب ، وروى كثيراً من الأحاديث مجردةً عن أسانيدها .

قلت : وهذا كان يفعله بعض العلماء كالنووي في ((الأذكار)) .

كما حقق النسبة الشريفة واعتنى بتوثيقها ، ذكر ذلك الشيخ بامخرمة في ((قلادة النحر)) ، وقال : إنه لما قدم أحمد بن عيسى اعترف له أهل حضرموت بالفضل وما أنكروه ، ثم إ م من بعد ذلك أرادوا إقامة البينة توكيداً لما ادعوه ، وكان بتريم آنذاك ثلاث مئة مفت ، فسار الإمام المحدث علي بن محمد بن جديد إلى العراق وأثبت ذلك النسب ، وأشهد عليه نحو مئة عدل ممن يريد الحج ، ثم أثبته مرةً أخرى بمكة ، وأشهد على الأثبات جميعا ممن حج من الحضارم ، وقَدِم هؤلاء الشهود في يومٍ معلومٍ وشهدوا على رؤوس الأشهاد بإثباته . ومن آثاره

٢- عبد اللّه بن محمد بن جديد[1].

جزءٌ حديثي جمع فيه أربعين حديثاً في فضائل الأعمال لا زالت مخطوطة، وكـان يعرف عند أهل اليمن بالشريف أبي الجديد ، وورد اسمه كـذلك في ((النفحـة العنبرية)) لابن أبي الفتوح ، وكان مؤلفها يسرد قضية التباس حاكم عدن في شأنه فقال : ومن ولد عيسى السيد أحمد المتنقل إلى حضرموت ، ومن ولده السيد أبي جديد القادم إلى عدن في أيام مسعود بن طغتكين بن أيوب بن شادي سنة ٦١١ ، فتوحش المسعود منه لأمر ما فقبضه وجهـزه إلى أرض الهنـد ، ثم رجـع إلى حضرموت بعد وفاة المسعود .

وقد ورد في بعض تراجمه أن شيوخه بلغوا ألف شيخ و م بلغ رتبة الاجتهاد، وتفرد بعلو الإسناد ، ونقل عنه الحافظ السخاوي في كتابه ((المقاصد الحسـنة)) حديث الخضر عليه السلام عند سماع المؤذن . ذكـره في ((شـرح العينيـة)) ص١٤٢.

(١) الشيخ المستنير عديم النظير في عصره، صاحب علم وورع وزهد وأخلاق عالية ، ولد بتريم ، ومات ا سنة ٦٠٨ ، بقي من الآثار الدالة عليه رسالة تعزية في وفاته كتبها الشيخ العلامة ابن أبي الحِب الحضرمي لأخيه محمد بن جديد يقول فيهـا : لقد ساءنا بعده ، وأوحشنا فَقْده ، وإن فجيعتنا به أعظم من فجيعتك ، وروعتنا لفراقه أعظم من روعتك ، فكيف لا يكون ذلك وهو أليفُنا في مكاننا ، وشريفُنا في زماننا ، وهو أحد علمائنا وأوتادنا ، ولقد كان نعم العون في الشدائد والنوائب المدلهمة ، والمدخر لمَخشِي العواقب المهمة ، والمَعاطِب المُلمة :

وبـالكُرهِ مِنـا فَقْـده وفراقُـه ولكن خطْب الدهرِ بالناس موقَع

٣- عبد الملك بن محمد بن أحمد بن جديد[1].

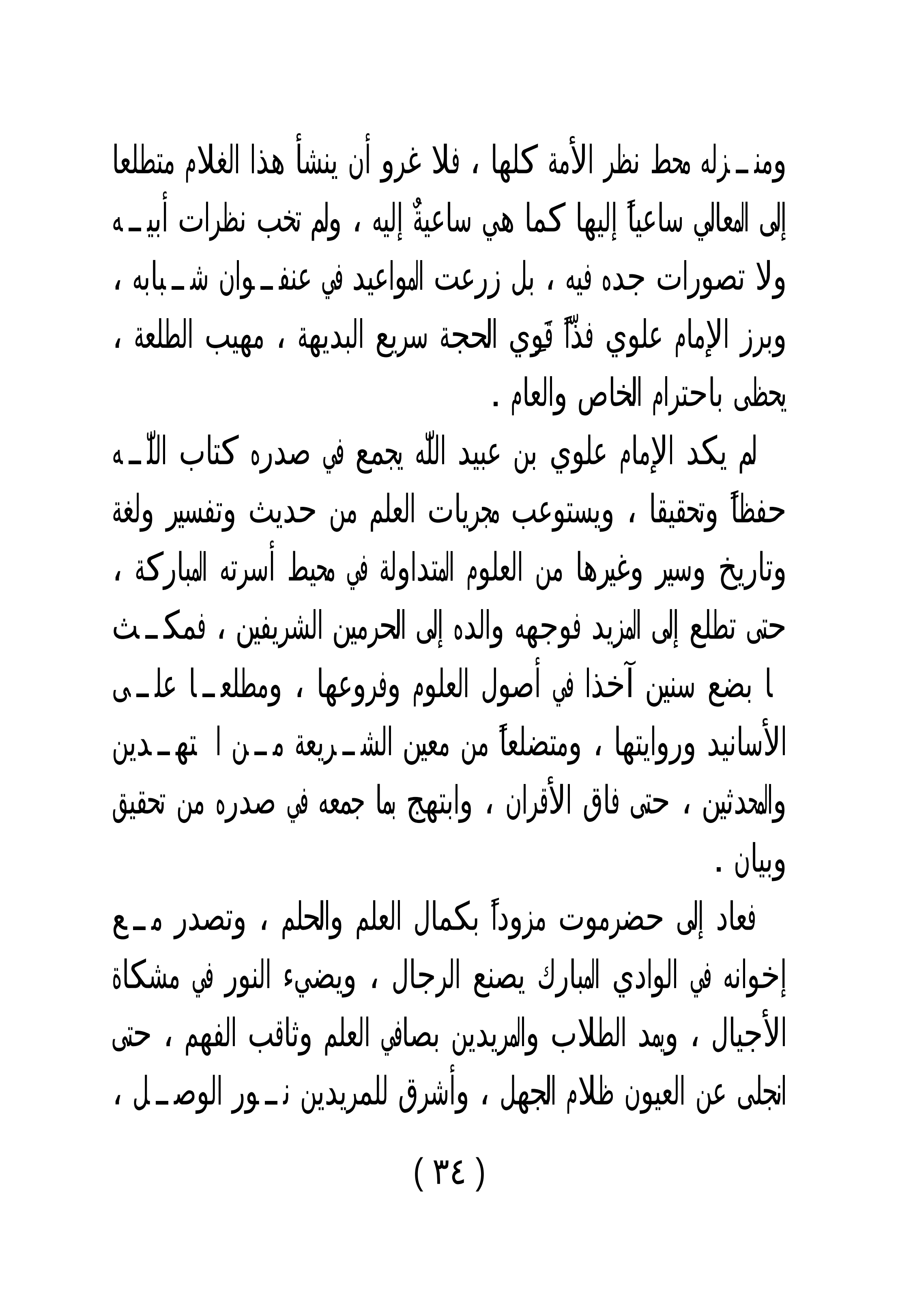
الإمام علوي بن عبيدالله بن أحمد المهاجر

الإمام الذي حفظ الله به ذرية آل البيت النبوي بحضرموت إلى اليوم ، إذ لم يبق من ذرية أخويه بصري وجديدٍ أحد بعد القرن السابع كما تقدم ، ولد علوي بحضرموت ، وعلى الأرجح كان مولده بالحسيسة ، وقيل : في سمل ، وهو أول من سمي علوياً ، وإليه ينتسب أشراف بني علوي وآلُ علوي في مشارق الأرض ومغاربها .

نشأ تحت رعاية أبويه ، وانتفع بأخيه بصري ، وأشرقت شمس حياته على همةٍ عالية ، ونفحاتٍ قرآنيةٍ ونبويةٍ زاهية ، فبيئته بيئة العلم والنور القرآني ، وأهله أهل معدن الحق والفتح النوراني ،

وكُنّا ذَخرناه لكُلّ ملمةٍ وسهم الرزايا بالذخائر مولع

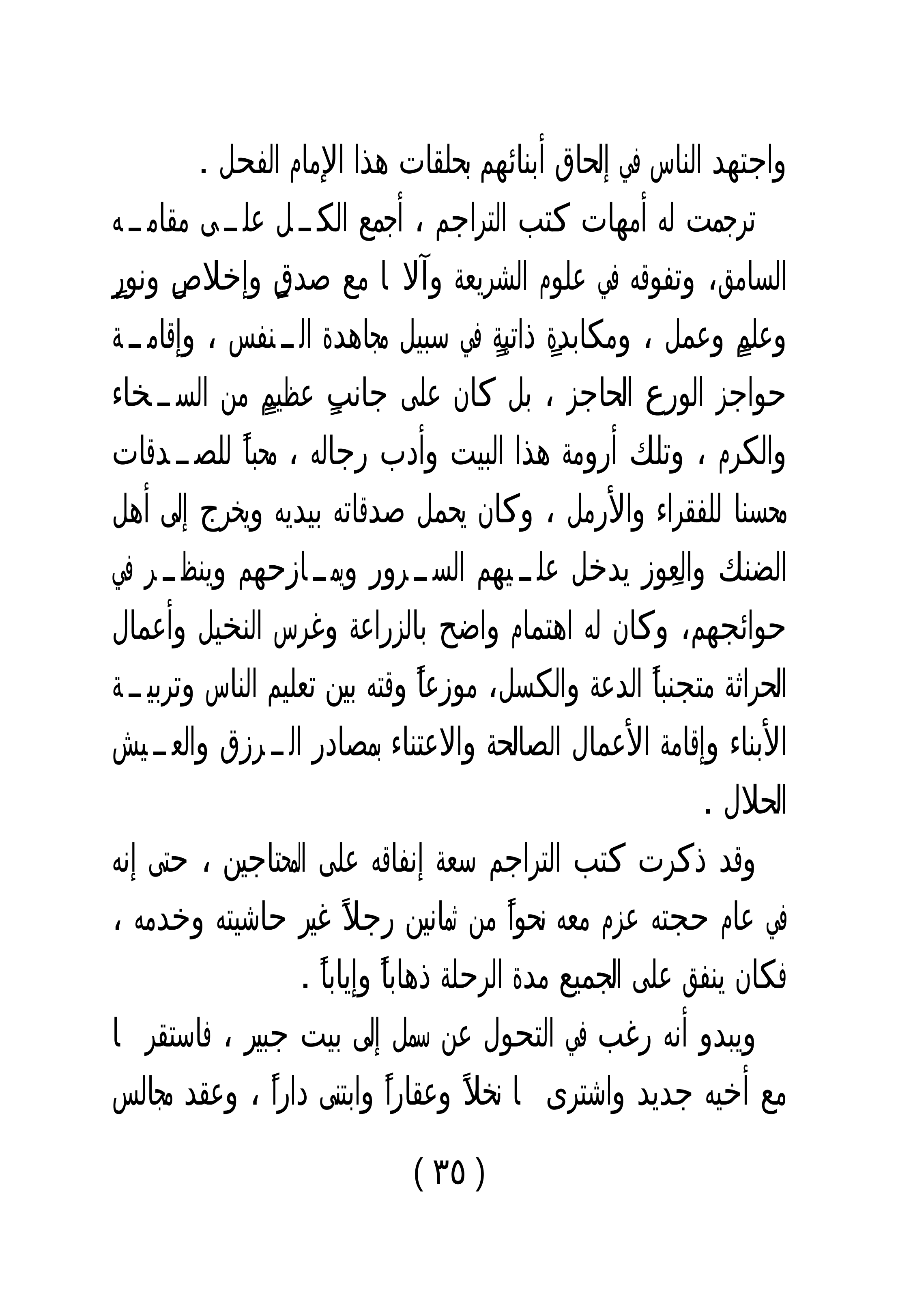
(١) الفقيه العالم العامل البارع في أنواع العلوم المتقن لسائر المنطوق والمعلوم ، اعترف له علماء زمانه بسبقه في كافة علوم الشريعة ، فكان مرجعاً في الحديث والتفسير والفقه ، اندثرت أخباره وآثاره كما هو حال غيره من أهل بيته ، توفي عام ٦١٤ وراجع ((الغرر)) ص١٢٣ .



ومنـزله محط نظر الأمة كلها ، فلا غرو أن ينشأ هذا الغلام متطلعا إلى المعالي ساعياً إليها كما هي ساعيةٌ إليه ، ولم تخب نظرات أبيـه ولا تصورات جده فيه ، بل زرعت المواعيد في عنفـوان شـبابه ، وبرز الإمام علوي فذّاً قَوِي الحجة سريع البديهة ، مهيب الطلعة ، يحظى باحترام الخاص والعام .

لم يكد الإمام علوي بن عبيد اللّه يجمع في صدره كتاب اللّـه حفظاً وتحقيقا ، ويستوعب مجريات العلم من حديث وتفسير ولغة وتاريخ وسير وغيرها من العلوم المتداولة في محيط أسرته المباركة ، حتى تطلع إلى المزيد فوجهه والده إلى الحرمين الشريفين ، فمكـث ا بضع سنين آخذا في أصول العلوم وفروعها ، ومطلعـا علـى الأسانيد ورواياتها ، ومتضلعاً من معين الشـريعة مـن ا تهـدين والمحدثين ، حتى فاق الأقران ، وابتهج بما جمعه في صدره من تحقيق وبيان .

فعاد إلى حضرموت مزوداً بكمال العلم والحلم ، وتصدر مـع إخوانه في الوادي المبارك يصنع الرجال ، ويضيء النور في مشكاة الأجيال ، ويمد الطلاب والمريدين بصافي العلم وثاقب الفهم ، حتى انجلى عن العيون ظلام الجهل ، وأشرق للمريدين نـور الوصـل ،



واجتهد الناس في إلحاق أبنائهم بحلقات هذا الإمام الفحل .

ترجمت له أمهات كتب التراجم ، أجمع الكل على مقامه السامق، وتفوقه في علوم الشريعة وآلا ا مع صدقٍ وإخلاصٍ ونورٍ وعلمٍ وعمل ، ومكابدةٍ ذاتيةٍ في سبيل مجاهدة النفس ، وإقامة حواجز الورع الحاجز ، بل كان على جانبٍ عظيمٍ من السخاء والكرم ، وتلك أرومة هذا البيت وأدب رجاله ، محباً للصدقات محسنا للفقراء والأرمل ، وكان يحمل صدقاته بيديه ويخرج إلى أهل الضنك والعِوز يدخل عليهم السرور ويمازحهم وينظر في حوائجهم، وكان له اهتمام واضح بالزراعة وغرس النخيل وأعمال الحراثة متجنباً الدعة والكسل، موزعاً وقته بين تعليم الناس وتربية الأبناء وإقامة الأعمال الصالحة والاعتناء بمصادر الرزق والعيش الحلال .

وقد ذكرت كتب التراجم سعة إنفاقه على المحتاجين ، حتى إنه في عام حجته عزم معه نحواً من ثمانين رجلاً غير حاشيته وخدمه ، فكان ينفق على الجميع مدة الرحلة ذهاباً وإياباً .

ويبدو أنه رغب في التحول عن سمل إلى بيت جبير ، فاستقر ا مع أخيه جديد واشترى ا نخلاً وعقاراً وابتنى داراً ، وعقد مجالس

العلم والتذكير ، وألزم طلابه الحفظ للحديث ، والتوسع في علـوم الفقه والتفسير ، ولربما خرج م إلى مكان زراعته ونخيله لكثـرة رغبته في مواطن الماء والشجر ، ومحبته للنـزهة والتروح في جنان القرية ومزارعها .

وله ذريةٌ صالحةٌ ظهر منهم ولده محمد بن علوي[1]، ترجم له في بعض أمهات التراجم ((كالمشرع)) و((الغرر)) ، ومـن أحفـاده الأكابر علوي بن محمد بن علوي[2] .

---

(١) كان محمد بن علوي إماماً وارثاً لأبيه وجده ، ورعاً زاهداً عابداً حسن الأخلاق لطيف الشمائل ، ذا رأفةٍ ورحمةٍ بالمسلمين ، ترجم له في ((المشرع)) و((الغرر)) ، واستظهر عشرات الكتب والمؤلفات والمتون في شتى المعارف والفنون ، وصحب أباه ومن في عصره من الأئمة ا تهدين ، وتفقه على ابن عمه بصري بن عبيدالله وبرز في علوم الشريعة وفي العربية وآلا ا ، وكان آيةً من آيات الله في ظـاهره وباطنه ومنطوقه ومفهومه ، وفي كافة أعماله وعلومه .

قال في الغرر : وكانت وفاته ببيت جبير وله من العمر ست وخمسون سنة . انظر ((الغرر)) ص١٢٧ .

(٢) ولد ببيت جبير وتوفي ا سنة ٥١٢ ، وحفظ القرآن وترقى في العلوم على يـد والده الذي كان محط الأنظار والأرواح والقلوب ، وبلغ في مدة قصيرة ما يبلغـه ا تهدون في الليال الطوال ، وأشارت إليه الأصابع في محافل الرجال ، وشهد له الشيوخ بالتفوق في العلوم والأعمال ، ولمحوا في محياه إشارات الوراثة العلويـة ،

عاش الإمام علوي بن عبيد اللّه حياته كلها في سبيل توطيد دعائم المدرسة التي بنى قواعدها جده الإمام المهاجر وورثها من بعده عبيد اللّه ، وقد تعرض تراثه للضياع كما هو حال تراث أخويه ، حتى إنه لم يعرف تاريخ وفاته ، قال صاحب « العقد النبوي » ص٢٦٠-٢٦١ :

وتاريخ وفاته لم يعرف منه غير قوله في « الياقوت » بعد ما انمحق من ذكر الأعوام : « ..وثلاث مئة.. » . رحمه اللّه رحمة الأبرار [١] .

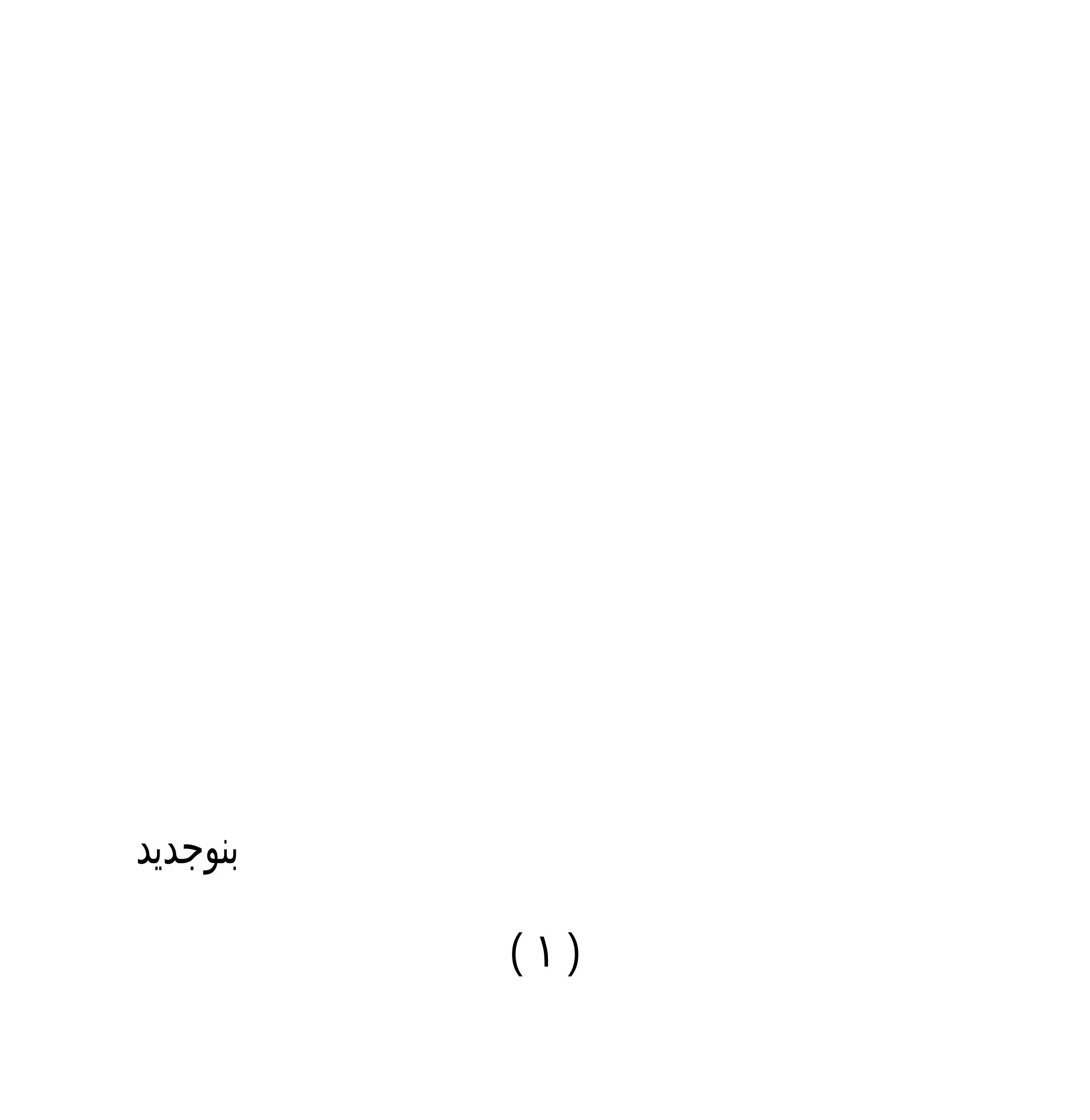
وملامح القبسات النبوية ، حتى قال فيه صاحب « الغرر » : كان على غاية من السكينة والتواضع وعدم رؤية النفس ، وكان بذلك مثالاً لصدق الاتباع وللمتبوع الأعظم صلى اللّه عليه وآله وسلم ، وانتفع به خلق كثير وتأدبوا به ، ولم يزل عابداً زاهداً قانتاً للّه آناء الليل وأطراف النهار حتى توفي ببيت جبير ودفن بها ، وله من الولد الإمام الكبير الشيخ الشهير علي بن علوي المعرف بخالع قسم .

(١) راجع « الغرر » ص١٢٧ .

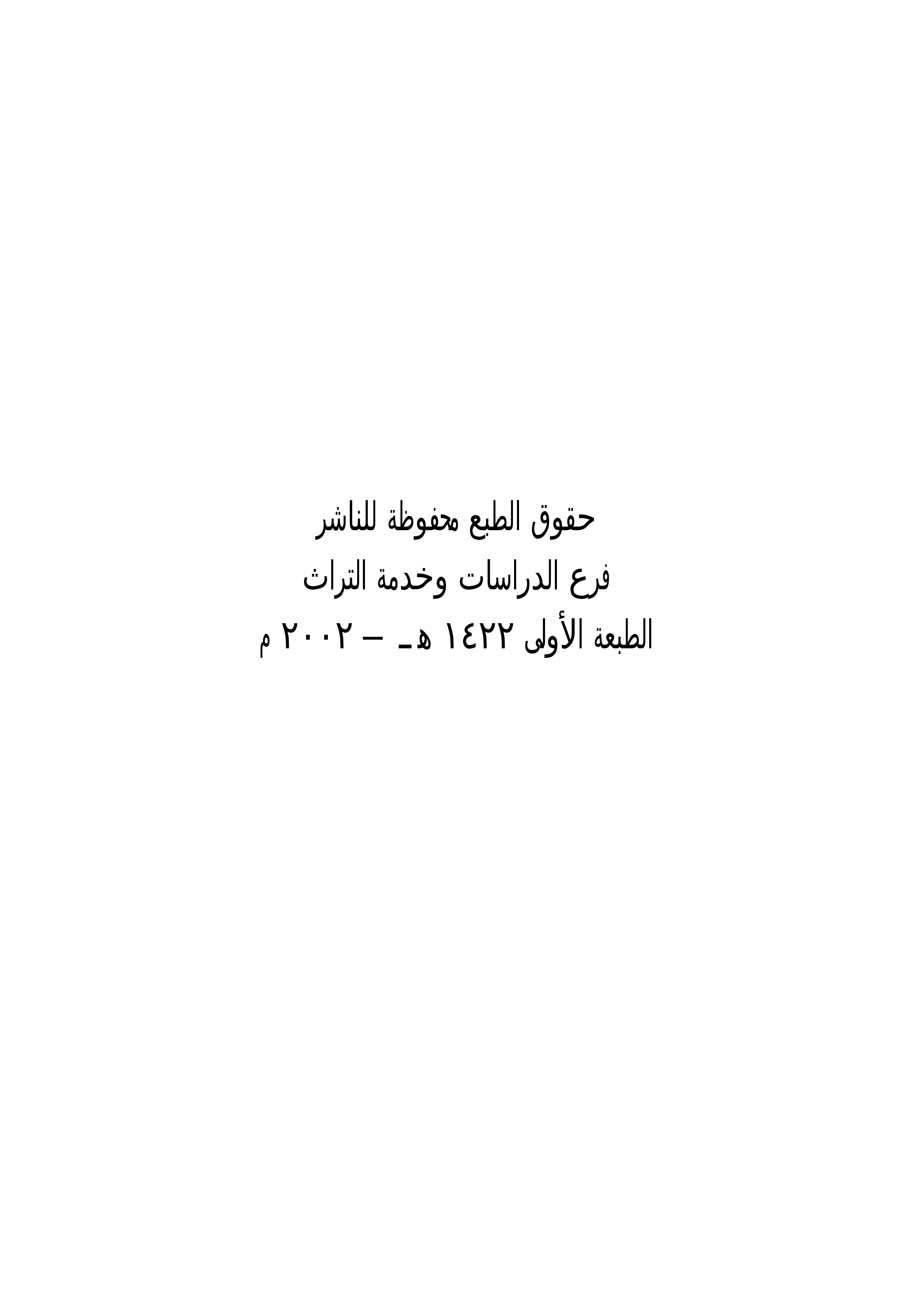


الفهرس

بنوجديد



بنوجديد

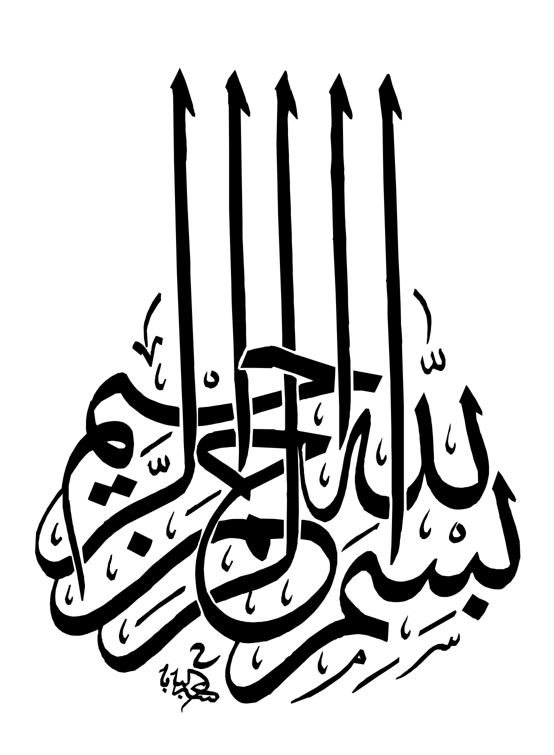


فرع الدراسات وخدمة التراث

الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م

بنوجديد
الغلاف الداخلي



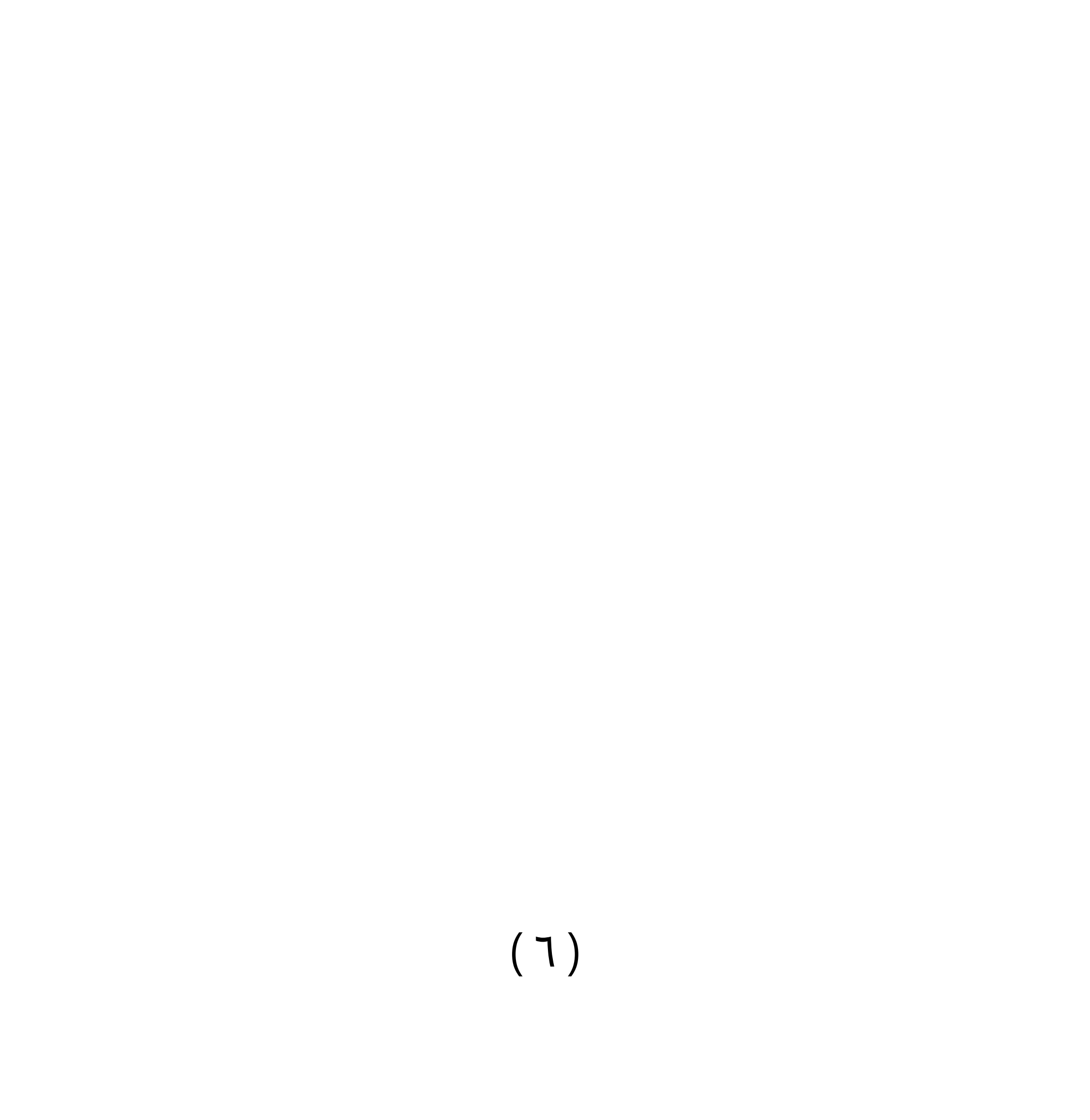

بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني

بسم الله الرحمن الرحيم

ِإنا أَعطَينَاك الكَوثَر . فصل ِلربك وانحَر.

ِإن شاِنئَك هو الأَبتر



الإهداء

إلى شيوخي الأَفَاضِل..

بقيةِ السلَف..

وأمثلةِ الطريقِ في الخَلَف..

وإلى الراغبين في التعرفِ على نماذجِ ((السفينةِ التي من ركِبها نجا ومن تخلّف عنها هلَك)) ..

المُؤلّف

شاهد الحال

أغصانُ دوحةِ أحمدٍ أَجِملْ بِهـم
مِـن مرشِـدٍ علاّمـةٍ ورشِـيدِ
جمعوا المُفَرق مِن كمالِ محاسـنٍ
لم يجتمـــع في غيرهـــم لمفيـــدِ
بيت النبـوةِ والمعـالِمِ والنـدى
أجِللْ م مِـن مسـعِدٍ وسـعِيدِ
أبناءُ مجـدٍ مِـن سـلالَةِ أحمـدٍ
صلوا عليـهِ وسـلموا بقصـيدِ
مني السلام على الجديدِ ونسـلِهِ
وبـني أبيـه ونسـلِهم وحفيـدِ

الشيخ علي بن أبي بكر السكران
((الغرر)) ص١٢٣



المدخل

الحمد للّه الذي جعل في ذكر العباد الصالحين تذكرة وتبصـرة وعبرة ، قال سبحانه : لقد كان في قَصصِهم عبرةٌ لأولي الألبابِ ما كان حديثاً يفترى ، والصلاة والسلام على سـيد الأوليـاء وإمام الأتقياء وأشرف الأنبياء ، سيدنا محمد بن عبد اللّه رسـول اللّه، وعلى آله وأصحابه الهداة الأصفياء ، وعلـى التـابعين لهـم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد فهذه وريقات أضعها للقارئ الكريم ليستفيد نبذةً محدودةً عن بعض السادة الأشراف الذين تنـور ـم ومدرسـتهم وادي الأحقاف ، وكان لهم فيه - وفي غيره - شأنٌ عظيم ، وعلم وعمل وتعليم ، وفوق كل ذي علمٍ عليم .

هؤلاء السادة هم بنوجديد بن عبيد اللّه ابن الإمام أحمـد بـن عيسى ابن محمد النقيب ابن علي العريضي ابن جعفر الصادق ابـن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين السبط ابـن الإمـام علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول صلى اللّه عليه وآله

وسلم ، قوم أشرقت بهم الظلمات ، وبرعوا في علوم البدايات والنهايات.

وكان سبب إفرادنا لتراجمهم عن غيرهم أنهم لم يطل بهم سير الزمان ، بل انقرضوا في منتصف القرن السابع من الهجرة كما ذكرته كتب التاريخ والتراجم ، فانظر معي إلى ما حصلنا عليه من أخبار هؤلاء النخبة ، فعسى أن يكون ذلك سبيلاً للاقتداء ، وطريقاً للاهتداء.

الإمام عبيد اللّه بن أحمد وولده جديد

عِلم من ترجمة الإمام عبيد اللّه بن أحمد المهاجر أنه قدم إلى البصرة بمعية والده إلى الحجاز ، ثم إلى حضرموت ، ومعه ولده الأكبر ((بصري بن عبيد اللّه)) المسمى ((إسماعيل)) .

وفي حضرموت ، برز الإمام عبيد اللّه بن أحمد علماً من أعلام العلم والدعوة إلى اللّه ، ومرجعاً للعلماء ، والحكماء ، والقادة ، ومظهراً من مظاهر النور ، والولاية ، والرفادة ، وخاصة بعد عودته من مكة المكرمة حاملاً معه تحقيق منهج أهل السنة ، ومتصدراً به

في محافل العلم والوجاهة تحت سمع وبصر والده الإمام المهاجر حتى وفاته.

ولما توفي الإمام المهاجر عام ٣٤٥ في بلدة الحسيسـة ، انتقـل عبيداللّه إلى قرية ((سمل))[١] ، واشترى ا عقاراً ونخلاً وابتنى داراً ، ووهب كل ما يملكه في الحسيسة لمولاه ((جعفر بـن مخـدم))[٢]، ورزقه اللّه ابنه ((جديدا)) ، قال صـاحب ((المشـرع)) ص٣١ : وسمي جديداً لأنه ولد بحضرموت، إشارة إلى أنه مما جدد له مـن الأولاد بعد سفره من البصرة ، وأمه أم ولد.

نشأ السيد جديد في قرية سمل ، وحفظ ا القـرآن ، وأتقـن مبادئ العلوم ، وتدرج في الطلب على أيدي المشايخ حـتى فـاق أقرانه علماً وحلماً وحكمة ، ولما قوي عوده وبلغ مبلغ الشـباب سافر لطلب العلم في كثير من البلاد ، فرحل إلى ائم الـيمن وإلى الحجاز والعراق والأحساء وظفار.

---

(١) سمل : قرية زراعية تبعد عن مدينة تريم خمسة أميال تقريباً.

(٢) جعفر بن مخدم ولد بحضرموت ، وكان والده ((مخدم)) جاء من العراق مع الإمام المهاجر ، وهم من الموالي.

قال في ((المشرع)) ص٣١: كان عالماً عاملاً نبيل القدر ، سائر الذكر من أعلى أهل عصره إسناداً ، وأرفعهم في الأصلين عماداً ، أخذ عن والده وأخويه ، وتأدب م ، وسمع من خلائق لا يحصون باليمن والحرمين والعراق والأحساء وظفار.

ويبدو أن أول رحلاته كانت للحج بمعية أخيه علوي ، ذكـر ذلك صاحب ((المشرع)) ص٣١ فقال في معرض ذكـره الإمـام علوي بن عبيد الله ، وحج معه أخوه جديد ، وجماعة من بني عمه وأقاربه...إلخ ص٣٥ . وأضاف يقول: وأرسل أخـاه جديـداً إلى العراق ليقبض ما لهم من الأموال.

انتقال آل جديد إلى بيت جبير

انتقل الإمام جديد بن عبيد الله بعد وفاة والده بسمل سنة ٣٨٣ إلى بيت جبير ، وهي قرية زراعية على مقربة من مدينـة تـريم ، وتزوج ا ، وأقام نفسه فيها داعياً و حادياً ومعلمـاً ومصـلحاً اجتماعياً ، وكان يتردد على مدينة تـريم ، ويجـالس علماءهـا وصلحاءها ، وقد عرفوا له حقه ومقداره، وقدموه وأخـذوا عنـه

أخذاً تاماً ، كما انتفع م وأخذ عنهم ، واتصلت أسانيد بعضهم ببعض.

انتقال آل جديد إلى تريم

لم يتعين الزمن الذي انتقل فيه بنو جديد إلى تريم بالتحديد ، ولكن التراجم أشارت إلى وجودهم فيما بعد وفاة السيد جديد بن عبيد الله ، قال صاحب « المشرع » ص٣١ : وكانت حافتهم المخصوصة م بتريم عند مسجدهم المعروف بمسجد بروم[١] وأشار إلى مثل ذلك صاحب « غُرر البهاء الضوي » ناقلاً عن صاحب «الياقوت الثمين» فقال: ولهم مآثر عديدة لم يبق منها إلا مسجدهم المنسوب إليهم في حامية تريم.

(١) قال في « المشرع » : سمي بـ« بروم » لكون السيد أحمد بن حسن بن محمد بن علوي بن عبد الله بن علوي ابن الشيخ عبد الله باعلوي المعروف بـ« بروم » عمره كله عمارة أكيدة بعد أن أخربه وأحدث له جوابي سنة ١٠١٩ .

ذكر بعض أعلام السادة بني جديد

قال صاحب « الغرر » : والسيد الإمام الشيخ جديد بن عبد اللّٰه الغالب عليه وعلى ذريته التبحر في فنون العلم والعمل والزهد والورع ، لم يبق ذكر أحد منهم إلا ثلاثة فقهاء علماء ، وخمسة طمست أسماؤهم في « الدر الثمين » الذي انقطعت منه أوراق حكي فيها أخبارهم ومآثرهم وفضائلهم ، وكلهم شافعية أشعرية على عقائد أهل الكتاب والسنة.

ومنهم:

(١) الشيخ نور الدين علي بن محمد بن أحمد بن جديد [1]:

أحد علماء السادة بني جديد ، ولد بحضرموت وتوفي بها ، ترجمت له أمهات كتب التراجم كالجندي في تاريخه ، وابن سمرة في « الطبقات » ، وترجم له في « المشرع » و« الغرر » و« العقد النبوي » .

(١) ورد سياق النسب في « قلادة النحر » على النحو التالي : علي بن محمد بن أحمد بن جديد بن علي بن محمد بن جديد بن عبد اللّٰه بن أحمد بن عيسى المهاجر ..إلخ ، وكنيته « أبو الحسن » . ذكر ذلك « العقد النبوي » ص٢٧٢.

تلقى باكورة العلم بحضرموت ، وأخذ عن والده وجماعة من مشايخ عصره ، ثم رحل إلى شمال اليمن والحرمين ، وجد في طلب العلم واكتساب المعالي ، ونافس الأقران في التحصيل، في علوم القرآن والسنة والتأصيل ،حتى عظم صيته في الجهات والأقطار والأقاليم ، وسافر إلى الهند والعراق وغيرها ، ولما قدم إلى عدن أدرك ا القاضي إبراهيم بن أحمد ابن معن القريظي فأخذ عنه وقرأ عليه كتابه « المستصفى من سنن المصطفى »، وزار الشيخ مدافع بن أحمد العيني ، ثم الفقيه الخولاني ببلدة « الوجيز » ، وتزوج ا هو وأخوه عبدالملك من ابنتي الشيخ مدافع ، وأخذ عن الشيخ أخذاً تاماً ، وسكنا بذي دهيم.

وأخذ الناس علم الحديث عن الشريف علي ، وممن أخذ عنه الشيخ الإمام محمد بن مسعود السفالي ، والإمام أبي الناصر الحميري، وأحمد بن محمد الجندي ، والإمام حسن بن راشد ، والإمام الشيخ محمد بن إبراهيم الفشلي، وكان الشيخ الفشلي يقول عنه : أبو جديد رجلٌ ثقةٌ من الحفاظ[1].

---

(١) ورد في « العقد النبوي » ص٢٧٤-٢٧٥ ما مثاله : وفي « المقاصد الحسنة » للسخاوي نقلاً من كتاب « موجبات الرحمة » للرداد أنه قال: روي عن الفقيه

ولما عاد إلى حضرموت اعتنى بنشر علم الحديث وتحقيقه ، ونشر الأسانيد العالية ، وأفاد طلاب العلم بفنون المعرفة ، وتشير بعـض كتب التراجم أنه أول من حذف السند من الأحاديث اختصـاراً ، فاستحسن ذلك جملة من العلماء واقتدوا به ، ونقل عنـه الحـافظ السخاوي في كتابه « المقاصد الحسنة» حديث الخضر عليه السلام عند سماع المؤذن.

وورد في ترجمته « بشرح العيينة » : أن شيوخه بلغوا إلى ألـف شيخ ، و م بلغ رتبة الاجتهاد ، وتفرد بعلو الإسناد.

ومن أعماله الكتابية تخريج أربعين حـديثاً شـريفاً في فضـائل الأعمال[1] ، كما حقق النسبة الشريفة واعتنى بتوثيقها ، أشـار إلى ذلك الشيخ بامخرمة في كتابه « قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر» فقال: لما قدم أحمد بن عيسى اعترف له أهل حضرموت بالفضـل

محمد بن سعيد الخولاني قال : أخبرنا الفقيه الصالح العالم أبو الحسن علـي بـن محمد بن جديد الحسيني ، أخبرنا الفقيه الزاهد الدلالي عن الخضر عليه السلام أنه قال : من قال حين يسمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول اللّـه ، مرحبـاً حبيبي وقرة عيني محمد بن عبد اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، ويقبل إ اميه ويجعلهما على عينيه لم يعم ولم يرمد.

(١) « العقد النبوي » (١: ٢٥٣) ، ولا زال هذا التخريج مخطوطا .

وما أنكروه ، ثم إ م بعد ذلك أرادوا إقامة البينة توكيداً لما ادعوه ، وكان بتريم إذ ذاك ثلاث مئة مفت ، فسار الإمام المحدث علي بن محمد بن جديد إلى العراق وأثبت ذلك النسب وأشهر عليه نحو مئة عدل ممن يريد الحج ، ثم أثبته مرة أخرى بمكة وأشهد على الأثبات جمعاً من الحضارم ، وقدم هؤلاء الشهود في يوم معلوم ، وشـهدوا على رؤوس الأشهاد بإثباته. اهـ .

وذكر بامخرمة في تاريخه « قلادة النحر » اشتباه أمر حاكم عدن المسعود بن طغتكين بن أيوب بن شادي في أمر السيد «أبي جديد» كما كانوا يسمونه ، وأن الحاكم سجنه مع عمه الشـيخ مـدافع وسيرهما إلى الهند ، قال بامخرمة: ولما لزم المسعود بن كامل الشيخ مدافع بن أحمد في رمضان سنة ٦١٧ لزم مع صـهره أبي الجديـد المذكور واعتقلهما في حصن تعز إلى سلخ ربيع الأول مـن سـنة ٦١٨ ، ثم أنـزلهما إلى عدن وسيرهما إلى الهند فعصـفت الـريح بالمركب فدخل م ظفار ، وعزم أهل ظفار على الشـيخ مـدافع بالإقامة عندهم ، فقال: أكون عبداً فراراً. فلما طاب الريح سـافر م إلى بلد الدينور فأقاما ا شهرين وثلاثة أيام ، ثم خرجا منها إلى ظفار في رمضان من السنة المذكورة فتوفي الشيخ مـدافع بظفـار

ورجع الشريف أبو الجديد إلى اليمن فلم تطب له الجبال ، فنـزل امة ، ثم تقدم إلى المهجم ، فأقام بقرية ((المرجف)) من أعمـال ((سردد)) مدة يدرس فيها ، ثم سار إلى مكة المشرفة وتوفي ـا في ٦٢٦ .

وفي ((العقد النبوي)) زيادة إيضاح لا يستغنى عنه ، قال المؤلف: وعاد الشريف أبو جديد إلى اليمن فنـزل امة وأقام ا وبزبيـد والمهجم ودرس فيهما ، وأخذ عن الفقيه الكبير الصالح محمد بـن إسماعيل الحضرمي ، وسافر إلى مكة ثم عاد إلى وطنه ، ثم سافر إلى مكة ثانياً ، وأخذ عن الإمام الحافظ الشهير بابن أبي الصيف اليمني وغيره ، وأقام بمكة إلى أن توفي ا سنة ٦٢٠[1] ، وكان مع طول إقامته بمكة بارزا بالعلم والولاية وصدراً مـن صـدور الحـديث والرواية، فقد كانت حضرموت فو إلى عودته ، وتتطلع إلى إهلال جبهته ، إذ كان الجميع له بالأشواق ، كما هو حال جميع الآفاق ، وقد عبر عن هذا التشوق الشيخ العلامة محمد بن أحمد بن أبي الحب التريمي في رسالة بعث ا إليه تعزية في وفاة أخيه الشـيخ الفقيـه

(١) اختلف نقل الرواة في تاريخ وفاته بفارق ست سنوات ، وورد في ((غرر البـهاء الضوي)) ما يؤيد وفاته سنة ٦٢٠ ، وكذلك ((العقد النبوي)) .

عبدالله بن محمد بن جديد ، قال فيها : ..وبعد ، أيها الشيخ ، فإنه لم يكن منا أحد أحوج إلى لقاء الحضرة العزيزة ومشافهتها ، وأ ج بالأنس بطلعتها، قد علم الله سبحانه ما في النفـوس إليـه مـن الاشتياق ، وما تضمنته الأحشاء من الإقلاق ، وإنا لنستدعي أوبته في كل أوان ، وإن مسألتنا إلى الرحمن ، وجل اقتراحنا إلى الزمان ، أن يحل عنا عقال الشر بإطلاق أوبتك ، وأن يمن علينـا بإشـراق طلعتك ، فا ض بنا ضة لله خالصة يجزل ا ثوابك ، ويعتبر ـا غيبتك ، وأحتسبها عند الله من جملة حجاتك ، حجة مـبرورة ، وزيارة مشكورة ، ترجو في ثوا ا صلة أهل معرفتك، ما ترتجي من الثواب في يوم عرفتك ، وتدرك منا البر بزيارة الأرحام والحُرم، ما تدرك من البر بزيارة تلك المشاهد والحَرم ، فإن وقوفك في معشرك؛ أفضل من وقوفك في مشعرك ، وتبرد ا أكباداً بـالحزن منفطـرة مختصة ، وتسبغ لهم ما حل من الغصة ، فما يطفئ عنـهم غليـل المفقود ؛ إلا رؤية وجهك المسعود ، فبادر لهم ا ما زال الفـرح دائماً ، والترح قائماً ، لعلك أن تطفي للنهم غلـيلاً ، وتجـد إلى السلو لنيلهم سبيلاً ، وتكون هذه الزيارة وصلة تصل ا مواخيك، وتذهب ا يتم بني أخيك ، وتجبر ا عظمهم ، وتبري ا سقمهم،

وتكون أباهم وأمهم ، وقد دعوناك ومثلك من لبـاهم ، وأحيـا برؤيته أباهم ، وأن تعرف أن حقهم من آكد الحقوق ، وعقـوقهم من أعظم العقوق ، والله تعالى يوفق سيدنا الفقيه ويلهمه الصواب في قصده ، ويستعمله بأعمال البررة ، ويوفقنا وإياه لما فيه الخير[1] .

(٢) الشيخ الفقيه عبد الملك بن محمد بن أحمد بن جديد:

سبق ذكر نسبته مع نسبة أخيه علي المتقدم ذكره ، وهو مـن أفاضل السادة بني جديد ، ترجمت له العديد من كتـب التـراجم «كالغرر» و« قلائد النحر » و« العقد النبوي » و« شرح العيينـة » و« المشرع الروي » وغيرها.

ولد بتريم و ا نشأ ، وأخذ باكورة معارفه القرآنيـة والحديثيـة والفقهية واللغوية والأخلاقية حتى احتوى عقله وقلبه على معارف عصره ومصره ، وارتقى في الآداب والأخلاق مرتقى عجـز عنـه الكثير ، صاحب أخاه علياً في رحلات كثيرة خارج حضرموت ، ودخل معه إلى عدن ، ونال إجازة « المستصفى » عـن مصـنفه القاضي إبراهيم ابن معن القريظي ، كما أخذ عن الشيخ العلامـة

(١) « الغرر » ص١٢٢-١٢٣ .

مدافع بن أحمد العيني وتزوج ابنته ، كما تزوج أخوه علياً بالأخرى وسكن بناحية ذي دهيم من أعمال تعز.

وصفه صاحب « الغرر » بقوله: الفقيه العالم العامـل الـورع الزاهد السالك العابد الصابر الشاكر ا تهد البارع في أنواع العلوم، نخبة الزمان الذي اعترف به بالتقدم الأقـران ، لسـان الشـريعة المطهرة، وغصن دوحة الرسالة المنورة ، الشريف المنيف الحسيني[1].

توفي الفقيه الشيخ عبد الملك في جهة اليمن قبل أخيـه علـي ، واختلف في وفاته ، قال الشيخ بامخرمة في « قلائـد النحـر » : لم أقف على تاريخ وفاته. وقال صاحب « الغرر » : قيل : إنه تـوفي سنة ٦١٤ من غير تحقيق.

(٣) عبد اللّه بن محمد بن أحمد بن جديد:

ولد بتريم وتوفي ا ، ولم يحقق تاريخهما ، قال الشيخ بامخرمة في « قلادة النحر » : كان عالماً صالحاً ، توفي بتريم ، ولم أقف علـى تاريخ وفاته ، غير أ ا كانت قبل وفاة أخيه الفقيه علي ، وأظنـه مات في هذه العشرين أو التي قبلها. وتـبرز لنـا مكانـة الفقيـه عبداللّه بن محمد نعوته التي نعته ا الإمام العلامة الشـيخ التريمـي

(١) المصدر السابق ص١٢٠ .

محمد بن أحمد بن أبي الحب في رسالة التعزية لما توفي ، حيث قال لأخيه علي معزيا فيه : وإني لمعزيك به ، وإنا لمعزون على فقده ، والمصابون بوجده ، لقد ساءنا بعده ، وأوحشنا فقده ، وأفل عنا سعده ، وإن فجيعتنا به أعظم من فجيعتك ، وروعتنا لفراقه أعظم من روعتك ، فكيف لا يكون ذلك وهو أليفنا في مكاننا ، وشريفنا في زماننا ، وهو أحد علمائنا وأوتادنا ؟ ولقد كان نِعم العون عند الشدائد والنوائب المدلهمة ، والمدخر لمخشي العواقب المهمة والمعاطب الملمة.

وبـالكرهِ مِنـا فَقْـده وفراقُـه ولكن خطْب الدهرِ بالناس موقَع

وكنـا ادخرنـاه لكـل مِلمـةٍ وسهم الرزايا بالـذخائر مولَـع

معتقد السادة بني جديد

كان سبب اختيارنا لإفراد هذا الموضوع حاجة جيلنا المعاصر من سلالات الإمام المهاجر ومن في عصرنا من إخوا م وأنـدادهم ، الذين أخذت م الحيرة والشك في قضية المعتقدات كل مأخـذ ، حتى وقع الكثير في الالتباسات الفكرية ، والتهم الكفرية ، ولسـنا

بصدد بسط أدلة السلف ، ولا في استجذاب عقلية القارئ الحـائر إلى مسألة اعتقادية محددة ، وإنما نحن بصدد تعريف الجيل المعاصـر بحقيقة ما كان عليه السلف من المعتقد ، ورد ما يتقوله الـبعض في مسألة الاعتقاد أن الأئمة من آل البيت بحضرموت كانوا على معتقد الشيعة أو غيرها من المعتقدات الأخرى.

قال مؤلف « غُرر البهاء الضوي » ص١٢٦ : قال الشيخ الفقيه الولي الشريف شجاع الدين عمر بن عبد الرحمن المقبور بتعز مـن اليمن: وشرف بني علوي الآتي ذكر العلمـاء والفقهـاء منـهم ، وشرف بني عمهم الماضي ذكرهم ، أ م أشراف سنية شـافعية ، أشعرية ، لامرية فيه ولا شك ولا خلاف ، فإنه أشهر مـن كـل مشهور ، وأبين من كل ظهور ، وعليه طلاوة وله حـلاوة ، وفي قلب كل متدين ومعتقد ومتنسك وضوح نور.

انقراض أخبار بني جديد

كان من أسباب انقراض الأخبار والآثار عن هذه الأسرة الخيرة ما عدت به الأيام والليالي من التقلبات والحروب وضياع المخطوطات النادرة القليلة الحاوية لأخبارهم.

كتب صاحب « الغرر » ص١٢٤ : ولبني جديد أخبار حميدة اندرست على طول الزمان وغفلة الإهمال ، وكان أهل حضرموت يتناقلون الأخبار بالمذكرات ، ولم يقيدوها بالكتابة في الكتب المفيدات والتواريخ النيرات والطبقات الجامعات ، فكم أهمل لأهل هذا البيت المعظم من العلم والمناقب ، وكم تركت لهم من فضائل. اهـ . وعزى مؤلف « الغرر » هذه العبارات فقال : هذا من كلام الشيخ علي في « البرقة »(١) وغيرها.

---

(١) هو كتاب « البرقة المشيقة في أسانيد الطريقة » للإمام الشيخ علي بن أبي بكر السكران ، كتاب حاوٍ على مناقب رجال السادة من بني علوي وبسط لطريقتهم وأحوالهم ، كتبه الإمام علي المذكور بلسان عصره ، وبقي من بعده أثراً يدل على عظم مقام أولئك ، ومرجعاً يبرز لنا نبذة حية عما كان هنالك.

انقراض سلسلة ذرية بني جديد

ورد في كتب التراجم ومشجرات الأنساب الخاصة بالسادة من ذرية الإمام المهاجر ما يدل على انقراض سلسلة السادة بني جديد في منتصف القرن السابع ، وإلى هذا أشار مؤلف « الغرر » ص١٢٤ فقال: ثم إن بني جديد انقرضوا أيضاً كبني الشيخ بصري، وآخرهم موتاً امرأة بزبيد اسمها جديدة ، وعد صاحب « الياقوت الثمين » منهم اثني عشر شيخاً عالماً اندرست أخبارهم ومناقبهم في الكتاب ، وبقيت أوراق من الورق الذي تضمن هذا الكلام ، ولهم مآثر عديدة ، لم يبق منها إلا مسجدهم المنسوب إليهم في حافتهم بتريم ، وقد عمره الشريف عبد اللّه ابن الفقيه أحمد وخرب ، وعمره الشريف الصالح شهاب الدين أحمد بن حسن بن محمد بن علوي بن عبد اللّه بن الشيخ عبد اللّه باعلوي ، عرف أبوه بـ «بروم» [1] .

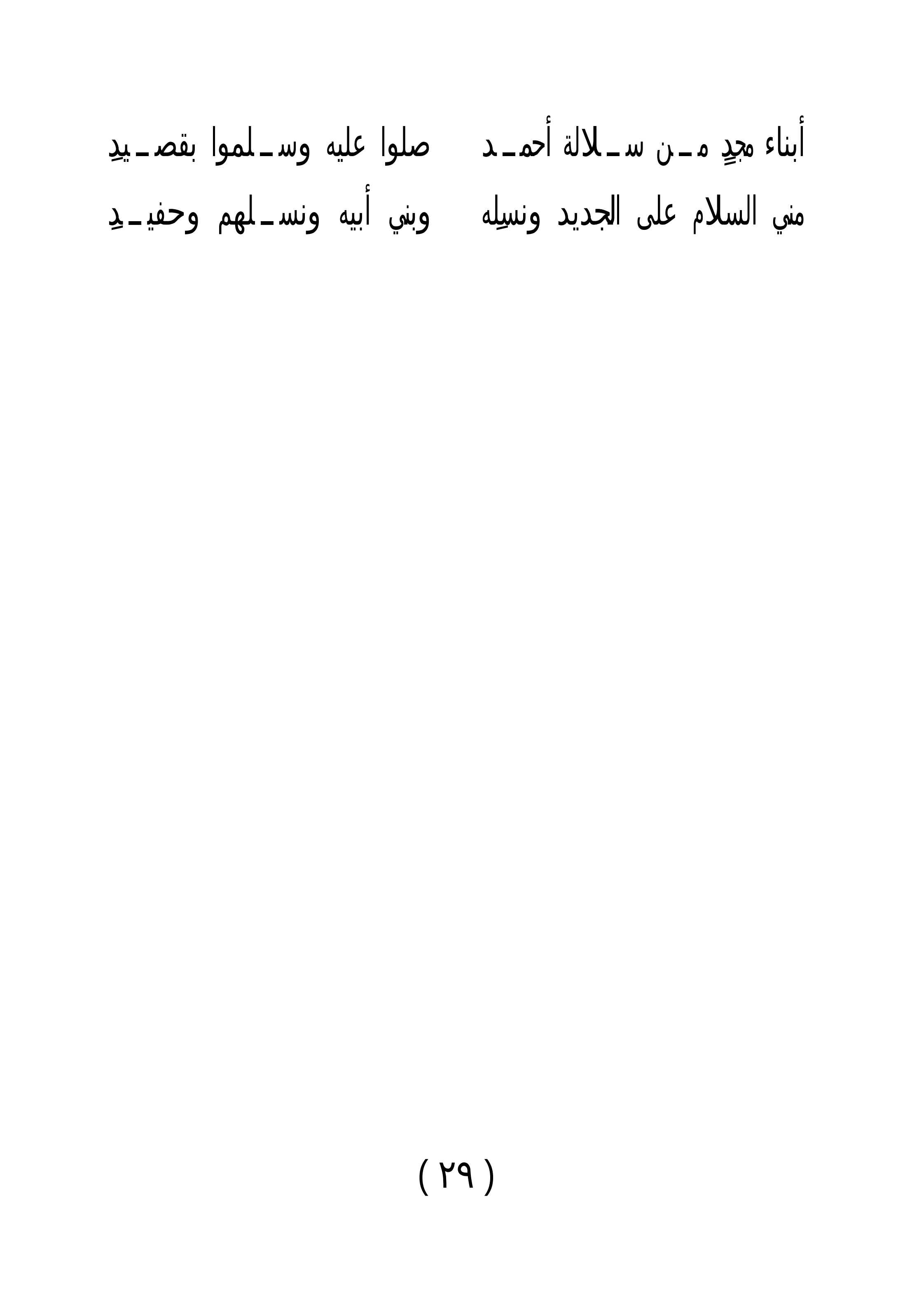
---

(١) « الغرر » ص١٢٠ .

الخاتمة فيما قاله الشعراء فيهم

قال الشيخ الإمام علي بن أبي بكـر السـكران ابـن الشـيخ عبدالرحمن السقاف باعلوي في السادة بني جديد:

ازدانَ قصر ا دِ بابنِ جديـدِ وعلا بطَودٍ في عـلاه مشـيدِ
السيد الأسـتاذُ حـبر زمانـهِ أعظِم به مـن عـالِمٍ ومفيـدِ
بدر الدجنـةِ للأئمـة قبلَـه شمس الهداية صفْو خير عبيـدِ
نسقت محاسنه كعقد جـواهرٍ منظـومٍ يـاقوتٍ ودر نضـيدِ
نشرت له أعلام عِلْمٍ فـاعتلى وسما سـناه لحاضـرٍ وبعيـدِ
رحلت ركاب الواردين لنيلـهِ وردوا لبحرٍ في حمـاه مديـدِ
أكرِم بنور الدين نجـل محمـدٍ وأبي محمدٍ احمدِ بـنِ جديـدِ
وأخٍ لنور الدين عبدِاللّـه قـل أعظم به من كامـلٍ ومجيـدِ
وبصنوه الأواب عبدِ ملـيكهم أكرم به مـن عـالِمٍ وحميـدِ
أغصانُ دوحةِ أحمدٍ أجمِلْ م من مرشـدٍ علامـةٍ ورشـيدِ
جمعوا المُفَرق من كمال محاسنٍ لم يجتمـع في غيرهـم لمفيـدِ
بيت النبوة والمعـالم والنـدى أجِلِلْ م من مسعدٍ وسـعيدِ



أبناء مجدٍ مـن سـلالة أحمـد　　صلوا عليه وسـلموا بقصـيدِ
مني السلام على الجديد ونسلِه　　وبني أبيه ونسـلهم وحفيـدِ

الفهرس

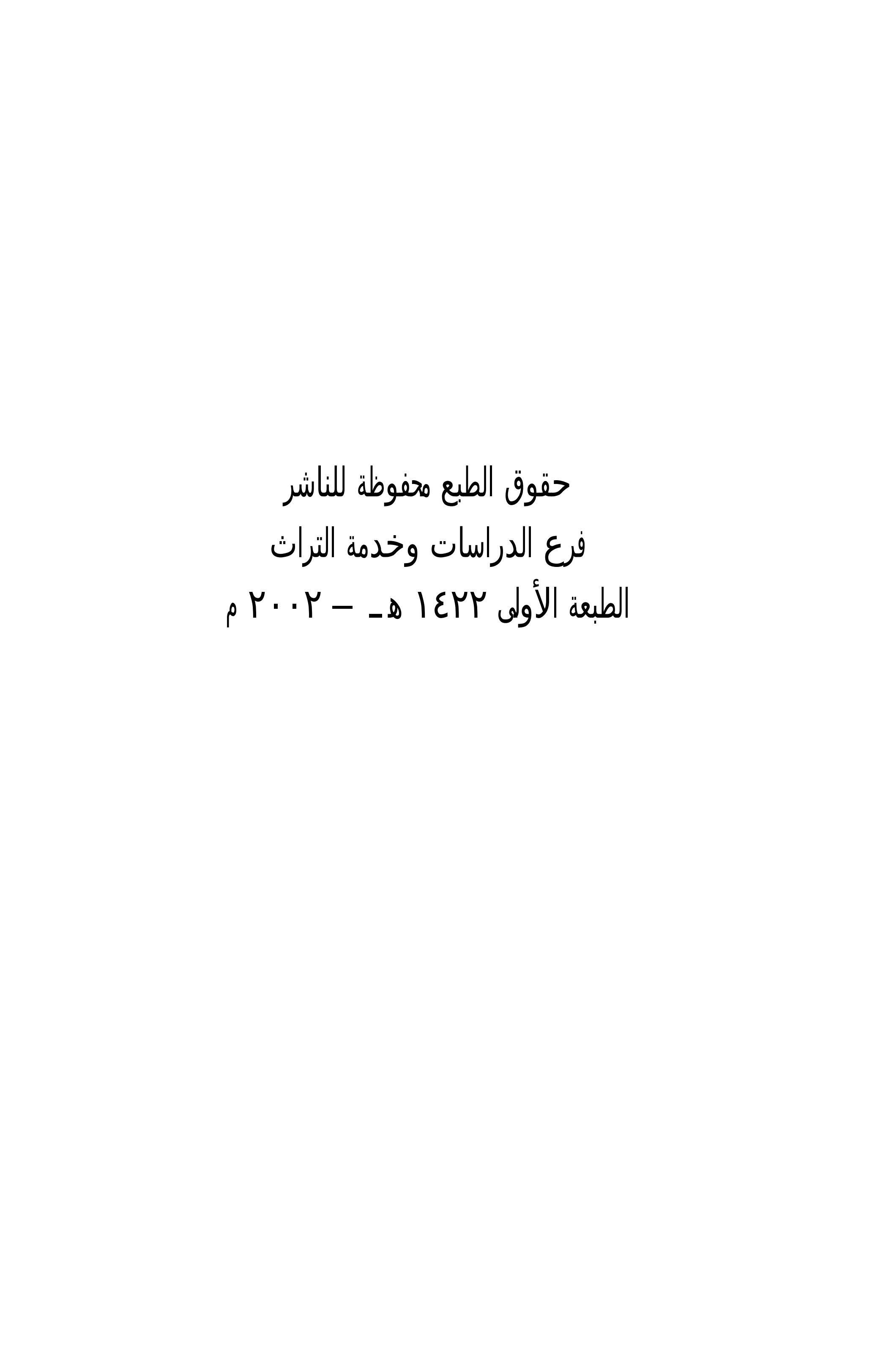
صاحب مرباط

(١)



صاحب مرباط

(١)



فرع الدراسات وخدمة التراث
الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م

الإمام محمد صاحب مرباط

(ت ٥٥٦ هـ)

الغلاف الداخلي


بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني..

بسم الله الرحمن الرحيم

ِإنا أَعطَيناك الكَوثَر . فصل ِلربك

وانحَر.ِإن شاِنئَك هو الأَبتر

(٦)

الإهداء..

إلى شيوخي الأَفَاضِل..

بقيةِ السلَف..

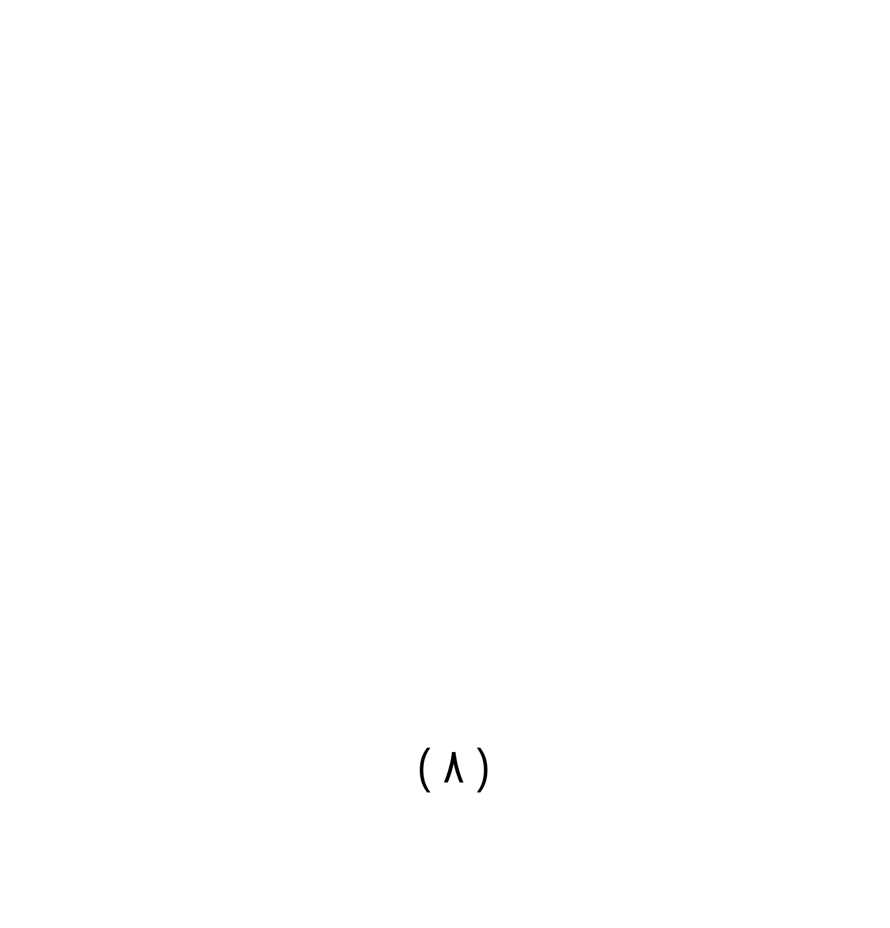
وأمثلةِ الطريقِ في الخَلَف..

وإلى أحفادِ الإِمام صاحِب مِرباط ((الجَد الأعلـى لآل أبي علَوي)) أحد أفذاذِ مدرسةِ حضـرموت المُنتشرة في مشارقِ الأرضِ ومغاربها..

وإلى الراغبين في التعرفِ على نماذجِ ((السفينةِ التي من ركِبها نجا ومن تخلّف عنها هلَك)) ..

المُؤلّف

(٨)



شاهد الحال..

وصاحِب مِرباطٍ إمـام جـامِع

تفَرع مِنه أصـلُ كُـل إمـامِ

أُولَئك وراثُ النبِـي ورهطُـه

وأولاده بـــالرغْمِ للمتعـــامِي

الإمام عبدالله بن علوي الحداد

سلسلة النسب الشريف

رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم

الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء

الحسين

علي زين العابدين

محمد الباقر

جعفر الصادق

علي العريضي

محمد النقيب

عيسى

أحمد المهاجر

عبيدالله

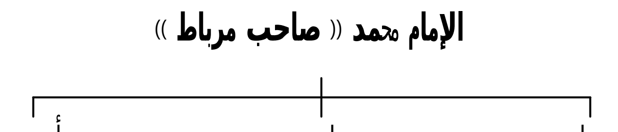
علوي

محمد

علوي خالع قسم

علي

الإمام محمد ((**صاحب مرباط**))





المدخل

هناك في مدينة «ظفار» القديمة[1] من أرض «عمان» وفي منطقـة «مِرباط» الهادئة على مقربة من ساحل البحر مشهد الإمام الكـبير محمد بن علي المعروف «بصاحب مرباط» .

يتردد على هذا المشهد المبارك عشرات الزوار سواء من أحفاده وأحفاد أحفاده المنتشرين بعمان، أو من الوافـدين مـن أفجـاج الأرض، ينظرون إلى عمق تاريخ الرجولة في هذا الإمام الجامع بين نشر العلم والآداب النبوية وبين الاشتغال بالتجارة وتأمين الصـادر والوارد فيما بين حضرموت ومرباط إبان القرن السادس الهجري.

تعال معي أيها القارئ ونحن على عصرٍ قد اندثرت فيه معـالم أولئك الشيوخ في قلوب الكثير من أبنائهم، وانحصر مدلول الأولياء والصالحين ضمن إطار معرفي غريب ومريب، توجهت فيه سـهام الألسن والأقلام لإلصاق التهم الخطيرة بمن أحب أولئـك السـادة

(١) تنقسم ظفار إلى قسمين: «ظفار القديمة» التي دفن فيها صاحب مرباط، و«ظفار الجديدة» التي أحدثها أحمد بن محمد الحَبوظي، وسميت باسمه، وتبعد عن القديمـة بمرحلتين. اهـ «العقد النبوي» .

الأعلام، وربما طُعن في عقيدة المُتعلق م وهم بلا شك أئمة الدين ووراث سيد المرسلين.

ولأننا نعيش هذا الركام العصري والتقولَ المُتجرئ ونرى خطر آثاره في ضحايا الخداع السري والجهري، رغبنا أن ننفض غبـار الغفلة عن أبناء وأحفاد هؤلاء الرجال، كي يتعرف كل ابن وحفيد على صورة جده وأبيه من حيث هي، لا من حيث رغبة الطامعين والكائدين والمتسلقين على حساب آل بيت سيد المرسلين.

وإذا كانت المراحل المتلاحقة في الأوطـان قـد أسـهمت في الإغراب بقافلة المعارف عن جاد ا الصحيحة لتخدم الاسـتعمار والاستهتار والاستثمار، وجنى الغربيون والشرقيون منها الفوائـد؛ فإن الحق هو الحق.. وللحق أهلون.. ولن يضيع حق وراءه مطالِب وإن صعبتِ الظروف وناءتِ المطالب.. وعلينا أن نسـتعيد الحـق مشفوعاً بأدلته على صفحات الأوراق إذا صعب علينا أن نجد لـه مكاناً في زحمة الأبواق والأطواق.

وليس لنا في هذه الاستعادة من حق نطالب به أو نستثمره ضد أحد بعينه، وإنما نسهم في معالجة الجـرح النـازف ولأمِ الجسـد التالف، عسى أن يلحق التالد بالطارف، ويتعرف المخدوع علـى

شخصيته وذاته، من خلال قول مولاه في محكم كتابه: ﴿أُولَئِـك الذِين هدى اللهُ فِبهداهم اقْتدِه﴾، وبالله التوفيق.

ميلاده ونشأته

وُلِد الإمام محمد بن علي بتريم[1]، وحفظ القرآن العظيم، ونشأ في كنف والده المجاهد في ذات الله نشأةً تتميز بالجد من نعومة الأظفار، فوالده ركن من أراكين الطريق ومن سادة الفريق، الذين أنفقوا نفيس العمر فيما يليق بأمثالهم إنفاقه، فهم صدور العلم والتربية وشيوخ الأدب والتزكية، ما بين مجالس قرآن وتفسير وحديث وأصول، وتدريس أو حضور جماعات وعبادات وأعمال

(١) أشكل على المؤرخ السيد صالح الحامد قول المؤرخين: ولد بتريم، قال: ولست أدري كيف يكون هذا ووفاته سنة ٥٥١ هـ ؟ فهل وُلِد قبل تحول العلويين إليها عن بيتِ جبير؟ إذ لا يصح أن يكون لأن أمه علوية النسب، وهي فاطمة بنت الشيخ محمد بن علي ابن جديد، ولم ينقل أن أحداً من العلويين انتقل بأهله عن بيت جبير إلى تريم قبل عام إحدى وعشرين وخمس مئة .

فالمستقرب أن الإمام صاحب مرباط ولد ببيت جبير وتحول مع أبيه وعمه وبني عمومتهم إلى تريم سنة ٥٢١ هـ، وأن الظاهر قولهم: ولد بتريم، ناشئ عن وهمٍ وسهوٍ . اهـ ص ٤٦٤ - ٤٦٥ «تاريخ حضرموت» .

الصالحات والقربات مما عاش عليه سادةُ ذلك العصر.

ولا يفوت على الناشئ ملاحظة الجدية التي كان عليها الآبـاء وهم يجمعون بين طرفي الدين والدنيا على قواعد العلـم والعمـل، فكما يعطون العلوم وا الس حقها فلهم من العمـل اليـدوي في الزراعة والكسب اليومي ما يدفعون به صفةَ العِوزِ والحاجةِ إلى مـا في أيدي الناس.

وهكذا نشأ «صاحب مرباط» ملازماً دؤوباً لوالـده ومتعلمـاً ومستفيداً من تجارته ومواقفه وأساليب قضائه لمآربه، وزج به والده مبكراً إلى أحضان الشيوخ الأكابر الذين ما بخلوا عليه بل أنضجوه وفتقوا لَهاته بالفتح الباطن والظاهر، ويزول العجب إذا نحن نظرنا في هؤلاء الشيوخ الذين كان لهم الفضل في تكوين شخصيته بعـد والده ، منهم:

١.الشيخ العلاّمة سالم بافضل[1].

(١) هو شيخ الإسلام في عصره سالم بن فضل بن عبدالكريم بافضل، وينتهي نسبه إلى سعد العشيرة ومذحج، وبعضهم ينسبه إلى الأنصار، تتلمذ في حضرموت وتخرج بعلمائها، ومنهم الإمام علي بن علوي خالع قسم وتلميذه يحيى بن عبد العظـيم الحاتمي.

يمتاز الشيخ سالم بالتوسع في العلوم الشرعية والعقلية والعربية، ورحل مـن

٢.الإمام سالم بن بصري[(١)].

أجلها في العراق حوالي أربعين عاماً، ولما عاد إلى حضرموت بذل وقته لنشر العلم ونصرة المذهب السني، وأدخل إلى حضرموت معه أحمالاً كثيرة من كتب العلم.

والشيخ سالم عالمٌ نحرير وشاعر كبير له فلسفةٌ شعريةٌ تدل عليها ((قصـيدته الفكرية))، والتي تزيد على مئة وثلاثين بيت مطلعها:

أيا فَاتِحاً باباً عظِيماً مِن الفِكْـرِ   هِنيئاً لَكَ الحَظ الجَزِيلُ مِن الأجرِ

ووصف فيها عناصر الطبيعة من جماد وماء ونار ومعادن ونبات وحيـوان وأثمار وغيرها، وقد سرد السيد الشاطري في ((أدوار التاريخ)) أجزاء منها صـفحة ١٩٥-١٩٧، وقد طُبعت حديثا في كتيب لطيف.

والشيخ سالم بافضل له المنة على أهل تريم بوضع قواعد قراءة أحزاب التلاوة في مساجدها، ولازال هذا الترتيب مستمراً إلى اليوم في بعض المساجد، وقد عاش معززاً مكرماً له موقعه الاجتماعي والعلمي بين أقرانه وطال عمره مما زاد تعظـيم القوم له، حتى لقبه بعضهم بشيخ الإسلام، ولتلميذه القاضي محمـد بـن علـي الظفاري قصيدة يقول فيها:

نالَ ابن فَضلٍ في الفضـائل رتبـةً   لم يسـتطِعها منجِــد أو مغــور

فِقْه ابنِ إدريسٍ وإعـراب الخليـ   ـل وما حوى سقراطُ والإسكندر

فبسالِمٍ سـلِمت شـريعةُ أحمـدٍ   عمـا يـؤود قَنا َـا أو يكْسِـر

توفي الشيخ سالم بافضل بتريم سنة ٥٨١ هـ، ومن تلاميذه الإمام سالم بن بصري وصاحب مرباط، وأدرك الفقيه المقدم من حياته سبع سنوات.

(١) هو سالم بن بصري بن عبدالله بن بصري بن عبدالله ابن أحمد المهاجر، نشـأ في بيئة علمية بتريم، وحفظ القرآن العظيم، واشتغل بدرس العلوم من تفسير وحديث

٣.الشيخ العلامة علي بن إبراهيم الخطيب[1] .

برز الإمام محمد بن علي مبكراً في التصدر، وأجمع الناس على صلاحه وتقواه، وأُشِير إليه بالبنان، وسعت إليه الركبان من أفجاج الأرض لأخذ العلوم والتبرك والاستجازة.

كَتب عنه صاحب «غرر البهاء الضوي» فقال: كان إماماً متقناً متفنناً في جميع العلوم واحد عصره في العلم والعمل[2] .

وانتفع به جملة من أهل عصره، ومنهم ولداه علوي وعبدالله،

وفقه وأصول، ورحل في سبيل العلم إلى اليمن والحجاز، وتخرج في العلوم بإتقان، ثم عاد إلى تريم ونشر ا العلوم، وجعل يروي الأسانيد العالية وتفسير القرآن، وانتعشت به حضرموت، وقصده المريدون من كل فج، وتخرج به الكثير كالشيخ محمد بن أبي الحِب والشيخ علي بن أحمد بامروان والقاضي أحمد باعيسى والشيخ علي محمد الخطيب والإمام الفقيه المقدم، وقد مات الإمام سالم بتريم سنة ٦٠٤هـ ودفن ا.

(١) هو الشيخ علي بن يحيى بن إبراهيم بن علي الخطيب، ويرتفع نسبه على ما ذكره «الجوهر الشفاف» إلى أحمد بن عباد الحميري الصحابي الجليل رضي الله عنه، عرف بالزهد والورع والصلاح مع نصيب وافر من العلم المقرون بالعمل، توفي بتريم ليلة الجمعة ٢٤ ربيع أول سنة ٦٠٩ هـ ودفن في مقبرة الفُريط. اهـ «الجوهر الشفاف» (١: ٦٠) .

(٢) «الغرر» ص١٣٠ بتصرف .

وانتفع به الشيخ العلامة علي بن أحمد بامروان شيخ الفقيه المقـدم، والقاضي أحمد بن محمد باعيسى، والشيخ علي بن محمد الخطيـب المعروف «بصاحب الوعل» ، ومن ظفار أخذ عنه الشيخ محمد بـن علي الملقب بسعد بن علي «صاحب الشحر» والشيخ علـي بـن عبدالله الظفاري وغيرهم من أهل عصره.

اعتناؤه بالزراعة والتجارة

كان الإمام محمد بن علي ميالاً إلى العمل راغباً في طلب الحلال مشجعاً على استخراج كنوز الأرض بالفلاحة كتشجيعه طـلاب العلم على استخراج كنوز العلم بالمطالعة والمدارسة، ولهذا كـان دائم الذهاب إلى «بيت جبير»[١] ومعه أهله وأولاده، وهناك يشرف بنفسه على غراس النخيل وزراعة الحبوب والبقول بأنواعها، وأخذ يوسع أعمال الزراعة ويستوعب الأيادي العاملة لتستفيد من العمل وتنال نصيباً من الثمر، وكان يعتني بالمواسـم الزراعيـة ويرتـب

---

(١) «بيت جبير» قرية زراعية صغيرة تبعد عن تريم بمسافة ثلاثة أميال تقريباً كان أول من عمل فيها الإمام علوي بن عبيدالله بن أحمد المهاجر ثم توالى عليهـا أبنـاؤه وأحفاده.

المخازن لاستيعاب الثمر والحبوب سواء في «تريم» أو في «بيت جبير» مما أسهم في كثرة محاصيله في العام الواحد، وقد ورد أنه إذا عزم من تريم إلى «بيت جبير» عند مجيء موسم الخريف تقوم النساء بكنس وقم[1] مخازنه من بقايا الحبوب فيجتمع من الطعام المنبوذ من أربعين إلى ثمانين قهاولاً، والقهاول نحو من عشرة أمداد بمد الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

واشتغل إلى جانب الزراعة بالتجارة في الأطعمة والحبوب وغيرها، وخاصة على طريق (حضرموت – ظفار) حيث اعتاد السفر منذ بداية أمره إلى ساحل «ظفار» لغرض نشر الدعوة وللاستجمام والراحة، ثم باشر التجارة وحمل البضائع، وقد يأخذ معه أولاده ومحبيه ويمكث في نواحي «ظفار» شهوراً عديدة حتى اشتهر هناك وعرفه الخاص والعام، وكان له فضل انتشار المذهب الشافعي في أرض «المهرة» وما حولها[3]، وصارت قبائل «المهرة» و«ظفار» اب خفارته وتطيع لأمره، واعتادت قوافل التجارة الحط

(١) أي: كنس وتنظيف .

(٢) «الجوهر الشفاف» (١: ٥٨) و«الغرر» ص ٣٥٤.

(٣) «أدوار التاريخ الحضرمي» للسيد محمد بن أحمد الشاطري (١: ١٦٢).

والترحال من «بيت جبير» إلى « ظفار» تحت حمايته، لا يستطيع أحد من البدو أو العساكر أن يخفر ذمته أو يخون عهده أو يؤذي جاره.

وكان له في «ظفار» مجالس علمية وفتاوى شرعية وهيبة روحية، وأدخل إلى «ظفار» العقيدة السنية بعد أن كان أهلها من الخوارج، وقد استطاع أن يقنعهم بمذهبه ويحول عقائدهم إلى أهل السنة كما هو حال حضرموت[1]، فكان في هذا الجانب مقتدياً بجده المهاجر، قال الشاطري في «الأدوار»: فالإمام المهاجر أدخل ونشر مـذهب الإمام الشافعي بحضرموت، وصاحب مرباط نشره في ظفار، وكما هاجر الأول من البصرة إلى حضرموت فقد هاجر صاحب مربـاط من حضرموت إلى ظفار، كما قام بنفس الدور الذي قام به المهاجر عند قدومه إلى حضرموت من إخماد الفتن بين الطوائف والمذاهب والأخذ بزمام الأمر حتى انقادت له الجماعات المخالفة كلـها[2]، وكان مستقَره الدائم في أرض ظفار بمرباط، وفيها اشتهر أمره وذاع صيته[3].

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق (١: ١٩٣).

(٣) ونقل إلى «مرباط» كثيراً من عادات وتراتيب تريم في الأذكار والحزوب وا السل

كرمه وسخاؤه

اشتهر الإمام محمد بن علي منذ بداية ظهوره بـالكرم البـاذخ والسخاء وكثرة الإنفاق في أوجه البر والخير، حتى صـار العـوام يبالغون في وصف حاله حيث قيل: إنه كان ينفق على أهـل مئـة بيت من الجن فضلاً عن الإنس، وفي رواية: على أهل مئة وعشرين بيتاً، وأياً كانت صحة الخبر فالأمر يدل على سعةٍ في النفقة وسـعةٍ في الحال.

ويدل على ذلك أيضاً ما أورده عن كثـرة أضـيافه صـاحب «الجوهر الشفاف» بقوله: كان الشيخ محمد بن علـي رضـي الله عنهما ينفق على خلقٍ كثيرٍ، فمات ميت فقال لأهله: اصنعوا طعاماً لأهل الميت، قالوا: ما عندنا طعام ولا دقيق ولا رهـي[1]، فقـال الشيخ: اجمعوا التخامير واخبزوها.

وكانوا يبقون في أواني «الرهي» من دقيق الذرة المعجون في كل واحد شيئاً يسيراً يسمونه «التخمورة» وجمعها تخامير ليخمـر بـه الفطير الذي يضعونه فيها، قال: فجمعوا التخامير وخبزوها فملأت

وأوراد الصلوات وأدعية المناسبات وغير ذلك.

(١) الرهي: عجينة الحب المطحون.

لهم من ذلك سبع جفان خبز[1] .

قال فيه صاحب «الغرر»:

إمام نجيـب في العلـوم معظـم   حوى شرفَي مجدٍ بعِقْدٍ مفَصـل
رؤوف عطُوف ذُو سخاءٍ وهِمةٍ   مجِيد حمِيـد بالمَهابـةِ معتلِـي
حِليم سخِي عالِم ذُو نـزاهةٍ   وعِلْمٍ وجاهٍ حازه مـع تفَضـل
شرِيف منِيف شاكِر ربه علـى   مزِيدٍ مِن الإنعامِ بـالله ممتلِـي

ووصفه الإمام الحداد في «الميمية» فقال:

وصاحِب مِرباطٍ إمـام جـامِع   تفَرع مِنـه أصـلُ كُـل إمـامِ
أُولَئِـك وراثُ النبِـي ورهطُـه   وأولاده بـالرغْمِ للمتعـامِي

وصف التراجم لحاله ومقامه

تفَنن أصحاب التراجم في وصف صاحب مرباط، مما يدل على علو مقامه وسمو حاله، فقد وصفه مؤلف «غرر البهاء الضـوي» بقوله: هو الإمام القدوة، الفقيه الشيخ الصفوة، الكـبير العـارف الشهير، ذو الكرامات الباهرة، والآيات الزاهرة، والبركات الغامرة، والمقامات العلية، والأحوال السنية، قطب الأحوال، أسـد أسـود

(١) «الجوهر الشفاف» (١: ٥٧) .

الرجال[1] .

وفي موقع آخر وصفه أيضاً صاحب «الغرر» فقال:

السيد الضرغام جامع أشتات الفضائل ومتفرقا ا، شيخ المشايخ الأعلام، ويتيمة عقد العلماء الأفاضل من الأنام، مربي السالكين، قدوة المريدين، شيخ الإسلام، عمدة الكرام، حائز قصبات السبق على الإطلاق، سابق الفضلاء في مرحلة السباق، راقي ذرى المعالي بالاتفاق، بحر الجود كثير الإنفاق، السخي الأريحي، النحرير اللوذعي، ذو المحاسن الكوامل، الهمام العامل، أحد العارفين وكمل الأولياء الأماثل، الجد الكامل، ذو الأصالة العريقة والدقيقة، أحد علماء الطريق ومشايخ الحقيقة، السالك لمقامات الدين، المقتدي بسيد المرسلين.. إلى أن قال: كان إماماً متقناً متفنناً في جميع العلوم واحد عصره في العلم والعمل، وحيد وقته في الزهد والورع والصلاح وصفاء العبادة، قَصده الطلبة للاستفادة من كل مكان، لأنه كنزها الدفين للمستفيدين، فإنه في العلوم بحر زاخر، وهو لكل منكر مزيل وبالمعروف آمر، من رآه وشاهده أدهش عقله جلال محاسنه الباهية، وحير لُبه بكمال أحواله الزاهية، وله هيبة

---

(١) «الغرر» ص٣٥٣.

تلوح على محياه وشوارق جة الجمال تزهر منه على الجباه، وله الصيت الحسن والجاه عند الخاص والعام، وسواطع الحسن والجمال مطبوعة فيه ومقرونةٌ بالرأفة والإفضال، وعلوم المعارف الربانية مسندةٌ إليه، وكانت الملوك والسلاطين ابه، وذوو الجبرية والسطوة تخافه، وكان له الجاه الوسيع والصيت الجامع الرفيع، وله القبول التام عند الخاص والعام، وانتشرت علومه وأخباره بجهات اليمن وحضرموت وظفار انتشارا طبق الآفاق منها، وتخرج به أئمةٌ سادة أعلام قادة ذَووا معرفةٍ تامةٍ وكرمٍ وزهادة، وعلو درجات وإفادة، وكان رضي الله عنه في الجود والسخاء خِضماً زاخراً وغيثاً ماطراً، وفي المعارف والأحوال والمقامات سابحاً ماهراً.

أسرة صاحب مرباط وأحفاده

جاء في «الغرر» ص١٣١ أن أم «صاحب مرباط» وأم أخيه حسين هي الشريفة فاطمة بنت الشيخ محمد بن علي ابن جديد.

وأما ذرية صاحب مرباط فهم:

(١) علوي بن محمد صاحب مرباط:

كان جواداً سخياً عارفاً عالماً مستقيماً شافعياً أشعرياً، توفي ببلدة

تريم سنة ٦١٣ هـ، وخلف ثلاثة من الأولاد هم[١]:

١. **أحمد بن علوي**، وهو أول متصوف بتريم قبل الفقيه المقدم، توفي قبله بقليل، وذكره ابن حسان في «تاريخه»، لم يخلف إلا بنتاً هي الشيخة العارفة بالله أم الشيوخ فاطمة بن أحمد، وهي أم الشيخ علي والشيخ عبدالله باعلوي، توفي الشيخ أحمد في عشر الخمسين وست مئة ٦٥٠ من الهجرة، وتفقه بالفقيه علي بن أحمد بامروان.
٢. **عبدالملك بن علوي** ، له ذرية ببلاد «بروج» بالهند، ذو سيرة حميدة مرضية، لم يعرف شيءٌ عن وفاته[٢] ، ويقال: إن مركباً نفاه الريح إلى الهند وهو عائد من الحج، وهناك ظهر صيته وعلا أمره وتزوج وأنجب.
٣. **عبدالرحمن بن علوي**، حائز الفضل وسلوك الطريقة، زاهد ورع فقيه، كان كتاب «الوسيط» للغزالي من منقولاته أو من محفوظاته، أعقب ابنا اسمه أحمد، ووصِف

---

(١) «الغرر» ص ١٣٤ ، وكانت وفاة الشيخ علوي بن محمد بتريم يوم الاثنين لأربع خلت من ذي القعدة سنة ٦١٣ هـ .

(٢) المصدر السابق .

أحمد بتحقيق «الوجيز» وحفظه، ومقروءاته كتب الغزالي وأبي إسحاق الشيرازي، قرأهن على الفقيه عبدالرحمن بن أبي عبيد وعلي بن أحمد بن أبي مروان والفقيه المقدم.

(٢) عبدالله بن الإمام محمد صاحب مرباط:

الإمام المحدث الرحلة العالم العامل وحيد عصره، ذكره الإمـام محمد بن علي القَلْعِي في إجازة له يعقبه الإمام الشيخ أبوالقاسم بن فارس بن ماضي مكتوبة في الجزء الأول من «جامع الترمذي» : إن الشريف يقرأ وابن ماضي يسمع بقراءته، وهـذه صـورها -أي: الإجازة-: أجزت لهما جامع أبي عيسى الترمذي وغيره. وكتبـه محمد بن علي القلعي، وذلك سنة ٥٧٥ هـ على صاحبها أفضـل الصلاة والسلام[1] .

(٣) علي ابن الإمام محمد صاحب مرباط:

سلك طريق والده، وحذا حذوه، وهو أبوالفقيه المقدم وراعيـه ومؤدبه، توفي بتريم .

(٤) أحمد ابن الإمام محمد صاحب مرباط:

من العلماء العاملين، لم يعقب سوى بنت هي الشيخة زينب أم

---

(١) المصدر السابق ص١٣٣ .

الفقراء وزوجة الفقيه المقدم وأم أولاده، توفيت ١٢ شوال سنة ٦٩٩ هـ[١] .

الإمام محمد بن علي في ظفار

توفي الإمام محمد بن علي بمدينة مرباط من ظفار القديمة سنة نيف وستين وخمس مئة من الهجرة[٢]، وكان ا مسكن ومقام مشهود وموقع وذكر محمود، لما أظهره الله على يديه من الخيرات الجمة والمنافع الخاصة والعامة مع حسن سيرة واستقامة سلوك وورع حاجز في المعاملات التجارية، وصدق في الأخذ بالعزائم حتى أظهر الله على يديه الكرامات، وهابه الخاص والعام، مع طول باع في العلم وصبر عظيم في نشره بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى تألف قلوب البادية، وتأثروا بكريم أخلاقه وعظيم إنفاقه وحسن صمته وثبات مواقفه.

ولهذا كان لوفاته بينهم أثر عظيم، ونفع عميم، حيث استأنس بمقامه المحبون والمتعلقون، وجدد ضريحه بينهم ما كان ينشره من

(١) المصدر السابق ص١٣١ .

(٢) حقق وفاته السيد محمد بن أحمد الشاطري في «الأدوار» بسنة ٥٥٦ هـ .

العلم والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، بتـردد تلاميـذه والآخذين عنه ومجيء الزائرين مرة بعد مرة، حتى صار مدفنه أحد المعالم البارزة في بلدة ظفار.

والمعلوم أن الرجال الصالحين الذين كانت لهم بصمات مـؤثرةٌ في حيا م -وذات ارتباط بالشريعة والإسلام خصوصـاً- تظـل آثارهم ومشاهدهم عاملاً روحياً قَوياً لربط الأجيال ذات الرؤيـة السليمة الواعية بمدلول هذه العلاقة شرعاً بالإيمـان، وتقويتـه في الإحساس الإنساني.

وفي مرباط لا زال الإمام محمد بن علي حياً بذكرياته ومجـالس حضراته، وتآلفت قلوب الآلاف من الأجيال المتلاحقة على تذكر مواقفه وإشاعة آدابه وأخلاقه وصفاته العالية، بل وبقي هذا العلـم الخالد سبباً من أسباب الارتباط الودي بين شعوب المنطقة وبداو ا من جهة، وسبباً من أسباب توثيق العرى بين وثائق التاريخ الـيمني والعماني(١) ، وإيقاظ الهمم لدى المتأخرين كي يحتذوا حذو الأوائل

---

(١) أشار السيد محمد بن أحمد الشاطري في «الأدوار» (١: ١٩٢) إلى هذه المسـألة بقوله : وقد قدمنا أن القوافل تسير في خفارته حين تمر عليه «بيت جبير» وهو في البلد المسماة بالعلوية حتى تصل ظفار، ويقوم بدوره في تحسين العلاقـات بـين

في شمول التأثير العلمي والعملي، وإشاعة مبدأ السلام والرحمة والمحبة بين الشعوب دون الحاجة للقوة واستعمال السلاح والحروب.

إن قضية المعرفة العلمية التاريخية ممثلة في مواقف رجاله الأفذاذ، وإعادة هذه المعرفة القرائية بأسلوب المعرفة المعاصرة المقيدة بالشرع الإسلامي المحض الخالص من شوائب التسـييس أعظـم وسـيلة للمسلمين خصوصاً وللإنسانية عموماً لمعرفة النورانية المُنظمةِ حقِيقَةَ الحياةِ مادة وروحاً.

وما آثار ومشاهد أولياءِ اللهِ وشهداءِ الفتوح الإسلامية في العالم إلاّ نموذج بين وواضح لهذا المدلول المعرفي الواعي، وكذلك مشاهد ومراقد آل البيت ومن سار في در م صدقاً وإيماناً بموعودات الحق سبحانه، فإن هذا كله إذا أُحسن استغلاله في تجديد وشحذ همـم الأجيال الملوثة بعفن الحضارة ا دّدة سيسهم في صناعة الإنسـان الجامع بين شرف الاتصال بالصالحين ومواقفهم وبين الحياة العصرية وثمرا ا العلمية والعملية.

الدولتين الراشدية بداخل حضرموت والمنجوية –نسبة إلى بـني منجويـهِ مـن سلاطين ظفار في ذلك العهد قبل الحَبوظي- ببلاد ((المهرة)) مما كان لـه أثـر في تحسين الأحوال في البلدين .





الفهرس

الأُسْتَاذُ الأَعْظَمُ

الفَقِيهُ المقدّم

مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث
الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ — ٢٠٠٣ م

سلسلة أعلام حضرموت ٥

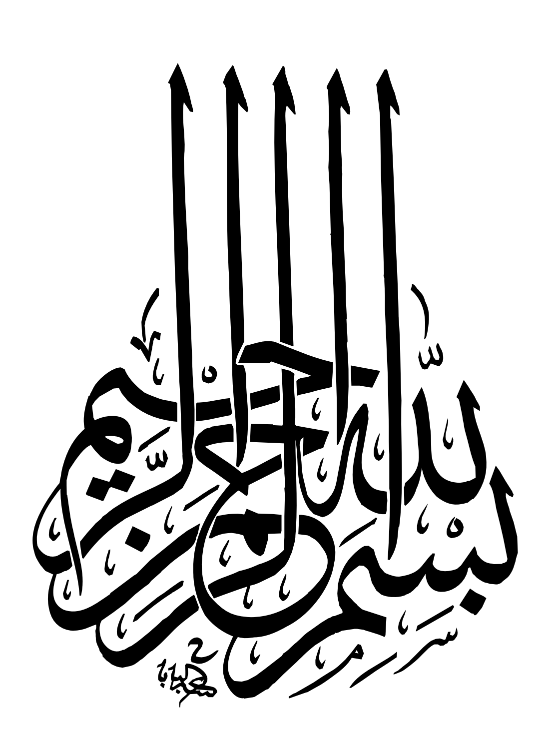
الأُستاذُ الأَعْظَمُ

الفَقيهُ المقدّم

(٥٧٤ - ٦٥٣هـ)

بقلم خادِم السَّلَف

أَبي بكرٍ العدنيّ ابن عليّ المشهور


بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا، وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ . وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ . إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ . لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

[فاطر: ٢٧-٣٠]

شَاهِدُ الحَال

فأحوالُهُ قــد أَبْهَــرَتْ كُــلَّ عــارِفٍ

مَعارِفُــهُ في العِلْــمِ عالِيَــةُ الــسُّمْكِ

أبي الأوليـــــا راقي العُلا عُمْدَةِ المَلا

و ها هو في الأقطــابِ واسِــطَةُ الــسِّلْكِ

وكَنــز النَّدَى مجَلَى الصَّدَى شَمَعَــةُ الهُــدَى

إذا ما بــدا للخَلْــقِ في ظُلَــمِ الحُلْــكِ

وَبَدْرُ هُدًى مخُزِي العِــدا مُــذْهِبُ الــرَّدَى

عَظِيمُ المَدى المَأْمُولُ في المَوْقِــفِ الــضَّنْكِ

« الغُرَر » ص١٥٥

الإهداء

إلى رُوحِ سَيِّدي الفقيهِ المُقَدَّم..

إلى مَن سُمِيَ بالأستاذِ الأعظمِ لأنـــه جَـــدِيرٌ بالأســـتاذيَّةِ والإِعظام..

إلى الذي حَوَّلَ مسارَ السفينةِ عرضَ المحيطِ الهائجِ فوجَّهها إلى بَرِّ الأمان..

وإلى أحفادهِ البَرَرَةِ الذين لا زالوا يحمِلُونَ في قُلُوبِهم وقَوالِبِهم خَفْقَ الإيمانِ بحقيقة ارتقاءِ رَكْبِ السلفِ الـــصالحِ إلى أعلـــى مقاماتِ الإحسان « أَنْ تَعْبُدَ اللّهَ كأَنَّكَ تَراه ، فإِنْ لم تَكُنْ تَراهُ فإِنَّهُ يَراك » ..

المُؤَلِّف

المقدمة

الحمد للّه ومنه المَدَدُ في كل أمرٍ يُراد . وبأمرِه تتحركُ الأسبابُ في تَسْيِيرِ اختيارِ العِباد، والصلاة والسلام على القــدوة الأمثــل، والأسوة الأكمل، الذي جعله اللّه إمامَ الأولياء، ومثالَ الأتقيــاء، سيدِنا محمدِ بنِ عبدِاللّه صفوةِ الأصفياء، وعلى آله وأصحابه ومــن تبعهم بإحسان، على قدم الإسلام والإيمان والإحسان، إلى يوم لقاء المَلِكِ الدّيّان .

وبعدُ فهذه ترجمةٌ موجَزةٌ لأحــدِ أعــلامِ آلِ البيــتِ النبــويِّ بحضرموت، ضمّنتُها حسب استطاعتي واستعدادي أهمَّ ما أبــرزه العصر آنذاك من هِمَّة الرِّجال وعطائِهِم الفكــريِّ والاجتمــاعيِّ، وخصوصاً مثل هذا الإمام الجِهْبِذِ الذي كان له الأثــرُ الفاعــلُ في تَحَوُّلِ مدرسةٍ بكاملها من أسلوبٍ منهجيٍّ إلى آخر .

وبرغم أن « المدرسةَ الإسلاميةَ » واحدةٌ في أصولها إلا أَنَّ نماذجَ الفكرِ المندرجِ تحت هذا الشعار الواحد جعلَ للأفذاذِ في التــاريخ مواقفَ يستخلصون منها وبها النجاةَ المحقَّقَةَ من ثائرة الفتن في الدنيا وطائلة العذاب يوم القيامة . فجاءت مدرسةُ التــصوُّف العلويَّــة بحضرموت، وكانت إبَّان ذلك العهدِ مطلباً وغاية، ولهــذا شَــقَّتْ

طريقَها في ثَباتٍ ونجاح، وكان فيها رجالٌ إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللّهُ، تُخْرَسُ أمامَ أنوارِهمُ الفيَّاضَةِ وأعمالِهمُ الصالحةِ كلُّ لسانٍ مُعْتَرِضَة، وكلُّ وقيعةٍ مُغْرِضَة، ونحن اليومَ نكتبُ عن نماذجها الأماثل، في عصرٍ تغيرتْ فيه المفاهيمُ والمقاييس .

وليس غرضُنا أَنْ نُلزمَ الناسَ بهذه الطريقِ إلزاماً، وإنما نحن نَصُدُّ هجمةَ الكَذِبِ المَشين التي تَبنَّاها كثيرٌ من حَمَلَة الأقلام ورموز الإعلام، الذين جعلوا هَمَّهُم وشُغْلَهُم وتكوينَ شخصيَّاتهم مبنيّاً على تحقير الأسلاف وتتبع تِراتِ وعيوبِ وإشكالاتِ أقوالهم وأعمالهم، فشغلوا جيلَ العصر عن بناء الإسلام الحق « ديناً ودولةً » بأقوالٍ لا تُسمنُ ولا تُغني من جوع .

ورغبتُنا هنا أن يتأملَ القارئُ ما كتبناه ثم يعرضه على حقائق دعوة الإسلام بمنظور الإسلام لا بمنظور فقهاءِ القَصْعَةِ علماءِ الإعلام، فيجد أنَّ الشيوخ الماضين كانوا حقّاً على الطريق الأقوم، وأنّا في أمسِّ الحاجة للاقتداء والاتِّباع دون إفراطٍ ولا تفريطٍ .

من هو الفقيه المقَدم ؟

هو الشَّيخ الإمام، والأستاذ الهمام، صاحب القدر الجليل، والمقام الحفيل، المعروف بوُفُور علمِه، وسَعَةِ حلمِه، وصدق عمله، وسلامةِ تَوَجُّهِ القلبيِّ والقالبيِّ لحضرة ربه، الذي نـــال رتبـــة « الأســـتاذيَّةِ العظمى » بجدارةٍ واكتمالِ كلِّ الشروط . وهو أوَّل من أُطلِقَ عليه هذا اللقبُ الجامعُ في سلسلة بني علوي لما بلغ إليـــه مـــن العلـــم والعمل، ولأنه أوَّل من حمل لواء التصوُّف في حضرموت وحوَّل به مجرى الحياة الفكريَّة خلال عصره وما تلاه من العصور بعد ذلك .

كان مولدُه بمدينة تريم سنة ٥٧٤، ونشأ بها وترعرع في مجتمـــعٍ موفورِ الهداية والإيمان، فحفظ القرآن وجملةً من المتون في شتَّى العلوم والفنون، واستفرغ وقتَه وجهدَه في الاِطِّلاع على كلِّ علمٍ مكنون، كما امتلأ منذ صباه بما رآه من بركات العلم والعمل بـــه في محـــيط أبويه وأسرته، وكذلك في مجموع سلوك أهل بيته حيـــث يتـــشابه المجتمع في الأخذ بالعزائم، وانتهاجِ رياضة النفوس وترويض الغرائز .

فانتقل بهذا العزم من طَورٍ إلى طَـــور ومـــن حـــالٍ إلى حـــال، مستصحباً اهتمامَهُ بكافة العلوم من القرآن والتفسير والحديث وعلوم

الآلة وغير ذلك، حتى برزتْ علاماتُ النبوغ عليه، وأشارت أصابعُ الاجتهاد متوجهةً إليه، وبرز في محيط الطلب على أقرانه متفوقاً، وفي السلوك والعمل الصالح مجتهداً ومنطلقاً، فلم يَثْنِهِ ذلك عن الاستمرار في الأخذ عن الشيوخ الأكابر، بل ظلَّ متعلقاً بهم آخذاً على أيديهم علوم الباطن والظاهر، وكان جُلُّ اهتمام الشيوخ آنذاك بالعلوم الظاهرة وتحقيقها .

وكان من أجل شيوخ ذلك العصر ومن أكبر مشايخ المصر الشيخ العلامة علي بن أحمد بامروان[1]، والشيخ العلامة عبداللّه بن عبدالرحمن باعبيد التريمي[2]، والشيخ القاضي أحمد بن محمد

(١) هو الشيخ الحجّة العالِم العامل عليٌّ بن أحمد بن سالم بن محمد بن علي بن سالم مروان التريمي الحضرمي صاحب التصانيف العظيمة والفتاوى المفيدة والبديعة، كان من أكابر أئمة العلم بتريم في عصره مع زهدِه وورعِه واتِّساعِ باعه في علوم الأصول والحديث والتفسير واللغة، أخذ عنه الفقيه المقدم أخذاً كاملاً وكان يخصُّه بمزيدٍ من الرِّعاية والعناية، ويَلْحَظُ فيه سِماتِ النُّبوغِ والفِطنةِ والذَّكاء، وأدرك من خلال معاصرته ومناقشته إياه ما يتمتع به من قوة الحفظ والاستيعاب، وما منحه اللّه من فهمٍ ثاقب ورأيٍ صائب، حتى شَهِدَ له بعد نضوج معرفته وكمال أخذه بقوله : « اجتمعتْ فيك يا فقيه شروطُ الإمامة كلِّها » .

(٢) كان من أبرز شيوخ الأصول والحديث والتفسير والعقائد وعلوم القرآن واللغة، بل ذكر أنه بلغ رتبة الاجتهاد واعترف له علماء عصره في حضرموت واليمن والحجاز

باعيسى، والإمام العلامة الفقيه سالم بن فضل، والسيد العلامة الحافظ علي بن محمد بن جديد، والشيخ العلامة محمد بن أحمد بن أبي الحب، وغيرهم من شيوخ تريم الذين أخذ عنهم وارتوى من مشاربهم، حتى شهد له الجميع بالاقتدار والجدارة، وصاروا يقدِّمونه ويلحظون في ملامحه الصدارة، وهم لا يعلمون ما يُكِنُّه اللّهُ في علمه عن مستقبل هذا الفقيه، وما سيُجريه اللّهُ من الأمور على يديه.

وكانت حضرموت آنذاك كغيرها من بلاد الإسلام تزخر بالفتن، وتغلي مشرقاً ومغرباً بالأذايا والمحن، والعين ملتفتةٌ آنذاك إلى « آل البيت النبوي »، ولم يكن في حضرموت أحدٌ سوى ذرِّيَّة الإمام

بطول الباع في كافة العلوم، وقد ذكر صاحب « شرح العينية » أن الشيخ المذكور لما زار الحرمين الشريفين اجتمع في مكة مع فقهاء كثيرين، وألقى عليهم أحد كبار علماء الحرم مسألةً دقيقةً فلم يجبه عليها إلا الفقيه أبوعبيد المذكور، فقال له ذلك العالم : أظن أنه ما على وجه الأرض من يجيب مثل هذا الجواب إلا أن يكون الإمام عبداللّه بن عبدالرحمن بن أبي عبيد التريمي، فقال: أنا هو.

أخذ عنه الفقيه المقدم أخذاً تاماً وانتفع به انتفاعاً جماً ونال منه الإجازة والسند والاهتمام الكلِّيَّ، وقد جاء في « العقد النبوي » ص٢٧٥ ما يفيد أن الشيخ أباعبيد كان لا يبتدئ درسه حتى يحضر الفقيه المقدم، ومن آثار هذا الشيخ كتاب « الإكمال على التنبيه » ، ذكره الإسنوي في « طبقاته » .

المهاجر، ترمقهم عيونُ الناس بالمحبَّة والإجلال، وتُكِنُّ لهم العطفَ والتقديرَ وتفديهم بالحال والمال، وكانوا آنذاك قلةً قليلةً بين بقية الناس . وكان الإمام الفقيه المقدم قد استشفَّ وأدرك من خلال معاصرته للحياة وفهمه الثاقب أنَّ « آلَ البيت النبوي » مستهدَفون آنذاك، خصوصاً من أعينِ الحاسدين والمنافسين اللذين يرقبون الأمور ويرفعون الأخبار إلى عواصم الخلافة، فخشي أن يُظَنَّ بهم وهم على مظهر الحلم والعلم ومحبَّة الخَلْق والتفافِ الناس حولهم أن يَبْرُزَ فيهم من يطالبُ بالأمرِ وينافس أهل الأمر في السلطان، وإذا ما استُفِزُّوا وأُوذُوا واتُّهِمُوا في شيءٍ من ذلك فقد يلَجَؤُون للدفاع عن أنفسهم واستخدام السلاح الذي كان جزءاً من حياتهم، حتى قيل : إنَّ الفقيهَ المقدم كان يجلس بين يدي شيخه بامروان وسيفُه على فَخِذَيِه . وإذا ما تحقق هذا الظن لدى المتربِّصين فالواقعُ المحيط كلُّه يحمل السِّلاح . وبإشارةٍ معينة يمكن أن يعودَ للتاريخ مثالٌ جديدٌ وصورةٌ متكررةٌ ليوم « كربلاء » في حضرموت، والجِراحُ ما زالتْ طريَّةً لم تَجِفَّ على مدى التاريخ .

وكما قدح ذهنُ الإمام المهاجر يوماً وهو « بالبصرة » ليتَّخِذَ قراراً حازماً يُخرج به ذرِّيَّته من محيطِ الفتنة فقد قدح ذهنُ الفقيه

المقدَّم لاتخاذِ أمرٍ ما يحفظ هذه الذرية المباركة من الذوبان في الواقع الملتهب.

أخذ القرارُ يعتملُ في نفس الفقيه المقدَّم شهوراً عديـدةً وهـو الأستاذ المطَّلع على كافَّة النماذج الفكريَّة والـسياسيَّة القائمـة في أطراف بلاد الإسلام، يقارن ويوازي بين الحال القائم والمفتـرض، ويبحث عن المخرج السَّليم، والرأي الصائب الحكـيم، الـذي لا يمكن التحول عنه ولا الرجوع . فلم يجد شيئاً يَأْنَسُ إليـه فـؤادُه، ويرتاح إليه ضميره مثل الأخذ بمنهج الفقرِ إلى اللّه وتركِ الرِّياسات، وهذا إلا يأتي إلا بأخذ المنهج الصُّوفي .

ولم يكن «التصوف» جديداً على ذرِّيَّة المهاجر، فقد أُثِرَ أنّ أولَ من تنفَّسَ الأنفاس الصوفية بحضرموت هو الإمامُ عُبيدُ اللّهِ بنُ أحمدَ المهاجر بعد عودته في النصف الثاني من القرن الرابـع مـن مكـة المكرمة بعد أخذه العلم عن الشيخ «أبي طالب المكي» المتوفى سنة ٣٨٦، وقراءتِه عليه كتابَه «قوتَ القلوب»، وجاء من بعده الإمام سالم بن بصري بن عبيد اللّه ، وكان من رجال الأنفاس الـصوفية علماً وعملاً ؛ لكن هذه الأنفاس الفردية لم تتخذ في الواقع تـأثيراً

شاملاً مدرسةً ومنهجاً [١] بل اتخذ شكلاً وراثياً عائلياً في « ذرية آل باعلوي » .

الفقيه المقدم والشيخ سعد الظفاري

والفقيه المقدّم كما أنَّه إمامٌ مجتهدٌ ومحدِّثٌ وأصوليٌّ بارع، فهو أيضا الصوفيُّ الذائقُ صاحبُ الحسِّ المرهفِ والشفافيَةِ الروحيَّة الملتهبةِ، مَثَلُه مَثَلُ غيرِه من أهله وأسلافه [٢].

---

(١) سبق أهلُ اليمن في تِهامةَ وزَبيدٍ والمراوعة وغيرها إلى الأخذ بالتصوف، وتحوَّل في عصر أبي الغيث بن جميل ومحمد بن إسماعيل الحضرمي وغيرهم في عصر الفقيه المقدم إلى «مدرسةٍ مؤثرةٍ في الحياة»، إلا أن أهل حضرموت لم ينقلوا منهج هذه المدرسة التي كانت تنتمي إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني والتي كانت منتشرةً في كثير من بلاد الإسلام .

(٢) الطريقة الصوفية العلوية لها طريقان : واحدةٌ متسلسلة بالآباء والأجداد إلى النبي صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وسَلَّم، وتسمى طريقَ الأخذِ، وتبدأ من الأسفل عن الفقيه المقدم إلى أبيه وعمه علوي ثم صاحب مرباط ثم إلى سيدنا علي خالعِ قَسَم، ثم إلى أبيه علوي، ثم جده محمد، ثم علوي صاحبِ سُمَل ثم عبيداللّه بن أحمد المهاجر، ومن المهاجر إلى آبائه وأجداده : عيسى ثم محمد ثم علي العريضي ثم جعفر الصادق ثم محمد الباقر ثم علي زين العابدين ثم الحسين والحسن ثم الإمام علي ثم إلى فاطمة بنت الرسول، وإلى الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم،وأساس

إلا أن صوفيةَ الفقيه المقدم كانت بارزةً في سلوكه وتوجهاته منذ صباه متأثراً بالمعاني الراقية التي يقف عليها في كتاب اللّه وتنـــدرج معانيها في نفسه، كما تأثر بسعة الاطلاع والملاحظـــة والقـــراءة والمعاصرة على كثير من نماذج التَّنفُّسات الصوفية في عصره، فبـــدأ ذهنه ينقدح بالحقائق والمعاني الفائقة غيرَ مُنْتَمٍ إلى مدرسةٍ معينة غيرِ مدرسة أهله وأسلافه الذاتية، وبدأت تلك الحقائق والمعاني تَـشْغَلُه وتُزعجه وتُلِحُّ عليه في معرفة غامضها و حل إشكالها، فلم يجـــد في محيطه من يَشتغل بهذا العلم أو يُلْقي به بالا، فكتـــب إلى الـــشيخ العلامة الصوفي سعد بن علي الظفاري ثم الشحري[1] يـــسأله في بعض المسائل الدقيقة . وما يجده في نفسه وحاله من الإشـــراقات . فرأى الشيخ سعد أن الفقيه المقدم قد خاض بحراً عميقاً من بحـــور

هذه الطريق قوله صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وسَلَّمَ : «أَدَّبَني ربّي فأَحْسَنَ تأديبي».

أما الطريق الثانية فهي « الطريقة المغربية الشُّعَيبِيَّة »، وسنتحدث عنها خلال هذا الكتاب، وكون الطريقين تبدأ من الفقيه المقدم لأنه أول من جمع بين طريقتين ثم حوَّلها إلى منهجٍ عَمَليٍّ ومدرسةٍ سلوكيةٍ في الحياة، إذ كانت من قبل مـــذهباً ذاتيّاً وخُلُقاً فردياً.

(١) توفي الشيخ سعد بن علي الظفاري ثم الشِّحْرِيّ سنة ٦٠٧، ويستفاد من ذلك أن مكاتبةَ الفقيه له وقعتْ والفقيهُ في مقتبل العمر ؛ لأن الفقيه توفي سنة ٦٥٣ .

العلوم المكنونة، وتحدث بأمور سلبتْ عنه كثافاتِ البشرية وارتقتْ بحالِه إلى عالَمٍ نُورانيّ غير معهود في مدرسة حضرموت السائدة « لا حالاً ولا مقالاً » .

ولما كان الشيخ سعد من رجال التسليك والتأديب فقد خشي أن يكون هذا الأمر الذي حل بالفقيه «غلبةَ حالٍ» أو «تسويلاتِ نفسٍ بشريةٍ»، فكتب إلى الفقيه المقدم يحذره من مكائد الشيطان ويخوفه ويذكر له قصص بعض المستدرجين كبَلعامِ بنِ باعوراء وغيره، كلٌّ ذلك مخافةً عليه ومحبةً له .

وكان موقف الشيخ سعد موقف « الحجة » الذي يلزمه الإبلاغ قبل الوقوع في المحظور، ولكن الحال الذي يصفه الفقيه المقدم للشيخ كان لا ينطوي تحت هذه العلل الشيطانية والتسويلات النفسانية، ولهذا لم ينقطع عن الكتابة للشيخ سعد بل ظل يخبره بما ينقدح في قلبه من الفهوم، وما يشرح اللهُ به صدرَه من المنطوق والمفهوم، شاهده قول المولى سبحانه وتعالى: ﴿واتَّقُوا اللّهَ ويُعَلِّمُكُمُ اللّهُ ﴾ .

فما كان من الشيخ سعد إلا أن ألقى الشراع، وأدرك أن الحال الذي يصفه الفقيه المقدم « مقامٌ إحسانيٌّ وعطاءٌ ربانيٌّ » يتجلى معناه في قول النبي صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وسَلَّمَ لبعض صحابته : « لو

كنتم كذلك لصافحتكمُ الملائكة » فكتب إليه جواباً يقول فيه : « فلا تجدْ علي يا فقيهُ في هذا فهو محبةٌ ونصيحةٌ، وقد شرحتُ لك ما قَدَّرَ اللّهُ، فهو المُعِينُ على جميع الأمور، نسأله لك ولنا أن يوفقَنا لما يحبُّه ويرضى، وأن لا يجعل للشيطان علينا سبيلاً، وأن يُرِيَنا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه والباطلَ باطلاً ويعينَنا على اجتنابه، ثم إني أقول لك قولَ ناصحٍ محبٍّ مشفقٍ أن لا يكون قلبُك متعلقاً بالكرامات ولا غيرها، ولا تلتفتْ إليها ولو ظهرتْ لك أيَّ ظهور، وليكن قلبك متعلقاً بمحبة اللّه تعالى، وإلزم حالك الذي أنت عليه ولو قامت عليك القيامة، ولو رأيتَ أيَّ هولٍ فلا يَهُولَنَّك، وكلما عَرَضَ عليك شيءٌ فزِنْهُ بميزانِ الشرع وكتاب اللّه، فما وافق الحق فاتبعه وما لم يوافقِ الحقَّ فاتْرُكْهُ . وأنت يا فقيهُ أهدى مِن أَنْ تُهدى إن شاء اللّه وأعلم بالشريعة والحقيقة (١) » .

---

(١) الحقيقة هي عِماد النظرة الصوفية، وقد كتب فيها أهل الشأن بما لا يحتاج إلى المزيد، ونلخص هنا ما كتبه الأستاذ الدكتور الشرقاوي في بحث « الشريعة والحقيقة »، ومفاده تلازم الأمرين عند الصوفية، فالطريق إلى اللّه عندهم واحد، فإذا كانت الشريعة هي الرسم والخريطة والدليل، فإن الحقيقة هي الصدق والإخلاص في سلوك طريق الحق بحيث لا يكمل البِناءُ الصوفيُّ إلا بهما معا، فشريعةٌ بلا حقيقةٍ عاطلةٌ، وحقيقةٌ بلا شريعةٍ باطلةٌ .اهـ نقلت عن «دراسة

الفقيه المقدم والشيخ سفيان اليمني (١)

وأثناء هذه المرحلة قَدِمَ الشيخُ سفيان اليمني لزيارة حضرموت، ونــزل تريم، واجتمع بكثيرٍ من صلحائها وعلمائها وألزمــوه أن

وتحقيق ديوان الشيخ عبد القادر الجيلاني » للدكتور يوسف زيدان ص٩٠.

(١) كان فقيهاً عالماً فاضلاً عارفاً اشتغل في بداياته بالعلم اشتغالاً كلياً، وتــرجم لــه الشرجي في « طبقات الخواص » ص١٤٦ – مطبوع – تحت عنوان [أبومحمــد سفيان بن عبدالله الأبيني] وهي إشارةٌ إلى بلده الذي ولد بها، وهي مدينة أبــين شرقي عدن، وأما نسبه فيؤخذ منها أنه ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما صرح هو به في قصيدة له يقول فيها :

سَلَكْتُ مُتابعــاً آثــارَ جَــدّي محمــــدٍ المُـــشَفَّعِ في المَعـــادِ

وقد ترجم له السيد حامد الحداد ترجمة موجزة طبعت سماهــا « الفرائــد الحسان في مناقب الشيخ سفيان » ، ونقل فيها نقلا عن كتاب « مناقبه الكبرى » المفقود أن الشيخ سفيان رحل إلى المغرب لطلب العلم وأخذ الطريقة عن الإمــام أبي مدين، وقد ذكره الإمام اليافعي في كثير من مصنفاته وأثنى عليه كثيراً، وقال: وأما وصوله إلى مصر فقد بلغني أنه إنما سافر إليها ليحضر الجهاد بدمياط وكــان فتح المسلمين على يده . ويقول عنه أيضا : كثرة رحلات الشيخ سفيان إلى كثير من البلدان في بدايته وفي نهايته لا يشك في كثرة من أخذ عنهم ومن أخذوا عنــه وإن لم يحفظ لنا التاريخ إلا النـــزر القليل .

وقد توفي الشيخ سفيان سنة ٦٠٢ بلحج وتربته هناك من الترب المــشهورة المقصودة بالزيارة، وتقام له زيارة مشهورة في ربيع الأول كل عام .

يستسقي بهم، فقال لهم: انـــزلوا أصلحوا مجاري المـــاء وطُرُقَـــه، فخرجوا فإذا السبيل في مجاري أرضهم وسواقي بساتينهم وحدائق نخلهم كرامةً من اللّه تعالى للشيخ سفيان اليمني.

واجتمع الشيخ سفيان في تلك الزيارة بالفقيه المقدم محمد بـــن علي وهو إذ ذاك في أول فتحه ومبتدأ ظهور حاله، فحصلت بينهما مذكراتٌ وانبساطاتٌ، واستمد كل منهما من الآخر مدداً عظيماً، ثم لما رَحَلَ الشيخُ سفيانُ أرسل إليه الفقيه المقدم كتاباً يشتمل على لوامعٍ من النور المكنون، فلما وقف عليه الشيخ ســـفيان قـــال في جوابه إلى الفقيه كلاماً لامعاً معناه أو قريبٌ منه : « إنَّ هذا شيءٌ لم نعرفه، ومقامٌ لم نبلغه »[1].

---

(١) أخذت مسألة « إشكال الحال » طرفاً كبيراً في مساحة التراجم، والمقصود بهـــا حديث الولي في أدق مسائل الحقائق أو الكلام عن كـــشوفاتٍ جليـــةٍ وأنـــوارٍ وعوارضَ نورانيةٍ ومناماتٍ وغيرِ ذلك تظهر للمرء مع بدايات سلوكه ومع كثرة الصيام والأوراد والعبادات، بحيث تسمو النفس وتصفو من الكثافـــات البـــشرية المعتادة، فتُبْرِزُ هذه الرياضاتُ « أحوالاً مشكلةً عند الناس » لعدم معرفتهم بها .

أما الأولياء والعلماء فلا يجزمون فيها بحالٍ قاطعٍ خشيةَ التلبيس، كما هـــو قول الشيخ سعد الظفاري والشيخ سفيان اليمني في حال الفقيه المقدم، وأضاف صاحب «العقد النبوي» حكاية قال فيها : إن ثلاثةً مـــن الرجـــال اشـــتهروا في

ويبدو أن الإمام الفقيه المقدم استغرقته الأحوال من جهة، وشغله القلق من مجرى الصراع الدموي في ساحة الأمة علـــى المناصـــب

حضرموت، وهم الفقيه المقدم والشيخ عبد اللّه بن إبراهيم قشير، ورجل غريب، وأشكل حالهم على الناس، فسافر بعض المشايخ إلى الغيث ابن جميل وهو إذ ذاك ببيت عطاء، وسأله فقال: أما الفقيه محمد بن علي باعلوي فما وصلنا إلى درجتِه حتى نَصِفَها لك، وأما الشيخ أبوقُشير فرجل صالح، وأما الرجل الغريب فلـــيس على شيءٍ . اهـــ من « العقد النبوي » ص٣٠١ .

وذكر « العقد النبوي » ص٢٧٤ إشارةً بينةً لموقف أحد المؤلِّفينَ المعارضينَ لما ظهر من أحوال الفقيه في بداية سلوكه : « فليت شعري ماذا يقول مـــصنِّف كتاب «تحفة المريد» بما أمد اللّه الشيخ القطب الفقيه محمد بن علي بـــاعلوي في هذه المدة المديدة والعمر الطويل من عظيم المدد في كل نَفَس، وكيف يتجرأ على الفقيه ويَغُضُّ من منصبه الرفيع العلي وشامخ عالي مقامه السامي، ولقد خبط في ذلك خبط عشواء، وجَسُرَ بالكلام وتجرأ » .

وكل هذا الاعتراض والإشكال إنما كان «من باب الخوف والـــشك مـــن التلبيس» في بداية أمر ظهور الأحوال على سيدنا الإمام الفقيه المقدم، ثم لما ثبـــت للمُعارِضِ والموافقِ سلامةُ المنهج وصدقُ التوجه في سلوك ذلك الإمام، وبـــرزت البراهين دالةً بما لا يقتضي الشك أن الفقيه المقدم قد بلغ رتبة اليقين الكامـــل في علمي الظاهر والباطن، وبلغ رتبة الاجتهاد وارتقى بجدارة إلى مرتبة الإحـــسان ؛ سلم له أهل عصره وسار بهم مسيرة الانعطاف الفكري على طريق الفقر إلى اللّه تعالى، وترك دعوة المناصب والرياسات .

والمراتب من جهة أخرى، وخشي من انفلات الأمور في أهله وذويه وبني عمومته إلى تياراتٍ تُفرَضُ عليهم في مجرى الحياة الاجتماعية، فعقد أمراً في نفسه وبدأ يبني فكرتِه ليبرز الأمر إلى مجرى الحياة .

تأسيس المدرسة الصوفية العلوية بحضرموت

كان القرن السادس الهجري يزخر بالعديد من التيارات الفكرية ما بين حقٍّ وباطل، وذلك نتيجةُ ما ولَّدته القرون السالفة من عهد صدر الإسلام حتى ظهور المذهبية في العالم الإسلامي وظهور المدارس الصوفية، وقد بَرَزَ في هذه المرحلة من المذاهب الفقهية مذهبُ الإمام الشافعي بحضرموت ونواحيها، بينما ساد المذهب الزيدي في صنعاء وما حولها، وساد أيضا في حضرموت منهج الأشاعرة في الاعتقاد وضَعُفَ أثر الخوارج ودعوتهم الإباضية .

أما التصوف فقد انتقل عبر مراحلِ تَكَوُّنِه من عصر الصدر الأول من مرحلة الأفراد والشخوص، ليصبحَ مع مطلع القرن السادس فكراً مزاحماً للمدارس المنتشرة في العالم الإسلامي، يحمل أطروحةً فكريةً لها وزنُها في معطيات الأفكار والرُّؤَى والتوجهات .

وتتلخص المدارس الصوفية خلال مرحلة ظهور الفقيه المقدم إلى مدرستين عالميتين :

الأولى : المدرسة الصوفية القادرية في المشرق

وتنتمي هذه المدرسة للشيخ الكبير عبد القادر الجيلاني[1] المتوفى سنة ٥٦١ الذي انتهت إليه الرئاسة في علوم الطريق وشرح أحوال

(١) وهو السيد الشريف القطب عبد القادر ابن أبي صالح موسى جِنْكِي دُوسْت ابن أبي عبدالله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبدالله بن موسى الجَون ابن عبدالله المحض ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وسَلَّمَ .

وُلد سنة ٤٧٠ وقيل سنة ٤٧١ بجِيلان، ودخل بغداد وهو ابن ثمانية عشر سنة، وبدأ الطريق إلى الله متجرداً سائحاً يجاهد نفسه فى العبادات والطاعات بين صيامٍ وقيامٍ وترويضٍ للنفس على أصعب الأمور حتى ظهرتْ عليه آثارُ النورانية وثمرةُ المجاهدات القلبية والقالبية، وحصلت له جملةٌ من الكشوفات .

وكان له أخذٌ تامٌّ في علوم الإسلام فقهاً وعقائدَ وأصولاً وحديثاً وغيرَها على جملةٍ من علماء عصره، منهم الشيخ أبو الوفا علي بن عقيل وأبو الخطاب محفوظ بن أحمد وأبو الحسين محمد ابن القاضي أبي يعلى وأبو سعيد المبارك بن علي المخزومي، واستمع الحديث النبوي من جماعة منهم أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاني ومحمد بن عبدالكريم ومحمد بن علي ميمون وأحمد بن مظفر

القوم . كما انتهت إليه تربية المريدين بالعراق، وتتلمذ له خلقٌ كثيرٌ ولبس منه الخرقة خلائقُ لا يُحْصَونَ، وإليه يرجع جمهور شيوخ اليمن[1] .

وجعفر بن أحمد القاري وعلي بن أحمد الكرخي وإسماعيل بن أحمد الأصفهاني وعبد القادر بن محمد وعمر بن عبد الرحمن وهبة اللّه ومحمد الهاشمي وغيرهم . وقرأ الأدب على ابن يحي زكريا بن علي التبريزي .

وصحب الشيخ العارف باللّه حماد بن مسلم الدَّبَّاس وأخذ عنه علم الطريقة وتأدب به، ثم هيأ اللّه له الظهور وأجرى الحكمة على لسانه، وعَمَرَ مدرسةَ أستاذه أبي سعيد المخزومي ووسعها وتصدر للتدريس بها والفتوى والوعظ، وقصده الطلبة من كل مكان وانتهت إليه تربية المريدين بالعراق،وسُلمت إليه أَزِمَّةُ المعارفِ، فأصبح مرجع العصر وقطب الزمان . وصنَّف كتباً مفيدةً وأملى فوائدَ عديدةً، ولُقب «بإمام الفريقين» و «موضح الطريقين»، وإليه يرجع سند شيوخ اليمن . اهـ بتصرف واختصار عن «شرح العينية» ص٥٥٠ -٥٥٥ الطبعة العصرية، حلب .

(١) قال الإمام أبوبكر العدني ابن عبداللّه العيدروس في كتابه « الجزء اللطيف في التحكيم الشريف » ص١٦ : « فإنه كان الغالب على أهل اليمن ومناسبهم المشهورة انتماؤهم إلى الشيخ عبدالقادر ما خلا الفَذِّ القليل كالسادة الأشراف آل باعلوي وآل العمودي، وسيدي الوالي العارف ذو الأحوال والمعارف القطب الغوث الشيخ جوهر العدني نفع اللّه به، فإن نسبته مما اشتهر إلى الشيخ أبي مدين،وكذلك جد آل بامعبد »، والمناسب جمع منسب وهو طريق اتصال السند.

الثانية : المدرسة الشعيبية في المغرب

وهي المدرسة الصوفية المنسوبة للشيخ الكبير أبي مَدْيَن شعيبٍ[1] التِّلمسانيِّ المغربيِّ المتوفى بتِلِمْسانَ من أرض المغرب سنة ٥٨٠، الذي انتهت إليه علوم القوم ورئاسة طريقهم، وأحد الذين أظهر اللّه بهم فنونَ الحكمة وأسرارَ المعارف في أرض المغرب، أخذ عنه كـثيرون وتخرج به جماعةٌ من الأكابر وانعقد الإجماع على فضله .

---

(١) هو الشيخ الإمام أبومدين شعيب بن الحسن أو الحسين المغربي نسبة إلى جهة الغرب، وكنيته أبومدين، وولده مَدَيَنُ مدفون بمصر، أما هو - أي: الشيخ شعيب - مدفون بتِلِمسان من أرض المغرب، كان أحد أوتاد المغرب وأقطابه وأركان هذا الشان، تخرج به جماعة من الأكابر وتتلمذ له خلائق من أهل الطريق، وإليه تنتسب الطريقة العلوية بحضرموت، أي أنها في أحد أسانيدها الصوفية متصلة به، كما سيأتي في لاحق هذا الكتاب . انتهى عن «شرح العينية» ص٥٦٨ بتصرف واختصار .

وأضاف كتاب « أُنْسِ السَّالِكِين » للسيد باهارون ص٥١٩ فقال : وهو أحد من جمع اللّه له بين علمي الشريعة والحقيقة، فأفتى في بلاد المغرب على مذهب الإمام مالك رضي اللّه عنه،وناظر وأملى، وأخذ عنه جملة من رجال المغرب .

الفقيه المقدم وارتباطه بالطريقة الشعيبية المغربية

لم تكن حضرموت في « هذه المرحلة » بمَعْزِلٍ عن التحولات والأحداث الجارية في العالم الإسلامي، وما يدور فيها من صراع فكري واجتماعي، بل كان واقعُ الزمان وأحوالُه السياسيةُ مُسْهِماً إلى حدٍّ كبيرٍ في ظهور المدارس الصوفية، وهي التي تمثل انعكاساً حتمياً لذلك الواقع ومعطياته، وكما أشرنا آنفاً أنّ ذهنَ الفقيه المقدم قد انقدح بأمرِ ضرورةِ التحولِ المنهجي لما تقتضيه المصلحة اللازمة القائمة، ليس في الواقع الحضرمي فحسب وإنما في العالم الإسلامي كله.

ولم يكن هناك من مخرجٍ ملائمٍ بعد التقصي والدراسة الواعية عند الإمام الفقيه المقدم غيرُ الأخذ بالطريق الصوفي منهجاً أخلاقياً وموقفاً سياسياً أمام المواقف الفكرية الأخرى، ولقد كانت حضرموت في تلك الآونة تزخر بنشاطٍ علميٍّ وعمليٍّ زاخرٍ، وكان الفقهاء والمحدثون والأصوليون هم المتصدرون في منابر العلم والتعليم وعلى المنابر الإسلامية، ولم يكن الفقيه المقدم منعزلاً عنهم بل كان في مقدمةِ تلاميذ الفقيه العلامة الشيخ علي بن أحمد

بامروان جالساً بين يديه وعلى فَخِذِه سلاحُه ؛ حيث كان قلب الفقيه مفعماً بآثار التعبد والمجاهدة في ذات اللّه التي ألزم بها نفسه وأشرقت عليه أنوارها، فكان يزعجه من أقرانه وجلسائه ما يسمعه من خوضٍ فيما لا يعني، ويقلقه طولُ الجدل الفقهيِّ الفَرَضِيِّ المَشُوب بالانفعالات النفسية، ويستشعر الجفاف العلمي في النصوص إذا لم تنعكس سلوكياتُها العليا على أهلها ؛ ولكن الأدب الذي تربى عليه والأخلاق التي تحلّى بها تمنعه من الاعتراض على مثل هذه البشريات، ويكتفي من ذلك كله بشهود الخصوصيات.

ويبدو أن أخبار هذا الإمام ومكانته العلمية والعملية وتوجهاته الفكرية قد بلغت بواسطة المسافرين إلى خارج حضرموت وتحدث الناس بأحواله وشريف أقواله . فما كان من الشيخ الكبيرِ صاحبِ بِجاية الشيخِ أبي مدين شعيب شيخِ الطريقة الصوفية بالمغرب، وهو المطلع على مجريات الأحداث ونشاط المدارس الفكرية في عصره إلا أن دعا أحد كبار تلاميذه وهو الشيخ عبد الرحمن المقعد [1] وأمره

---

(١) ينتسب الشيخ عبد الرحمن إلى الطريقة الصوفية المغربية أخذاً، وأما بلده فحضرموت كما ذكره صاحب «المشرع» (٤:٢) بما مثاله : ثم إن الشيخ الإمام

أن يدخل من المغرب إلى مكة، ومن مكة إلى حضرموت وقال له: «إنَّ لنا فيها أصحاباً، سِرْ إليهم وخُذْ عليهم عقدَ التحكيم ولُبسَ الخِرقة»[1]، وقال فيما قال : « إنك تموت في أثناء الطريق قبل أن

العارف باللّه تعالى شعيباً أبامدين ابن أبي الحسن التلمساني أرشد الشيخ الجليل عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الشهير بالمقعد، وكان من أكابر تلاميذ الشيخ أبي مدين .

(١) يعني بالخرقة « خرقةَ التصوف »، وهي لباسٌ يوضع على المريد، ويرمز إلى تَرَسُّمِ الحامل له بزِيِّ الصوفية والدخولِ في دائرهم، وغرضُها حصولُ البركة وأخذ العهد بالسند المتصل للخِرقة ظاهراً وباطناً، واختلف العلماء في « أصل الخرقة »، فالسيوطي يُشيرُ في استدلالاته على أصلها بما أخرجه البيهقي في « شُعَبِ الإيمان » عن طريق عطاءٍ الخُراساني : أن رجلاً أتى عبد اللّه بن عمر فسأله عن طرف العمامة، فقال ابن عمر: إن رسول اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وسَلَّمَ بعث سرِيَّةً وأَمَّرَ عليها عبد الرحمن بن عوف وعقد لواءً وعلى عبدالرحمن عمامة كرابيس مصبوغة بسواد، فدعاه النبي صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وسَلَّمَ فحَلَّ عمامته ثم عمّه بيده، وأُفَضِّلُ موضعَ أربعَ أصابع أو نحو ذلك، وقال : هكذا فاعْتَمَّ، فإنه أحسنُ وأجمل، قال الإمام السيوطيُّ: فالاستدلال بهذا الإلباس على الخرقة أنسب .

وذكر الإمام أبو بكر العدني ابن عبد اللّه العيدوس في « الجزء اللطيف » بسنده إلى الإمام السَّهْرَوَرْدِيّ في كتابه « العوارف » مسنَداً إلى أم خالد قالت : « أتى النبي صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وسَلَّمَ بهميانٍ فيها خميصة سوداء صغيرة فقال: ما ترون ؟ أنكسوا هذه ؟ فسكت القوم، فقال رسول اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْهِ

تصل إليهم[1] فأرسل إليهم مَن يأخذ عليهم عقد التحكيم ولبس

وعَلَى آلِهِ وسَلَّمَ: ائتوني بأم خالد، قالت : فأُتِيَ بي، فألبسنيها بيده وقال : ابْلَي وأَخْلِقِي، يقولها مرتين، وجعل ينظر إلى عَلَمَين في الخميصة أصفر وأحمر ويقول : ((يا أم خالد.. هذا سناء))، والسناء هو الحسن بلسان الحبشة . اهـ ((الجزء اللطيف)) ص٦-٧، المجموعة العيدروسية، وفيها زيادة إيضاح .

وأضاف في ((الجزء اللطيف)) عن التعريف بالخرقة ص٢٢ قوله : ((وإنما خُصص إلباسُ الخرقة بهذه التسمية - وهي عبارةٌ عن الطاقية والقميص والعمامة والطيلسان وغير ذلك مما يقع به اسمُ لُبْسٍ ويصح عليه حكمُ الإلباس- لأن هذه الأسماء تطلق باشتمال بركته، وأما إشارته فتقع على جميع الملبوسات)) .

(١) يتضح من خلال ضمير الجمع أن الشيخ المقعد مرسلٌ إلى جملة من الناس، ومنهم الفقيه المقدم، وأما الآخرون فسيأتون في سياق الحديث، ومما يستفاد منا عن شخصية ((عبدالرحمن المقعد)) حاملِ رسالة الشيخ أبي مدين أنه حضرمي الأصل والمولد والمنشأ، فلا شك أنه من الأفراد الذين عرّفوا الشيخ أبا شعيب عن حضرموت ورجالها، ومن ثَمَّ اختاره ليكون سفيراً إليهم، وهذا ما يستفاد من قراءة نصوص التراجم حيث لَمّح صاحبُ ((المشرع)) وغيرُه أن أخبار تصوف أهل حضرموت قبل مجيء الخرقة الشعيبية إليهم غيرُ خافيةٍ على علماء المشرق والمغرب آنذاك، بل كانوا على علمٍ بأحوال كلٍّ من الفقيه المقدم والشيخ سعيد بن عيسى العمودي وما كانا يتطلعان إليه من ((شمول النظرة الصوفية)) في الواقع وعدم تمكنهما من ذلك ، مع أن صاحب ((المشرع)) أكد استعدادَ الفقيهِ المقدمِ وانتظارَه لذلك المبعوث المغربي حيث قال : ولما علم الأستاذ بخروج عبد الرحمن المقعد من تلمسان خرج للقائه ثم علم بموته فرجع .

الخرقة » وأعطاه الخرقة وأمره أن يعطيها الأستاذ الأعظم، فلما وصل الشيخ عبد الرحمن الحضرمي المعروف بالمقعد إلى مكة المشرفة حضرته الوفاة، فأوصى الشيخ عبدالله الصالح المغربي، وهو من تلامذته، وأعطاه الخرقة، وقال له : « ستدخل مدينة تريم وتجد الشريف « محمد بن علي » يقرأ على الفقيه علي بن أحمد بامروان، فاعْمَدْ إليه وحَكِّمْهُ وأَلْبِسْهُ هذه الخرقة، ثمَّ اذْهَبْ إلى مدينة ((قِيدون)) إلى الشيخ سعيد بن عيسى العمودي فحَكِّمْهُ)) .

مبعوث الشيخ شعيب في حضرموت

خرج الشيخُ عبدالله المغربيُّ من أرضِ الحرمين الشريفين حاملاً معه آمالَ مدرسةٍ وتَوَجُّهَ أجيالٍ قاطعاً طريقَه من بلادٍ إلى بلادٍ مخترقاً أرض اليمن حتى وصل إلى حضرموت، ولما دخل إلى تريم وجد الفقيه المقدم بين يدي شيخه بامروان، فقال له : أَيُّ جوهرةٍ

وجاء أيضا في المشرع (٢: ٤) : وجاء إلى الفقيه رجل من أهل الشام وقال: ما جئت إلا لأجلك ؛ ولكني وجدت عبد الرحمن المقعد حائما على قلبك، فلو اجتمع أهل المشرق وأهل المغرب أن يفكوه من قلبك ما قدروا، فإذا جاءك فتحكم له .

أنت لو ثُقِبَتْ ؟! فقال الفقيه: وما الثَّقبُ ؟ قال: التحكيم، وأخبره بما أتى لأجله وأعلمه بجميع أمره، فرغب الأستاذ بالانحياز إلى جنابه والانتظام في سلك أصحابه وزهد عن الرياسة والمناصب، ورأى أن حال الفقر إلى اللّه لحاله مناسب .

ومن هذا الحوار والتعليل المثبت بنصه في كتب التراجم يستفاد زهد الفقيه المقدم في كافة مظاهر الحياة الفكرية والسياسية القائمة في الواقع، وشعوره منذ مجيء المبعوث المغربي بلحظة الفرج لإبراز ما كان يعتلج في صدره من تحويل أسرته وجماعته وأبنائه من حالة فكرية واجتماعية إلى حالة أخرى هي أمله ورغبته منذ أمد بعيد، لم ينقصها غير وجود السند الذي يناصره ويدفع معه بالرغبة من الصدر إلى حيز الواقع . لقد كان يوم التحول موقفاً عظيما، وحدثاً جسيما.

قرار التحول ونتائجه

لَبِسَ الفقيهُ المقدم الخرقة، وهي شعار التصوف ورمزه، وأخذ عليه الشيخ المغربي نيابةً عن الشيخ شعيبٍ أبي مدين « العهدَ

والتحكيم »، وانخلع الفقيه عما كان عليه، ولبس لبـــاس الـــصوفية وأعلن موقفه على الجميع (١).

وكانت نتيجةُ إعلانه هذا المبدأ على المجتمع ردّاً عنيفاً من أقرب الناس أثراً وتأثيراً عليه، فقد ذكرتْ كتب التراجم أن شيخه بامروان لما رآه قد تغيرَ عما كان عليه قال له أمام الملأ : « أَذْهَبْتَ نُورَكَ وقد رَجَونا أَنْ تَكُونَ كابنِ فَوْرَك، واخترت طريق التصوف والفقر، وقد كنتَ عَلِيَّ المقدارِ والقَدْر » .

إنها عباراتٌ شديدةُ الوَقع . وكلماتٌ عاتبةٌ أَضَرُّ مِنْ أَثَرِ النَّقْع ؛ لكنَّ الفقيهَ المقدمَ لم يكن في تَحَوُّلِه مِزاجياً ولا عاطفياً، بل لم يكن في هذا الإعلان منطوياً تحت شعاراتِ الحماس المنبعث من وجـــود

(١) كان إعلان هذا الموقف بدايةً جديدةً لمدى قوة « آل البيت النبوي » على اتخـــاذ موقفهم في كل ما يرونه مناسباً لمصلحتهم الدينية والدنيوية، وعـــدم انـــصياعهم للواقع ولا الذوبان فيه ولو كان هذا الواقع يحمل أفضل الوســـائل الفكريـــة في وجهة نظر غيرهم، وهذا ما يؤكد حقيقة قيادتهم للأمة .

والمتتبع لهذا الموقف الذي اختاره الفقيه يجد أنه في موقفه لم يُلـــزم « عِليـــةَ القوم » ولا شيوخ المرحلة باتباعه والانطواء تحت رايته وفكرته،بل اتخذ القـــرارَ لينفصل مع أهله وبني عمومته عن منهجهم الفكري بأدبٍ ولُطف .

النصير أو المساند، وإنما كان يتصرف بتُؤَدَةٍ ووَعْيٍ وصِدْقِ تَوَجُّهٍ وتَثَبُّتٍ، ولهذا رد على شيخه بامروان بقوله:

« الفقرُ فخري وبه أفتخر، وبه على النفس والشيطان أنتصر، ولا أتباعد عنكم إعراضا، ولا تَبَدَّلْتُ بكم مُعتاضا »، إنه أول نَفَسٍ صُوفيّ يُعلن به الفقيهُ موقفَه، ويعطي لشيخه ما يجب عليه من الانطواء والتأدب، ويُبرزُ أيضاً تعليلَ أخذِه لمبدأ التصوف المعلن ؛ لكنَّ الفقيه بامروان لم يعجبه موقف الفقيه المقدم وتحوله المعلن فأعرض عنه وهجره إلى أن مات[1].

(١) جاء في « المشرع » و« الغرر » وغيرها من كتب التراجم حول « مصالحة الفقيه لبامروان وتسامحه منه » قصةٌ تُشير إلى « التقائهما في منارة الجامع عشيةَ وفاةِ بامروان وكان مؤذنُ المسجد حاضراً، فسمع الكلام بين الفقيه المقدم وبين الشيخ بامروان الذي تمثلت روحه للفقيه بعد موته »، ونحن نؤمن بالكرامة ونصدقها إلا أننا هنا لم نُثبِتْها برُمَّتِها . لأنه من الجانب الشرعي الظاهر لا يُبنى عليها حكمٌ معيَّن ؛ ولأن موافقة الفقيه بامروان كانت لازمةً وضروريةً في حياته، أَمَا وقد مضى الفقيه المقدم في طريقه و لم يأخذ بالاً بإعراضِ شيخه حتى مات فلا يترتب على الاعتذار والموافقة شيءٌ جديدٌ في سير الطريق ذاتها، وإنما يترتب عليه جانبٌ أدبيٌّ أخلاقيٌّ بين مريدٍ وشيخِه .

ومنذ تلك اللحظة بدأ الفقيه المقدم يضع الأساسات العملية لمنهجه ورؤيته التي كان من قبل يفكر فيها، بينما توجه المبعوث المغربي إلى وادي دوعن ليكمل رسالته التي وكل بها .

وقد اختلفت الروايات في أسماء الأشخاص اللذين أخذ المغربي عليهم العهد والتحكيم بوادي دوعن . فالذي ذكرته غالب التراجم ومنها « المشرع » و«الغرر» أنَّ المغربيَّ اتجه إلى قَيدون وعمل مع الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ما عمله مع الفقيه المقدم من أخذ العهد والتحكيم ولبس الخرقة، وأجمعت كافة التراجم على ذلك ، ثم اختلفت في تحديد بقية الأفراد الذين أخذ عليهم العهد فقيل : إنه التقى بالشيخ باحمران صاحب ميفعة والشيخ باعمر صاحب عُورَة فأدخلهما في سلك التصوف [1] .

---

(١) ذكر صاحب « عرائس الوجود ومرآة الشهود » – مطبوع – فوائد مهمة، فقال بعد أن ذكر أخذ الشيخ المغربي العهد والتحكيم على الفقيه المقدم : ثم اتجه إلى وادي دوعن وسأل عن الشيخ سعيد العمودي، فدُلَّ عليه بناحية قيدون يرعى الغنم، فذهب إليه وأخذ العهد عليه، وألبسه خرقة التصوف، ثم بقي الشيخ المغربي يتنقل في الوادي لنشر الطريقة وعلومها، واختار السكنى بقرية «أصبعون» بوادي دُوعن، وتزوج وأنجب بناتٍ أنشأهنَّ نشأةً صالحة، ولما حضرته الوفاة أرسل إلى كبار مشايخ الطريق الذين أخذ عليهم العهد والتحكيم فجاؤوا إليه وسألوه أن

وجاء في رسالة «الجزء اللطيف في التحكيم الشريف» للإمام أبي بكر العدني ابن عبد اللّه العيدروس ص٢٢٢ من المجموعة العيدروسية ذكر الشيخ بامعبد دون غيره فقال :

الشيخ العفيف عبد اللّه الصالح المغربي وهو الذي أرسله «أبومدين» من أقصى المغرب لتحكيم ثلاثة أولياء أكابر بأرض حضرموت، وقال لهم أنتم ثلاثة جواهر لم تُثقب منهم الفقيه المقدم،

يستخلف من بعده شيخاً يرجعون إليه، فسكت طويلا ثم قال : شيخكم بعدي صاحب السبحة، وقد جعلت ميراثي بينكم أرباعا، وكان ميراثه سبحة وعكازا وقِدْراً ومشعلاً وحبوةً وبسطةً ودلقانا، وأوصى أن يكون الشيخ سعيد وليَّ أمر بناته من بعده، فكان الأمر كذلك، ولما توفي الشيخ المغربي قُسمت التركة بين الحاضرين من مشايخ الطريق فجاءت القسمة على النحو التالي :

١- العكاز والمسبحة للفقيه المقدم .
٢- القدر والمشعل للشيخ سعيد بن عيسى العمودي .
٣- الحبوة والبسطة للشيخ باحمران صاحب ميفعة .
٤- الدلق للشيخ باعمر .

وبهذه القسمة صار مرجع الجميع وشيخهم الإمام الفقيه المقدم، وصار هو أيضا واجهة التصوف ومؤسسه في الوادي، وأعانه الشيخ سعيد بن عيسى العمودي وصار منطويا فيه . انتهى . نقل بتصرف من «ترجمة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي» لكاتب الترجمة، مطبوع ضمن هذه السلسلة.

وهو جد آل أبي علوي المتوفى سنة ٦٥٣، ومنهم الولي كمال الدين الشيخ سعيد بن عيسى العمودي المتوفي سنة ٦٧١، ومنهم الشيخ محمد بامعبد، وهو جد آل بامعبد [1] .

وهؤلاء الشيوخ الذين ارتبطوا بالطريقة الشعيبية المغربية بدأت مدرسة التصوف تشق طريقها في وادي حضرموت، إلا أن طبيعة التربية التي نشأ عليها هؤلاء الشيوخ وخاصة الفقيه المقدم والشيخ سعيد جعلت من تصوفهم تصوفاً خاصاً غيرَ متأثرٍ بالمنهج

---

(١) الشيخ محمد بامعبد تَرْجَم له صاحبه « طبقات الخواص » ص٣١٢ ولم يشر إلى أخذه عن الشيخ الصالح المغربي، وكذلك ذكره كتاب « أُنس السالكين في مناقب الصالحين » للسيد باهاورن ص٤٥٠ بما مثاله : الشيخ الكبير صاحب السر الغزير محمد بامعبد، له كرامات ظاهرة، وأحوال باهرة، أذن له الشيخ سعيد العمودي أن يحكم لنفسه دون باقي المشايخ إلخ، وهذه العبارة تدل على أن الشيخ بامعبد من الآخذين على الشيخ سعيد بن عيسى العمودي . انتهى .

وفي ص٤٥٥ ذكر أنه سكن موضعاً يقال له رضوم وتوفي سنة ٧٢٠، وأما الشيخ باعمر « صاحب عورة » فقد ذكره « أنس السالكين » ص٤٦٤ مخطوط بما مثاله : الشيخ باعمر صاحب عورة، له كرامات كثيرة وبركات غزيرة، وهو وأبوه أول من حكمه الشيخ عبد اللّه الصالح وقت أن جاء إلى حضرموت .

الشعيـــبـــي ولا بغيره في كثير من المسائل والأمور ، وهـــذا مـــا يؤكد تَفَرُّدَ مدرسةِ حضرموت عن غيرها من المدارس .

وقد يتساءل المرء إذا كان الحال كذلك فما فائدةُ ارتباط الفقيه المقدم والعمودي وغيرهم بالشيخ شعيب أبي مدين بواسطة المغربي؟

والجواب الملائم هو أن الفقيه المقدم لم بكن بحاجـــة إلى منـــهج يوجِّهُه ويهديه عندما اختار التصوف وسلكه منذ بدايته، وإنما كان محتاجاً إلى سندٍ اجتماعيٍّ وجِهَةٍ عالميةٍ تُؤيد إعلانه لمنهجه وفكرتـــه بين أنداده وأقرانه من أهل عصره، وقد وجدها في ظـــل تـــزاحم المدارس والنحل، فأعلن صوفيته ؛ ولكنْ بنَفَسٍ عَلَـــوِيّ وســـلوكٍ سَلَفِيٍّ نبويّ .

كتب السيد العلامةُ المؤرخ محمد بـــن أحمـــد الـــشاطري في «الأدوار» (٢: ٢٥٤): وهكذا انتشر التصوف بحضرموت فيما بعد ولكن بصورةٍ مهذبةٍ منتقاةٍ وبعيدةٍ عن الغلوِّ ومجانبة الشرع.

وكتب السيد العلامة المؤرخ صالح بن علي الحامد في «تـــاريخ حضرموت»:

لم يكن التصوف بحضرموت مبالغاً فيه ولا على أسلوبٍ رَهبانيٍّ جامد بالغِ الجمود كشأنه في بعض الجهات الأخرى، وإنما كان تصوفاً وسطاً . فمع كونه يدعو إلى الزهادة في مقام الحياة الدنيا وشهواتها، فهو لا ينهى عن اتخاذ الأسباب والعمل بلزومات الحياة والتمسك بالفقه .

وهذا هو التفرد الذي توارثه العلويون وأقرّ به الأحفاد اللاحقون.

وكتب السيد صالح الحامد في « تاريخ حضرموت » : إن أجدادنا الصوفية لم يكونوا كما قد يظن بهم من التخلي عن الأسباب وترك السعي على العيال، بل كانوا بخلاف ذلك، إذ لم يمنعهم التصوف من عمارة واديهم بالزراعة وغرس النخيل حتى صار في تلك العهود جناناً غَنّاء، فقد روى الثِّقات من المؤرِّخين أن الأستاذ الفقيه المقدم كان هو المثل الأعلى في ذلك، كان « يرزُم » أي : يملأ من التمر ثلاثمئة وستين زيراً كل عام من التمر الفاضل عما يُستهلك أيام الرُّطَب، وينفق هذه التمور بعد ذلك على الفقراء وذوي العسرة .

وكتب أيضاً السيد محمد أحمد الشاطري عنهم ما مثاله:

فالعلويون صوفيةٌ إلا أن تصوفهم لم يشغلهم عن إدارة شؤونهم الاجتماعية فضلاً عن العائلية، كمَن نُسب إليه التصوف من الصحابة والتابعين . والعلويونَ صوفيةٌ زُهّادٌ ولكنَّ زُهدَهم لم يمنعهم عن جمع الأموال الطائلة من طُرُقِها المشروعة لإنفاقها في طعامِ الضيف وإكرامهم وفي بناء المساجد والأوقاف عليها وفي بناء السقايات والمَبارد، وفي إقامة المطابخ والزوايا وفي نشر العلم والدعوة إلى اللّه وإصلاح ذاتِ البَينِ والتصدق على المحاويج [١].

لقد أرسى الفقيه المقدم للأجيال اللاحقة « منهجَ عِلمٍ وعَمَلٍ تفرَد به الجميع عن مدارس الواقع والخارج جمُلةً وتفصيلاً، يؤيد هذا القول ما كتبه الإمام الحداد عن طريق السلف في مكاتباته فقال: وأما طريقُنا فلا يحتاج من حيث الإجمال إلى شرحٍ، وإنما هي في الكتاب والسنة والاقتداء بالسلف الصالح لا غير . وبهذه الجملة تفصيلٌ يطول، ولو وجدنا مَن صَدَقَ في طِلْبَتِه ورغبتِه وجِدِّهِ وتشميرِه كما ينبغي من أهل هذا الزمان كنا شرحنا لهم على التفصيل وبيّنّا ما يَخُصُّ منها وما يَعُمّ، وما هو الأولى بالبعض وما هو الأولى بغيره » .

---

(١) محاضرة « سيرة السلف » للحبيب محمد بن أحمد الشاطري ص٢١ .

ونرى فيما كتبه أهل التراجم عن سيرة الفقيه المقدم خلال هذه المرحلة خيرَ شاهدٍ ومقالٍ على التوجه السليم والمقصد الحكيم الذي اختاره هذا الإمام، فقد جاء في ترجمته ما مثاله : كان مجتهداً كـــل الاجتهاد في طاعاته وعباداته، يشغل نهاره بالتدريس مع صـــيامه، ويقوم في الأسحار مواظباً على قيامه سراً وجهراً، إذا ما ختم ختمةً شرع في أخرى، وكان يتعبد الزمان الكثير في شعب النُّعَير[1] .

واتفق أن ولده أحمد تبعه في إحدى الليالي، فلما وصل الوادي ذكر الفقيه اللّه بلسانه وجهر فردَّدَ صدى الذِّكرِ للّه تعالى كلُّ ما في الوادي من شجرٍ وحجرٍ فخَرَّ الولد مغشياً عليه حتى رجع أبوه إليه »[2] .

---

(١) هو شِعْبٌ خارج مدينة تريم .

(٢) المشرع الرَّوِيّ (٢ :٣) .

زي الفقراء وكسر السيف

بدأ الفقيه المقدَّم منذ إعلان صوفيته يوجِّهُ هِمَّةَ أبنائه وأتباعه إلى الاهتمام بالعلم والعمل وتصفية النفس وكَبْحِ رعوناتها، وشحذ الوجدان بالذوق السليم المنبعث من كثرة التلاوة والقيام والصيام وإطعام الطعام للفقراء والأرامل والأيتام، وكسر سَوْرَةِ الشهوات بالمجاهدات والابتعاد عن أهل الجاهات والرياسات مع النصح لهم بالتي هي أحسن، ومخالطة البسطاء من العوام وتلبية حاجاتهم ونصحهم وإرشادهم ودعوتهم لذكر اللّه تعالى في السر والعلانية، وبث روح التحابب والمودة فيما بينهم من صلة الأرحام والقيام بحقوق الجيران وزيارة المريض وتشييع الجنائز والزيارات في ذات اللّه، وعقد حلقات الذكر والاجتماع لها، والتصدر لنشر العلم والدعوة إلى اللّه تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة في المدن والقرى والوديان والجبال، وخاصة عند حَمَلَة السلاح.

ولم تكد الناس تألف هذه المعاملات الأخلاقية وتتأثر بها وتلتف حول داعيتها في مجالس السكينة والاطمئنان، حتى أعلن الفقيه المقدم أمام الناس قراراً جديداً وموقفاً سديداً، كان اتخاذ هذا القرار الحاسم إحدى ثمرات نجاح الدعوة الصوفية المعلنة في واقع الجاهات

والرياسات، وخاصة بعد أن قدم الشيخ سعيد بن عيسى العمـــودي إلى تريم وشد من أزر الدعوة ووطَّد لهـــا وادي دوعـــن ونواحيـــه الأخرى، ووضع يده في يد الفقيه المقدم وانطوى فيه وتأدب له أمام الخاص والعام، واتفقا معا على قرار الحسم الجديد . وكان هذا القرار مكمِّلاً للموقف الأوَّل ومتمِّماً له.

كتب السيد المؤرخ علي بن حسين العطاس في كتابـــه « تـــاج الأعراس »[١] (٢: ١٩٩):

فائدة: اعلم أن سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي إنما تَزَيّا بزيّ الفقراء وترك حمل السلاح الظاهر لأمور:

منها: أنه دعا لأولاده بأن يكونوا من أهل المقامات والأحـــوال بالسلاح الباطن الذي هو البرهان المبين الحاضر المعبر عن نفـــسه « بسيف القدرة » فأصبحوا هم الملوك وهم أهل الشوكة والحمايـــة، وقد أشار الشاعر بقوله :

مُلُوكٌ على التحقيقِ ليس لِغَيرِهِمْ   مِنَ المُلْـــكِ إلا إسْمُـــهُ وعِقابُـــهُ

---

(١) كتاب مطبوعٌ طبعةً حجريةً مكونٌ من جزئين موضوعه ترجمةٌ شـــاملةٌ للحبيـــب صالح بن عبدالله العطاس (ت ١٢٧٩) وتراجم شيوخه وعلماء وقته وبعـــض أحداث عصره .

الأمر الثاني: أن اللّه سبحانه وتعالى أطلعه على أنهم سوف يكثرون بالجهة الحضرمية، ودولتُها وقبائلُها وأهلُ الشوكة فيها على غير قانون الشريعة، فإنهم يقتلون البريءَ بالجرم ويأخذون مال البريء بذنب غيره، حتى إني رأيتُ أمرَ السلطنة والقبولة من المشقاص إلى الطرية ومن الساحل إلى مأرب جميعَه مبنّياً على نار جهنم(١) لأنه مخالف قانون الشريعة وموافق لأمر الجاهلية الجهلاء،

---

(١) هذه العبارات التي نقلها الحبيب علي بن حسين العطاس يبدو أنها منقولة من كلام الحبيب علي بن حسن العطاس في كتابه «الرياض المونقة» مخطوط ص٣٢، وفيها زياداتٌ مفيدةٌ ننقلها هنا إتماماً للفائدة، قال رضي اللّه عنه : نظرتُ في قَبْوَلَة قبائل أهل الجهة الحضرمية المعروفين بين حدودها المرسية من الساحل إلى مأرب من المشقاص إلى الطرية فإذا هي مؤسسةٌ على النار، وذلك بأنهم إذا قتل إنسانٌ إنساناً بادر أهل المقتول بطلب ثأرهم، فمن وجدوه من أهل القبائل قتلوه، وهذه الطريقة أَعظم من طريقة الجاهلية لأن الجاهلية يقتلون النفس بالنفس، ولهذا الخطر العظيم والمورد الوضيم ترك سلفنا وساداتنا آل باعلوي حمل السلاح فيها، فجزاهم اللّه خيراً لا سيما سيدُنا الفقيه المقدم الذي هو في كل خيرٍ مقدَّم.

قلتُ : وهذا الحال الذي أشار إليه المؤلف من خطر حمل «آل البيت» السلاحَ بنواحي تلك البلاد قد حصل عِياناً، ففي كثيرٍ من مناطق جنوب اليمن قُتل أبناء المهاجر في معارك مع البادية بسبب حمل السلاح، وفي حروب أخرى جرت حروب طاحنة بين «آل البيت» أنفسِهم لما جاوَرُوا البداوة وتقلدوا مثلَهم

فلو حمل السلاح أولادُ سيدِنا الفقيه المقدم في حضرموت لكان منهم لأنفسهم الهلاكُ، ولصاروا أعظمَ ذنباً من غيرهم كما وقع فيه مَن خَلَفَ سيدَنا الفقيه من أولاده وذويه.

الأمر الثالث: أن آخر هذا الزمان المشار إليه بتراكم الفتن والمأمور فيه بكسر السيف نصاً من جد الحسن كما صح في «صحيح مسلم» قوله صلى اللّه عليه وآله وسلم : « ستكون فِتَنٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خيرٌ فيها من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، ومَن تَشَرَّفَ لها تستشرفْه، ومَن وَجَدَ منها مَلْجَأً فلْيَعُذْ به » وفي رواية : « تكونُ فتنةٌ النائمُ فيها خيرٌ من اليقظان، واليقظان فيها خير من القائم »، إلى أن قال صلى اللّه عليه وآله وسلم : « يعمد إلى سيفه فيَدُقُّ على حَدِّه بِحَجَر »، قال الإمام محيي الدين النووي في « شرح صحيح مسلم » :

أما قوله: « مَن وَجَدَ ملجأً »، أي عاصِماً أو مَوضعاً يلتجئ إليه ويعتزل فيه « فلْيَعُذْ به » أي: فليعتزل فيه، وأما قوله صلى اللّه عليه

الأسلحةَ مع الجهل وترك العلم، وعاشتْ أجيالٌ منهم في بلاد العوالق وغيرها على العداوة والأخذ بالثأر والتربص ببعضهم البعض.

وآله وسلم : « القاعدُ فيها خيرٌ من القائم » إلى آخره، فمعناه بيانُ عظيمِ خطرها والحثُّ على تجنبها والهرب منها ومـــن التـــسبب في شيء منها، وإن شرَّها وفتنتَها تكون على حسب التعلق بها، وأمـــا قوله صلى اللّه عليه وآله وسلم : « يَعْمَدُ إلى سيفِه فيدقُّه على حدِّه بحجر » فالمرادُ كسرُ السيف حقيقةً على ظاهر الحديث لِيَسُدَّ علـــى نفسه بابَ هذا القتال، وقيل هو مجَازٌ والمُراد ترك القتـــال، والأول أصح .

الشيخ سعيد بن عيسى العمودي

نتقل في تعريفنا لهذا الفصل ما قد تيسر لنا جمعه بفضل اللّـــه في كتابنا ((ترجمة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي)):

اشتهر بين الناس إطلاق تسمية خزانة آل باعلوي على المـــشايخ آل عمودي منذ أن تم الاتحاد الروحي بين العَلَمينِ الشهيرين حاملَيْ لِواءِ الطريقة الصوفية بحضرموت كلها.. الإمام والأستاذ الأعظـــم الفقيه المقدم والشيخ المبجل المكرم سعيد بن عيسى العمودي، وبهذه الألفة الروحية والتحابب الذوقي في ذات اللّه تعالى صـــار الـــشيخ

سعيد بن عيسى رافداً وسنداً لقراراتِ ومواقفِ سيدِنا الفقيه المقدم، بل كان الشيخُ سعيدٌ الرافدَ الأساسيَّ والمعادلَ المكملَ لتنفيذِ سيدِنا الفقيهِ المقدمِ قرارَه الحاسمَ « بكسر السيف » كرمزٍ للتحولِ من مظاهرِ الحياة الاجتماعية السائدةِ في ذلك العهد، إلى طريق الخمول وترك الرياسات، والاعتناء بديلاً عن السيف بالعلم والعمل أساساً للفكرة الجديدة التي اصطبغ بها تَوَجُّهُهُ الروحي.

ويعود أساس التنمية كما ذكرها كتاب « الشامل في تاريخ حضرموت»[1] إلى ما صار إليه – أي : إلى الشيخ العمودي – من تراث الفقيه وسره وما حازه ببركة صحبته حتى قال الحبيب جعفر بن أحمد الحبشي في قصيدة مدح فيها الشيخ سعيد:

فِيهِ مَكْنُونُ سِرِّنا آلِ علوي   أَخبَرَتْنا بِذا الثِّقاتُ شِفاها

(١) « الشامل في تاريخ حضرموت » كتابٌ تاريخيٌّ عامٌّ للسيد علوي بن طاهر الحداد طُبِعَ مرةً واحدةً ولم تَكْمُلْ طباعته، وضاعتْ كثيرٌ من أوراقِه خلال الطبع خصوصاً في وسط الكتاب وآخره وذلك بسبب الحرب التي أشعلها الهولنديون في جاوه، وكان الكتاب آنذاك تحت الطبع واستطاع البعض أن يحتفظ منه ما بقي إلى الآن.

ولا يعني هذا أن الفقيه المقدم قد نـــزع بـــالعلويين إلى الجهـــل والضَّعَة عندما أخذ بهذا الطريق كما يَظُنُّ بعض الأحفاد، وإنما كان للفقيه هدفان أساسيان : أحدهما سياسي، والآخر ديني واجتماعي.

فالهدف السياسي لخّصه لنا السيد المؤرخ محمـــد بـــن أحمـــد الشاطري في «أدوار التاريخ» فقال : كـــان الحُكّـــام الـــسياسيون بحضرموت في عصره وفيما قبلَه ينظرون إلى العلويين نظرةً ينافسون فيها عليهم المكانةَ التي يحتلونها في القلوب ويَخْشَونَ من شـــعبيتهم على مُلْكِهم فيُحيطونهم بسياجٍ من الرقابة ويضيقون عليهم الخناق، وهو نفس ما جرى ويجري مع آبائهم وإخوانهم العلويين من بـــني أمية وبني العباس والحكام الآخرين، وقد عرف الفقيه المقدم بنفسه كلَّ ذلك في أسرته، فقد اضطُرَّ جدُّه صاحبُ مِرباطٍ إلى الهجـــرة نتيجةَ تلك المضايقة، كما شاهد بنفسه ما لاقاه عمه علوي شـــقيق أبيه من آلامِ السُّمِّ الذي دَسَّه له حاكمُ تريمٍ القحطاني.

ولهذا فإن تَقَلُّدَ السلاحِ معناه إذ ذاك في نظر الآخرين المسلحين الاستعداد لهم والمقابلة، ولا بد من الاصطدام يوماً بين القِرْنِ وقِرنِه ثم بين الأبناء كما بين الآباء عداوةٌ متوارثةٌ وأخذٌ بالثأر مستمرٌّ كما هو واقع بين القبائل. فرأى الفقيهُ المقدمُ البعيدُ النظرِ القضاءَ علـــى

الشر من جذوره، واختيارَ طريقةِ التصوف المعتدل، وحَمَلَ بيده العُكّازَ الذي يرمز إلى التصوف بدلاً عن السيف الذي يرمز وقتئذ إلى النهب والسلب والإجرام وطلب الحكم والثأر والانتقام[1].

وأما الهدف الديني والاجتماعي فهي كما بينه المؤرخ الشاطري أيضا في «الأدوار» بقوله:

مما أجمعتْ عليه المصادرُ أن الفقيه المقدم نزعَ السلاح بل وكسر سيفه، ودعا قولاً وعملاً إلى نزعه ليقضيَ على القَبَلِيَّة، وبرهنَ فعلاً على وجوب التعايشِ السلميِّ والأخوَّةِ الإسلامية والمذهبيةِ والوطنيةِ بين قبائل الشعب وقطاعاته، وعلى أن سلاح العلم والإيمان والأخلاق هو أقوى الأسلحة في المجتمع وأمضاها في قيادة الأمة وتوجيهها إلى حياة السعادة والخير والتقدم[2].

ومن هذا المضمار الحيوي كان موقف الفقيه المقدم موقفاً هاماً ومصيرياً شجاعاً، وكان أيضا موقفُ الشيخ سعيد بن عيسى

(١) «أدوار التاريخ» (٢: ٣٠٤-٣٠٥).

(٢) المصدر السابق (٢: ٣٠٤).

العمودي في مساندة القرار لا يَقِلُّ شجاعةً وأهميةً عن صاحب القرار ذاته.

وتشير كتب التاريخ أن أجزاء السيف المكسور لا تزال محفوظةً منذ ذلك الحين لدى المشايخ «آل العمودي» مع بعض آثار الفقيه الأخرى التي آلَتْ إلى الشيخ بوصيةٍ من الفقيه المقدم عند وفاته كما هي عادة الصوفية في مرض الموت يوصون لأبنائهم ومريديهم بشيءٍ من اللباس وغيره إشارةً للوراثة عنهم والخلافة، ولا زالت هذه البقايا والآثار محفوظة في «قيدون» إلى اليوم تحت رعاية القائمين على مقام وزاوية الشيخ سعيد بن عيسى العمودي[1] من أحفاده.

---

(١) سُمي الشيخ سعيد بالعمودي بعد أن حمل راية التصوف في الوادي، والذي يظهر أن آل باعلوي في ذلك العصر أطلقوا عليه التسمية تشريفاً له خلال إحدى زياراتهم لشعب نبي اللّه هود، وإلى ذلك تشير قصيدة الإمام عبدالرحمن بن علي بن أبي بكر السكران في قوله :

والشيخ سعيد قد أسقي عند النبي هود   وتسمى بالعمود

أما صاحب كتاب «عرائس الوجود ومرآة الشهود في ترجمة الشيخ سعيد» فقد أشار إلى أنه لُقِّب بالعمودي لما كان رحمه اللّه مكثراً للصلاة ومحافظاً عليها؛ إذ هي عماد الدين وأفضل قُرَبِ العبد في حضرة المناجاة، بل ورد في الحديث: «رأسُ الأمر الإسلامُ وعمودُه الصلاة»، فسمي الشيخ سعيدٌ لذلك عمودَ الدين

أسانيد الاتصال.. وسلسلة الوصال..

من أهم ما يعتني به رجال العلم عموماً مسألة الأسانيد، وهي أساسُ بلوغِ حقيقةِ العلمِ وصورتِه من جيل إلى جيل، وكل علمٍ لا يستند على تسلسلٍ في الأخذ والرواية يُعَدُّ علماً مبتورا، ولهذا كان سلفنا الصالح على غايةِ الاهتمام بأنسابهم وأسانيدهم .

والأسانيد عند السلف وسيلةٌ لمعرفة الأصل والمنشأ الذي يتصل به العالِم أو المحدث أو الأصولي أو الصوفي، وهي أيضاً مَلْحَظُ أمانٍ وتَثَبُّتٍ من خطر التخبط والإفك الذي يُدخله الكاذبون في عقول الناس باسم العلم ورجاله، ومن لا سَنَدَ له لا علم له ولو كان من أكثر الناس اطلاعاً ومعرفةً .

ومن هذا المنحى اعتنى السلف بأسانيدهم الخاصة وأسانيدهم العامة في كل الفنون[1] .

من حيث اصطلاح أهل الجهة بنقل ((العماد)) إلى ((العمودي)) .

(١) اعتنى بعضُ السلف بحضرموت بجمع الأسانيد وطرق الرواية في كل ما يتعلق بالقرآن والحديث والسيرة والتصوف وغيرها عبر طبقاتهم، ومن أهم المؤلفات المتوفرة في هذا العلم ((البرقة المشيقة في أسانيد الطريقة)) للسيد الشيخ علي بن أبي بكر السكران (ت ٨٩٥) مطبوع، و((الجزء اللطيف في التحكيم الشريف)) للسيد أبي بكر العدني العيدروس (ت ٩١٤) الذي نقلنا عنه في هذا الكتاب مطبوع، و((السلسلة

العيدروسية)) والمسماة أيضا ((الطراز المعلم)) للحبيب شيخ بن عبدالله العيدروس (ت ٩٩٠) مخطوط في ثلاثة مجلدات ضخام، وكذلك ((النفحة القدوسية بواسطة البَضعة العيدروسية)) للسيد محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥) جمع فيها أسانيد شيخه السيد عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس (ت ١١٩٢) بعد أن أشار عليه بذلك مخطوط، ومثله ((فيض الأسرار)) للشيخ عبدالله بن أحمد باسودان (ت ١٢١٣) مخطوط، وثبت الحبيب شيخ بن محمد الجفري (ت ١٢٢٢) ((نتيجة أشكال قضايا مسلك جوهر الجواهرية)) مخطوط، والثبت الحفيل ((كنز البراهين)) له أيضاً مطبوع، وثبتُ المسند الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي (ت ١٣١٤) المعروف ((بعِقد اليواقيت الجَوهريّة))، مطبوع، ومثله له ((عقود الآل في أسانيد الرجال)) مطبوع، وكذا ((منحة الفتاح الفاطر في أسانيد السادة الأكابر)) مطبوع، وكذلك الثبت البديع ذي الدوائر والمشجرات ((العقود اللؤلؤية)) للسيد الحبيب أبي بكر بن شهاب (ت ١٣٤١) مطبوع، وثبتُ المسند الحبيب محمد بن سالم السري (ت ١٣٤٦) مخطوط، وأيضاً ((العقد الفريد في ضبط وتقييد ما وصل إليه الإمام شيخ الإسلام الحبيب أحمد بن محسن الهدار (ت ١٣٥٧) صاحب المكلا من الأسانيد)) للحبيب عبدالله بن أحمد الهدار مطبوع، وثبت الحبيب محمد بن حسن عيديد (ت ١٣٦١) - ذكر فيه شيوخه الذين قاربوا الأربعمئة - ((تحفة المستفيد في من أخذ عنهم محمد بن حسن عيديد)) مخطوط، وكذلك ((منحة الإله في الاتصال ببعض أولياه)) للمسند الحبيب سالم بن حفيظ (ت ١٣٧٨) في طريقه للطباعة، وغيرها مما لا زال رهين الخزائن الخاصة يسر الله من يقوم بإخراجها .

وبالنسبة لأسانيد «خرقة التصوف» فقد وصلت إلى سيدنا الإمام الفقيه المقدم من طريقين ذكرها صاحب «العقد النبوي»[1] بما مثاله:

واعلم أن النسبة المذكورة المباركة للشيخ المشهور، الفقيه المذكور، في لبس الخرقة الشريفة، لها طرقٌ كثيرةٌ من جهة الكسب والظاهر، وطرقٌ كثيرةٌ من الإشارة والكشف الباهر، فمن طرقه من جهة الكسب المعتاد أنه لبس الخرقة من طريقين:

الطريق الأول: هو الطريق الذي لم يُشهر، وهو أن الفقيه تأدب بأدب أبيه الشيخ علي، وهو تأدب بأبيه الشيخ الإمام المحقق والحبر المدقق الشيخ محمد المقبور «بمرباط ظفار» القديمة ابن الشيخ علي، والفقيه محمد هو من مشايخ الشيخ سعيد بن علي والشيخ علي بن عبدالله الظَّفاريّانِ في علم الشريعة، والشيخُ الإمامُ صاحبُ مرباط المذكورُ[2] تأدَّبَ بوالدِه الشيخِ الشريفِ السُّنيّ عَلَويٍّ ابنِ الشيخ علوي الشهير بخالعِ قَسَم، والشيخُ علوي بنُ محمدٍ تأدَّبَ بأبيه الشيخِ الشريف محمدِ بن عَلَوِيّ، والشيخ محمد بن علوي ابن الشيخ

---

(١) «العقد النبوي» ص٢٧٩ .

(٢) وقد ترجمنا للإمام صاحب مرباط ضمن هذه السلسلة.

عبداللّه تأدَّبَ بأدب أبيه الشيخ الحبيب النسيب السُّنِّي عَلَوِيِّ ابـــن الشيخ عُبيدِاللّه ابن الشيخ أحمدَ، والشيخ علوي بنُ عُبيداللّه تـــأدَّب بأبيه الشيخ الولي عُبيداللّه ابن الشيخ أحمد بن عيسى، والشيخ عبيد اللّه [1] تأدَّب بوالده الشيخِ الكبير أحمد بن عيسى، وأحمد بن عيسى هذا، هو الذي خرج إلى حضرموت من البصرة، والشيخ أحمـــد[2] تأدب بأبيه الشيخ عيسى بن محمد ابن الإمام علي العُريـــضِي ابـــن جعفر الصادق، والشيخ عيسى تأدب بوالده الشيخ محمد بن علي، والشيخ محمد بن علي تأدب بأبيه الشيخ نور الدين علي العريضي، والإمام العريضي تأدب بأدب والده الإمام محمد الباقر، ومحمد الباقر تأدب بوالده الإمام علي زين العابدين، والإمام علي زين العابـــدين تأدب بوالده سبط الرسول نجل البتول الشهير الإمـــام الحـــسين، والإمام الحسين تأدب بوالده أمير المؤمنين علي كرم اللّه وجهـــه، والإمام علي تأدب بالنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، والنبي صـــلى اللّه عليه وآله وسلم يقول : «أَدَّبني رَبِّي فأَحْسَنَ تأديبي».

---

(١) وقد ترجمنا له مع أبنائه الثلاثة: بصري وعلوي وجديد ضمن هذه السلسلة.

(٢) وقد ترجمنا له ضمن هذه السلسلة.

الطريق الثاني: وهو الطريق المشهور، فإن الشيخ الفقيه المقـــدم لبس الخرقة الشريفة من رسول الشيخ شعيب أبي مـــدين بإذنـــه، والشيخ أبو مدين أخذ الخرقة من الشيخ أبي يعزى، وأخذ الـــشيخ أبويعزى عن الإمام أبي الحسين علي بن حِرْزِهِم، وأخذ أبو الحسن المذكور عن الإمام القاضي أبي بكر محمد بن عبدالله بـــن عـــربي المَغافِرِيّ، وأخذ القاضي المَغافِرِيّ عن الإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، وأخذ الإمام الغزالي عن شيخه إمام الحرمين عن والده أبي محمد الجويني، وأخذ الجويني عن الشيخ أبي طالب المكي[1]، وأخذ الشيخ أبو طالب المكي عن الشيخ الشِّبْلِي، وأخذ الـــشبلي عـــن الأستاذ أبي القاسم الجنيد، ولبس أبو القاسم الجنيد من يـــد خالـــه الشيخ سَرِيُّ السَّقَطِيّ، ولبس الشيخ سَرِيُّ السَّقَطِيّ من يد معروف الكَرْخِي، ولبس معروفٌ الكَرْخِي من يد داود الطـــائي، والـــشيخ داود لبس من الشيخ حبيب العجمي، ولبس حبيب العجمي من يد الحسن البَصْرِي، ولبس الحسن البصري من يد علي بن أبي طالب،

---

(١) وهنا تفرَّع سندُ اتصالٍ آخرَ، حيث أخذ الإمام الشريف علوي بن عبيد الله بـــن أحمد المهاجر عن الشيخ أبي طالب المكي وقرأ عليه في علوم التـــصوف «قـــوت القلوب».بمكة المكرمة.

وعلي بن أبي طالب عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، والنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم أخذ عن جبريل عليه السلام وجبريل أخذ عن اللّه عز وجل.

والشيخ معروف طريق أخرى من جهة «آل البيت» رضي اللّه عنه، تأدب بأدب موسى بن علي الرضا، وعلي بن موسى تأدب بأدب والده موسى الكاظم، وموسى الكاظم تأدب بأبيه جعفر الصادق، وجعفر الصادق تأدب بأبيه محمد الباقر، ومحمد الباقر تأدب بأبيه علي بن زين العابدين، وعلي بن زين العابدين تأدب بأبيه سبط الرسول وبَضعته الحسين، والحسين تأدب بأبيه الإمام علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه، وعلي بن أبي طالب تأدب بأدب النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، والنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم يقول : «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[(١)] . انتهى ما ذكره صاحب «العقد النبوي» .

---

(١) مطلبٌ في تحقيق «سند الخرقة الصوفية» عند سادتنا العلويين:

كتب الإمام أبو بكر العدني ابن عبد اللّه العيدروس في كتابه «الجزء اللطيف في التحكيم الشريف» ص٥-٦ من «المجموعة العيدروسية» بما مثاله : ومما أخبرني به شيخي الإمام العالم العامل العلامة جمال الدين محمد بن عبد الرحمن السَّخَاوي

– وكلا روايتيه منه – إجازةَ مكاتبةٍ بيني وبينه – أعني السخاوي – قال في كتابه الموسوم «بالمقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة » حديث لبس الخرقة الصوفية وكون الحسن البصري لبسها من علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه :

قال ابن دحية وابن صلاح أنه باطل، وكذا قال شيخنا –وهو الحافظ ابن حجر– أنه ليس في شيء من طرقها ما ثبت، ولم يرد فيه حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم لبس الخرقة على الصورة المتعارف بها بين الصوفية لأحد من أصحابه، ولا أمر أحداً من أصحابه بفعل ذلك، وكل ما يروى في ذلك صريحا فباطل.

وقال السخاوي : « ثم إن الكذب المفترى قول من قال : « إنَّ علياً ألبس الخرقة الحسنَ البصري »، فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن البصري من عليٍّ سماعاً فضلاً عن أن يلبسه الخرقة، ولم ينفرد شيخنا بهذا بل سبقه إليه جماعة .

وقال أيضا بعض الفقهاء : لا يصح لُبسُ الحسنِ البَصْري من علي رضي اللّه عنه فإنه ما رآه إلا أنه نقل الذهبي في «تهذيب التهذيب» – وهو من أكابر الأئمة المحدثين وحفاظ المحققين – أن الحسن البصري ولد لسنتينِ بَقِيَتا من خلافة عمر ورأى عثمان وعلياً وطلحة، وحضر يوم الدار في قصة عثمان، وعمره أربع عشر سنة، ولقد صدق لأن خلافة عمر رضي اللّه عنه عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وخلافة عثمان رضي اللّه عنه أحد عشر سنة وإحدى عشر شهرا وثمانية عشر يوما .

وقال الذهبي أيضا : إن الحسن البصري روى عن عثمان وعلي وعمران ابن

الحصين ومعقل بن يسار وأبا بكر وأباموسى الأشعري وابن عباس وعمرو بن تغلب وجندب بن عبد اللّه بن عمر وخلقاً كثيراً من العلماء رضي اللّه عنهم أجمعين .

قلتُ : ومما يؤيد قول القائلين برؤية الحسن البصري علياً رضي اللّه عنه ما نقله الإمام شيخ الإسلام أبو حامد الغزالي في كتابه « الإحياء » المكنى بأعجوبة الزمان لَمَّا ذكر نهيَ السلف عن الجلوس للقُصّاص في المسجد وأورد ما صدر من السلف في حقهم فذكر أن علياً رضي اللّه عنه أخرج القُصّاص من جامع البصرة، فلما سمع كلام الحسن البصري لم يُخرجْهُ ؛ إذ كان يتكلم في علم.

قلتُ: وهذا دليل على رؤية الحسن البصري لعلي .

وعلى الحقيقة – وإن لم يثبت فيها حديثٌ صحيحٌ على ما ذكره شيخنا السخاوي وجماعة من الحفاظ – فإنها بدعة حسنةُ القصد فيها صحبةٌ لأولياء اللّه وإظهارُ شعارِ الفقر، وإن لم يرد في كيفية الخرقة فقد ورد ما يؤيد الصحبة كما اشتهر عنه صلى اللّه عليه وآله وسلم في المبايعة لأصحابه من الرجال والنساء، والتحكيم في حق الفقير شِبْهُ المبايعة كما ذكره صاحب «العوارف» . اهـ عن « الجزء اللطيف » ص٦–٧ .

ووسع الإمام العدني في « الجزء اللطيف » البحثَ حول الخرقة ولُبْسِها وكذلك التحكيم بما يفيد الراغب من فوائد بحثه ص٦–٨ من « الجزء اللطيف » ص٢١٢–٢١٤ من « المجموعة العيدروسية » فكتب عن إلباس المشايخ للخرقة وما ترمز إليه وكذلك التحكيم ومفهومه بما مثاله مختصرا:

قال السهرودي في الباب الثاني عشر من « العوارف » في شرح خرقة

المشايخ الصوفية : لبس الخرقة ارتباطٌ بين الشيخ والمريد، والتحكيم بين الشيخ والمريد سائغ في الشرع لمصالحَ دنيوية، فهل يُنكرُ المُنْكِر في لُبسِ خرقة على طالبٍ صادقٍ في طلبه يقصدُ شيخاً بحسنِ ظنٍّ وعقيده يُحكِّمُه في نفسه ومصالح دينه يرشده ويهديه ويعرفه طرائق المواجيد ويبصره بآفات النفوس وإفساد الأعمال ومداخل الشيطان فيلبسه الخرقة، علامة التفويض والتسليم ودخوله في حكم الشيخ ودخوله في حكم اللّه وحكم رسوله وإحياء لسنة مبايعته صلى اللّه عليه وآله وسلم.

يؤيده حديث الوليد بن عبادة بن الصامت قال أخبرني أبي عن أبيه قال: «بايعنا الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول الحق حيث كان، ولا نخاف في اللّه لومة لائم »، ففي الخرقة معنى المبايعة، والخرقةُ عَتَبَةُ الدخول في الصحبة، والمقصودُ الكليُّ هو الصحبةُ، والصحبةُ تجمع للمريد كلَّ خير . اهـ.

ثم تابع في » الجزء اللطيف » النقلَ عن « العوارف ».بما مثاله:

قلتُ : ولا خفاء بأن لبس الخرقة على الهيئة التي تَعْتَمِدُها الشيوخ في هذا الزمان في زمن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، وهذه الهيئة والاجتماع لها من استحسان الشيوخ، وأصله من الحديث ما رويناه، والشاهد لذلك أيضا التحكيم الذي ذكرناه، وأنه اقتداء برسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم أتم وآكد من الاقتداء للّه في دعاء الخلق إلى الحق، وقد ذكره اللّه تعالى في كلامه القديم في تحكيمِ الأمةِ رسولَ اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وتحكيمِ المريدِ شيخَه إحياءً لسنة ذلك الحكيم، قال تعالى : ﴿ فلا ورَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بينَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا في أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مما قَضَيتَ ويُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾

انتهى.

وقال المؤلف الإمام أبو بكر العدني ابن عبد اللّه العيدروس عن شيخه الحافظ السخاوي : ولم ينفرد شيخنا بهذا بل سبقه إليه جماعة، وذكر أن المنكرين لحديث الخرقة لبسوها وألبسوها كشيخنا الدمياطي والذهبي والهكاري وابن حبان والعلاء المعلاطي والعراقي وابن الملقن والأنباسي والبرهان الحلبي وابن ناصر الدين، وقال بعد ذلك: وإنكاري لحديثها مع إلباسي إياها لجماعةٍ من أعيان الصوفية امتثالٌ لإلزامهم لي بذلك تُجاهَ الكعبة المشرفة تبركاً بذكر الصالحين واقتضاءً لمن أثبته من الحفاظ المعتمدين . اهـ.

قلتُ: فهذا مما يؤيد الخرقة ولُبسَها وإن أنكر المنكرون أصل حديثها، وهي بدعةٌ حسنة كما حدثت بعد الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم بدعٌ كثيرة، وقد ذكر العلماء رضي اللّه عنهم أن البدع على الإطلاق ليست بمستنكرةٍ كما أحدثت جماعةٌ من الفقهاء لُبسَ الطَّيلَسانِ على العمامةِ وقالوا : « ليس بحرام ولا مكروه » ولم يصح عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم ولا أحد من الصحابة والتابعين لُبسُه، وكذلك لبس الخرقة ليس بحرام ولا مكروه، بل تجد فيه ما يؤيِّدُ من الأحاديث الصحيحة كما مر من التحكيم وحديث المبايعة والإلباس.

ونقل الإمام العدني أيضا في « الجزء اللطيف » صفة التحكيم الوارد عن مشايخ الصوفية ص٢١٧ من « المجموعة العيدروسية » بما مثاله : وصورة التحكيم أن يضع المتحكِّم يده في يد الشيخ ثم يقرأ آيةً من آيات الرجاء ويقول الشيخ بعد ذلك : رَضِيتَ بي شيخاً ؟ أو : بالشيخِ فلانٍ شيخاً ومؤدباً يدعوك إلى ما دعاه اللّه ورسوله وينهاك عما نهى اللّه عنه ورسوله ؟ فيقول : رضيت، وسواء كان التحكيم لواحد أو لجماعة، ثم يدعو، فإن اقتصر على ذلك أجزأه، ويستحب

للشيخ أن يزيد بعد الفاتحة وآية : ((اللّهم اجعل هذه الأيدي متصلةً بحبلك المتين الذي لا ينقطع، محصنةً بحصنك المنيع الذي لا ينصدع، واجعل هذه الصحبة مقرِّبةً في الدنيا والآخرة . ثم يقول للمتحكِّم : أسلمتَ وجهَك للّه تعالى ؟ فيقول: نعم، ثم يقول له : رضيتَ بي شيخاً ومؤدبا ؟ فيقول: رضيتُ، ثم يقول الشيخ : يجمعنا الكتاب والسنة وتفرقنا الضلالة والبدعة، اللّهم اجعلنا ووالدِينا وأولادنا من المفلحين المنجحين المستبشرين المطمئنين الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، اللّهم بمن تاب إليك فقبلتَه، واستغفرك فغفرتَ له، وسألك فأعطيته، واستجارك فأجرته، اللّهم قرِّبنا بقربك، واجعلنا من حزبك، وآنّسنا بأُنسِك، واغفر لنا يا خير الغافرين برحمتك يا أرحم الراحمين . اهـ .

وأفاد المؤلف نماذجَ عديدةً من صور التحكيم وأخذ العهد، ثم ذكر ص٢٨ ما ذكره المشايخ عن تعدد الخرقة، حيث قال بعضهم : هي خرقتان : خرقةُ تعريفٍ وخرقةُ تشريف، قال الإمام العدَني نقلاً عن شيخه الرّدّاد: نحن نقول بتوفيق اللّه: الخرقة حقيقتها واحدة وإن تعددت بيد المتمسكين ؛ لأنها سبب بين اللّه وبين العباد ولا تعدد كالعروة للمتمسكين والحبل للمعتصمين، وكما أن الحبل والعروة لا يتعددان، فكذلك الخرقة لا تتعدد ؛ لأنها صورت بمعنى ارتباط ما بين العبد وبين الحق تعالى، والناس في هذه المعاني متفاوتون على حسب ما هم به من الحق وما هو به معهم، والشيخ يد اللّه في أهل إرادته، وسره بين أهل طاعته، وهي من حيث رسوم الأحكام خرق ثلاث :

- خرقة مجازية، وهي خرقة التأليف، وهي للمحبين المتشبهين، وبها يتألّفون مشاهدَ الطريق.

- خرقة جوازية، وهي خرقة التعريف، للمريدين المتمسكين، وبها يتعرفون

وأما قوله عن لبس الخرقة : « بطرق كثيرة من الإشارة والكشف الباهر » فيعني ما يفتح اللّه به على الفقيه المقدم من الاتصال في المنامات بالرؤيا الصالحة وما يتمثل بالروح الخيرة كالملائكة وأرواح الأولياء الصالحين التي يأذن اللّه بها بشيء من الظهور للعباد والزهاد وأهل الرياضات والمجاهدات الصالحة في بعض الأحايين، وقد ثبت في الصحيح حركة الأرواح بأمر اللّه تعالى وظهورها في أحوال لمن هيأه اللّه لذلك، كما ظهرت أرواح الأنبياء لسيدنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم في ليلة الإسراء والمعراج، وإذا كان المعترضون يقولون : إنَّ ليلةَ الإسراء والمعراج حالةٌ خاصةٌ بالرسول صلى اللّه

على شواهد الهداية والتوفيق.

- خرقة إجازية، وهي خرقة التصريف، للّهداة الراغبين، وبها يتصرفون في معاقد أحكام العلم.

والتحقيق : الخرقة الأولى لطلابها رعاية، وخرقة الطبقة الثانية لأصحابها هداية، وخرقة الطبقة الثالثة لأربابها ولاية.

وقولنا في الخرقة الأولى : إنها مجازية، فهو لعدم تحقق إلباسها بحكمها.

وقولنا في الخرقة الثانية: إنها جوازية،هو الجواز المزيد لها على منهاج حكمها وعلمها.

وقولنا في الخرقة الثالثة : إنها إجازية، هو لِيَصِلَها بحكم الإجازة لوليٍّ رسمِها. اهـ . ص٢٢٨ .

عليه وآله وسلم ليكون حجتَّهم على حصر العلـــم في المـــستوى الظاهر للعين، فما بالهم عندما يعلمون أن صحابياً ضرب خيمتَـــه على مكانٍ من الأرض فسمع من يقرأ بسورة تبارك، فقـــال لـــه الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم : «إنه رجلٌ كان يقرأ بهـــا في الدنيا فأُعطِيَها في قبره »أو ما في معناه، والسماع للـــصوت مـــن جنس «عالم الروح» ولم يَبْهَت النبيُّ صلى اللّه عليه وآلـــه وســـلم السامعَ ولم يُكذِّبه ولم يتشككْ في أمر انكشاف الأمر له أهو روحٌ صالحة أم من شيطانٍ ؟ لعلمه صلى اللّه عليه وآله وســـلم بـــصدق الرجل وأمانته .

ولهذا فسوف يكون تعليلُنا لهذه الظواهر النادرة من باب علمنـــا وتأكدنا صلاح هؤلاء وصدق علاقتهم بربهم، حيث لا يسوغ منهم الكذب ولا ما هو أقل منه، ولا ينبغي بعد تمام العلم والتثبت عـــن حال مَن ذَكَرْنا خصوصاً آلَ البيتِ النبوي الشريف الذي شهد لهم القرآن والسنة بالتطهير أَنْ نَبْهَتَهُمْ كما هو قول الْمُتَعَنِّتِينَ الْمُحْـــدَثِينَ اليوم عند تحليلهم لهذه الظواهر المـــشكِلة علـــيهم واختلاطِهـــا في مفهومهم ووُهُومِهم، بما يجريه اللّه من اســـتدراجٍ علـــى أيـــدي الشياطين والأرواح الخبيثة للكهنة والسحرة والمشعوذين وأصحاب

الطلاسم والعلوم المحرمة في الإسلام، وأنها من الدَّجَل والاستحضارات، وشتان بين هذا وذاك.

فالمستدرجون بالسحر والشعوذة والجنِّ وما شاكل ذلك لا يكونون قدوةً للناس في التسليك والتأديب والتهذيب والمجاهدات الروحية العالية، من صلاة وصيام وتهجد وقيام، وتلاوة قرآن وأذكار، وتبتّل للملك العلاّم آناء الليل وأطراف النهار.

المستدرجون بالطَّلْسَم والمِنديل والتنجيم حَكَمَ القرآنُ والسنةُ بكذبهم ومروقهم لما هم عليه من الفسق والخذلان، أما أولياؤه المتقون وعباده الصالحون فكراماتهم صحيحةٌ وكشوفاتهم أكيدة، ولا تتعداهم أو تخرجُ عن نطاق دائرتهم في المشابهة والمماثلة، وهي أيضاً لا تُخرِجُهم عن بَشَرِيَّتِهم وضَعْفِهِم وافتقارِهم لربهم في كلِّ أحيانهم، ولا يصح لنا بأيِّ حالٍ من الأحوال أَنْ نَخْلِطَ الأمور ونُعَمِّمَ الأحكام، ونُهوِّلَ التصورات ونوهمَ الجيل المخدوع بأن الولاية ومظاهرها دعوىً وزورٌ، فالحقيقة دائماً إنما هي مفتقرةٌ للتمييز والتفصيل من خلال معرفة الضوابط والشواهد والدَّلالات حيث لا إفراط ولا تفريط.

مدرسة التصوف بحضرموت وضوابطها الشرعية

لا خلاف اليوم ونحن بين يدي فتن آخر الزمان ((جوهراً ومضموناً)) أن نجد العداء المبرمج ضد المدارس الصوفية والمذهبية وشرف آل البيت النبوي، فقد استحكم في قلوب الناشئة وقلوب الجيل الأوسع من ضحايا المدرسة الحديثة بكامل نماذجها العلمية والتربوية دينية وعلمانية وإلحادية، وليس بوسعنا أن ندافع عن الحق ونبينه بهدوء وروية بعد أن غمر الباطل بدخانه عقول الغالبية العظمى من الناس ؛ لأنه قدر وقضاء ؛ وليس بوسعنا أيضا أن نبرئ مدرسة التصوف بكافة نماذجها على ممر التاريخ من الخطأ أو الغلو والوقوع في مذمة العادات ؛ ولكننا نستطيع أن نقول كلمة الحق بتوفيق اللّه، ونصيح في وجه الباطل بعون اللّه، ونضع النقاط على الحروف ليتمعن المخدوعون قراءة الكلمات واضحة بينة، وفهم المعاني جلية حسنة، فرب قارئ حرف قبل وضع نقطته ينخدع في الفهم والاستنتاج، ورب كاتب حرف أوهم الناس بحرفته أنه جدير بأسباب العلاج، وبين هذا وذاك يكمن جيش الحق وأدواته ووسائله ومسائله.

ومن داخل هذه البينية المحاطة بالإفراط والتفريط والكذب والتخليط أَدْخُلُ بك إلى معسكرات الإيمان حيث يقف المؤمنون مبتهلين إلى اللّه راجين رحمته خائفين من عذابه، شاهدين النعم في كل صامت وناطق، خائفين النقم مع كل رعد وبارق، تعال معي أيها القارئ نطرق بيت ساداتنا «بني علوي» وقد كتب على باب مدرستهم:

وإنَّ الَّذي لا يَتْبَعُ الشَّرْعَ مطلقاً ... على كُلِّ حالٍ عبدُ نَفْسٍ وشَهْوَةِ
صريعُ هوىً يُبْكَى عليه لأنه ... هُو المَيْتُ ليس المَيْتُ مَيْتَ الطَّبيعَةِ
وما في طريقِ القومِ بدءٌ ولا انتها ... مخالفةٌ للشرعِ فاسمعْ وأَنْصِتِ
وخَلِّ مقالاتِ الذينَ تَخَبَّطُوا ... ولا تَكُ إلا معْ كتابٍ وسُنَّةِ
فَثَمَّ الهدى والنورُ والأَمْنُ مِن ردىً ... ومِن بِدعَةٍ تُخْشى وزيغٍ وفتنةِ (١)

كتب صاحب «المشرع الروي» ص١٦٣ : اعلم أرشدنا اللّه وإياك إلى سواء السبيل أن من أعظم العلوم نفعا، وأكثرها لخيري الدنيا والآخرة جمعا، وأشدها في حياة القلوب وقعا، معرفة سير أولياء اللّه العارفين، الذين بأفعالهم وأقوالهم على اللّه دالين، فيحصل

---

(١) ديوان الإمام الحداد ص٣٨ الطبعة الأولى .

بذلك حسن الظن بهم ومحبتهم الموصلة إلى أعلى المراتب؛ لقوله صلى اللّه عليه وآله وسلم : «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»، وجاء عن السلف الأولين : «إِنَّ الرحمةَ تَنزلُ عندَ ذِكْرِ الصّالحين»، وقد أوجب اللّهُ على عباده المؤمنين أن يسألوه في الصلاة التي هي عِمادُ الدِّينِ أَنْ يهديهم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأمر اللّه تعالى حبيبَه محمداً صلى اللّه عليه وآله وسلم في كتابه بالاقتداء بأحبابه، وأخبره بفائدة أمناء رسله والاطلاع على أخبار الماضين من قبله، فقال تعالى : ﴿ وكُلاًّ نَقُصُّ عليكَ مِن أنباءِ الرُّسُلِ ما نُثبِّتُ به فؤادَك »، ولذا قال سيدُ الطائفة أبو القاسمِ الجُنَيدُ رحمه اللّه تعالى : الحكاياتُ جُنْدٌ مِن جُنودِ اللّه تعالى يُقَوِّي بها قلوبَ المريدين، وقال : التَّصديقُ بعِلْمِنا هذا وِلايةٌ صغرى، وقال بعض العارفين : التصديقُ بالفتح لا يكون إلا بفتح، ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ ومَن لم يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً فما لَهُ مِن نُور ﴾ .

وتفاضُلُ الناسِ بعضِهم على بعضٍ أَظْهَرُ مِن أَنْ يَحتاجَ إلى دليلٍ، وتفاوتُهم فيه ولو بالسعي والاجتهاد غَنِيٌّ عن التعليل، وليس ذلك

إلا بقَدْرِ تحصيلِهم للعلوم والمعارف، كما يظهر ذلــك للمتأمــل العارف.

ولما كان العمرُ أَقْصَرَ من أَنْ يحُيطَ بكلِّهــا جملــةً وتفــصيلا، ويستقصيَ أصلَها علماً وتحصيلا، وجبتِ المنافــسةُ في الأَنْفَــسِ، الموصلِ إلى المَحَلِّ الأقدس، ولا ريبَ عند ذوي الطبع الــسليم، أن طريق السنة هو الصراط المستقيم والمنهج القويم، وكان المــسلمون بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم تتــسمى أفاضِــلُهم في عصرهم بسِمَةِ الصُّحْبَة ؛ لشرفها على كل وصف، ثم تسمى مَــن أدركهم بالتابعين.

ثم لما بَعُدَ عَهْدُ النبوةِ وتوارى، واختلفت بعد ذلك الآرا، انفــرد خواصُّ أهلِ السنة بصالح الأعمال وســني الأحــوال، واشــتهروا بالصوفية وصار ذلك رسماً مستمراً، وخبراً مــستقرا . واختلفــت عباراتُهم في تعريفه، وأحسن الأقوال فيه ما قالــه الإمــام حجــة الإسلام أبو حامد الغزالي رضي اللّه عنه، وهو : «تجريــدُ القلــبِ تعالى إلى اللّه واحتقار ما سواه »، وأما تعريفه بمعنى العلم فهــو : «علمٌ بأصولٍ يُعرَفُ بها صلاحُ القلبِ وسائرِ الجوارح»، قال الحافظ السيوطي : وكثير من الناس يظن أن من مارس كتب الصوفية وقرأ

شيئا منها وعلق يسمى صوفيا، وليس كذلك، وإنما التصوف علم الحال لا علم القال، وهو أن يتخلق بمحاسن الأخلاق التي وردت بها السنن النبوية .

وقال بعض أئمة التصوف : ((هو علمٌ مركبٌ من الحديثِ وأصول الدين))، فمن تضلع منهما وعمل بما علم وكان اعتقاده صحيحا كان صوفيا، ولقد كان سلفنا ((بنو علوي)) لهذه الطريقة سالكين، وبعلمهم عاملين، فأنفقوا نفيس العمر الفاضل مبتعدين عن العوارض والشواغل في تتبع سنة الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم والعمل بها، وكلما عمل إنسانٌ بسنةٍ رقّاه اللّهُ تعالى إلى فعلٍ أخرى لم يكن يعمل بها، قال الجنيد رحمه اللّه تعالى : ((الحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة، والسيئة بعد السيئة عقوبة السيئة))، فعملوا بواجب الخدمة على حسب الطاقة البشرية وسوابغ المدد الربانية، وأكثروا من العبادات وترك الشهوات، وإذا جَنَّ الظلام، قاموا على الأقدام، وافترشوا وجوههم، وجرت دموعهم، وإذا كبر أحدهم طوى بساط المنام وتجنب مخالطة العوام إلا لحاجة أو ضرورة، وإذا خالطهم لذلك كان على حذر من المخالفات، وإذا مرض أحدهم ولم يعده صاحبه رأى له الفضل بذلك، وإذا لم يجتمع بأحد في يوم

عَدَّهُ من الأعياد[1]، وكان بعضهم يخرج إلى الجبال والأودية يتعبـــد اللّه فيها ليلا ونهارا وبعضهم ليلا ويصبح في داره كبائتٍ فيه[2] ومع ذلك يواظب على الجمعة والجماعة أول الوقت إلا لعذر شــرعي، وبعضهم يقطع نهاره في التدريس والإفتاء ويستغرق أوقاته في نفــع الناس وقتاً فوقتاً وإذا وقعت مشكلةٌ تتبع كــلام العلمــاء فيهــا واستقصى أمرها حتى يعطيَها حقَّها ويعرفَها، فإن شك فيها توقف عن الإفتاء بها، وإن ظهر الحق على خلاف ما قاله أو أفتى ذهب إلى من أفتاه واعترف بالرجوع إلى الحق.

---

(١) المقصود هنا بعدم اجتماعه بأحدٍ، أي: جلوسه عنده في منــزله أو في موقع عبادته خصوصاً من عوامِّ الخلق الذين لا يعرفون قيمة للأوقات، أو من أهل الأمر والنهي والجاه والسلطان، أما غير ذلك فهم يختلطون بالناس في مــساجدهم وأســواقهم ومواقع العلم والتدريس وغيرها ؛ ولكنه لا يعطلُ وقتاً من تلك الأوقــات الــتي حرصوا فيها على ترتيب عاداتهم وعباداتهم .

(٢) وهذه نماذجُ لبعضٍ دون بعضٍ، حتى لا يستعجلَ الحكمَ أبناءُ زماننا تأثُّراً بــأبواقِ المعترضين الذين يتَّهِمون الصوفية أمثال مَن ذكرنا بالرهبنة والانطواء وما شاكلها من التُّهَم، وكون البعض يفعل الشيء دون بعض مسألةٌ بديهيــة لا تحتــاج إلى اعتراض ؛ لاختلاف حال الناس ووظائفهم، أما الأمــر المــستقبح أن يكــون ((الجميع)) على صفةٍ معينةٍ، ففيه بلا شك تعطيلٌ كثيرٌ للواجبات الأخرى .

وكان لهم اعتناءٌ تامٌّ بكتب الإمام الغزالي لا سيما «الإحيـــاء» و«البسيط» و«الوسيط» و«الوجيز» و«الخلاصة»، وكان لهم اعتناء تامٌّ بالحديث وبلغ كثير منهم رتبة الحفاظ [1]، إلى أن قال: وبما تقرر يُعلم أن السادة بني علوي حازوا شرف النسب من جهاته الثلاث، فقد قال الإمام الغزالي شرف النسب من ثلاث جهات:

إحداها : الانتماء إلى شجرة الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم، فلا يعادله شيء .

الثانية : الانتماء إلى العلماء، فإنهم ورثة الأنبياء صـــلوات اللّـــه وسلامه عليهم .

---

(١) حذفنا بعد هذه الفقرة استطرادات عن قواعد السلوك عنـــد «بـــني علـــوي» للاختصار ؛ ولكن بما أن في بعضٍ هذه القواعد إيضاحاً لمسائل الخمول والعزلـــة عند بعض متأخريهم ألحقناها في الحاشية بما مثاله :

ولما رأى المتأخرون في زمانهم ما أنذر به الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم من علاماتٍ وآياتٍ ما كانت تقع فيما مضى كالتَّعلُّم لغير العمل والتفقه للدنيا، والشُّحِّ المُطاعِ والهوى المتَّبع، ووُلِّيَ الأمرُ غيرَ أهله، وظَهَرَ الفُحشُ من كلِّ جاهل على قَدْرِ جهله، وغيرِ ذلك مما وردت به الأحاديث تركوا الإفتـــاء والتـــدريس والتأليف - والمقصود الغالبية وليس كلهم - وأقبلوا على خاصَّةِ أنفسِهم، ورأَوا أن ذلك هو الأهم، وهو في الحقيقة اشتغالٌ بالمعنى المعبر عنه بالدراية، وهو أفضل من المبنى الذي يقال له الرواية . اهـــ من «المشرع الروي» ص١٦٤ .

الثالثة : الانتماء إلى أهل الصلاح والتقوى .

وكانوا يُخفونَ العبادةَ خوفاً من الرياء، وإذا تكلَّمَ أحدُهم في الوعظِ أو غيرِه وخاف الرياءِ عَدَلَ إلى غيرِه مما لا يدخلُه ذلك، وإذا طرقَه البكاءُ في تلاوةٍ أو قراءةِ حديثٍ صرفه إلى التبسم . ولا يذُمُّ نفسَه في الملأ، وإذا بلغه أن أحداً من الأعيان عزم على زيارته في يوم درسه تركه[1]، وإذا دخل على غفلةٍ كره ذلك وأوجز، وكانوا رضي اللّه عنهم زاهدين في الدنيا والرياسة فيها قانعين بالكفاف منها، ولا يفرح بشيء أقبل من الدنيا ولا يحزن على شيء أدبر منها، وربما انشرح صدرُه إذا صُرِفَتْ عنه إلخ ،

وكانوا يكرهون ادِّخارَ القُوتِ إيثاراً لفراغ اليد من الدنيا على إمساكها، وقد يدخر بعضهم على اسم عائلته تأسياً بفعله صلى اللّه عليه وآله وسلم، أو تسكيناً للاضطراب الذي ربما يقع، أو اتهاماً للنفس، ويقدِّمُ كلُّ واحدٍ منهم كسبَ الحلال على سائر مهماته، وينفق المال في إطعام الجائع وكسوة العاري ووفاء الدَّين، وكان ينفق المال ولا يمسكه .

---

(١) المقصود بالأعيان : أهل السلطان والحكم والمظهر الدنيوي التي يجري على أحكامهم الظلم والبطش .

وكان كلٌّ واحدٍ منهم يخدِمُ الضيفَ بنفسِه، ويأكل مع خادمـــه وعبده، ويحمل بضاعته من السوق، ويصافح الغني والفقير، والصغير والكبير، والشريف والوضيع، ويسلم على كل مَن لَقِيَهُ، ولا يـــرى أن له عندَ اللّهِ حالاً ولو بلغ من الأعمال ما بلغ، بل ربما يحسب أنه يستحقُّ العقوبة لما يشهد فيها من سوء الأدب بالنسبة لجناب اللّـــه تعالى، وكلما ترقّى في المقامات رأى أنه أَهْوَنُ خَلْقِ اللّه اهـــ[1].

كانت هذه الضوابطُ -ومثلُها وشبهُها كثيرٌ- مبثوثةً في العديـــد من مصنفات السلف الصالح، وهي قاعدةُ المدرسة الـــصوفية الـــتي وضع أساسها الأستاذُ الأعظم الفقيه المقدم، وجعلها مدرسةَ اعتدالٍ وقصدٍ ذاتِ تَفَرُّدٍ مَنهجِيٍّ يتلاءمُ مع مفهوم الحديث النبوي : ((وإني تاركٌ فيكم الثقلين : كتابُ اللّه حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض وعترتي أهلُ بيتي، وإن اللطيفَ الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حـــتى يَرِدا عليَّ الحوض يوم القيامة، فانظروا فيما تخلفوني فيهما))[2].

---

(١) المشرع الروي ص١٦٥ باختصار .

(٢) هذا الحديث الصحيح يدعو الأمة إلى إقامة كتاب اللّه واتباع منهج العترة الشريفة التي أوصى النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم الناس باقتفائهم، ثم أَكَّدَ في الحـــديث – حتى لا ينفعلَ بعضُ المُدَّعِينَ ويُقَيِّدُوا الأتباعَ بما يفتح لهم ثغرة الحيلة والخـــداع

وإذا كان الإمام المهاجر - وهو أحد كبار أئمة أهل البيت - اتخذَ في القرن الرابع قراراً يُخْرِجُ به ذريته وأهلَه وبعضَ أتباعه عن حمى فتنِ عصرِه بالعراق، فكانتِ الهجرةُ إلى حضرموت، فقد كان قرارُ الفقيه المقدم باحتضانِ المنهجية الصوفية الأخلاقيةِ أيضاً قرارَ

والتلبيس على الناس - فقال : « وإنَّ اللطيفَ الخَبير أخبرني أنَّهما لن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوضَ » فيا سبحان اللّه ! هذا حكمٌ قطعيٌّ للدلالة بعدم الافتراق بين كتاب اللّه نصاً وحكماً وتشريعاً وبين السنة النبوية التي يكون أهلُها وحُماتُها ودعاتُها بضمانة اللّه تعالى العترة الشريفة، لمن أرادوا الاعتراف وصدق الاتباع .

وعلى هذا الحكم القطعي تكون اختياراتُ « بعض شيوخ العترة » كالفقيه المقدم، وانتهاجُه طريق التصوف بالصورة التي أوضحتْها كتبُ السلف هو أصلٌ من أصول الاتباع لا الابتداع .

وقد أعجبني ما كتبه الدكتور محمد علي البار العلوي في مقدمته على «الرسالة الذهبية» للإمام علي الرضا بما مثاله بعد إيراده حديث الثقلين : «والغريبُ حقّاً أنَّ حديثَ الثقلينِ هذا رغمَ ورودِه في « صحيح مسلم » وفي «سنن الترمذي» وحسنه، والحاكم النيسابوري في « المستدرك » و« مسند الإمام أحمد » إلا أن معظمَ المعاصرينَ من العلماءِ الخطباء يجهلُه أو يتجاهله، ويوردونَ بدلاً عنه حديث : « إني تاركٌ فيكم ما إنْ تَمسَّكْتُم به لن تَضلُّوا بعدي أبدا : كتابَ اللّه وسنتي » وهو في « موطأ مالك » وفي سندِه ضعفٌ وانقطاعٌ وإن كان متنه ومعناه صحيحا ! وكان من الواجب إيراد الحديثين كليهما معاً لأهميتها في الباب . أَمّا كِتمانُ هذا الحديثِ الشريفِ الصحيحِ فهو من كتمان العلم إلخ.

حَسْمٍ يتناسب مع الظرف والزمان والمكان، ويظل هـذا القـرار وثمراته سارية المفعولِ ما دام في الواقع مَن يُدْرِكُ معانيَهـا ويَفْقَهُـه مدلولاتِها، وينشأُ ويتربى على شيءٍ من تلك الضوابط الأخلاقيـة الرائعة .

إن قراراً يبدأُ بفردٍ في مجتمع مليءٍ بالعلماء والمحدثين والفقهـاء، فينتج عن هذا القرار تحول الجميع من رؤيةٍ فكريةٍ إلى أخرى لَدلالةٌ واضحةٌ على سلامة التحول وصدق القرار وواقعيته، ثم إنه قـرارٌ سليمٌ وصحيح، والدليلُ على ذلك أن الشيخَ بامروان – وهو الفرد الوحيد الذي عارض فكرة التحول – إنما كان هَمُّـهُ في الأصـل شخصيةَ الفقيهِ الفَذَّة، حيث قال له : « وقد رَجَوْنا أَنْ تَكُونَ مثلَ ابنِ فَورَك »، والفقيهُ لم يكن في ذهنه مقامُه وحالُه ومـستقبلُه وإلا كان بإمكانه أن يُرضيَ شيخه ويحقق له الحلم الذي كان يرجـوه، وإنما كان يحملُ هَمَّ جدِّه الإمام المهاجر يوم تحمَّل البعدَ عن الوطن والمال والجاه في سبيل هذه العترة الشريفة .

لقد تبين أن الواقعَ آنذاك كان يُفْهِم ويُعْلِم أَنَّ اختياراتِ أهـلِ البيت النبويِّ وتحوُّلِهم من أمر إلى أمر يُلزم البقيةَ أن تكونَ تبعاً لهم؛

لأنهم سُفُنُ النجاة عند الفتن والبلايا والمحن، فتبعهم الناسُ.. كلُّ الناس.

إن مدرسة الفقيه المقدم أثبتت بجدارةٍ على مدى القرون المتتابعة أنها من أفضل المدارس الإسلامية في الواقع العالمي كله، وكيف لا تكون كذلك ورائدها وقائدها وشيخها إمامٌ من أفضل أئمة البيت النبوي في عصره ؟ جمع اللّه له بين العلم حتى بلغ به رتبة الاجتهاد، وبين الحلم حتى جذب به المخالفين والموالين على طريق العباد والزهاد، إنها مدرسة وصف الإمام الحداد رجالها فقال :

وأصولُنا وشيوخُنا من سادةٍ ... عَلَوِيَّةٍ نَبَوِيَّةٍ فاسمعْ وعِي
الشيخُ نورُ الدينِ ثمَّ محمدٌ ... ويليه عيسى ذو المحلِّ الأرفعِ
وأحمدْ وعبدُ اللّهِ مع عَلْوِيِّهِمْ ... بَصْرِيِّهِمْ وجَدِيدِهِمْ مهما دُعِي[1]
وسليلِ عَلْوِيٍّ على منهاجِهِ ... وسليلِه فمُسَلِّمٌ في المَرْكَعِ[2]
رَدَّ الرَّسُولُ عليه مثلَ سلامِهِ: ... ((يا شيخُ)) فاعجَبْ للفخارِ الأَجمَعِ

---

(١) أحمد المهاجر وولده عبد اللّه وبصري وجديد أبناء عبيد اللّه بن أحمد المهاجر.

(٢) هو محمد بن علوي، ثم ولده الإمام علوي بن محمد المشار إليه بأنه ((على منهاجه)) ثم سليله علي خالع قسم الذي رد الرسول صلى اللّه عليه وسلم عليه السلام .

ونــــزيلِ مِربـــاطٍ إمـــامٍ جـــامعٍ أصلٍ لأشياخِ الطريقِ مُفَـــرِّعِ[1]
وبَنِيه خُصَّ إمـــامَهم أســـتاذَهُمْ شيخِ الشيوخِ العارفِ المتوســـعِ[2]
وتـــلاهُ عَلْــوِيٌّ أتـــى بعَلِـــيِّهِمْ وعفيفِهِمْ ومحمدِ المـــستودع [3]
ووجيهِ دينِ اللّهِ سَـــقّافِ العُـــلا والفخرِ والمحضارِ يُسْرِعُ إنْ دُعِي[4]
والعَيدَرُوسِ القُطْبِ سُلطانِ المَـــلا وأخيهِ نورِالدينِ شيخِ المَهْيَـــعِ[5]
ومحمدِ القَوّامِ صـــاحبِ رُوغَـــةٍ ونـــزيلِ عَيديدِ الفقيهِ الأَوْرَعِ[6]

---

(١) سيدنا الإمام محمد بن علي المتوفي بمرباط من أرض ظفار سنة ٥٥٦ .

(٢) شيخ الشيوخ هو سيدنا الفقيه المقدم المترجَم له في هذه الترجمة .

(٣) علوي المعروف بالغَيور، توفي سنة ٦٦٩، وأما أبناء علوي الغيور علي وعبد اللّه المشار إليه بالعفيف، ومحمدٌ المشارُ إليه بالمستودع هو محمد بن علي مولى الدويلة، توفي سنة ٨١٩ .

(٤) سقّافُ العلا هو الشيخ عبد الرحمن السقاف بن محمد مولى الدويلة، تـــوفي ســـنة ٨١٩، وأولاده أبو بكر السكران وعمر المحضار، توفي الـــسكران ســـنة ٨٢١، وتوفي المحضار سنة ٨٣٣ ساجدا بتريم .

(٥) هو السيد الإمام عبد اللّه بن أبي بكر، لُقِّبَ بالعيدروس، وهو اسم من أسماء الأسد كما ذكره الإمام الزبيدي في ((تاج العروس))، وتوفي سنة ٨٦٥ .

(٦) صاحب رُوغَة هو الشيخ العلامة محمد بن حسن بن محمد بن حسن بن علي بـــن الفقيه المقدم، ورُوغة قرية شرق تريم، توفي سنة ٨٤٥ .

وحمــــدٍ ذاك الفقيـــهُ وصِـــنْوِهِ ألشَّيخِ نُورِ الدِّينِ أُنْسِ المَرْبَـــعِ[1]
ومحمــــدٍ ذاك المُعَلِّـــمُ زاهـــدٌ ومجاهدٌ فيهم عظـيمِ الموقـعِ[2]
والعَدَنِي البَحْرُ الخِضَمُّ أخي النَّدى وكذا الوجيهِ المُتَّقِيِّ الأخـشعِ[3]
وسليلِ علويٍّ بأحمدَ جَحْـدَبٍ والشيخِ شيخٍ ذي المحلِّ الأرفعِ[4]
وسليِه ذاك العفيـفِ وصِـنوِهِ الحـبرِ عبـدِالقادرِ المُتَـضَلِّعِ[5]

---

(١) محمد بن علوي بن أحمد ابن الفقيه المقدم، تـوفي سـنة ٧٦٧، وأمـا صـنوه - أي:أخوه — فاسمه علي ، وقد توفي بمكة المكرمة .

(٢) محمد المعلِّم المراد به الشيخ الشريف العلامة محمد بن عمر بن محمد بن أحمد بـن الفقيه المقدم، توفي سنة ٨٢٢ بتريم، وهو المكنى بأبي مُرِيِّم .

(٣) هو الإمام أبو بكر العدني بن عبد اللّه العيدروس توفي بعدن ودفـن بهـا سـنة ٩١٤هـ، وأما قوله (وكذا الوجيه) فهو الشريف عبد الرحمن بن علي بـن أبي بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف توفي بتريم سنة ٩٢٣ .

(٤) هو الشيخ الشريف أحمد بن علوي ابن المعلم محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابـن الشيخ عبد اللّه باعلوي، عُرِف بجده جَحْدَب، توفي سنة ٩٧٣، وأما الشيخ شيخٌ فهو شيخُ بنُ عبد اللّه بن شيخ بن شيخ عبد اللّه العيدروس صـاحب ((العقـد النبوي))، توفي بأحمد أباد سنة ٩٩٠ .

(٥) العفيف هو عبد اللّه بن شيخ بن عبد اللّه العيدروس سـليل صـاحب ((العقـد النبوي))، توفي بتريم سنة ١٠١٩، وأما صنوه فهو الشريف عبد القادر بن شـيخ صاحب تاريخ ((النور السافر))، وله مؤلفات عديدة، وذكر صـاحب ((شـرح العينية)) أن ولادته كانت في ربيع الأول ٩٧٨، توفي سنة ١٠٣٨رحمه اللّه .

والشيخِ أبي بكرٍ سلالةِ سـالمٍ ذي الفخرِ والجاهِ الفسيحِ الأوسع[1]

هذه النماذج المذكورة في قصيدة الإمام الحداد شفعها بنماذج أخرى في ذات القصيدة وفي قصائد أخرى، وكلُّها تنبي عن مدرسةٍ ذاتِ مَقامٍ عظيم.

المآخذ المحسوبة على التصوف وموقف مدرسة الفقيه المقدم منها

وجب علينا ونحن نكتب ترجمةَ الإمام الفقيه المقدَّم بلُغَة عصرِنا ولجيلِنا من أحفادِه وأتباعِ مدرسته والمنتسبين إلى منهجه، بإدراك وعلم أو بحكم الوراثة والتقليد، أَنْ نـزيحَ عن وَجْهِ هذه المدرسة ومنهجها ما يحاوله المُغْرِضُونَ عمداً أو يُروِّجه المنتفعون قصداً، أو يتحدث به المخدوعون في عصرنا، وما ينسبونه من تحريف أو تشويه أو ابتداع أو فساد في التوجه في منهج التصوف والصوفية،

(١) الشيخ أبوبكر بن سالم « صاحب عينات »، ولد سنة ٩١٩، وتوفي سنة ٩٩٢ بعينات.

متخذين من إفراط بعض الصوفية وغلو بعض الأتبـــاع ومفـــاهيم بعض العلماء حجةً قاطعةً على ما حكموا به وقرروه .

والحقٌّ في ذاته قويٌّ بحجته، ويظل كذلك حتى يوسَّدَ الأمـــر إلى غير أهله، فعندها تنقلب الموازين والأقيسة رغماً عن الحق وأهلـــه، ويصير الحق باطلاً بالأدلة، ويصير الباطل حقاً بالأدلة، وعند ذلـــك يجب التَّثبُّتُ في كلِّ حكمٍ وتقدير.

والتصوف بكونه علماً وأخلاقاً وأدباً وسلوكاً أمـــرٌ مـــضبوطٌ بالكتاب والسنة، وهو الأساس والقاعدة، ومن شذ عنها بإفراطٍ أو تفريطٍ فلا ينطوي أتباعُ المدرسة كلِّها بتهمته، ولا يحاسبون بزلتـــه ولو كان من شيوخها، ويجب حسن الظن بالجميع، وقـــد صـــنف العديد من العلماء قديماً وحديثاً كتباً ورسائلَ عديدةً تجلو كثيراً من الإشكال المستحكِم في عقول البعض دون البعض حول التـــصوف والصوفية، وبرغم أننا في هذه الترجمة لن نتناول التصوف بعمومه، ولن نشرح غوامضه وما هو عليه، وإنما سنأخذ طرقاً خاصةً بمدرسة فيه، هي مدرسة الاعتدال والقصد .

والقصدُ والاعتدال أصلٌ من أصول الملة الإسلامية سواء في علوم التصوف أو في غيرها، وكما بنى إمامنا الفقيه المقدم مدرستَه علـــى

هذا المنهجية المعتدلة فقد سبقه كثير من المعتدلين ؛ ولكنهم يمثلون نهجا ملائما لزمانهم ومكانهم ضمن مدرسة التصوف عامة التي هي جزء من منهج أهل السنة والجماعة، يقول الإمام الجنيد سيد الطائفة عن منهج عصره وسلوك طريق التصوف آنذاك : « طريقتنا مضبوطةٌ بالكتاب والسنة، وإذا رأيتم الرجل تنخرق له العادات وتتواتر منه الكرامات فانظروا حاله عند الأمر والنهي، فإن قام بهما فوليٌّ كامل، وإلا فلا عبرة له عند الأولياء، ومن لم يُؤْمَنْ على الأدب الشرعِيّ كيف يُؤْمَنُ على سر الولاية المرعِيّ ؟ » [(١)].

وهذه قاعدة الاعتدال ، والتصوف الصحيح يهدف إلى تكوين شخصية الكتاب والسنة بمفهوم عَمَلِيٍّ مع أخذ الاعتبارات للزمان والمكان [(٢)]، وغالب المعترِضين على التصوف الصوفية إنما يعترضون على التَّرَسُّمِ الكاذبِ والادعاء بالأحوال والمقامات ممَّن لا خَلاق له، أو ممن يتخذها غرضاً للرزق والحيلة والعبث بعواطف الناس، وهي

---

(١) عن « المشرع الروي » (١: ١٦٤) .

(٢) المقصود باعتبارات الزمان والمكان : الخمول والعزلة عندما يجب أن تكون كموقف يربط بين الصوفي وربه، ويعزل بين الصوفي والظلم الاجتماعي المتضافر عليه، والجهاد والحركة عندما يدعو داعيها الجميع .

أيضا مادةُ التهمةِ الإعلاميةِ الغَرَضِية التي يدندن عليها المُعادُون للمنهج الصوفي كلِّه . وهذه السلبيات حيثما وجدت تُعتبر تِرَةً ونقصاً على فاعلها ولا تُعتبرُ حجةً على فساد المنهج ذاته، فهناك من يدعي معرفتَه لعلم الحديث أو العقائد أو التفسير أو علوم التربية والآداب، وهو يتحذها غرضاً لأهدافه ومصالحه، أفتكونُ دعواه حجةً لمن أراد أن يتهمَ المنهج الإسلامي بأنه فاسد، لأن زيداً وعَمْراً كان مسلماً فاسداً أو محدثاً فاسداً ؟

إن التصوف في حدِّ ذاته علمٌ، وقد تناول العديد من المنصفين تعليلَ مظاهره وأصلها الإسلامي، قال المؤرخ ابنُ خلدون في ((مقدمته)) عن التصوف العام : هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصلها العكوف في العبادة والانقطاع إلى اللّه تعالى والابتعاد عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد مما يُقبل عليه الجمهورُ من لَذَّةٍ وجاهٍ ومالٍ، والانفرادُ عن الخَلْقِ في الخلوة للعبادة، وكان عاماً في الصحابة والسلف، فلما نشأ الإقبالُ على الدنيا بعد القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة .

وفي مدرسة حضرموت يوصف الصوفي والصوفية بهذا النعت الذي أثبته الإمام العيدروس في كتابه «الكبريت الأحمر والإكسير الأكبر» حيث قال : « الصوفي العالَم باللّه هو الذي يضع الأشياء في مواضعها ويدبر الأحوال والأوقات كلها بالعلم، ويقيم الخلق مقامهم ويقيم الحق مقامه، ويستر ما ينبغي أن يستر ويظهر ما ينبغي أن يظهر، ويأتي الأمور من مواضعها بحضور عقل وصحة وتوحيد وكمال معرفة ورعاية وصدق وإخلاص، وهم أهل الشريعة والطريقة والحقيقة» [1] .

وإمامنا الحداد في « القصيدة العينية » أبرز لنا منهجَ السلف وطريقهم وهو طريق الكتاب السنة ممثلةً في مدرسة الفقيه المقدم بحضرموت، وهاهو يقدم ضوبط الطريق في هذه الوصية :

والقصدُ ذِكْرُ نَصِيحَةٍ ووصيَّةٍ للنَّفْسِ والإخوانِ إذ كانوا معي
تقوى إلهِ العالَمِينَ فإنَّها عِزٌّ وحِرْزٌ في الدُّنا والمَرْجِعِ
فيها غِنى الدّارَينِ فاستَمْسِكْ بها والْزَمْ تَنَلْ ما تَشْتَهِيهِ وتَدَّعِي
والزُّهْدُ في الدنيا الدَّنِيِّ متاعُها دارِ الوباءِ فما بها مِن مَرْتَعِ

(١) الكبريت الأحمر ص٦ من « المجموعة العيدروسية » .

تُلهِي عن الأخرى ولا تَبقَــى ولا تَــصْفُو بحــال فاجتنبْهــا أو دَعِ
وعليكَ بالصبرِ فــلا تَعْــدِلْ بــه شيئاً وبالشكرِ الأَتَــمِّ الأَوْسَــعِ
والخوفِ للّهِ العظــيمِ وبالرجــا فكلاهما مثــلُ الــدواء الأنفــعِ
والصدقُ والإخلاصُ للّه احــتفِظْ بهمــا فإنهمــا عِمــادُ المَــشْرَعِ
والتوبــةُ الخَلْــصَاءُ أَوَّلُ خطــوةٍ للــسالكينَ إلى الحِمــاءِ الأَمْنَــعِ
وبــمُــرِّ ما يَقْضِي الإلهُ وحُلْوِهِ كُنْ راضياً ومِنَ التَّوَكُّلِ فــاكْرَعِ
ولصالحِ النِّيّــاتِ كُــنْ مُتَحَرِّيــاً مستكثراً منها وراقــبْ واخــشعِ
واقنعْ بميسورِ المعــاش ولا تُطِــلْ أمــلاً وعمّــا لا يَحِــلُّ تَــوَرَّعِ
واحذرْ من الكبرِ المــشومِ فإنــه داءٌ ومن عُجْبٍ وشُــحٍّ مُهْلِــعِ
ومن الرياءِ فإنه الــشِّرْكُ الخَفِــيْ ومِنَ التَّفَحُّشِ شيمةِ العبدِ الــدَّعِيّ
والنَّفْسَ رُضْــها بــاعتزالٍ دائــمٍ والصمتِ معْ سَهْرِ الدُّجَى وتَجَوَّعِ
وهواكَ جاهِدْهُ جهــادَ منــازِعٍ ومخالِفٍ مثــلَ العَــدُوِّ الأَبْــشَعِ
واعمُرْ بأورادِ العبادةِ عُمْرَكَ الــ ــفاني وساعاتِ الزمانِ المُزْمِــعِ
واتلُ القرآنَ كَلامَ رَبِّــك دائمــاً بتَــدَبُّرٍ وتَرَتُّــلٍ وتَخَــشُّعِ
والذِّكْرَ لازِمْــهُ وواظِبْــهُ علــى مَرِّ الزمانِ معَ الحــضورِ الأَجمَــعِ
فهو الغذاءُ لكــلِّ قلــبٍ مُهْتَــدٍ وهو الدواءُ لكلِّ قلــبٍ مُوجَــعِ

وعليك بالصَّلْواتِ فاعرفْ حقَّها ومكانَها من دِينِ ربِّك واخــضعِ
واحسِنْ محافظةً عليها واحْــضُرَنْ فيهـــا ولا تَغْفَـــلْ ولا تَتَــوَزَّعِ
والصومِ والزَّكْــواتِ والحَــجِّ إلى بيتِ الإلهِ فقُمْ بفَرْضِكَ واسْــرِعِ
واعلمْ بأنك عن قريـــبٍ ميِّــتٌ فاذكُرْ مَماتَك واخْشَ سُوءَ المَصْرَعِ
واذكُرْ بأنك عن قليـــلٍ صــائرٌ في بطنِ قــبرٍ مـــن فَــلاةٍ بَلْقَــعِ
ومن القبورِ إلى النشورِ لِمَحْــشَرٍ والوزنِ والجسرِ المَهُــولِ الأشــنعِ
ثُـــمَّ المــصيرُ لجنـــةٍ ونعيمِهـــا أو حرِّ نارٍ والعــذابِ الأَفْظَــعِ[1]

هذا هو منهج التصوف عند أهله ورجاله، وهذا الــذي عليــه المعوَّل .

الضوابط المميزة بين الكرامة للولي والاستدراج للمدعي

كما صار الخَلْطُ والتشويشُ في هذا العصرِ حولَ مسألةِ الصوفيةِ والتصوف فقد امتدَّ التشويش إلى كثير من ثمرات العمـــل الــصالح ومظاهر رجاله من الصالحين، وكان من نتائج هذا الخلط المتعمَّـــد

(١) ديوان الإمام الحداد ص١٧٩-١٨١ الطبعة الأولى.

والتشويش المبرمج تساوي الكرامةِ التي تصدر من أولياء اللّه بالدجل والسحر والشعوذة الجارية على أيدي أولياء الشيطان، حتى صار الجيل المخدوع لا يُصَدِّقُ بثمرات الأعمال الصالحة في الأولياء، فضلاً عن تأييد صدورها أو بروزها على أيدي مَن يشاء اللّه له ذلك .

ومجاراةً للزمان وأهله، ورِفقاً وإشفاقاً بهم حتى لا يَبْهَتُوا الحقَّ ويستقبحوه أَلْزَمْنا أنفُسَنا في هذه الترجمة تجاوزَ كرامات الصالحين، وإذا لَزِمَ الحالُ أو اضطُرِرنا لذكرِ شيءٍ منها شفعناها بالتعليل والتحليل حتى لا تصبح خارجة عن حد البرهان والدليل، وقد استوفينا البحثَ في هذه المسألة في كتاب «شروط الاتِّصاف في مَن يطالِعُ كتبَ الأسلاف كالمَشْرَعِ والغُرَرِ والتِّرياقِ والجوهر الشَّفّاف»، وهو بحثٌ لا يستغنى عنه راغبٌ في معرفة الحق بلسان أهل هذا العصر، ومنه نستقي إيضاح الضوابط التي وضعناها عنواناً لهذا الفصل في هذه الترجمة .

الكرامات والخوارق

تعتبر الكرامات إحدى ثمرات الطاعة للعبد المسلم إذا صدق مع اللّه، وليست لازمةً له، والثابتُ عن المتقدمين من السلف الصالح بحضرموت خاصةً أنهم كانوا لا يهتمون بالكرامة بكونها مطلباً من مطالب الطاعة ولا شرطاً من شروط الولاية، وإنما يُؤْثَرُ عنهم قولهم: «الاستقامة أعظمُ كرامة»، وإذا ما أجرى اللّهُ سبحانه وتعالى شيئاً من الخَرْقِ للعادة على يد أحدٍ من عباده وعُلِمَ حاله الظاهر من الاستقامة والصدق والإخلاص للّه من خلال «معاملاته وعاداته وعباداته» سُلِّم له ما أجرى اللّه على يديه واعتُقِد فيه الصلاحُ وطُلِب منه الدعاءُ، مع عدم الاعتقاد بعصمته ولا بشرط استمرار تكرار كرامته [1].

إن أساس علاقتنا بالكرامة يكمن في ثمرات سلوك أسلافنا الصالحين بحضرموت وغيرها، وهي أيضا علاقتنا بمَن خرق العادة ونُقِل ذلك عنه في الماضي أو الحاضر أو المستقبل على القواعد التالية:

---

(١) عن «شروط الاتصاف» باختصار .

أولا : أن الكرامةَ انفعالٌ يخلقه اللّه تعالى في بعض الظواهر على غير معتادها لتأييدِ حقٍّ أو دَحْضِ باطلٍ على يد عبد من عباد اللّـــه الصالحين.

ثانيا : ليس كلُّ وليٍّ ذا كرامة، ولا كلُّ ذي خرقٍ لمألوفِ العادة بوليٍّ، وليستِ الكرامةُ – عند أهل السنة والجماعة – شرطاً مـــن شروط الولاية، وإنما أهمُّ شروط الولاية تقوى اللّه.

ثالثا : قد يلتبس على الناس أمرُ الكرامة بالـــسحر والـــشعوذة وغيرها، ولا يمكن الفصل بينهما إلا من خلال شـــواهدِ الـــسلوكِ الذاتي، وشهادةِ أهلِ عصره له بالصلاح والتقوى.

رابعا : ليس من شرط الإيمان أَنْ أُصَدِّقَ بكرامة فلانٍ أو خارقة علاّن، وإنما شرط الإيمان أن لا أُكَذِّبَ بحصول ذلك لمن اتقى اللّـــه عموما.

خامسا : وجوبُ العلم بأنَّ غالبَ الكراماتِ والحكاياتِ المُثْبَتَـــة في غالب كتب التراجم منقولةٌ بلفظ الرواة وتصرُّفِهم وليست مثبتةً بلفظ الولي ذاته، وهذا من أسباب الإفراط في الوصف وحـــصول الزيادات التي تَصْرِفُ الحكاياتِ عن حقائقها، وقد تابعنـــا هـــذه

الظاهرةَ في بعض كتب التراجم فترجَّح لنا أن كثيراً من الكُتّاب يُفْرِطُون في مسألة حُسْنِ الظَّنِّ، وكذلك في إبراز مقام الشيوخ أمام الأشباه والأنداد فَيَزِيدون ويُنْقِصون، ويعظِّمون ويهوِّلون، وليس أَدَلَّ على ما ذكرنا هنا مما اعترف به مؤلفُ « الجوهرِ الشفاف »، فأَنْصِتْ وتَدَبَّرْ لما يقوله هذا المؤلف في أول الكتاب (١: ٨) قال المؤلف :

وقد أُغَيِّرُ بناءَ بعضِ الحكايات، ثُمَّ أَنْظُرُ إلى معنى الحكاية وصورتِها، ثم أُثبِتُها على رَسمِها بما حَسُنَ من البناء، وأَتَكَلَّمَ فيها على لسان الحال، ولا أعبأ فيما سبق بزائد اللفظ وناقصه، وسابقه ولاحقه، وأُبدِلُ في بعضها بعضَ الألفاظ ! وحَذَفْتُ الإسنادَ من الطبقات الثلاثِ الأُوَل » .

وفي هذا البسط من مؤلف « الجوهر الشفاف » غُنْيَةٌ كافيةٌ للاستدلال على ما قررناه من زيادة النَّقَلَةِ والكَتَبَةِ وصرفِ النص في بعض الأحيان بما يُضِيفُونه من الفهم عن حقيقة حال المتكلم به [١].

(١) خُدم « الجوهر الشفاف » بتحقيقٍ للفقير كاتب الترجمة يتناول متابعة الحكايات وأصولها والأوجه العقلية المناسبة لفهم الكرامات والأحوال المذكورة بما يناسب القاموس العصري وفهم الإنسان المعاصر الذي تشكل عليه مثل هذه الأمور، ولا

وها أنذا أضعُ بين يدي القارئ واحدةً من هذه الحكايات للاستدلال بها على ما ذكرتُ، وللتأكيد أن نسبةَ الطامّات والشَّطحات لبعض الأولياء تأتي غالباً من نقلِ التلاميذ والمريدين وسوءِ تفسيرهم للأقوال .

كتب مؤلف « الجوهر الشفاف » في ترجمته للأستاذ الأعظم الفقيه المقدم «الحكاية الخامسة والثلاثون»:

روى المشايخ رضي اللّه عنهم أن شيخ شيوخنا الفقيه المقدم محمد بن علي رضي اللّه عنه خرج ذات يوم من الأيام إلى شارع من شوارع تريم وكان ذلك الشارع مطروقا، فوقف الشيخ فيه فمرَّ به بدويٌّ معه جملٌ عليه سعفٌ، فساومه الشيخ في السعف فأبى

زال هذا التحقيق جارياً .

وكان سبب الاهتمام بهذا التحقيق ما يوجد في « الجوهر الشفاف » من حكايات وأحوال يقف عندها البعض موقف الحيرة وخاصة أولئك الذين يعتقدون أن السلف يبالغون في وصف أنفسهم وأحوالهم .

وقد لاحظنا أن الكرامات والأحوال على أنماط، منها كرامات يمكن تأويلها، ومنها كرامات يتوقف عندها ويتحقق في نقلها من حيث زيادة المؤلف أو عدم ثقة الناقل، وأنماط أخرى ستظهر إن شاء اللّه عند ظهوره .

البدوي أن يبيع السعف للشيخ بالذي أراد، فقال له الحاضرون: بِعِ السعفَ للشيخ بالذي أراد، فأتى إليه الفقيه الأجل الإمام الأكمل أحمد بن عبد الرحمن أبو علوي وقال له: بِعِ الشيخَ السعفَ بما أراد فإن الشيخ كذا وكذا، وذكر شيئا من مناقب الشيخ، فقال له البدوي : هو الشيخ محمد بن علي اللّه ؟ فلما سمع الشيخُ ذِكْرَ اللّه قال بأعلى صوته : نعم.. أنا اللّه.. وسقط مغشياً عليه .. إلخ .

وهذه الحكايات نقلها « الترياق » وغيرُه[1] لكن كان نقلهم لقول الفقيه «أنا اللّه !» ليست بصفة الاستنكار ولكن بصفة الإقرار، وهذا عكس الواقع لأن الفقيه خرَّ مغشّياً عليه من عِظَمِ الصدمة لَمّا قال البدوي ذلك .

(١) قولنا : « وغيرُه »، إشارةٌ إلى العديد من كتب التراجم « كالغرر » و« شرح العينية » و« المشرع »، فكلهم فَسَّرُوا العبارة بصفة الإقرار وعللوا ذلك بما يليق بمقام الفقيه المقدم، مع العلم أن اللفظةَ وإصابةَ الفقيه بالإغماء ومقامَ الفقيه الواثقِ بربه يُبرز أَنَّ اللفظةَ كانت بصيغة الاستنكار، وهو اللائق حقّاً بمقام عالمٍ مجتهدٍ يَعْرِفُ مقامات الرجاء والخوف، وهذا الذي يدل عليه سِياقُ العبارة للمتأمل والباحث .

سادسا : شاع في العصور السالفة الاهتمام الكلِّـيُّ بتسجيل ورواية الكرامات في التراجم استجابة لمستوى فهم الناس وثقافاتهم ورغباتهم وكانت آنذاك أهمَّ ما يتميز به الوليُّ عند العوام، أما بقية الأعمال والمبرات والأخلاق فيتساوى فيها غالب العلماء والصلحاء، فيتجاوزونها أو يجعلون الكلام عنها عرضاً عابراً فقط، وينتقون من مجمل الحياة أخبار الخوارق كيفما كانت على غير تمحيص ولا تدقيق، وهذا واضح كل الوضوح إذا طالعتَ كتاباً من كتب التراجم القديمة.

فعلى سبيل المثال لا الحصر وخلال جمع مواد هذه الترجمة أَجِدُ كافَّةَ ما بين يدي من تراجم الإمام الفقيه المقدم ترضخ لثقافة الكاتب وعصره، ولا أجدُ أحداً من هؤلاء المترجمين من يعمل الذهن في كافَّة ما يُروى عَنِ الفقيهِ المقدم أو عن غيره ؛ ليجعل من الحكايات والمَرْوِيّاتِ حَدَثاً واقعياً يمكن استيعابه وفهمُه وتعليلُه، إما بشرحِه وتَبْيِينِ غامضِ عباراته، وإما بإرجاعه إلى مستوى القدرة الإلهية الفاعلة في الحدث والمسببة له . والكُتّابُ والمترجمونَ الأوائلُ معذورون في ذلك، ولا يمكن بحالٍ من الأحوال أن نُخَطِّئَ عملَهم ؛ لأنه ثمرةُ فِقهِهِمْ وعِلْمِهِم ومستوى ثقافةِ عصرهم .

أما ترى أيُّها الأخ القارئ وأنت تقرأ ما أثبتناه هنا مـــن تعليـــلٍ وتحليلٍ وتبسيطٍ لظواهر الكرامةِ والحكايةِ أن في الحياةِ من رجـــال عصرنا وجيلنا من لا يستسيغُ هذا التعليل والتحليل ؟ وإنما يعتـــبره تحريفاً لحقيقةِ ما أَجْمَعَ عليه المترجمون ورضَيَهُ الشيوخُ السابقون، وتَرَكُوهُ كما هو للاطلاع دون أن يَمَسُّوهُ بتحليل ولا تعليـــل ولا مناقشة، وهؤلاء القائلين بهذه القول فئـــةٌ لا زالـــتْ تحمـــلُ ذاتَ التَّصَوُّراتِ المَبْنِيَّةِ على سلامة ما رُوِيَ وما كتـــب بلـــسان ذلـــك العصر، وأن الفسادَ كامنٌ في فهم المتأخرينَ وثقافـــاتهم وأســـلوب دراساتهم.

ولهذا السبب وللخروج من هذه المتناقضات بين فكر وقَبولِ جيلٍ دون جيلٍ، حَمَلْنا أقلامَنا لمحاولة الإيـــضاح والتقريـــب حـــسب المستطاع، بحيث يظل احترام الجميع لعباد اللّه الصالحين قائماً دون مَساسِ شخصياتهم وعقائدهم، ومن ثم نرجع إلى التراث ونفهمـــه بلغة عصرنا مقرونا بالاستدلالات والبراهين والتحلـــيلات، ومـــا استعجم من التراث ولم نفهمه نتركُه كما هو ولا نُصْدِرُ به حُكماً على الواصف له ولا الموصوف، لأن هذه الحكاياتِ أخبارٌ وآثـــارٌ يُستفاد من روايتها عندما تكون مفهومةً ومعلومة، وما لم يُفهم منها

يُعرض على الضوابط المذكورة سلفاً، فإن تطابقتْ معهـــا فتلـــك ظاهرةٌ نادرةٌ، وإن لم تتطابق معها فتُتركُ كما هـــي تحـــت دائـــرة الاستفهام، ويُلتفتُ إلى أعمالِ ومجاهداتِ ومَبَرّاتِ أولئك الصالحين، فهي الأصلُ وعليها المعوَّلُ في الاقتداء والاهتداء، وهي أيضاً ضابطُ التمييزِ بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وبين الكرامة والـــدَّجَل، وبين انفعال الظواهر لأهل الحق وبين انفعالها لأهل الباطل، وكلاهما لابد في الحياة، وذلك أمرُ اللّه في العباد، وقد جَمَعَ في عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم بين معجزة النبوة وبـــين اســـتدراج الكاذبين كمسيلمة والأسود العنسي وسجاح وغيرهم، وفي الوقت الذي كان القرآن ينـــزل على رسول اللّه حقاً وصدقاً كان مسيلمة الكذاب يعلن كذب القرآن والرسالة ويقرئ قومه قرآنـــا آخـــر، ويظهر لهم كراماتٍ مصنعةً بالحيلة والخداع، فكان لمـــسيلمة قـــومٌ وأتباعٌ لم ينقطعوا بموت مسيلمة ولم ينقرضوا، وكان لرسول اللّـــه قوم وأتباع لم تنقطع منهم الكرامات والآيات بموت رســـول اللّـــه صلى اللّه عليه وآله وسلم ولم ينقرضوا[1]، بل بارك اللّه في آثارهم،

---

(١) هذه قاعدة معروفة ومعلومة، فمدرسة التمذهب بالمذاهب على هذه الكيفية مـــن الترابط منذ العصر الأول إلى اليوم، وتقابلها المدرسة الحديثة الداعية لنبذ المذهبية

وحقق فيهم قول ربه: ﴿ إِنّا أَعطيناكَ الكَوثَر. فصَلِّ لِرَبِّكَ وانحرْ . إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبتَر ﴾ صدق اللّه العظيم .

ضوابط الشطحات والعبارات الموهمة

يُتهم الصوفيةُ في عصرنا بأنهم يتجاوزون حد الأدب مع اللّه فيما يصدر عنهم من عبارات وشطحات شعرية ونثرية، ويستدل على ذلك الشطح بقصائد ابن الفارض وكتب ابن عربي وعبارات الحلاج وغيرهم، ومن هذه العبارات والشطحات عمَّم المتأخرون حكم المروق والفساد على مدارس التصوف والصوفية، أينما كانوا وكيفما كانوا، وخاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه كتابة الرسائل والمصنفات وصارت توزع مجانا وتنقل من بلاد إلى أخرى.

ونحن في هذه الترجمة قد أوضحنا حدود تناولنا وحديثنا أنه لن يتعدى التعليل والإيضاح لقواعد مدرسة حضرموت، مدرسة الفقيه المقدم، ولكنا في بعض الأحايين لا بد أن نتجاوز هذه القاعدة

ومحاربة الصوفية ومنهج آل البيت النبوي، فلها تسلسل تاريخي عبر الزمان إلى الأصول الأساسية الواضعة قواعد الخلاف، وهكذا .

ونشير إلى تاريخ الاعتدال في التصوف كله، لأن مدرسة الاعتدال تمثل رابطاً واحداً ومنهجاً متشابهاً أمام طرفي الإفراط والتفريط، فالشطح والعبارات الموهمة لم تكن محصورة في «التصوف والصوفية» وإنما شملت عدداً من رجال العلم والحديث والأصول، فهناك لهم أقوال وأحكام وعبارات في التوحيد والعقائد وفي الفقه والحديث والجرح والتعديل لا تقل خطرا عن عبارات الشاطحين من الصوفية .

ومع كل هذا فإن السلف الصالح عالجوا هذه المسائل بروية وتعقل ولم يذهبوا مذهب المفرطين الذين حكموا بكفر بعض الصوفية الشاطحين ولا بمروق العلماء المُفْرِطِين ولا المفرّطين، فمن أقوال سلفنا الصالح بمدرسة حضرموت حول هذه المسائل يقول الإمام الحداد يكتب لبعض مريديه :

« لا تعلق خاطرك بالشيخ ابن عربي ولا بأضرابه فإن ذلك معجزة، وربما دعا بعضَ الناس إلى الدعوى بما لا يفعله، فعليك بالعلوم الغَزّالِيّة وما جرى مجراها من الصوفيات والفقهيات التي هي

علوم الشرع، وصريح الكتاب والسنة، فَثَمَّ السلامةُ والغنيمةُ، واحترِزْ مما سوى ذلك فإنه ربما يشوش على الإنسان سلوكه»[1].

وكتب الشيخ عبد اللّه بن أحمد باسودان في «فيض الأسرار»[2]: وقد سأل الشيخُ أحمدُ بن عبد القادر الحِفْظِي العجيلي سيدي أحمدَ بن علوي جمل الليل باعلوي نفع اللّه بهما عن «الفصوص» لابن عربي، فأجابه رضي اللّه عنه بما نصه : الذي أراه الكَفُّ عن الخوض في الإشارات، وعدم صرف الزمن في فهم تلك العبارات، وذلك لأن الطالب العامل لا يجعل همَّتَه متفرقةً إلى غير جهة الحق المفيض على كل مُقبلٍ عليه صنوف الإحسان، وتلك الرموز والإشارات لا تصلح أن تكون مفيدةً لكل فرد أصالةً، فإن صدورها من الشخص الواحد من أولئك القوم لا يدري على أي وجهة صدرتْ وعلى أي حال جرت على لسانه، بل إن من أجرى اللّه تعالى على لسانه ما ذُكِرَ إذا كان من أرباب الثبات لا يَقِفُ عندَه ولا يعمل بمقتضاه في كل آن ؛ لأن كثيراً ما يخيِّلُ الوهمُ للعارفين صوراً مشتبهةً يقف بسببها في كمال الحياة، وربما ينقطع

---

(١) المكاتبات، مطبوع، (٢: ٢٢-٢٣) .

(٢) « فيض الأسرار » للشيخ باسودان، مخطوط، (١: ١٩٧) .

بعضُهم إذا سار معها، فالحزم كل الحزم في إشغال الوقت وعمارته بما برز من مرشد الكل الهادي إلى الصراط المستقيم عليه أفضل الصلاة والتسليم، من ذكر وتلاوة وتدبر وعبادة مع خشوع وإفادة وإستفادة، والاشتغال بالسنة وتفهم أسرارها على الوجه الذي أرشد إليه صاحبها، ومضى عليه ورثته من بعده » .

هذا وقد ظهر في مدرسة حضرموت من نُسب إليه بعض الشطحات والأقوال الموهمة، إلا أن هذه الأقوال تعرض على حقيقة حال المتكلم بها، فإن وُجد أن حاله التخليط والتخبيط فالعبارة نِتاجٌ من نِتاجِ خَلطِه وخبطِه، وإن كان حاله الاستقامة وهو مشهود له من أهل عصره بالتقوى والمراقبة للّه والولاية فتعتبر هذه المقولة – إن صحّت عنه – إشكالاً يُؤَوَّلُ عن ظاهره بما يحتمل معنى آخر تسعه العبارة.

وفي هذا المضمار كتب السيد العلامة محمد بن أحمد الشاطري في « أدوار التاريخ » (٢: ٢٥٥) مشيرا إلى انتشار التصوف بحضرموت وأثره في الحياة الفكرية فقال : « وهكذا انتشر التصوف بحضرموت فيما بعد – أي : بعد ظهور الفقيه المقدم – ولكن بصورةٍ مهذَّبةٍ منتقاةٍ وبعيدةٍ عن الغلو ومجانبة الشرع، وبالرغم من

هذا فإنه لم يَخْلُ المطافُ عن شخصياتٍ حضرميةٍ كبيرةٍ نُسبَ إليها ما يُخالِفُ ظاهرَ الشرع من تبجُّحاتٍ وشطحاتٍ كما نُـــسِبَ إلى غيرها من صوفية الأقطار الأخرى ؛ ولكن ذلك لم يأتِ عن ســـوءِ قصدٍ طبعاً لما عُرِفُوا به من مثاليةٍ وإيمانٍ متين، فإذا أُسِيءَ تفسير هذه الشطحات فقد عُذِرَ أصحابُها لأنهم قالوها في حالةِ غيبوبة، ولعـــلَّ هذا أسلمُ وأحزمُ من أَنْ نَضَعَهُم موقعَ التُّهَمِ والعياذ بالله)) [1].

وإضافة إلى ما ذكره هؤلاء العلماء، فإنه من المعلوم أن ((ظاهرة الشطح والطامات والتبجحات)) لا تمثل في منهج سلفنا الصالح ولا في نهج الفرد منهم قاعدةً ولا تُعَدُّ أصلاً ينبني عليه أمـــر الاتّبـــاع والاقتداء، وإنما - إن صحت - حالاتٍ طارئةً تعبر عن ذاتها مقرونة بالحال الذي قيلت فيه ((لِذاتِ القائل)) خارجةً عن مألوف علمه وطبعه، ولا يُقاس بهما عقيدته ولا علمه ولا نهجـــه في الـــسلوك والمعرفة، لأن بعض الأولياء قد يبلغ بهم الحال المترتب على انفعـــالٍ معينٍ أو غضبٍ أو تحدٍّ أو منافسةِ أضدادٍ أو غير ذلك من مسببات الإثارة الطبعية الشاذة، أو يكون في حالةٍ فرح واستئناس برحمة الله، وما يطرأ من الوجد والشوق بعد تمام طاعة أو عبادة فتنـــزلق مـــن

---

(١) ((أدوار التاريخ)) (٢: ٢٥٥) .

لسانه كلمة أو عبارة توهم الشك في ظاهر لفظها، وتثير الاستغراب عند تأمل معناها، فيثبتها المريدون المتنافسون ويروجون خبرها بين الأنداد والأضداد كعبارة متميزة وذات مدلول خاص، وكان الأولى والأثبت والأسلم أن لا تُروى ولا تُكتب لأنها لا تعد عند «أهل الطريق» فضيلةً أبداً، بل هي ليست «عند أهل الثبات مطلباً ولا غاية» .

أوائل تلاميذ الفقيه المقدم

استطاع الأستاذ الأعظم في حياته المباركة بتوفيق اللّه تعالى وعونه أن يبرز منهجه الأخلاقيّ مشفوعاً بالمفهوم الصوفي العالمي المتمثل في مساندة المدرسة الشعيبية المغرّبية، ومدعوما بالاستجابة المحلية التامة من قبل المشايخ القائمين بذات الدعوة في أودية حضرموت وعلى رأسهم الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي، ولم يمر زمن قصير إلا وقد برزت آثار هذه الدعوة المباركة يتصدرها كبار علماء وشيوخ حضرموت، وكان من أبرز الرجال الآخذين منهج العلم الروحي على يد الفقيه المقدم عددٌ من الشيوخ ومنهم:

١- الشيخ العلامة عبد اللّه بن محمد بن عبد الرحمن باعباد[١].

---

(١) ترجم له في « طبقات الخواص » بما مثاله مختصرا : كان من أبرز مشايخ حضرموت قدراً وأعظمهم شهرة، صحب في البداية الشريف الصالح محمد بن علي باعلوي واستفاد منه واقتبس من علومه، وكان الفقيه يحبه حباً شديداً، ثم رحل إلى الشيخ أحمد بن أبي الجعد وأخذ عنه وانتفع به، ولقي الشيخ أبا الغيث بن جميل وغيره من الأكابر وانتفع بهم.

واشتهر كثيرا في البلاد وحتى قصده الناس من نواحٍ شتّى، وتَبِعَه خَلْقٌ كثيرٌ حتى إنه قصد مرةً زيارة قبر النبي هود عليه السلام في حوالي ألف وخمسمائة نفس، وكان للشيخ باعباد كلام حسن في التصوف ومكاتبات مفيدة إلى أصحابه وكرامات وأحوال ظاهرة، وكان متباعداً من الدنيا كثير الذم لها، وكان ينهى أصحابه من الاحتباء حال الأذان لأنها حال دعوة إلى أداء أمر اللّه تعالى، وحقها المبادرة إلى الامتثال وترك التمكن بالجلوس، وكان إذا أراد أن يؤدب بعض أتباعه لسوء أدب يصدر منه ألزمه مزيداً من أوراده.

توفي آخر سنة ٦٨٧ ودفن بمقبرة مدينة شبام، وقريته معروفة هناك وله ذرية كبيرة يعرفون إلى اليوم بآل باعباد، ومساكنهم حضرموت . انتهى عن « طبقات الخواص » ص١٧٦-١٧٩ بتصرف وزيادات من المؤلف.

وجاء في «الترياق» أن الفقيه المقدم كان يحب الشيخ عبد اللّه حبا جما ويقول: «لو كان الشيخ عبد اللّه قذاه في عيني لما جرحتني» كل ذلك من محبته له ثم من حسن تربيته له.

٢- الشيخ عبد الرحمن بن محمد باعباد[١].

٣- الشيخ عبد اللّه بن إبراهيم قشير[٢]

٤- الشيخ سعيد بن عمر بالحاف[٣].

٥- الشيخ إبراهيم بن يحيى بافضل[٤] .

---

(١) عبد الرحمن محمد باعباد هو أخو الشيخ عبد اللّه وقرينه في الأخذ والطلب والانتفاع بسيدنا الفقيه المقدم، وكان له الانطواء الكامل والمحبة الفائقة حتى نال بذلك المقـــام الأسنى .

(٢) عبد اللّه بن إبراهيم باقشير من كبار الأئمة العلماء بحضرموت، كان ممن اشـــتهر بصحبة الفقيه المقدم وانتفع به كثيرا واستفاد منه علما غزيرا، قال فيـــه الـــشيخ عبدالرحمن بن عبداللّه بن أسعد اليافعي لما زار قبره : صاحب هذا القبر صـــاحب لواء يوم القيامة، هذا رجل يباهي اللّه به ملائكته، هذا رجلٌ في وجههِ غُرَّةٌ كوجهِ محمدِ بنِ عبدِاللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم. وكان كـــثير التبجيـــل والتعظـــيم والاحترام لآل البيت النبوي، لما هم من الشرف الطاهر والنسب الفاخر.

(٣) الشيخ سعيد بن عمر بالحاف من أكابر تلاميذ الفقيه المقـــدم الـــذي انطـــوت وشائجهم في وشاجه، وممن انتفع به انتفاعا خاصا وعاما حتى بلغ بـــه المراتـــب العلية في قدم الطريق وارتبط حاله بحال شيخه حتى كان يراه في أحوالـــه كلـــها بصور ومقامات ومراتب راقية، أشار إليها كتاب ((الترياق)) وغيره.

(٤) أحد كبار التلامذة الذين انتفعوا بالأخذ الكامل عن الفقيه المقدم، عـــاش بتـــريم وتوفي بها، وكان من الشيوخ الأفاضل الذين كانوا في غاية من الإخبات والقيـــام بالطاعة للّه تعالى مع كمال الورع والزهد والتواضع. أنفق حياته في سبيل العلـــم

٦- الشيخ علي بن محمد الخطيب [١] .

٧- الشيخ أحمد بن محمد الخطيب[٢].

٨- الشيخ سعد بن عبد اللّه أكدر[٣] .

والتعليم مع الصبر على شظف العيش، وعرف بفنائه الكامل في محبة أهل البيت النبوي والانطواء فيهم.

(١) من فقهاء وعلماء تريم الأكابر الذين تحدد أخذهم عن الشيوخ وكان فتحه وانطواؤه الكامل في شيخه الفقيه المقدم، وقد أمضى حياته كلها في نشر العلم بتريم متنقلا بين زواياها ومساجدها، عاصر المجالس بالعلوم الفقهية والحديث والصوفية منطرحا كل الانطراح لشيوخه من آل البيت النبوي الذي يأتي في مقدمتهم الإمام الفقيه المقدم.

(٢) من المشايخ الأفاضل، ولد بتريم وتربى فيها، وكان جُلُّ أَخْذِه وانتفاعه على الفقيه المقدم وتخرج به وقضى معظم حياته بعد الفقيه متصدرا في التعليم بمساجد تريم وزواياها مع الغاية في التواضع وحب الخمول والزهد في الدنيا، حتى توفي بتريم ودفن بها.

(٣) من مشايخ العلم الصلحاء الذين عرفتهم تريم ونواحيها، ومن هذا البيت استشهد الشيخان يس وأحمد ابنا سالم بن أبي أكدر في فتنة الزنجيلي سنة ٥٧٦، وقد نشأ الشيخ سعد على غاية من الاجتهاد في طلب العلم وأخذ الطريق على يد شيخه الإمام الفقيه المقدم حتى برز في الطاعات والأوراد وفي العلوم على كثير من أقرانه، وأقامه اللّه حجةً في العلم والعمل وانتفع به خلق كثير، ومع هذا فقد كانت حرفته الخياطة وكان يذكر اللّه مع كل قطعة يخيطها في الثوب، وخاط مرة قميصا، ولما فرغ منه تذكر أن قطعة منه لم يذكر اللّه تعالى عندها فنقض

٩- الشيخ علوي بن الفقيه المقدم.

١٠- الشيخ عبد الله ابن الفقيه المقدم.

١١- الشيخ أحمد ابن الفقيه المقدم.

١٢- الشيخ عبد الله بن علوي ابن الفقيه المقدم.

١٣- الشيخ أبو بكر بن أحمد ابن الفقيه المقدم.

هؤلاء من طلائع التلاميذ والمريدين الآخذين عن الفقيه إبان حياته وتصديره في تريم، ولم يكن التلاميذ محصورين في هذا العدد المذكور، بل كان المجتمع كله مستجيبا لدعوة الإمام الفقيه المقدم، منتفعا بعلومه، ملتفا حول مدرسته، محبا لشخصيته التي بناها بالصدق مع الله والإخلاص في العلم والعمل، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

خياطة القميص ثم خاطه مرة أخرى وهو يذكر الله، توفي في جماد الآخر عام ٧٧١ . انتهى عن ((الجوهر الشفاف)) ص٢٣٨ .

الفقيه المقدم مثال في العلوم وفي الكسب الحلال

كان من أهم مميزات مدرسة الإمام الفقيه المقدم أنها مدرسة جمعت في دعوتها بين شقّي العلم والعمل، وبين التوكل والتعرض للأسباب، وإذ كان المتأخرون قد تشوشت فهومهم عن السلف حيث لم يعرفوا شيئا عن حياتهم العملية، وعن طلبهم للرزق بأسباب الكسب الحلال، فعليهم أن يتأملوا في حقيقة حال هؤلاء الأئمة من أهل البيت في حضرموت وكيف تفردوا في صوفيتهم وفي علومهم وأعمالهم .

وبرغم أن الدعوة إلى الكسب الحلال وبذل الأموال في صنوف أوجه الخير هي ديدن آل البيت منذ عهد الإمام المهاجر[1]، إلا أن الفقيه المقدم رسخ هذا التوجه وأورثه أكابر أهل بيته كي لا يكونوا عالة على أحد من الناس، وفي هذا المضمار كتب السيد صالح الحامد في « تاريخ حضرموت »: إن أجدادنا الصوفية لم يكونوا كما يظن بهم من التخلي عن الأسباب، وترك السعي على العيال،

---

(١) خرج الإمام المهاجر من العراق وهو يحمل معه ثروة طائلة من الذهب، ولما وصل إلى حضرموت اشترى في وادي دوعن عقارا ثم وهبه لأحد مواليه، ثم اشترى غيره ووهبه لآخر وهكذا . عن « تاريخ حضرموت » ص٧١٩ .

بل كانوا بخلاف ذلك، إذ لم يمنعهم التصوف من عمارة أوديتهم بالزراعة وغرس النخيل حتى صار في تلك العهود جنانا غنّاء، فقد روى الثقاة من المؤرخين أن الأستاذ الفقيه المقدم كان هو المثل الأعلى في ذلك، كان يرزم – أي : يملأ – من التمر ثلاثمائة وستين زيرا من التمر الفاضل عما يستهلكه أيام الرطب . اهـ[1].

وكانت هذه التمور المخزونة تنفق على الفقراء والمحتاجين وذوي العسرة، حيث كان يتصدق كل يوم بزيد من تلك الأزياد المحفوظة على عدد أيام السنة.

كتب السيد صالح الحامد في ((تاريخه)) : وأما كرمه فحدث عنه ولا حرج، فقد واسى من تقدم ودرج، وتقدم في الجود على من مضى وفاقه، وترك الناس بين يديه ذوي فاقة، وكانت داره مشيدة البناء، رحبة الفناء، تلجأ إليها الأيتام والفقراء والأرامل، ويفد عليه الراجي والآمل [2].

وكتب السيد محمد بن أحمد الشاطري في ((الأدوار)) ص٢٦٨: وذكرتْ مصادرُ أخرى أن الإمام الفقيه المقدم المتوفى سنة ٦٥٣

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق ص٧٢٦ .

كان يكبس «يرزم» من التمر بعد الاستثمار والصدقة في جِرارٍ مُعَدَّةٍ له ما يُقَدَّرُ بمئة ألفٍ وعشرين ألف رِطلٍ سنويا، ولحفيده الإمام عبد اللّه بن علوي بن الفقيه أطيانٌ وتمورٌ لا تَكاد تحصى، ولا يَدَّخِرُ منها إلا القليلَ لأنه يشرك فيها الفقراء والمعوزين، وقد جمع السيد عمر بن محمد العلوي من ودك الغنم التي كان يرسلها له ثلاثين مَنّاً - والمَنُّ ثمانية وعشرون رطلاً - في شهر واحد، ومن أوقافه على مسجد باعلوي بتريم ما قيمته تسعون ألف دينار ذهبا من الأطيان والنخيل والآبار. انتهى .

ومع هذا الاتساع في الكسب وإنفاقه في سبيل اللّه، فقد كان الفقيه على غاية من التواضع والخمول، حتى أنه كان يحمل السمك في كمه من السوق إلى أهله تواضعا، وكان إذا جاءه ضيف يجلسه على زير التمر ليأكل منه حاجته وليلتمس بركة أيدي المسلمين(١) .

---

(١) الترياق ٩٢ .

أسرة الفقيه المقدم

تعتبر التربية المنــــزلية في منهج التصوف أساس الحياة الأســرية، ومنطلق توجه أفرادها، وكان آل البيت في حــضرموت يعتنــون بالتربية المنــزلية اعتناء تاما، وبها تخرج أئمة الرجـال وصـالحات النساء، وتروي كتب التراجم من هذه المواقف نماذج عديدة كلها تدور حول اهتمام الواقع كله بمسألة التربية، ومن البديهي جداً أن المجتمع الذي تبدأ الأسرة فيه بالتربية يكون المجتمع كله على جانب من التعاضد والتآزر في هذا المضمار، ولهذا يقال عن تريم : ((تريم شيخُ مَن لا له شيخ))، وهذا يدل على انتشار أثر الاهتمام بالتربية من المنــزل إلى الحياة العامة، والفقيه المقدم كان في عصره رجـل التربية الأول، وبتوجيهه ورعايته سار المجتمع الحـضرمي سـيرة الاقتداء الكامل بالأسوة الحسنة صلى اللّه عليه وآله وسلم، وسـار أيضا في هذا المسلك أهل بيته وذووه، فزوجته الصالحة التقية زينب بنت عمه أحمد كانت من أكثر من يليه عوناً له علـى منهجـه في الحياة العامة والخاصة، لقبت بأم الفقراء اقتداء بزينب زوجة الـنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، ولكثرة صدقتها على الفقراء والمساكين،

بل رُشحت من بعده للقيام بكثير من الأمور التي كان الفقيه المقدم يجريها على الناس، وكان الفقيه المقدم هو الذي رشحها في حياته لقوة شخصيتها، ولاستعدادها وكفاءتها، فصار تلامذة الفقيه وزواره يقصدونها للاسترشاد والتبرك والاستشارة، وكانت ترتب النفقات الخاصة بالرباط المنسوب لزوجها بعد وفاته، كما اعتنت في حياة الفقيه بأولاده غاية الاعتناء، تحثهم على الطاعات وتدلهم على ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، وتأمرهم بالذهاب إلى المساجد ومرافقة أبيهم في كل مواقع العلم والذكر ومجالس السلوك (١) .

وبهذه التربية الصالحة برز أبناء الفقيه المقدم في حياته على غايةٍ من الاستقامة وحسن السلوك، فابنه الأكبر علوي - وهو الذي يكَنَّى به الفقيه - بلغ مرتبة عظمى في الاهتداء والاقتداء، وكذلك بقية أبناء الفقيه، وهم عبداللّه وأحمد، وقد تزوج كل هؤلاء في حياة والدهم، وأنجب كلٌّ منهم من الأبناء والبنات ما قرت به عين جدهم الفقيه، فالشيخ علوي أنجب عبداللّه وعليا، والشيخ عبداللّه أنجب محمداً وفاطمة، والشيخ أحمد أنجب أبابكر وعلوياً وعمر،

(١) وكانت وفاة الشيخة زينب أم الفقراء يوم السبت ١٢ شوال ٦٩٩ بتريم، ودفنت بمقبرة زنبل رحمها اللّه رحمة الأبرار .

وكان هؤلاء الصغار يدبون خلف آبائهم إلى المسجد يحضرون الصلوات ويقتبسون النور من مواقع الطاعات، حتى صار يطلق عليهم لقب ((حُمَيمات المسجد)) تصغيرا لاسم الحمامات، لكثرة ملازمتهم لآبائهم فيها .

آثار الفقيه المقدم

بنى الفقيه المقدم في حضرموت صرحا من العلم والتربية بناء راسخا متمكنا أساسه الصدق مع الله وبذل المجهود في إصلاح الإنسان وأسباب حياته الدينية والدنيوية ، وهذا من أعظم آثاره التي طبقت بقاع العالم الإنساني كله ، إذ شهدت حضرموت منذ ذلك الحين تحولا واسعا في الحياة الفكرية ، ورست الطريقة العلوية علما وعملا وذوقا متفردة الرؤية متميزة الأهداف ، تبرز في سلوك تلامذة الفقيه ودائرة أتباعه وأبنائه وأسرته الصالحة، كما ترك رباطاً علميّاً من أعظم أربطة البلاد حشدا ونفعا وأثرا وتأثيراً كان يحمل اسمه ويدرس منهجه[1] ، كما ترك أراضٍ زراعية جمة فيها من

---

(١) ورد ذكر هذا الرباط في ((أدوار التاريخ))(٢: ٣٠٨) ، وقال عنه الشاطري في

النخيل والزروع ما لا يحصى يصرف معظمه في سـبيل المـصالح العامة[1].

وأما آثاره المكتوبة فلا يُعلم منها الآن شيء إلا ما ورد في كتب التاريخ الحضرمي بلفظ العموم كقول السيد المؤرخ محمد بن أحمد الشاطري في «الأدوار» (٢: ٣٠٢) : وله كتب أخرى في التصوف والحقائق ، وبينه وبين بعض علماء عصره في الخـارج مراجعـات ونقود وردود . اهـ . وزاد الشاطري في الحاشية معلقاً : وكتبـه خطيةٌ وعزيزةُ الوجود .

ومما بقي من آثار الفقيه المقدم مثبوتاً في كتب الأدعية والأذكار هذا الورد المنسوب إليه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

اللهم انقلنا والمسلمين من الشقاوة إلى السعادة ، ومن النـار إلى الجنة ، ومن العذاب إلى الرحمة ، ومن الذنوب إلى المغفرة ، ومـن الإساءة إلى الإحسان ، ومن الخوف إلى الأمان ، ومن الفقـر إلى الغنى ، ومن الذل إلى العز ، ومن الإهانة إلى الكرامة ، ومن الضيق

الحاشية : لم تعطنا المصادر تفاصيل عن ذلك الرباط .

(١) المصدر السابق ص٣٠٦ .

إلى السعة ، ومن الشر إلى الخير، ومن العسر إلى اليسر ، ومن الإدبار إلى الإقبال ، ومن السقم إلى الصحة ، ومن السخط إلى الرضى ، ومن الغفلة إلى العبادة ، ومن الفترة إلى الاجتهاد ، ومن الخذلان إلى التوفيق ، ومن البدعة إلى السنة ، ومن الجور إلى العدل.

اللهم أعنّا على ديننا بالدنيا ، وعلى الدنيا بالتقوى ، وعلى التقوى بالعمل، وعلى العمل بالتوفيق ، وعلى جميع ذلك بلطفك المفضي إلى رضاك، المُنْهِي إلى جنتك ، المصحوب ذلك بالنظر إلى وجهك الكريم .

يا اللّه (٣) ، يا رباه (٣) ، يا غوثاه (٣) ، يا أكرم الأكرمين ، يا رحمن يا رحيم ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا ذا المواهب العظام ، أستغفر اللّه العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه .

اللهم أسألك التوفيق لمحابك من الأعمال ، وصدق التوكل عليك، وحسن الظن بك ، والغُنية عمن سواك . إلهي ، يا لطيف ، يا رزاق ، يا ودود ، يا قوي ، يا متين : أسألك تَأَلُّهاً بك ، واستغراقاً فيك ، ولطفاً شاملاً من لدنك ، ورزقاً واسعاً هنيئا مريئا، وسِنّاً طويلا ، وعملا صالحا في الإيمان واليقين ، وملازمة في الحق

والدين ، وعزا وشرفا يبقى ويتأبد ، لا يشوبه تكبرٌ ولا عُتُـــوٌّ ولا فساد ، إنك سميع قريب .

وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد للّه رب العالمين(١) .

وفاة الفقيه المقدم

سارت حياة الفقيه المقدم منذ رفعه لراية الفقر والانكـــسار في ذات اللّه سيراً حثيثاً وسريعاً إلى النجاح وبروز الثمرات، فقد كفى نفسه وأبناءه وكافة من يتبعه هم التربص والحذر مـــن الأضـــداد والحساد، وبدأ رسم طريق البناء الأخلاقي وإصلاح الإنسان مـــن داخله بضوابط السلوك العملي في الإسلام، واتسع هـــذا المنـــهج واستأنس الضدُّ والموافقُ بهذا الاتجاه، وهرع الجميـــع إلى حلقـــات الإمام الفقيه راضين مطمئـــنين، مستـــشعرين في عباراتـــه المحبـــة والإخلاص والصدق والرغبة في إحياء القلوب .

---

(١) «مخ العبادة» ص٨١ .

ولم يزل الفقيه على هذا المنوال من تأسيس منهجه المبارك مهيئاً جملة تلاميذه وأبنائه ليحملوا هم المنهج والمدرسة من بعده فأقر اللّه عينه بذلك، وامتلأت عينه برؤية العشرات من تلاميذه وعليهم السكينة والأدب والخضوع للّه والانكسار .

وعندما بلغ من العمر مبلغ الشيخوخة أخذته الأحوال فكان يغيب إحساسه عما حوله مستغرقا في عالم خاص يسمى عند أهل الطريق بالاصطلام(١)، وكان آخر عهده بالحياة اصطلامه مئة يوم كامل لا يطعم فيها طعاما ولا يشرب شرابا، وتجري على لسانه أخبار غريبة وعبارات عجيبة عن الناس وأحوالهم، وشيئا مما سيكون في الحياة، كل ذلك على غير قصد منه ولا شعور .

ولما طال به الأمد على هذه الحالة سقاه بعض أهله شيئاً من لبنٍ كان عندهم رحمةً به وإشفاقاً، فنطق وقال : ((كأنكم ضَجِرتُم مني)) أو كلمة بمعناها، ثم ذكر ربه وفاضت روحه إلى مولاه، وكان ذلك ليلة الجمعة من ليالي ذي الحجة سنة ٦٥٣ .

---

(١) الاصطلام : حالة من حالات الشهود النورانية يغيب فيها الحس على شكل استغراق روحي يفقد فيه الولي حواسه الظاهرة لغلبة حال أو كثرة ذكر أو طول تأمل في قراءة متدبرة لكتاب اللّه .

وبكاه أهل العصر والمصر، ثم شيع في جنازة مهيبـــة إلى مثـــواه الأخير، رحمه اللّه رحمة الأبرار .

الخاتمة

أيُّها القارئُ الكريم ..

هذا نموذجٌ وضعناه بين يديك من نماذجِ السلفِ الصالحِ الـــذين عاشُوا قدوةً وماتوا وصاروا لأجيالٍ عديـــدة أســـوةً ومثـــالاً، و لم يكونوا كذلك إلا لأنهم صدقوا في حقيقةِ اتِّباعِهِم للمتبوعِ الأعظم صلى اللّه عليه وآله وسلم، رحمهم اللّه رحمة الأبرار .

وغرضُنا في هذا البيان والترجمة ليس مجردَ الكتابةِ عنهم فقـــط ؛ لأن السابقين ما تركوا شيئاً إلا وأتقنوه، وقد كتبوا بأَلْسِنَةِ عُصورِهم بما فيه الغُنْيَة والكفاية .

ولكنها ضرورةُ الزمان وإلحاحُ العصر ووجوبُ المرحلة أَلْزَمَنا أن نُعيدَ الصياغة ونكتبَ لجيلنا بلسان عصره ما يوضِّح لهم حقيقةَ حالِ السلف، خصوصاً وقد برز في الواقع ما أَنْذَرَ بحصوله في الأمة نبيُّها

صلى اللّه عليه وآله وسلم، وهو أن يكون من علامـــات الـــساعة ((الطعن في السلف)) .

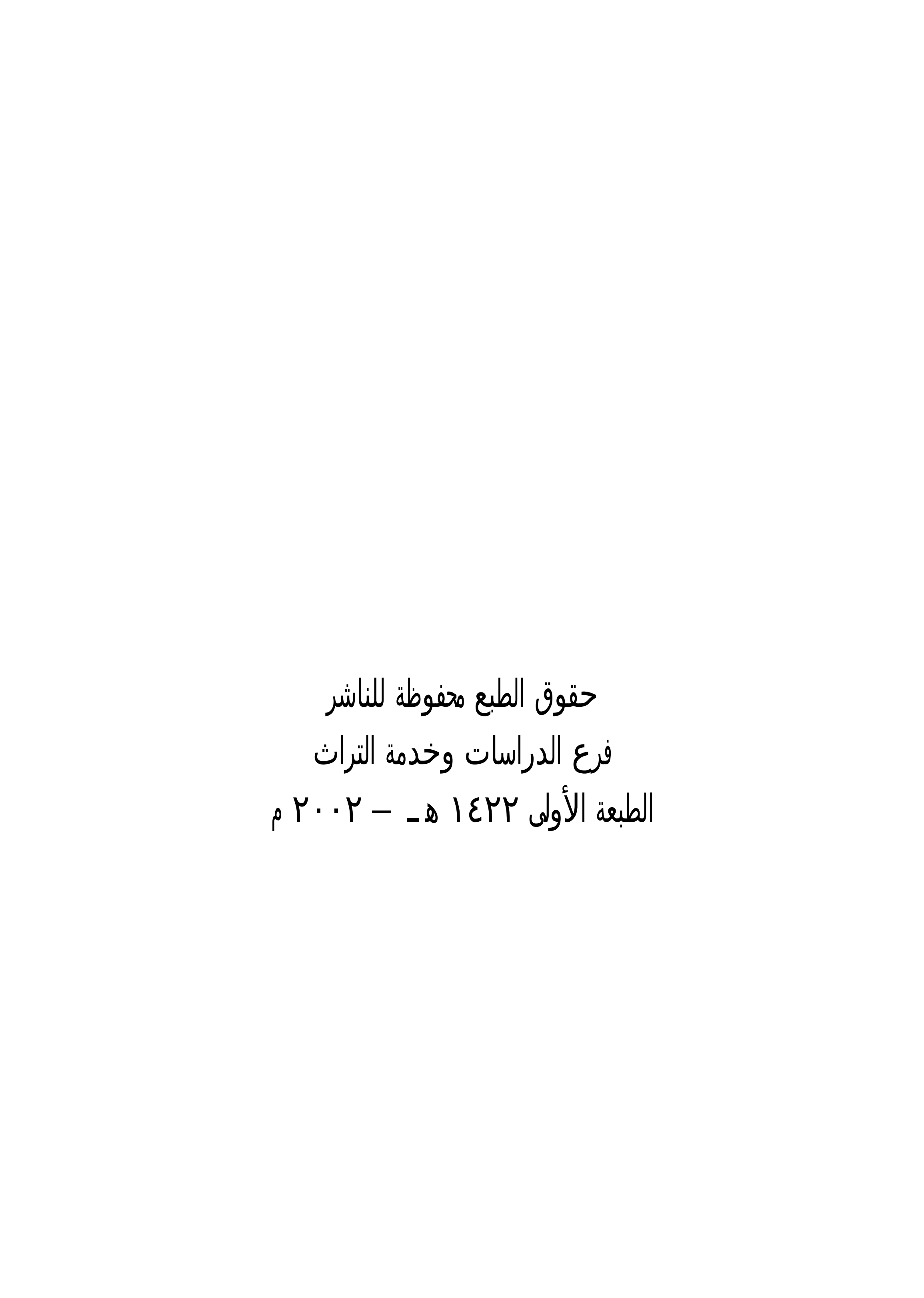
ولا مَزيدَ على ما نسمعُه ونقرؤه من مطاعن، وكفى بما يجـــري آيةً وعلامةً تُنبئ عن صدق النبوة المحمدية، ولهذا ولـــذاك جعلنـــا الترجمةَ مُلَبِّيَةً لذهنِ قارئ العصر ومستوى علمه وثقافته، ولا نطلب بهذا غيرَ رِضاءِ اللّه تعالى، وخدمةً لرجالٍ صدقوا ما عاهدوا اللّـــه عليه .

جمع هذه الترجمة طلباً لمرضاة اللّه تعالى ورغبة في عفوه ورحمته
وحباً لأوليائه وانتصاراً لأحبابه وشفقةً بالأجيال المخدوعة
من أحفاد الصالحين وأبناء المتقين الفقير إلى عفو مولاه
الغفور أبوبكر العدني ابن علي المشهور
وتم الفراغ من هذه النسخة ٥
ذي الحجة سنة ١٤١٤
بمدينة جدة
المحروسة

(١٢٠)

الفهرس


الإمام محمد بن علي باعلوي
« مولى الدويلة »



فرع الدراسات وخدمة التراث
الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

سلسلة أعلام حضرموت ٦

الإمام محمد بن علي باعلوي

«مولى الدويلة»

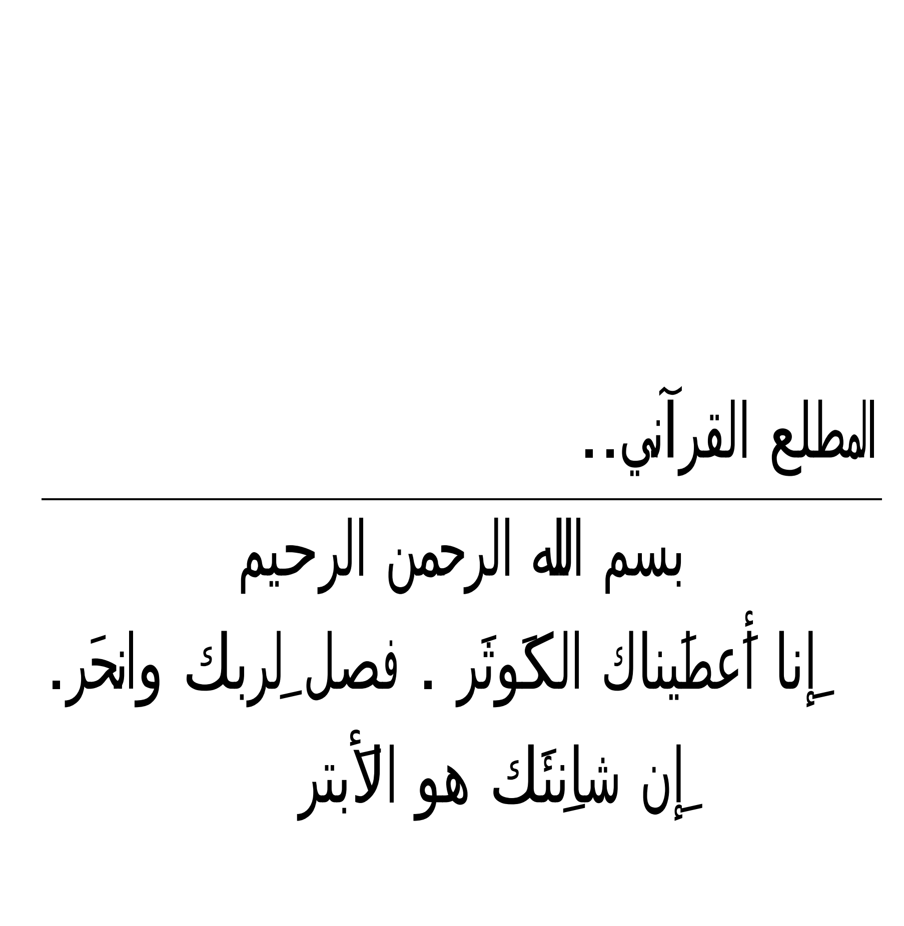
(ت ٦٦٥هـ)

بقلم خادم السلف

أبي بكر العدني ابن علي المشهور

فرع الدراسات وخدمة التراث
أربطة التربية الإسلامية - عدن


بسم الله الرحمن الرحيم



المطلع القرآني..

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنا أَعطَيناك الكَوثَر . فصل لِربك وانحَر.

إِن شانِئَك هو الأَبتر

الإهداء

إلى شيوخي الأَفَاضِل..

بقيةِ السلَف..

وأمثلةِ الطريقِ في الخَلَف..

وإلى أحفادِ الإمام محمد مولى الدويلة في مشـارق الأرض ومغار ا..

وإلى الراغبين في التعرفِ على نماذجِ ((السفينةِ التي من ركِبها نجا ومن تخلّف عنها هلَك)) ..

المُؤلّف

شاهد الحال

سلام على الشيخ المُقَدمِ في المَــلا
أبي علَوي المنتقــى في الأفاضــل
محمدٍ الحاوي المحاســن في العــلا
وسابِق سباق الرجــال الأفاضــل
وفــرع نمتــه دوحــةٌ نبويــةٌ
له حسن سمتٍ عــاليٍ وفَضــائل
فريد أثيلٌ أوحد العصــرِ ماجِــد
صفِي مصفى مِن جميــعِ الرذائــل
محِب ومحبوب حبِي بالوصال والـ
ـعطايا زعيم القومِ حلْو الشمائل

((الغرر)) ص٣٩٥

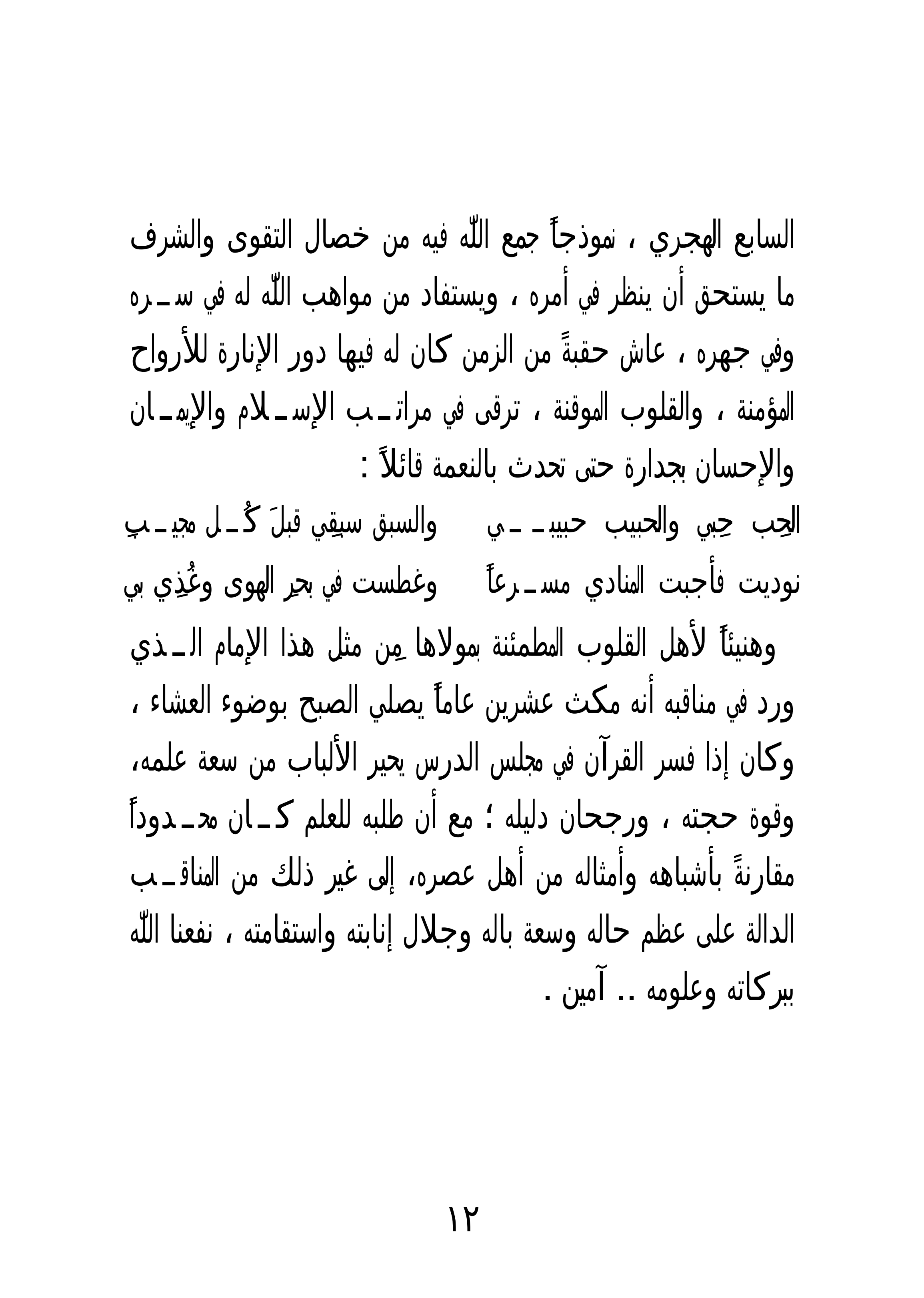
سلسلة نسب الإمام محمد مولى الدويلة

هو الإمام محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي ابن محمد الفقيه المقدم بن علي بن محمد صاحب مرباط ابن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيدالله ابن أحمد المهاجر ابن عيسى ابن محمد النقيب ابن علي العريضي ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين السبط ابن علي وفاطمة رضي اللّه عنهما بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم .

المدخل

الحمد للّه الذي ألبس أولياءه تيجان المهابة والمفاخر ، وجعلهم أَدِلاّءَ في العالم المحسوس على مكنون العلم المضنون في الباطن والظاهر ، والصلاة والسلام على سيد الأوائل والأواخر ، سيدنا محمد بن عبد اللّه إمام أهل اللّه ، الذي انبثق منه نور الولاية فسرى في القلوب والأرواح والسرائر ، وعلى آله السادة الأكابر ، وعلى أصحابه أئمة الهدى والبصائر ، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم تبلى السرائر .

وبعد فأزف إلى القارئ الكريم نموذجاً مباركاً من رجال القرن



السابع الهجري ، نموذجاً جمع اللّه فيه من خصال التقوى والشرف ما يستحق أن ينظر في أمره ، ويستفاد من مواهب اللّه له في ســره وفي جهره ، عاش حقبةً من الزمن كان له فيها دور الإنارة للأرواح المؤمنة ، والقلوب الموقنة ، ترقى في مراتــب الإســلام والإيمــان والإحسان بجدارة حتى تحدث بالنعمة قائلاً :

الحِب حِبي والحبيب حبيبــي   والسبق سبقِي قبلَ كُــل مجيــبٍ

نوديت فأجبت المنادي مســرعاً   وغطست في بحرِ الهوى وغُذِي بي

وهنيئاً لأهل القلوب المطمئنة بمولاها مِن مثل هذا الإمام الــذي ورد في مناقبه أنه مكث عشرين عاماً يصلي الصبح بوضوء العشاء ، وكان إذا فسر القرآن في مجلس الدرس يحير الألباب من سعة علمه، وقوة حجته ، ورجحان دليله ؛ مع أن طلبه للعلم كــان محــدوداً مقارنةً بأشباهه وأمثاله من أهل عصره، إلى غير ذلك من المناقــب الدالة على عظم حاله وسعة باله وجلال إنابته واستقامته ، نفعنا اللّه ببركاته وعلومه .. آمين .

بطاقة تعريف

هو الشريف العفيف العارف باللّه ، البالغ في ترويض نفسه بالمجاهدات الطوعية ورياضاته الروحية درجة الكمال النسبي ، ومقام الفتح الوهبي بعد الكسبي ، إمام عصره وعين دهره ، واحد الزمان المشهود له بالتفرد ، وحامل لواء الصدق في العمل والتعبد ، شهد له المُصلون بالأمانة في القول والفعل والقصد ، ورضيه العلماء إماماً في الفتوحات الربانية والمواهب النورانية ، ولد بتريم – وهي حرم الإقليم – وحفظ بها نصف القرآن العظيم ، مات أبوه وهو صغير فكفله عمه الشيخ عبد اللّه باعلوي ، ورباه وشمله بنظره وحسن رعايته ، وسلك به على منهاج طريقته حتى ثبت على الطريق السوي ، ونال بحسن العناية كل سند قوي ، فأخذ عن جملة من أسرته أهل العلم والفضل .

في كل حين ترى الأنوار ساطعةً تضيءُ للكون من سر الهدى
من فجرِ ما ولدوا والنور يغمرهم طبعاً وما فارقوا القرآن والكتبا
هم سادة قد غدوا بالسر مذ برزوا وزادهم ربهم من فضله نسبا

وكانت تريم آنذاك معهداً للتربية والآداب ، ومرتعاً للتطبيق العلمي لثوابت الكتاب والسنة ، قوم لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيع عن

ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ، وحري بمثل هذا المجتمع المتضافر على الخير أن ينشئ الفتيان على سنن الاتباع .

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

أخذ الإمام محمد بن علي طريقة أهله وسلفه ، إضافة إلى مبادئ العلوم الفقهية والحديثية والصوفية والقرآنية التي يزخر بها مجتمعه الواسع عن جملة من شيوخ عصره ، وأئمة دهره ، وورد ذلك القول في التراجم .

قال صاحب «الغرر» ص١٨٧ نقلاً عن «الجزء اللطيف في التحكيم الشريف» للسيد الإمام أبي بكر بن عبد الله العيدروس «العدني» في معرض وصفه لأخذ السيد عبد الرحمن بن محمد بن علي مولى الدويلة ما مثاله : أخذ الشيخ عبد الرحمن بن محمد الإذن والعهد وعقد الصحبة والآداب عن أبيه الشيخ الصالح الولي العارف ذي العلوم والمعارف الحبر القدوة الفقيه جمال الدين محمد بن علي مولى الدويلة ، وتأدب الشيخ محمد بآداب والده الشيخ علي بن

علوي ، وتخرج بعمه الشيخ عبد اللّه باعلوي[1]، وتربى بسره في العلم اللدني الباطن والظاهر ، وسلك على منهاج طريقته ، وحذا حذوه واقتدى به[2] .

رحلته إلى الحرمين الشريفين

رحل الإمام محمد بن علي في شبابه ، ووصل إلى أرض الحرمين ، وأدى ما عليه من النسكين ، وزار جده سيد الكونين ، وأخذ عن جماعة من العارفين والفقهاء الكاملين ، واجتمع في طريق رجوعه بالشيخ العارف باللّه علي بن عبد اللّه الطواشي فاعترف كل لصاحبه بمقامه الشريف ، وكان الإمام محمد بن علي كلما عَلِم شيئاً من علم الشريعة عمِلَ به ولا ينزع رداء العمل عن منكبه[3].

بعض أحواله ومجاهداته

قال في « المشرع الروي » (٢: ٢٠٠) : كان له رياضات

---

(١) وقد ترجمنا له ضمن هذه السلسلة .

(٢) « الغرر » ١٨٧ .

(٣) « المشرع الروي » ص٢٠١ بتصرف واختصار .

وأحوالٌ ومقامات، وأكثر أعماله قلبيات ، وكان يخفي أعماله عن أصحابه وحتى عن أهله ، وكان الغالب عليه الإقامة بالبادية ، وترد عليه ا أحوالٌ بركتها عليه بادية ، وكان يشتغل بنشر الدعوة إلى اللّه ، وإذا ورد عليه حالٌ من الأحوال النورانية ربما تكلم كلامـاً عظيماً في علوم الشريعة والحقيقة ، والمقصود بالحال : ورود بسطٍ من كثرةٍ أذكاره وتلاوته وطاعاته ، فترتاح نفسه ، ويصفو سره ، فيتكلم بما فتح اللّه عليه ، وقد يرد عليه حالُ قبضٍ أو انزعاجٍ نفسي أو خوفٍ من مقام الحق سبحانه فيظهر ذلك جلياً على تصرفه، وقد ورد في سيرته أنه قد يغشى عليه في حضرة عمه الشيخ عبد اللّـه باعلوي إذا ورد عليه وارد الحال ، وكان يقول لبعض من يعترض عليه ويتحير في حاله : نزل علينا شيءٌ لو نزل على الجبال لدكت.

قال صاحب ((المشرع)) : قام بعضهم يصلي والسيد محمد بـن علي لا زال نائماً في المسجد ، فلما سجد الرجل قال في نفسه : أنا ساجد وقائم ، وهذا مضطجع نائم ، ويقولون: إنه قدوة للعالم، فما رفع الرجل رأسه من السجود بل لزقت جبهته بـالأرض، فتـاب ورجع عن اعتراضه ، فأمر السيد محمد بن علي بعض من عنده أن يرفع رأس الرجل من سجدته ، فلما فرغ مـن صـلاته اعتـذر،

وعاهده على أن لا يعود إلى الاعتراض[1].

قلت : وهذه كرامةٌ تدل على صلاح وصدق صاحب الترجمة ، والحال أن الصلاةَ نافلةٌ ، ولو كانت فرضاً لما تأخر عنها صاحب الترجمة ، ويدل على ذلك كون الرجل يصلي وحده .

وكان الشيخ الكبير العلم الشهير العارف بالله تعالى فضل بن عبدالله يعظمه ويثني عليه ، ويمتثل بين يديه .

وكان لصاحب الترجمة حالات عجيبة ، وأمور غريبة ؛ فأحيانا يلبس ثياب الملوك ، وأحيانا يتزيا بزي الصعلوك ، ومرة يلبس الثياب النفيسة الحسنة ، وأخرى يلبس الشمال الخشنة ، وربما مال إلى صحبة الأعيان والأكابر ، ثم ينفر عنهم ويصحب الفقراء الأصاغر ، وفي بعض الأحيان يجتهد في الأعمال البدنية من القيام والصيام ، فقد روي أنه مكث نحو عشرين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء[2].

---

(١) المصدر السابق ص٢٠٠ بتصرف.

(٢) قلت – والله أعلم – : يعد هذا التقلب في رغبات الإمام ومظاهر حياته وعلاقاته دلالةً على موت النفس وقهرها ، وإلا فالمرء يصعب عليه تغيير عاداته التي أَلِفَها ، فالتربية النفسية التي تلقاها الإمام على أيدي أشياخه وأسلافه هيأته مبكراً لهذا

المقام السامي ، وكانت ا اهدات القلبية والقالبية أساساً في تربية السلف ، وعنصراً هاماً في تركيب وترتيب الأبناء والبنات ، معتمدين على الاختيارات الذاتية المنبثقة عن فهم الإسلام وقواعده.

ومثل هذا معلوم في تاريخ التربية الإسلامية منذ عهد الرسالة مع شيء من التفاوت من زمان إلى زمان، ففي العصور التي كان فيها الرجال يؤثرون الجهاد في سبيل اللّه ، ويجندون طاقا م وذوا م لهذا الهدف السامي كانت ا اهدات القلبية والقالبية تتخذ شكل العسكرية الإسلامية ، فلم يتأخر أحد عن الآداب والسلوك ومفهوم التربية الأخلاقية وهو يحمل السيف في سبيل اللّه ، ولما تغير حال المسلمين بما دخل على بلادهم وعقولهم من أسباب النقض والقبض جنح العقلاء من آل البيت النبوي ، ومن اهتدى ديهم إلى إعطاء الجهاد مدلولاً ذاتياً يسهم في بناء الإنسان، ويقي المرءَ التباس الوقوع في معركة الدنيا الغرارة ، وحبائل النفس والهوى والشيطان، مع التطلع اليقيني لمستقبل الجهاد المشروع، عندما يأتي اللّه بالفتح أو أمر من عنده .

هذا هو موقف سلفنا الصالح من هذه المسألة ، خلافاً لما يرميهم به أضدادهم من التهم والإلصاقات الغريبة ، حيث إن منهج آل البيت بحضرموت منذ عهد الفقيه المقدم ومن جاء من بعده قد أرسى قاعدةً تربويةً لا يلزم ا غير أهلها ، ولا يميلون معها إلى وضع الانتقادات لغيرهم في عدم الأخذ ا ، وهي التخلي عن خوض معركة الرياسات وكراسي الحكم والسياسات ، وترك حمل السلاح تحت أي صورة كانت بعد أن عطل الحكام قضية الجهاد في سبيل اللّه ، وصار السلاح وسيلةً للصراع على الحكم والمال والجاه ، فآل البيت لا يموتون في سبيل هذه المطامح الدنيئة ، ومع هذا وذاك فقد شمل الضعف اليوم مدرسة حضرموت كما

توطنه ببادية يبحر

قال صاحب ((المشرع)) ص٢٠١ : ثم اختـار المحـل المسـمى بـ((يبحر)) ، وهو قريب من قبر نبي الله هود عليه أفضل الصـلاة والسلام عنده عينٍ جاريةٍ، وبنى دارا واستوطن ، وبنى حوله كـثير من جماعته بيوتاً حتى صارت قريةً عامرة ، وبعد مدةٍ مـن الـزمن بنيت قريباً من قريته قريةٌ أخرى ، فقيل للأولى ((يبحر الدويلة)) ، ومعنى ((الدويلة)) في كلام حضرموت ((العتيقة))[1] ، وأطلق عليـه

شمل غيرها ، ونقَض الكثير من المنتسبين إليها ثوابت السلف ، وخاضوا معركـة الجاه والمال والحكم على ذات الوتيرة التي خاضها أضدادهم وأندادهم .

ومدرسة السلف لا تعترض على أحد بعينه ؛ ولكنها لا ترى في معركة الحياة المعاصرة بكافة نماذجها صورة البديل السليم ، بل لا زال الإسلام الحق غريباً كما بدأ غريباً ، منعدم التأثير في كثيرٍ من المظاهر الفكرية والعلمية والعملية والسياسية والاقتصادية والاعتقادية ، وحرِي بالمنتقد على قرار السلف الصالح أن يبدأ بنقـد البدائل التي يريدها أن تصنع الإسلام في الواقع المغلوب ، وعندها يلزمنا جميعا أن نبارك العود إلى مدلولات الجهاد المشروع ونتخلى -نحن المتأخرون خصوصا الذين لم يبق لنا من منهج السلف غير الاعتداد به ، والتغني عليه ، والافتخار برجالـه- نتخلى عن مواقفنا السلبية لنخوض مع غيرنا من أهل ((لا إله إلا الله)) معركـة البناء الإسلامي المتكامل ، وإن غداً لناظره قريب.

(١) ((المشرع الروي)) ص٢٠١.

بعد ذلك ((مولى الدويلة)) .

وكان كثير من السلف – رحمهم الله – يميلون إلى حياة البادية ، ويخرجون عن المدن وزحام الناس ليصفُو لهم حال العبادة والرضا والأنس بالله ، ولنشر الدعوة بين البوادي ، وهم في غالب الأحوال أهل قلوبٍ سليمةٍ وأذهانٍ صافيةٍ يستجيبون للداعي ، ويأنسون بأهل الله ، ويعتقدو م، وتؤثر فيهم كلمات الداعي ، ويحرصون على العمل والاقتداء إذا وجدوا من يحسن البلاغ.

والإمام محمد بن علي مولى الدويلة وجد في بادية يبحر وما حولها قلوباً سليمةً ، فخيم بتلك البادية وانتفع به خلق كثير.

بعض كلامه وأشعاره

مما يدل على مقام الرجل وحاله ما يؤثر عنه من كلامٍ نثري أو نظمٍ شعري ، وقد ورد في كتب التراجم من أقواله الحكيمة الدالة على عظم حاله وعلو مرتبته ، فمن ذلك قوله : نذكر الله تعالى باللسان وبالقلب ، ثم تفنى الحروف ، ثم يفنى اللسان ، فيبقى في القلب شمعةٌ من نورٍ متصلةٌ بالله عز وجل .

وكان يقول : أعرف من نفسي ثلاثَ خصال ، الأولى: أني لا

أكره الموت ، فإن من كره الموت كره لقاء اللّه . الثانيـة : أني لا أخاف الفقر ، لأني أعرف أن ما عند اللّه أقرب مما في يدي ، الثالثة : لا أكره أن أضيف وإن لم يكن عندي شيء[1] .

قال الشيخ عبد القادر العيدروس -معلقاً على كلام المترجم- : فانظر كيف جمع التصوف كله في هذه الكلمات مع كونه أُمياً ، فإن الشيخ ما نقل عنه أنه اشتغل بتحصيل العلم ، ولا قرأ شيئاً من الكتب . انتهى[2] .

قلت : ومثل هذا كثير في حياة السلف ، فمنهم من لم يشتغل بالعلوم الشرعية تحصيلاً وتحقيقاً وروايةً ودرايةً ؛ ولكنه على قَدمِ الاتباع وسننِ الاقتداء ، وخاصة أن مثل هؤلاء كانت بداياتهم مشحونةً بنصيبٍ من الطلب للعلم الواجب ، ثم انصرفوا عن الظهور وتقرير العلوم لكثرة المشتغلين بذلك ، ولربما رأى بعضهم عدم الأهلية في نفسه فاشتغل بالطاعة وتحقيق المعاملة فيما بينه وبين مولاه .

ومما يدلنا على اطلاع الإمام محمد بن علي على كثيرٍ من العلم

---

(١) أي: أطعم الضيوف.

(٢) ((المشرع الروي)) ص٢٠١ .

الظاهر والباطن -وإن كان يوصف بعدم الاشتغال بالعلم[1]- مـا أورده صاحب ((المشرع)) ص٢٠١ : حكي أنه أراد أن يؤم النـاس في مسجد بني علوي المشهور فمنعوه ، وقالوا له : أنت بـدوي لا تصلح للإمامة ، فلما صلوا جلس يتكلم على سورةٍ مـن القـرآن بكلامٍ عظيم ، فعلموا أن هذا من العلم الوهبي. اهـ .

وأما مقالته الشعرية فقليلة ، ومنها :

الحِب حِبي والحبيب حبيبـي	والسبق سبقِي قبلَ كُـل محبـبِ
نوديت فأجبت المنادي مسـرعاً	وغطست في بحرِ الهوى وعُذِي بي
لي تسعةٌ وثلاثـةٌ مـع تسـعةٍ	والعقد لي وحدي علا بنصيبـي
ما تعلموا أني المقـدم في المـلا	ليلت سرِي بـاليثربي سـري بي

وبرغم أن البيت الأخير يشكل مغزاه على كثير من المتأخرين إلا

---

(١) يعتقد أن مقصود المترجِم للإمام محمد بن علي بعدم الاشتغال بـالعلم : أنـه لم يحترف الطلب ولم يشتغل بمطالعة الكتب وتعليم الناس كما هو حـال أقرانـه وأشباهه ، وأما ثوابت العلم الواجب فحضرموت كان فيها العامل والأجير والعبد يحسن أساسيات المعرفة ، فضلا مثل هذا الإمام الذي ولد في بيت العلم ومنبعه .

أن الفهم للقصد ومعرفة أسلوب العصر وقاموس التصوف الفخري يسهم في جلاء الغموض في المعنى ، فالحقيقة التي يدركها الجميع أن ذرية المرء في ظهره ، والمعلوم نصاً أن ذرية آل البيت النبوي هم في صلبه صلى اللّه عليه وآله وسلم ، ولو كانوا في ظاهر الحال من صلب علي بن أبي طالب ، فيشير الإمام في أبياته الفخرية أنه كان بمعية جده ليلة الإسراء في عالم المصاحبة لأنه في ظهره ، وهذا المعنى كثيراً ما يتعرض له الشعراء الصوفيون ، ويجب أن نفهمه على مقتضى الحال الملائم لفهم الناس ليزول الإشكال[1].

ومن أشعاره الذوقية :

ولما حضرنا للسرور بمجلسٍ ... أضاءت لنا مِن عالَمِ الغيبِ أنوار

وطافت علينا للعوارفِ خمرةٌ ... يطوف بها في حضرةِ القُدسِ خمّار

فلما شربناها بأفواهِ كَشفِنا ... أضاءت لنا منها شمُوس وأقمار

تخُاطب أرباب القلوبِ بلُطْفِها ... وتبدو لنا وقت المسرة أسرار

رفعنا حجاب الأنسِ بالأنسِ عنوةً ... وجاءت إلينا بالبشائر أخبار

(١) ناقشنا هذا الإشكال بإسهاب في كتاب ((شروط الاتصاف لمن يقرأ كتب الأسلاف)) ، مطبوع .

وغِبنا عنا ونلنا مرادنا ولم يبق مِنا بعد ذلك آثار
وخاطَبنا في سكْرنا عند صحونا كريم قديم فائض الجودِ جبار
وكاشفَنا حتى رأيناه جهرةً بأبصارِ فَهمٍ لا تواريه أستار

قلت -واللّه أعلم- : هذه الأبيات لا تدل إلا على رجلٍ سمى في الذوق والعلم والعمل والحال ، وهي من صنف الفخريات الصوفية .

وللصوفية مِزاج فقري ومزاج فخري[1] ، وهو ما يعبر عنه بالحال، وإمامنا مولى الدويلة يظهر من أشعاره غَلَبةُ المزاج الفخري،

---

(١) المزاج الفقري هو حال الاعتراف وشهود التقصير في التشمير ، ويعبر عنه صاحبه بالعبارات الدالة على الخوف والقلق والاعتراف للّه تعالى ، وإظهار الفقر والعوز والحاجة ، مثل قول الإمام الحداد :

أنا عبد صار فَخري ضِمن فَقْري واضطِراري

أما المزاج الفخري فهو غلبة حال الأنس وظهور حال التحدث بالنعم كما هو في الأبيات المنسوبة للإمام مولى الدويلة ، أو ما يذكر من أبياتٍ للشيخ أبي بكر بن سالم أو لغيره من السلف .

وهذه الأبيات والقصائد تفهم بما يلائم مقتضى الحال وتفسر إشكالاتها وما يغمض منها بدراسة قاموس العصر الصوفي وما يتحدث به الأشباه والأمثال وماذا تعنيه عباراتهم الفخرية وما القصد منها .

وهو بارز في شيوخ تلك الأعصر والأزمنة .

وإذا تأملنا ألفاظ القصيدة من خلال وحدتها الموضوعية متسلسلةً من بدايتها إلى ايتها سنجدها تدور في معنى الإحسان « أن تعبـد اللّـه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، ومـن لم يـدرك معـنى الإحسان منا لا يليق به الاعتراض على من تحقـق بمبنـاه ومعنـاه ، فالاعتراض لا يدل على رغبة في فهم الحقيقة والوصول إليهـا ، وإنمـا يدل على اصطدام الأفق الضيق بما هو أشمل منه وأوسع ، فـلا يتـأتى للعاقل أن يجرد الشمول والمعاني الواسعة ليرضِي عنها أرباب المفـاهيم القاصرة ، والواجب في مثل هذا الحال إظهار المعاني بما يناسب العقـل القاصر لينـزاح عنه إشكاله ، هذا إن كان صاحب الإشـكال مـن الراغبين حقا في فهم المشكل ، وأما إذا كان من عشاق عقدة الإشكال الذين يحملون المعاني على مقتضى فهومهم الجائرة ، و ا يدنـدنون في ا الس والمحاضرات كقادح اعتقادي ؛ فلنا معهم مقال آخر ونقـاش لا تسعه التراجم المحدودة ذات الهدف التعليمي[1] ، واللّه يتولانا وإيـاهم ، ويرزقنا السير إلى ما يرضيه ، ويوصلنا إلى مراضيه . آمين .

(١) راجع هذا الموضوع بتوسع في « شروط الاتصاف لمن يقرأ كتب الأسلاف » .

كرامات الإمام محمد بن علي مولى الدويلة

سبق وأن تناولنا مسألة الكرامات في سلسلة الأعلام السـابقة ، ولكنا نرى أن إعادة التناول لها مع مناسبتها في كل ترجمة أمـر لا مناص منه ، فكافة الشيوخ الذين تطرق تراجمهم لابد أن نجد لهـم مساحة واسعة من الترجمة تظهر لنا قيمة المترجم له مـن خـلال كراماته ، وكان هذا مطلباً أساسياً في تلك العصور يتناسب مـع ثقافا م واستعدادا م ، أما في عصرنا اليوم فالذين يحبون الكرامات وأهلها لا يتجاوزون أصابع اليد في ا تمع الواحد ، وإن كانوا أكثر من ذلك فما هم إلا من عوام الناس الذين تتغلب عواطفهم علـى عقولهم ، أما جيل الحداثة الذي آمن بعلم النظريات ، وتـدرج في مدارس الشهادات ، وصار طموحه الأكبر ترقيهِ في العلوم النظريـة والمراتب الدنيوية فلا يرى في هذه المسائل شيئاً يعِنيه ، وإن عناه من ذلك شيءٌ فقد يكون مجرد دراسةٍ لظاهرة من الظواهر الغريبة عند الصوفية ، ولربما رآه البعض من الأمراض والأعراض التي أصـابت المسلمين في عصور الانحطاط ، وهذا كله كما نراه ويراه الكثير من الناس يعود إلى عوامل كثيرة أهمها تأثر المدرسة الإسلامية بعمومها بالعلمنة الغربية والشرقية بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، إذ نعلم أن

كثيراً من التحليلات التي طعنت في الجوانب الروحية لدى التصوف والصوفية إنما جاءت بفعل الدراسات الأجنبية الاستشراقية ، وهذه الدراسات منذ عصر الثورة الصناعية وهي تنسج الأقاويل المشككة في الدين كله وفي شخص رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسـلم والقرآن ، فضلا عن تشكيكها في منهج فرعي كالتصوف .

ونحا هذا المنحى فيما بعد عدد من مؤسسات التعليم والثقافـة في العالم العربي والإسلامي بعد مرحلة التفكك وتقسيم تركة الرجـل المريض « كما كان يطلق على دولة الخلافة الإسلامية في تركيا » ، وتناولت هذه المؤسسات قضية التصوف والصوفية بمنهج استشراقي بحتٍ ، اللّهم إلا ما كان من بعض المخلصين المنصفين الذين أبـوا صريح الإفراط المذموم لدى الغلاة ، وأما البقية -وهم الكثرة- فقد صار الأمر أشبه ما يكون بالعقدة النفسية دون تثبتٍ ولا تمحصٍ ، تبعاً للإعلاميات المطروحة في المرحلة .

وبعد هذه المقدمة التي أردنا ـا إيضـاح مسـألة الكرامـات وملابسات إيرادها في التراجم نقول : إن كثيراً من شيوخ التصوف الذين جرت لهم هذه الكرامات كانوا يكرهون الكلام فيهـا ، أو نشرها ، أو نسبتها إليهم ، وآراؤهم في ذلك مبسوطة في مؤلفا م ،

واعتبرها بعضهم عيبا يقدح في حال الولي عند أشباهه وأمثاله ، وفي مدرسة حضرموت بالذات انبرى عدد من الشيوخ إلى منع ذكـر كراما م ، وإيقاف أتباعهم وتلامذ م عن إظهارها .

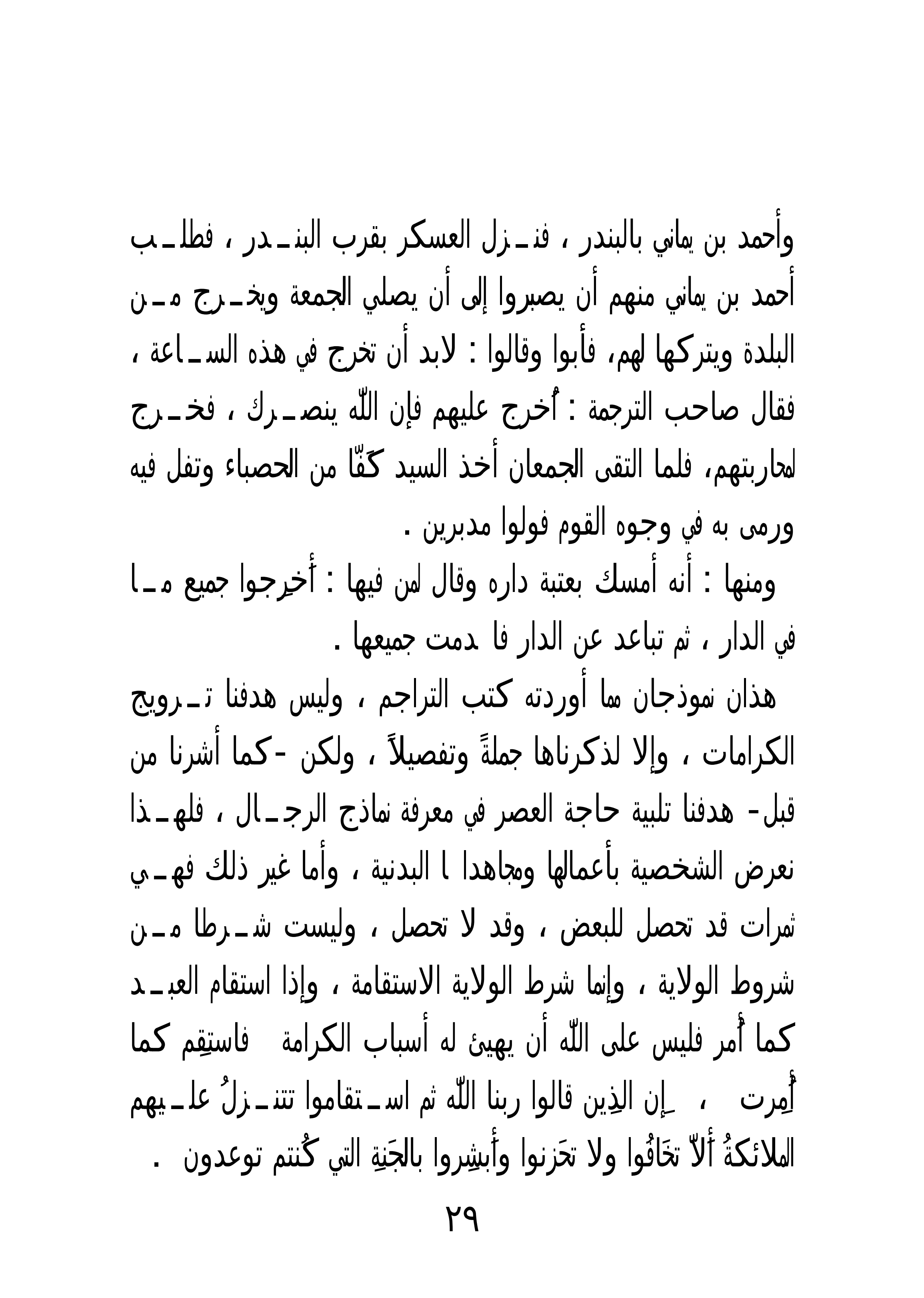
و ذا نرى أن مخاطبة جيلنا المعاصر يجب أن تنحى منحى الرفـق م وعدم إثار م ، ويلزم حملة الأقلام تقديم نماذج الأولياء بأسلوب يميز الفضائل والمحاسن العملية والعلمية التي تملأ قلوب الجيل باحترام الرجال والاقتداء بمواقفهم الاجتماعية ذات الأثر البالغ في تحولات المراحل وإصلاح فاسدها ، وتبقى الكرامات وأخبار الأحوال ضمن التراجم التقليدية ، وإذا اضطر الكاتب لسبب مـا ، أو المتحـدث لإبراز نموذج من هذه الكرامات يجب أن يشفعها بالتعليل المنطقـي ليقرب فهمها للقارئ والمستمع[١] .

وقد ذكر بعض الكرامات صاحب « المشرع الـروي » ص٢٠١ فقال :

منها أن سلطان اليمن أرسل عسكراً إلى أحمد بن يماني سـلطان حضرموت ليأخذ منه بندر الشحر ، وكـان صـاحب الترجمـة

---

(١) راجع هذا الموضوع بتوسع في « شروط الاتصاف لمن يقرأ كتب الأسلاف » .


وأحمد بن يماني بالبندر ، فنـزل العسكر بقرب البنـدر ، فطالب أحمد بن يماني منهم أن يصبروا إلى أن يصلي الجمعة ويخرج من البلدة ويتركها لهم، فأبوا وقالوا : لابد أن تخرج في هذه الساعة ، فقال صاحب الترجمة : اُخرج عليهم فإن اللّه ينصرك ، فخرج لمحاربتهم، فلما التقى الجمعان أخذ السيد كفّا من الحصباء وتفل فيه ورمى به في وجوه القوم فولوا مدبرين .

ومنها : أنه أمسك بعتبة داره وقال لمن فيها : أخرِجوا جميع ما في الدار ، ثم تباعد عن الدار فانهدمت جميعها .

هذان نموذجان مما أوردته كتب التراجم ، وليس هدفنا ترويج الكرامات ، وإلا لذكرناها جملةً وتفصيلاً ، ولكن -كما أشرنا من قبل- هدفنا تلبية حاجة العصر في معرفة نماذج الرجال ، فلهذا نعرض الشخصية بأعمالها ومجاهداتها البدنية ، وأما غير ذلك فهي ثمرات قد تحصل للبعض ، وقد لا تحصل ، وليست شرطا من شروط الولاية ، وإنما شرط الولاية الاستقامة ، وإذا استقام العبد كما أُمر فليس على اللّه أن يهيئ له أسباب الكرامة فاستقِم كما أُمِرت ، إن الذِين قالوا ربنا اللّه ثم استقاموا تتنـزلُ عليهم الملائكةُ ألاّ تخَافُوا ولا تحَزنوا وأبشِروا بالجَنةِ التي كُنتم توعدون .

ومما يستحسن ذكره كشاهدٍ يقيني على صدق أحـوال هـؤلاء الرجال من أمثال إمامنا الشيخ محمد بن علي مولى الدويلة شـهادةُ معاصريه ، فهذا الشيخ عبدالرحمن الخطيب يعترف بفضل ومقـام الإمام محمد بن علي فيقول فيه :

يحِق لكم يا ابن الكرامِ التفـاخر كما أولُ الفضلِ لكم والأواخـر
فكم شاع في الآفاق فَيض فَضلِكُم وأسراركم ما للورى الكل غامر
بكم تدفع الأسوا عن الخَلْقِ والبلا وفي جاهِكُم تنشا السحاب المواطر[1]

وقال عنه مؤلف « الغرر » ص٣٩٥ : كان من أجلاء المشـايخ العارفين ، وأكابر الأولياء الكاملين ، ورؤساء الحضرة المقربين ، ذو القدم الراسخ في التمكين ، والباع الطويل في أحكام الدين .

وقال صاحب « المشرع » ص١٠٢ : هو الإمام الذي باسمه تنشـرح الصدور ، العارف الذي بوجوده روض الفضائل معمور ، خصه اللّٰـه بأوفر حظ من العلا والإحسان ، باتفاق أهل العلم والعرفان .

---

(١) « المشرع الروي » ص١٠٢ .

وفاته رحمه اللّه

قال صاحب ((المشرع)) ص١٠٢ : ولم يزل طائعاً لمولاه ، إلى أن وافته الوفاة ، فانتقل إلى رحمة اللّه تعالى يوم الاثنين لعشرٍ خلَونَ من شهر شعبان سنة خمس وستين وست مئة ٦٦٥ ، ودفن في مقـبرة زنبل، وخلف من بعده من الأبناء الشيخ علوي ، والشيخ علـي ، والشيخ عبد اللّه ، والشيخ عبد الرحمن ، وبنت اسمهـا علويـة ، رحمهم اللّه رحمة الأبرار ، وجمعنا م بعد طـول الأعمـار في دار القرار ، في جنات تجري من تحتها الأ ار . آمين .

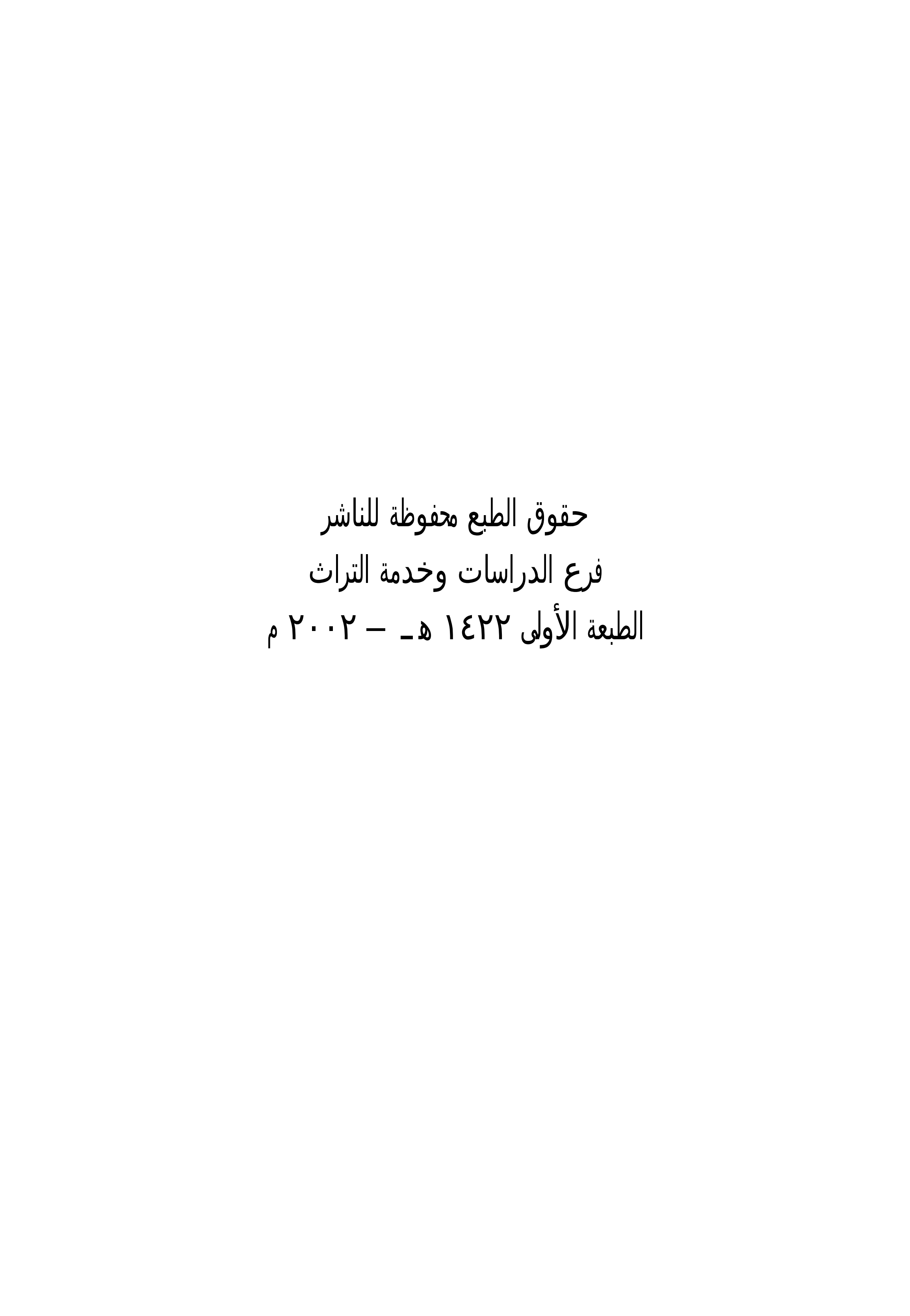
وكان الفراغ من جمع هذه الترجمة مساء الاثنين
الثاني والعشرين من جمادى الثاني
عام تسعة عشر وأربع مئة
وألف من الهجرة
النبوية بجدة
المحروسة

الفهرس



الإمام الشيخ عبدالرحمن السقاف

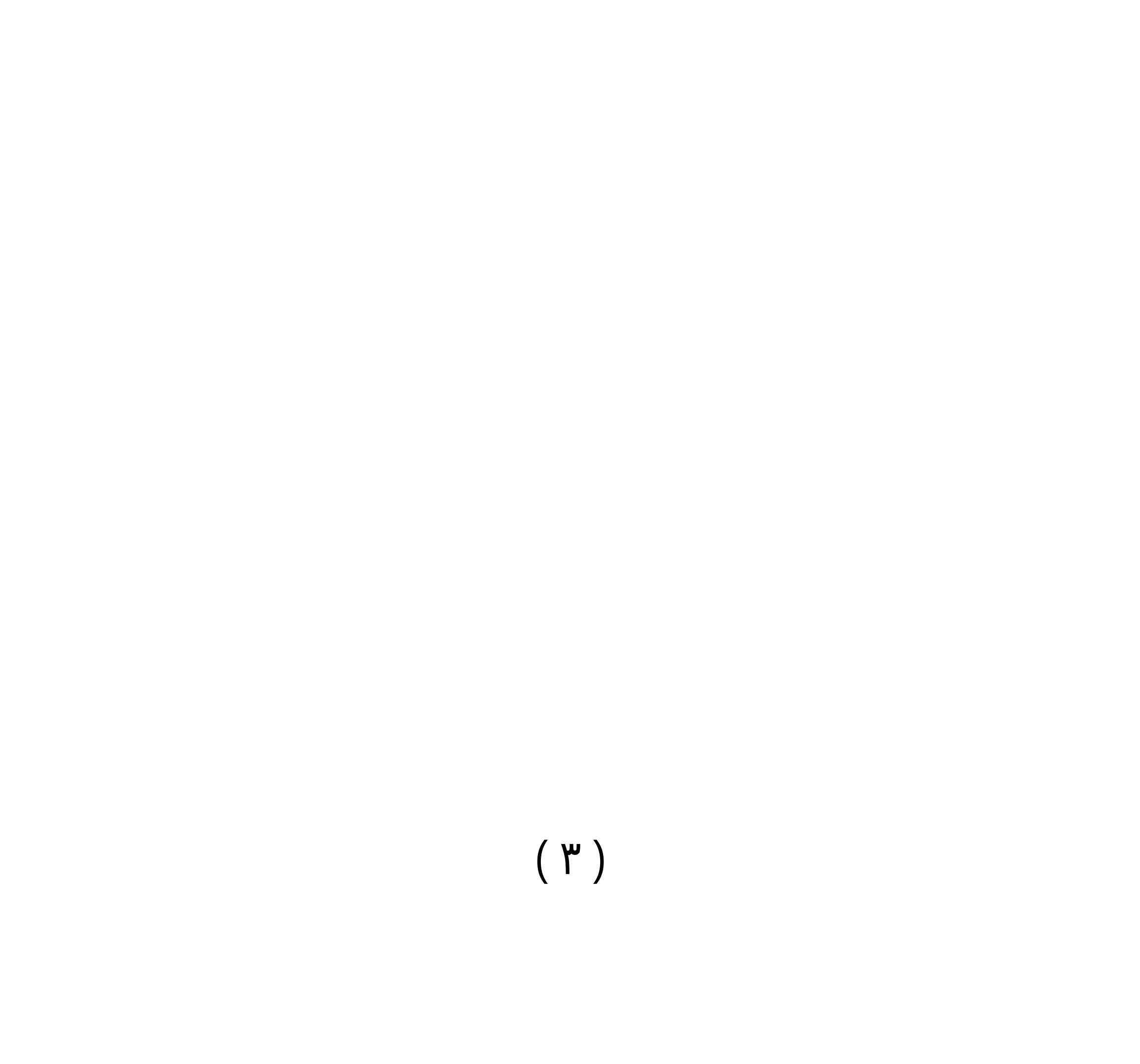
(١)

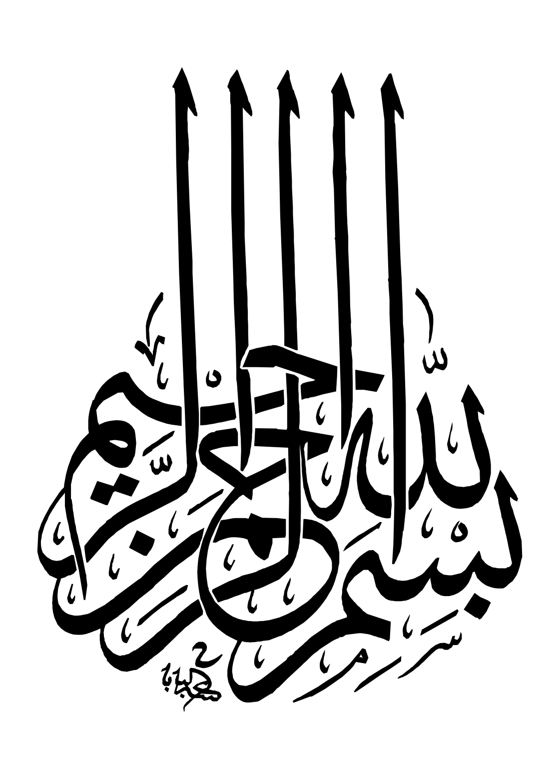


فرع الدراسات وخدمة التراث
الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م

الإمام الشيخ عبدالرحمن السقاف

الغلاف الداخلي



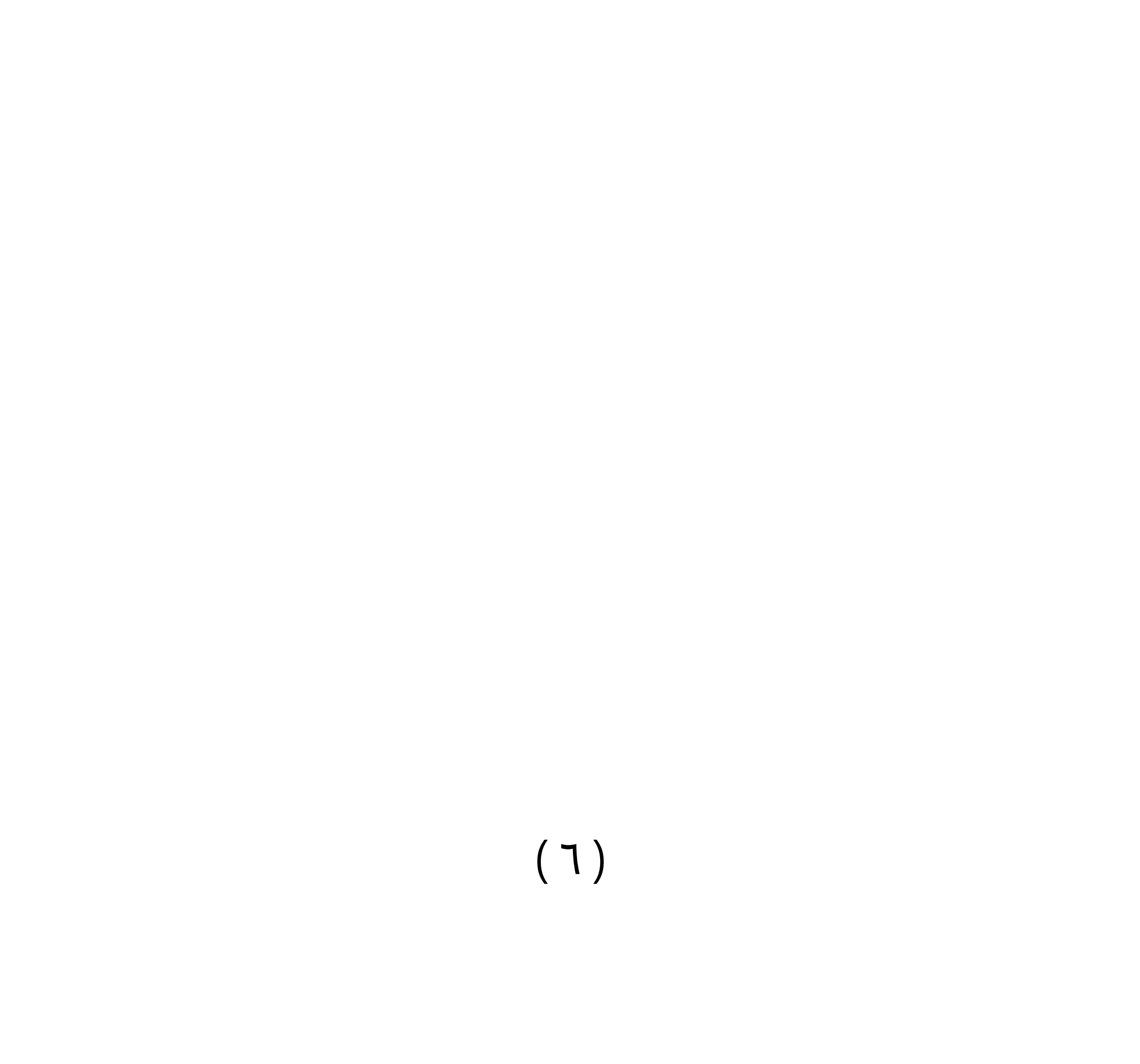

بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني..

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنا أعطَيناك الكَوثَر . فصل لِربك وانحَر.

إِن شانِئَك هو الأَبتر



الإهداء..

إلى شيوخِي الأَفَاضِل..

بِقيةِ السلَف..

وأمِثلَةِ الطرِيقِ في الخَلَف..

وإلى أحفادِ المقَدمِ الثاني..

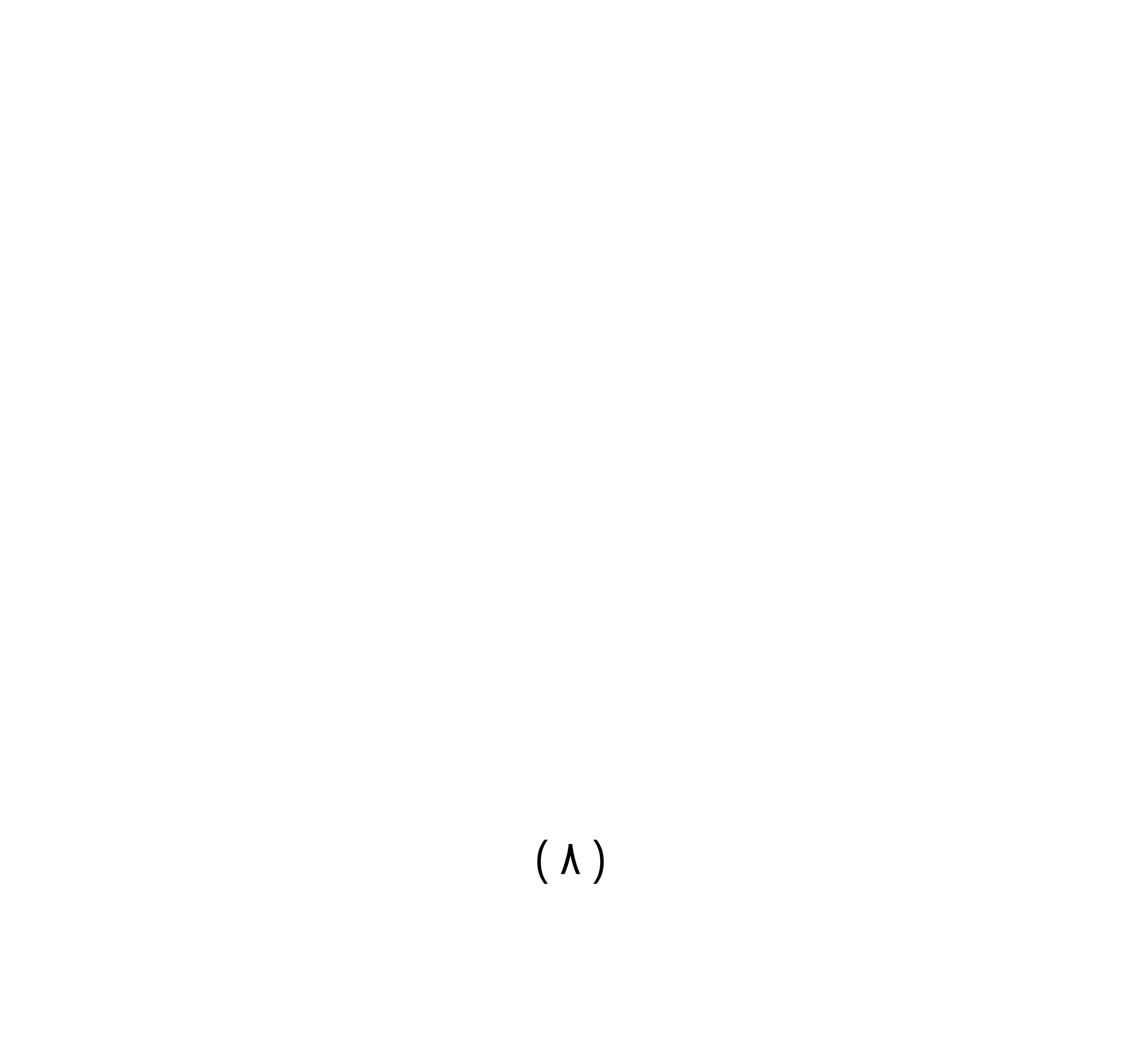
الشيخ المربي عبدِالرحمن بنِ محمدِ السقّاف..

أحدِ أفذاذِ مدرسةِ حضرموت المنتشِرةِ في مشـارقِ الأرضِ ومغارِبها..

وإلى الراغِبين في التعرفِ على نمَاذِج ((السفِينةِ الـتي مـن ركِبها نجَا ومن تخَلف عنها هلَك)) ..

المؤلف

(٨)



شاهد الحال..

الناس كُلهم فُقَراءُ إلى العِلـم،
والعِلـم فَقِير إلى العمل،
والعملُ محتاج إلى العقْل،
والعقْلُ فَقِير إلى التوفِيق،
وكُل عِلـم بلا عملٍ باطِلٌ،
وكُل عِلـم وعملٍ بلا نيةٍ هباءٌ،
وكُل عِلـم وعملٍ ونيةٍ بلا سنةٍ مردود،
وكُل عِلـم وعملٍ ونيةٍ وسنةٍ بلا ورعٍ خسرانٌ..

الشيخ عبدالرحمن السقاف



محمد صلى اللّه عليه وآله سلـم

علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء

الحسين

علي زين العابدين

محمد الباقر

جعفر الصادق

علي العريضي

محمد

عيسى النقيب

أحمد المهاجر

عبيداللّه

علوي

محمد

علوي

علي خالع قسم

محمد صاحب مرباط

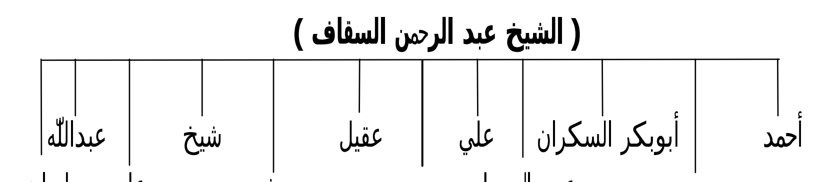
علي

محمد الفقيه المقدم

علوي الغيور

محمد مولى الدويلة

(الشيخ عبد الرحمن السقاف)





(١٢)

المدخل

الحمد للّه الّذي تعددت مواهِبه، فتعددت في الوجـود آثارهـا، وطابت في البسيطة ثـمارها، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، إمام المتقين، معدن الفضل والجود، وأشـرف موجـود، سـيدنا محمد بن عبداللّه الحامد المحمود، وعلى آله وأصـحابه الأشـاوس الأسود، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والورود.

أما بعد فإلى القراء الأعزاء نموذج جديد مِن نماذج ا د ورجـال العهد الذين صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه، عاش في طرف من أطراف اليمن تحفّه العناية والرعاية، وتحيطه الأقدار الات الصدق والأمن والإخلاص.

أظهره اللّه في أهل عصره علـماً فاستظلّ الكُلّ تحـت سـقفه، وأبرزه اللّه للـمريدين سلـماً فارتقى به جلّ المتعلقين أوج العلا، ونالوا من جنيات قطفه، وسمي في طريق السادة بـنـي علـوي بالـمقدم الثاني، لـما كان على يديه من الفتح والـمنح الرباني، وقد قبض على زمام الأمور، وعمر القلوب والدور، وأرسى قواعد الطريق بالعلـم والعمل الصادق المبرور، وبقي لنا على ممر الأعصار حجة ننتصر بآثارها على الشيطان وأعوانه، ونتطلع إلى شبههِ ومثلِهِ

في حزمه وعزمه وعنفوانه، والساقي باقي، ومن رغب في الاهتـداء بما اهتدوا به نال المنال، ولحِق بأهل الكمال، ومِن اللّه المنح والتوفيق والثبات في كل حال، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

التعريف بالشيخ عبدالرحمن السقاف

هو السيد الشريف العالـم العامل، قدوة المقتدين في زمنه، وشيخ العارفين في عصره، جامع علوم الإسلام والإيمان والإحسان، المترقي فيها بجدارة الفتح الكسبي والوهبي من الملك الواحد المنان، المتحقق بحقائق العرفان، المتبع قولاً وفعلاً وهمة وإرادة لـمراتب جده سيد ولد عدنان، انعقدت له الولاية الكبرى بلا منازع، وانفتحت لـه قلوب المريدين بلا حواجز أو قواطع، عبدالرحمن بن محمد مـولى الدويلة بن علي بن علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي ابن الإمام محمد صاحب مرباط ابن الإمام علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيداللّه بن أحمـد المهـاجر ابـن عيسى بن محمد النقيب ابن علي العريضي ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابـن الإمـام الحسين ابن الإمام علي وفاطمة الزهراء رضي اللّه عنهم أجمعين.

ولد بمدينة تريم سنة ٧٣٩ هـ، وحفظ القرآن العظيم على الشيخ المعلـم أحمد بن محمد الخطيب، وأتقن علوم القـرآن والتجويـد، وحقق جميع المتون الفقهية واللغوية، وكانت نشأته منـذ نعومـة أظفاره وهو بين سماع القـرآن وعلـوم الشـريعة في المنـزل والـمجالس والحلقات، ومن هذه المواقع انفتحت عينه على دقائق العلوم وفنون المعارف من آلة ونحو وصرف وشريعة وحقيقة، فلـم يمر عليه ليل ولا ار إلا وهو ذاهب إلى طلب أو آيب منه، ففقهت مدركاته الذهنية أنبل الوسائل، واستوعبت ملكاته أشرف العادات والفضائل، وكبر حرصه على الأعمال الصـالحة مبكـراً، ولازم المطالعات والـمراجعات وتحقيق العلوم، وخاصة في مجالس والده ومكتبة مربيه ومعلـمه، وكانت مؤلفات العلوم كلها في حـوزة والده وجملة من مشايخه، حتى قيل: إنه كاد أن يحفظ «الـوجيز» و«المهذب» لكثرة ترداده‍ما ومطالعتهما وحضور مجالس تقريرهما، إضافة إلى جو الذوق والشوق الذي سـطعت شـوارق قلبـه في جوانبه ومراتبه، وطول ا اهدات السلوكية التي تـمرنُ عليه نفوس الأشراف في بلاد الأحقاف، من طول أذكار وأوراد ومجالس فكر وذكر وشكر وترقيق قلب وحال بكلام أهل الأحوال ومقامـات

الرجال. قال عنه السيد محمد بن علي خرد:

جنيد التقى والزهد والجود والسخا   وبحر الصفا حبر الشيوخ الأماثل
وأستاذ أرباب العلوم أجلهم   وغيث اليتامى والأيامى الأرامل[1]

ولن يوصف إنسان بمثل هذا الوصف إلا وقد ارتقى في عصره مرتبة الخلافة، وعقدت له الألوية، وخضع له أهل زمنه وعصره ومصره، وهذا كان حال سيدنا الإمام الشيخ عبدالرحمن السقاف كما سيأتي لاحقاً.

شيوخه ومربوه

كان لعناية الشيوخ الأكابر أثر عظيم في حياة الشيخ عبدالرحمن السقاف، ومنهم تشكلت فهومه ومعارفه، وعنهم تفتحت مواهبه واستعداداته، وذكرت كتب التراجم أن من أجل من انتفع م والده الإمام محمد بن علي « مولى الدويلة »[2]، وأخذ وانتفع بالشيخ العلامة محمد بن علوي ابن أحمد ابن الفقيه المقدم المعروف «بصاحب العمائم» ومن في مرتبته من الشيوخ.

---

(١) « الغرر » ص١٨٨ ، وهي طويلة تراجع في الأصل.
(٢) « المشرع الروي » ص١٤١.

كما رحل في سبيل الاستزادة من العلم، فاتجه إلى غيل أبي وزير حيث لقي الفقيه العلامة محمد بن سعد باشكيل وحقق عليه «الإحياء» و«الرسالة القشيرية» و«العوارف» وغيرها.

كما أخذ عن الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد ولازمه سنوات وانتفع به انفاعاً جماً، وكان الشيخ محمد باعباد يعظم الشيخ عبدالرحمن ويجله(١).

---

(١) ذكر ذلك في « الجوهر » (٢: ٥٨-٥٩) بما مثاله: قال محمد بن أبي سلمة بن أبي كثير: صعدت مع بعض آل أبي وزير إلى شبام، فدخلنا على الفقيه العارف بالله تعالى الخبير العالم الرباني محمد بن أبي بكر بن أبي عباد رضي الله عنه نزوره، فلما جلسنا إذ بالشيخ عبدالرحمن رضي الله تعالى عنه يستأذن على الفقيه المذكور، فخرج إليه الفقيه بنفسه، وكان يفعل ذلك له إذا علم أنه على الباب ولا يدع أحداً يخرج إليه قبله أصلاً، قال: فلما طلعا جلسا فوق سريره، ثم تكلم الشيخ رضي الله عنه بالكلام الغريب العجيب الفائق، تارة في الحقيقة وتارة في الشريعة والفقيه مطرق بين يديه ولم يتكلم بكلمة واحدة، ولم يزالا على ذلك من الضحى إلى وقت الظهر، ثم صلينا الظهر ورجعا مكانهما على ما كان إلى صلاة العصر، ثم صلينا العصر ورجعا مكانهما مع ما كان إلى الاصفرار.

وكان الفقيه المذكور مع جلالة قدره وعلو مرتبته يتواضع للشيخ عبدالرحمن رضي الله عنه لما علم من تمكن الشيخ في درجات النهاية، وباعه الطويل في أحكام الولاية، وكراماته الظاهرة ومقاماته الفاخرة وتصريفه النافذ، وكان

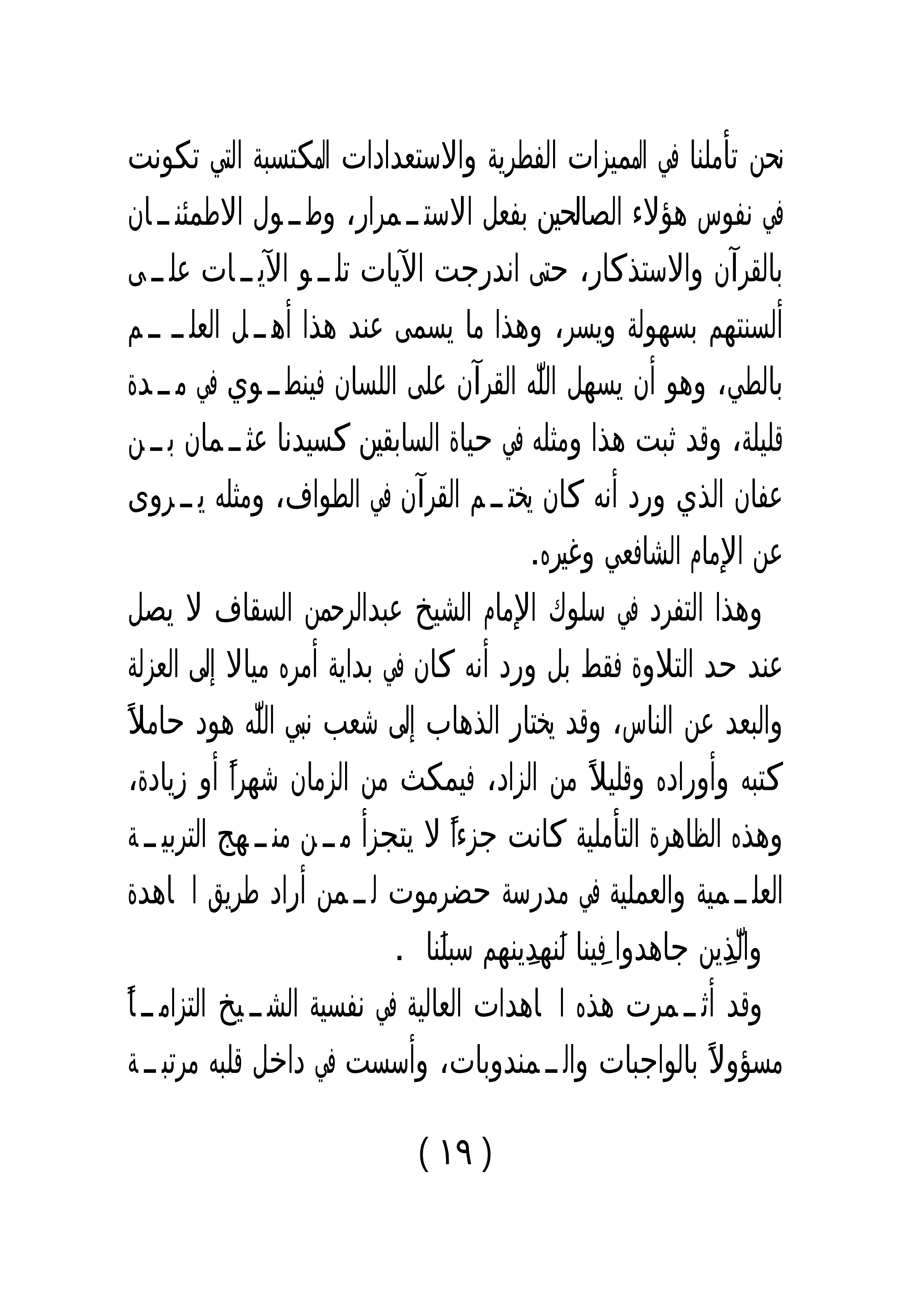
ثـم رحل إلى عدن وأخذ ا قسطا من علوم العربية وآلا ا على الشيخ القاضي محمد بن سعيد كِبن، وبرع في علـم الأصول وأتقن علـم المعقول وكذا علـم المعاني والبيان وعلوم التفسير والحديث، ولـم يترك علـماً من علوم عصره إلا وله به اطلاع ومنه انتفاع، ومع ذلك كان متواضعاً لشيوخه متأدباً محباً لهم قائماً بحقوقهم.

مجاهداته في الطاعة

ورد في كتب التراجم عن مجاهداته في أول سلوكه أنه بلغ الغاية في حفظ الأوقات، والتقلل من المباحات، وكثرة الصوم والعبادات، حتى إن ورده من آخر الليل في قراءة القرآن بلغ في صلاته بمقـدار مصحفين كل يوم، حيث يخرج إلى شعب النعير للتهجـد، ثـم صار حاله فيما بعد كما ورد في «الجوهر الشفاف» و«الغـرر» وغيرها يقرأ أربع ختـمات بالنهار وأربعاً بالليل.

ولا شك أن مثل هذا يثير العجب في زماننا حيث يصعب علـى ا تهد أن يقرأ ختـمة واحدة في اليوم، ولكن العجب يتبـدد إذا

الفقيه المذكورمن مشايخ الشيخ عبدالرحمن في العلـم، وكان يقَدمه على الدرسة وإن سبقوه، ويبقى باقي الدرسة كُل على سبقِه رضي اللّه تعالى عنه.



نحن تأملنا في المميزات الفطرية والاستعدادات المكتسبة التي تكونت في نفوس هؤلاء الصالحين بفعل الاستمرار، وطول الاطمئنان بالقرآن والاستذكار، حتى اندرجت الآيات تلو الآيات على ألسنتهم بسهولة ويسر، وهذا ما يسمى عند هذا أهل العلم بالطي، وهو أن يسهل اللّه القرآن على اللسان فينطوي في مدة قليلة، وقد ثبت هذا ومثله في حياة السابقين كسيدنا عثمان بن عفان الذي ورد أنه كان يختم القرآن في الطواف، ومثله يروى عن الإمام الشافعي وغيره.

وهذا التفرد في سلوك الإمام الشيخ عبدالرحمن السقاف لا يصل عند حد التلاوة فقط بل ورد أنه كان في بداية أمره ميالا إلى العزلة والبعد عن الناس، وقد يختار الذهاب إلى شعب نبي اللّه هود حاملاً كتبه وأوراده وقليلاً من الزاد، فيمكث من الزمان شهراً أو زيادة، وهذه الظاهرة التأملية كانت جزءاً لا يتجزأ من منهج التربية العلمية والعملية في مدرسة حضرموت لمن أراد طريق المجاهدة والّذِين جاهدوا فِينا لَنهدِينهم سبلَنا .

وقد أثمرت هذه المجاهدات العالية في نفسية الشيخ التزاماً مسؤولاً بالواجبات والمندوبات، وأسست في داخل قلبه مرتبة

لاتخاذ المواقف الإيمانية الجادة، حتى قيل: إن مجاهداته في العلم والعمل لم تنقص في مكيال العمل حتى ليلة زفافه، إذ قام على عادته متهجداً متبتلاً شاكراً مولاه على أنعمه[1].

أسفاره ورحلاته

تكررت أسفار ورحلات الشيخ عبدالرحمن السقاف منذ شبابه إلى الشحر والمكلا والغيل وعدن، وأخذ في رحلاته عن جملة من علماء عصره وأجاز وظهر شأنه وأمره.

وعاد في آخر المطاف إلى حرم الإقليم، متصدراً دروس العلم ومجالس الطريق، وقد أذعن له الخاص والعام، وارتفع قدره ومقداره بين الأنام، وقد استفاد من خلال زياراته المتعددة للعلماء والبلاد المختلفة ما يجب أن تتفرد به مدرسة حضرموت من ثوابت الطريق وقواعد التحقيق، فأخذ على عاتقه تمكين المريدين وتقوية علاقتهم بالعلم والعمل، ووجه عقولهم وأرواحهم لنيل المعرفة فقهاً وحديثاً وتفسيراً ولغةً كما يجب أن تؤخذ وتدرس، حتى ورد عنه في «الغرر» أنه ربما استغرق الحديث عن علم الظاهر حتى

(١) «المشرع الروي» ص١٤١.

يحرك مجامع القلوب نحو ذلك، ثم ما يلبث أن يعرج على الكلام من علم الباطن وأعمال القلوب حتى يعدل كفة الميزان بين الحالين.

تصدره وشهرته في الآفاق

برز الشيخ وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد السقاف على كرسي الخلافة العلمية والعملية مبكراً في مقتبل العمر، والتف عليه المريدون والمنتفعون، واستفادوا من معارفه وعلومه، واستظلوا بأفياء وارف فهومه، فطار صيته في الآفاق ورحل إليه الطلبة من شتى الأصقاع، وحملت إليه الرسائل والفتاوى من مشرق الأرض ومغربها، فكان في كل أحواله وإجاباته ورسائله ومسائله سالكاً مسلك الجادة مبينا ومفصلاً كل مادة عن مادة، وكان موهوب الذكاء قوي الحجة في تقرير مسائل العلم الدقيقة، ويحتشد الطلاب على تقريره في «الوسيط» و«البسيط» للإمام الغزالي، وفي شرحه «للمهذب» لأبي إسحاق و«المحرر» مع لطف عبارة وحسن إشارة، ووقوف مفيد على غامض المشكلات حتى يجليها للطلاب.

وكان يعتني بالجمع بين علمي الظاهر والباطن، ويحدو تلامذته ومريديه إلى الاهتمام بالعلم والعمل مع بذل الجهد في مراقبة المولى والإخلاص والصدق، ومما أملاه على تلاميذه قوله: (إن الأوقية من أعمال الباطن تعدل اراً من أعمال الظاهر)، و(من لا له ورد فهو قرد)، و(من لا له أذكار فليس بذَكَر)، و(من لم يطالع «الإحياء» ما فيه حياء)، و(من لم يقرأ «المهذب» ما عرف قواعد المذهب)، و(من لا له أدب فهو دب)، و(الناس كُلهم فُقَراءُ إلى العِلم، والعِلم فَقِير إلى العمل، والعملُ محتاج إلى العقْل، والعقْلُ فَقِير إلى التوفيق، وكُل عِلم بلا عملٍ باطِلٌ، وكُل عِلم وعملٍ بلا نيةٍ هباءٌ، وكُل عِلم وعملٍ ونيةٍ بلا سنةٍ مردود، وكُل عِلم وعملٍ ونيةٍ وسنةٍ بلا ورعٍ خسرانٌ).

وذكر صاحب «المشرع»[1] أن الشيخ عبدالرحمن السقاف ذكر في بعض أيام درسه فضل الفقه، فعزم ولده الشيخ عمر المحضار أن يفني عمره في الفقه ويترك غيره من العلوم، فلما انقضى المجلس ناداه وقال: يا عمر.. اجتهد في أعمال القلوب، إن الفقهاء معهم قَبس ومع الصوفية جذوة، وأوقية من أعمال الباطن تعدل ارا من

---

(١) المصدر السابق .

أعمال الظاهر.

ورد في « الغرر » أن الشيخ عبدالرحمن السقاف قرأ في علـ ـم الشريعة المطهرة خمسين كتاباً سوى العلوم الأخرى[1].

وكان يجاور عند نبي اللّه هود نحوا من ستة أشهر، واتخذ في آخر عمره قارئاً يقرأ عنده القرآن جهراً وهو يستـمع ويقرأ معه أوائل الآيات، وإذا قام إلى صلاته تراه كأنه شاب، وكان لا يدخل وقت الصلاة المفروضة إلا وهو في المسجد، وكان يتهجد في المسجد أكثر الليل[2].

وقال الشيخ علي بن محمد الخطيب: سمعـت شـيخنا الشـيخ عبدالرحمن السقاف رضي اللّه عنه يقول: كنت أقرأ القرآن في اليوم والليلة ثـمان ختـمات أو سبع ختـمات، قال: وكان الشـيخ رضي اللّه عنه يقرأ هؤلاء الختـمات المذكورات أربعا بالليل وأربع بالنهار، ختـمتان بعد صلاة الصبح إلى وقت الظهر، وختـ ـمة فيما بين الظهر والعصر يقرؤها في ركعتين، وختـمة بعد صـلاة العصر، وكان يرى بالليل كأنه أُسطوانة من كثرة القيام.

---

(١) « الغرر » ص٣٩٦ .

(٢) « الجوهر الشفاف » (٢: ١٠٧) .

زهده وورعه وعنايته بالزراعة والعمل اليدوي

كان الشيخ عبدالرحمن السقاف على غاية قصوى من الزهد في الدنيا وعدم الالتفات إليها، حتى إنه قد يفرق الزكاة من التمر على الفقراء والمساكين فلا يلعق التمر من أصابعه تورعا، بل يمسحه أو يغسله بالماء.

وكان يميل إلى العمل اليدوي والزراعة على عادة أهله وسلفه، وله نخل كثير غرسه في تريم والمسيلة وغيرها، وكان إذا غرس نخلة يقرأ عند غرسها سورة ياسين، أما في أرضه المسماة « باحبيشي » فكان بعد تمام كل غرسة يقرأ ختمة كاملة، ثم جعل ذلك صدقة على الموجودين من أولاده، على أن يقرأوا ويهللوا ويسبحوا الله كل ليلة بعدد معلوم، ثم يهبون ثواب ذلك إلى روحه بعد موته، وكان أولاده يومئذ ثمانية بنين وست بنات.

ومن مشاريعه الخيرة بناؤه لعشرة مساجد في أنحاء متفرقة من حضرموت، ووقف على كل مسجد ما يقوم بحقه من عقار وأرض، ولا زال من مساجده مسجده المعروف بمسجد السقاف بتريم إلى اليوم، وفيه تقام الحضرة الأسبوعية المنسوبة للشيخ

السقاف[1]، وتقام فيه الآن حلقات تحفيظ القرآن تحت رعاية السيد محمد بن علوي العيدروس المعروف بسعد [2] .

مقامه وفضائله وأحواله

أجمع أهل عصره على تسميته بالسقاف لـما كان عليه من سمو الهمة وعلو المرتبة، حتى صار لأهل عصره سقفاً معنوياً، واختلفت رواية المؤرخين في سبب التسمية، فقيل: إنه سمي بذلك لإخفائه حقيقة حاله عن أهل زمانه، فكان كالـمستور تحت سقف التواضع والخمول، حتى قيل: إنه لـم يدع حالاً لنفسه ولـم يطلب شهرة ولا مقاماً، وكان يكره أشد الكراهة، وقيل: إنه سمي

(١) ذكر الشاطري في « الأدوار » ص٢٦٤ أن الحضرة المذكورة تعقد مرتين في الأسبوع ليلة الاثنين والخميس، يتولى الإنشاد فيها أبناؤه وأحفاده، ثم جلب حفيده العلامة أحمد بن الحسين العيدروس المتوفى سة ٩٦٨ هـ منشِدِين من مصر ومن عرف يسمون آل بامصري وآل عرفان، وقاموا بهذه المهمة هم وأحفادهم إلى اليوم.

(٢) السيد سعد العيدروس إمام مسجد السقاف والقائم عليه وعلى مصالحه، وله همم عالية في خدمة المسجد والطريق، والإشراف على حلقات القرآن بقبة أبي مريم، وله مصنفات مفيدة في فنون عديدة، ونأمل أن تجد طريقها إلى النور قريباً إن شاء اللّه.

بذلك لأنه سقَف على أولياء زمانه بحاله[1] فصار كالسقف المظلل لهم.

ويبدو أن مراحل ترقيه في المقامات والأحوال قد جمعت له هـذه المعاني، ففي بداية أمره كان على الصفة المذكورة من إخفاء الحال والرغبة في الستر، وفي مرتبة بروزه وظهوره واختيار اللّه له موقـع الصدارة سقَف حاله على أهل زمانه.

وله عبارات يقول فيها في بعض كلامه: اجتهدنا فلـم يفـتح علينا بالفتح العظيم حتى رجعنا إلى معرفة النفس. ويقول: واللّه ما لقلبي التفات إلى غير اللّه من أهل وولد ومال، وما بـنـيت داراً ولا مسجداً إلاّ وقد أُمرت بفعل ذلك.

ويقول : دواء القلب ترك العوائق والتوفيق إلى نيل كل خير[2].

ويقول في مرتبة الظهور والبروز: اطلعنا على الحلاج وظننـا أن بزجاجته كسراً فوجدناها ترشح وليس ا كسر، واطلعنـا علـى الغيث بن جميل[3] فوجدنا حاله فوق مقاله، واطلعنا على سعيد بن

---

(١) ((الغرر)) ص١٩٠.

(٢) المصدر السابق ص١٩١.

(٣) قال في ((الجوهر)) عن الغيث بن جميل ص٦٥ : كان الشيخ حسن بـن علـي

عمر بالحاف فوجدنا مقاله موافقاً لحاله ، واطلعنا على أحمد بن أبي الجعد فوجدنا مقاله فوق حاله.

ويقول: كُنِ ابن زمانِك، فإن رأيت أهله ذئاباً فلا تكـن ضـأنة يأكلوك، وإن رأيتهم ضأناً فلا تكن ذئباً تأكلهم.

ويقول: فقهاء الزمان وصوفيته تواقعوا في الطحس[1].

وقال في « الجوهر الشفاف » (٢: ٧) : وكان شـيخنا الشـيخ عبدالرحمن رضي اللّه عنه كثير الاستغفار بالليـل والنـهار واللّـه أعلـم، يرتقي من درجة إلى درجة، فإذا ارتقى مـن درجـة إلى درجة أعلى منها يستغفر اللّه تعالى منها، رأى نفسـه في الأولى في محل التقصير عن معرفة اللّه تعالى منها، ولذلك قال النبي صلى اللّه عليه وسلـم: إني لأستغفر اللّه تعالى في اليوم سبعين مرة، ففسـر العلـماء رضي اللّه عنهم قوله ذلك أنه صلى اللّه عليه وسلـم يرتقي كل يوم كذا وكذا درجة، فإذا ارتقى من درجة إلى درجـة

علوي يقول: الشيخ عبدالرحمن رضي اللّه عنه في منـزلة أبي الغيث بـن جميـل اليمني، وكان أبوالغيث قد قُلد سيف الولاية وشاع ذكره في الآفاق، وفاق أهـل زمانه، وتقدم على أقرانه، وسمي لعلو شأنه شمس الشموس وقاتل الأهواء والنفوس.

(١) الطحس المزالق ، أي: وقعوا في محاذير كثيرة ومخالفات.

أعلى منها رأى الأولى في محل التقصير عن معرفة اللّه تعالى فيستغفر اللّه منها، وأولياء اللّه تعالى هم السالكون محجة النبي صلى اللّه عليه وسلـم.

وقال أيضا عن بعض عادات الشيخ عبدالرحمن السـقاف عنـد الإلباس للفقراء والـمساكين والـمريدين: وكان من عاداتنـا في آخر عمر شيخنا الشيخ عبدالرحمن رضي اللّه تعالى عنه أن يشتري أحدنا خوذة ويعطيها الشيخ، والشيخ يعطيه خوذتـه الـتي عليـه تبركاً[1] .

وقال أيضاً عن تأثير الشيخ عبدالرحمن في مريديه: أخبرني السـيد محمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي علوي قال: لـما حكمني الشيخ عبدالرحمن رضي اللّه عنه ذهبت عني محبة الدنيا وزالت عني صفات مذمومة كنت أعرفها فيّ، وأُبدلت ا صفاتٍ محموداتٍ في ذلـك الوقت الذي حكمني فيه الشيخ، وأنا في مزيد إلى الآن.

قال مؤلف « الجوهر » تعليقاً على ما ورد: وكان بعض الصالحين ممن يسمي شيخنا الشيخ عبدالرحمن « الصباغ » لصـبغه القلـوب بالصفات المحمودة وإنجاع كلامه فيها واستراقها منـه بمجالسـته

---

(١) « الجوهر » (٢: ٤٢).

وبركته العلوم الربانية والصفات السنية[1] .

وكان الشيخ عبدالرحمن يتحدث بالنعمة فيقول: يقولون بحر الهوى كم يكون عرضه وكم يكون طوله؟ فدخلنا فيه فوجدنا ما له منتهى، فالصالحون غطسوا فيه، أي: غلبهم بحر الهوى حتى تشرقوا بغصصه وظهرت عليهم علامات تعبه كما يغلب الماء السابح فيه فيواريه ويشرق به، أما أنا لم أغطس، -أي: لم يغلبني ولم تنلني منه مشقة ولا تعب- ولا شرقت بغصصه. اهـ «الجوهر الشفاف» (٢: ٦٢) .

ويؤثَر عنه قوله: لو عرفت أن قلبي يحب غير اللّه لأخذت حجراً وفضخته. أو ما في معناه من « الجوهر » ص٦٤، ويؤثر عنه أيضاً قوله: أنا شيخ من لا له شيخ إلى يوم القيامة [2].

قَوم همومهم باللّهِ قد عِلقَت ... فما لهم هِمةٌ تسمو إلى أحدِ
فمطْلَب القَومِ مولاهم وسيدهم ... يا حسن مطْلَبِهم للواحِدِ الصمدِ
ما إن ينازِلُهم دنيا ولا شرف ... مِن المطاعِمِ واللّذاتِ والولَدِ
ولا لِباس لِثَوبٍ فائِقٍ أَنِقٍ ... ولا التزين في الأحوال والعددِ

(١) المصدر السابق (٢: ٧٥) .

(٢) من مقدمة ديوان الحضرة ص٦ .

نبذة عن حضرة السقاف

بنى الشيخ عبدالرحمن السقاف عدة مساجد بتريم ونواحيها، من المساجد المشهورة مسجده المعروف الذي كان ملازماً له بالعمارة الظاهرة والباطنة حتى وفاته، وهو أول مسجد بناه سنة ٧٦٨ هـ، وقال رضي اللّه عنه: ما شرعت في عمارته إلا وقد أسسه الأئمة الأربعة المجتهدون، ووقف كل واحد منهم على ركن من أركانه والنبي صلى اللّه عليه وسلم في قبلته.

وكان يجلس فيه بعد العشاء ليلتي الخميس والاثنين لإقامة الحضرة المعروفة، وتسمى « ليلة الراتب » ، وإذا مات أحد من آل أبي علوي كان يترك الراتب مرتين أو ثلاثة، ثم أشير عليه بعدم تركها.

قال الولي الصالح سعيد بن سالم الشواف عنها في منظومته «قصعة العسل» :

والنور ذي فيها كان في مسجد الراتب بان واملا منار الأكوان
أنوار جلاها اللّه

من نور ذيك الحضره يحضرها اهل الشهره فيها من اللّه نظره
للأوليا شي للّه

يا من حضر فيها شاف نور المشايخ الاشراف والشيخ ذاك السقاف يحضر مع اهل اللّـه

حضرة تقع ما أكبرها ياليت من يحضـرها أو ليت من ينظرهـا فيها جـلالات اللّـه

دائم وهم في الحضره عند العشي والبكـره عسى تقع لي نظـره منهم ومن جود اللّـه

وتبدأ الحضرة بالفاتحة، ثـم بالتهليل بإيقـاع خـاص، ثـم سبحان ربك رب العزة عمـا يصـفون .. إلخ إن اللّـه وملائكته.. ثـم فاتحة أخرى.

ويبدأ الإنشاد بقصائد السلف حسب الترتيبات المعتادة للحضرة، وغالب القصائد المنشدة ذات نمط حميني خالية من التكلف، حاوية على تحريك الوجدان الذوقي، وربط السامع بمقامـات ومراتـب الأولياء والصالحين ومشايخ الطريق، وذكر تريم ومعاهدها الأنيسة وقواعدها الروحية، وقد أضيفت بعد الشيخ عبدالرحمن السـقاف تراتيب وقصائد أخرى لأولاده ولبعض رجال الذوق، وقد جمـع العلامة السيد عبدالرحمن بن محمد المشهور كافة تراتيب الحضرة في

كتاب خاص سماه « الـمنهل العجيب الصاف في فضل وكيفيـة حضرة الشيخ عبدالرحمن السقاف » .

والـمعلوم عند مشايخ التصوف أن الحضرة واحد من مجـالس الذكر الذي يشتـمل على تحريك المريدين والحاضرين بوجـدان وذوق يخرجهم حسب استعدادا م عن مـألوف العـادة للطبـع البشري، كجزء من ترويح الـنفس وترويضـها علـى الـذكر والاستغراق فيه، وأساس هذه الحضرة قائم على مـدلول تربـوي يختص به الصوفية دون غيرهم، ولهم به ولع شديد واهتـمام، ومن أهم شروطه:

١- حسن الظن باللّه وأولياء اللّه.

٢- طرد الخواطر والوساوس والتسويلات النفسية.

٣- حسن الظن بين المريدين.

٤- محبة بعضهم البعض في ذات اللّه.

٥- الامتلاء الكامل بالـمعاني الواردة في الأذكار والأشعار.

٦- عقد النية أن الحضرة حضور مع اللّه واستئناس بذكره وذكر رسوله، والتغني بمراتب الصالحين للتأسي م ونيل بركا م.

وإذا اضطربت هذه الشروط أو فقدت لا يمكن للـمريد أن ينتفع

ذه ا الس، وتتفاوت وقائع الحضرات عند أهل التصوف، وقد يعتري البعض خلالها زعيق وصياح وإغماء، وخاصة في حضرات الذكر المعروفة عند بعض الطرق الأخرى، وقد يتجاوز الأمر إلى أكل الزجاج والحرق بالنار وطعن الأجساد، وكل هذه الإفراطات مرجعها إلى قوة يقين ا اذيب وقوة إراد م في كرامات الأولياء وصدق التعلق بالله وعدم اهتمامهم بما يقوله الآخرون من الانتقاد عليهم.

أما في حضرة السقاف بتريم فلا يوجد شيء من ذلك أصلاً، وغاية ما يظهر على بعض الصادقين البكاء أو الإطراق المستديم، وينكرون كل الإنكار على من يتجاوز الحد الشرعي للوجد والذوق، ولا يميلون إلى ما لا يستسيغه الأدب الذوقي من تلك الحركات والهيئات التي قد يفعلها غيرهم من أصحاب الطرق. وينحصر اليوم إنكار المنكرين على حضرة السقاف على ما يضرب من آلات النفخ والدف والطيران، وما يأتي في سياق القصائد من الاستغاثة والتوسل والاستشفاع.

والإنكار على الحضرة لهذه الأسباب وجيه من وجهة نظر المتأثرين بمدرسة النقض، أما من حيثيات القواعد التي وضعها

علـماء الصوفية ومشايخهم فلهم ما يبرر مواقفهم آنـذاك، إذ إنّ الغالب منذ القرن السابع والثامن في بـلاد العالـم الإسـلامي التسامح في شأن القواعد الذوقية، وأفتى كثير من العلـماء بالجواز في بعض الحالات، ولـم يكن عندهم ولا عند علـماء السنة من ينكر التوسل، حيث لـم تظهر مدرسة الإنكار بصورتها العدائيـة حول هذه المسألة إلاّ في مرحلة متأخرة جداً، وجـاءت مرافِقَـةً لتحولاتٍ خطيرةٍ في حياة الأمة بعمومها لـم تقف عنـد مسـألة الإفراط عند الصوفية، بل شملت كل شيء في حياة المسلـمين، وخرجت من دائرة المطالبة بالتوسط بين الإفـراط والتفـريط إلى إصدار أحكام بدعية وانقلابات مِلِّية.

إننا نجزم أن تحولات المراحل بعد الحـربين العالـميتين الأولى والثانية قد أفقد مدرسة الإسلام بكافة مذاهبها وطرقهـا موقعهـا الإسلامي القديم، كما أفقد الأمة بعمومها حاكماً ومحكوماً موقعها السياسي والاجتـماعي والاقتصادي والثقافي. ولهذا فمن نافلة القول «أن نحارب الصوفي المفْرِط» في عصرنا هذا «لنؤيد السـلفي المفـرط» ، وكلاهما في حقيقة الأمر قد فقدا الموقع الإسلامي العادل في الاحتكـام والالتزام، وبقي لهما الصراع المحدود في بعـض الفـروع والهيئـات

والكيفيات التي يتسع الشرع لـمن أراد العمل بهما أو تركهما، حيث لا يمثلان غاية في الأمة وإنما اختلاف وسائل فقط.

أبناؤه وزوجاته

كان الشيخ عبدالرحمن السقاف كثير التزوج، وجمع في عقده أربع نسوة، وكان يرى في كثرة التزوج تفريغ البال عن شواغل الجسد، والتفرغ لـمطالب الروح، وجمع القلب على مراد اللّٰه في الذات، وكان له نساء من خارج تريم، وبعضهن من تريم.

وخلف من البنين ثلاثة عشر ابناً ذكراً وسبع إناث كما ذكرت كتب التاريخ[1].

مقولات عن مقامه المنيف

جاء في « الجوهر الشفاف » (٢: ١٠٨) :

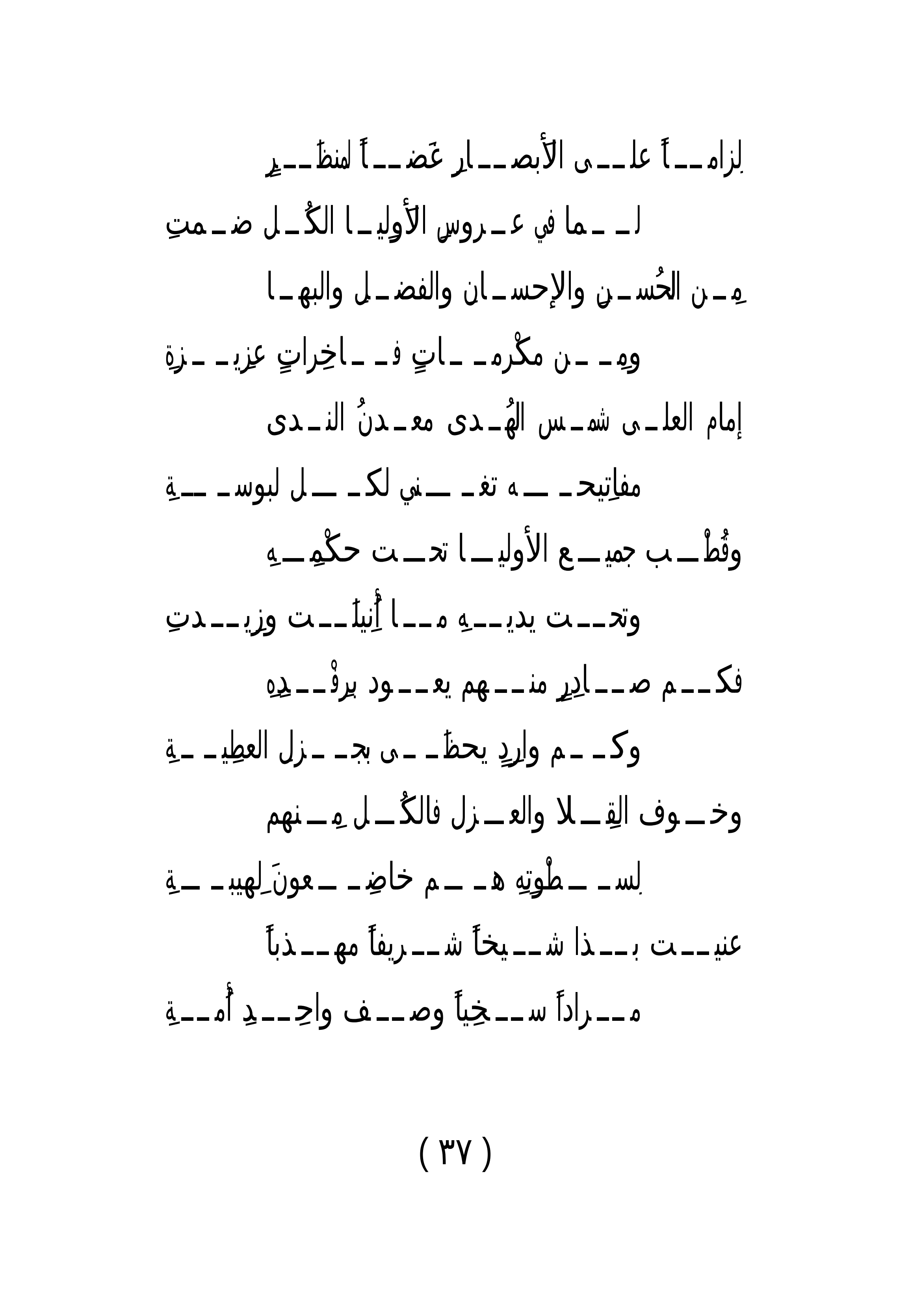
وكان رضي اللّٰه من أكابر المشايخ العارفين، وصدور الأجلاء المقدمين وخلاصة الأصفياء المحبوبين، صاحب الأحوال الفائقة والـمقامات الرائقة والكرامات الخارقة والأنفاس الصادقة، والهمم

(١) « الجوهر الشفاف » (٢: ١٠٨).

العالية والبركات الناميـة، والفـتح العلـي والكشـف الجلـي، والـمحاسن الجميلة والـمواهب الجليلة، والقـدم الراسـخ في التـمكين المحمود والباع الطويل النافذ في الوجود، واليد البيضاء في السبق إلى أعلى معارج الوصل، والـمشرب الأهنى من كـؤوس مدام الوصل، مطْلَعاً لشموس الأقمار ومنبعاً لعيون الأسرار، سارت بذكر فضائله الركبان في الآفاق وانعقد علـى إجلالـه الإجمـاع والاتفاق، عمر اللّه القلوب والوجود ببركاته وأنيخـت ركائـب الطالبين لنيل هباته وسلبت قلوب العارفين ببديع صفاته، فهو قطب الوجود حقا ومرشد أهل الطريقين إلى الحق صدقا، فطيب نشره في الوجود فائح وغير ذلك مما يقصر عنه مدح كل مادح.

مدحه مؤلف « الجوهر الشفاف » بقصيدة سماها « باهر المفـاخر وطلعة الأنوار الشواهر في مدح قطب الأولياء الموهـوب الشـيخ عبدالرحمن ابن الشيخ محمد بن علي المحبوب رضي اللّـه عنـهم » فقال:

أيـا مسـبِلي أسـتارِ جهـلٍ وغَفْلَـةٍ
علـى مقَـلٍ عـن رؤيـةِ الخَـير صـدتِ



بِلزامــــاً علــــى الأبصـــارِ غَضــــاً لمنظَــــرٍ

لــــما في عــروسِ الأولِيــا الكُــل ضــمتِ

مِــن الحُســنِ والإحســانِ والفضــلِ والبهــا

ومِــــن مكْرمــاتٍ فــاخِراتٍ عزِيــزةِ

إمام العلــى شمــس الهُــدى معــدنُ النــدى

مفاتِيحــــه تغــــني لكــــل لبوســــةِ

وقُطْــب جميــع الأوليــا تحــت حكْمِــهِ

وتحـــت يديـــهِ مـــا أُنِيلَـــت وزيـــدتِ

فكـــم صـــادِرٍ منـــهم يعـــود بِرِفْـــدِهِ

وكــم وارِدٍ يحظَــى بجــزل العطِيــةِ

وخــوف القِــلا والعــزل فالكُــل مِــنهم

بِســطْوتِهِ هــم خاضِــعونَ لِهيبــةِ

عنيـــت بـــذا شـــيخاً شـــريفاً مهـــذباً

مـــراداً ســـخِياً وصـــف واحِـــدِ أُمـــةِ

لَـــه في المعـــالي والعـــوالي علائِـــم
نـــواهِي ســـناها في عـــوالي هِمـــةِ
كـــريم الســـجايا طَيِّـــب الجَـــأشِ فاضـــلٌ
إلى رِفْـــدِهِ الركبـــانُ مِـــن كُـــل بلْـــدةِ

وهي قصيدة طويلة مبسوطة المعاني في وصف الشيخ المـذكور، وللشيخة العارفة باللّه سلطانة بنت علي الزبيدي مقولات وأشـعار في الشيخ عبدالرحمن السقاف منها قولها:

ألا يــا مرحبــا بالـــمقبلينا	وبالشيخ الذي فـيهم يضـينا
عماد الدين هو الغوث الذي اعـ	ـطي من عند رب العالــمينا
سراج عند ظلـــمات الليــالي	يسلي كل مـن قلبـه حزينـا
لأنـه خـاض في بحـر المحبــة	وحافظ سادته عهـداً مكينـا
ألا يــا رب فانفعنــا بجاهـــه	نعــم يــا رب إنــا مــذنبينا
ونختــم بالصلاة علــى محمــد	صلاة دائمــا في كــل حينـا

ولها أيضاً فيه أبيات تقرأ في الحضرة وهي:

سلام اللّــه مـا دام الســلام	على شيخ الملا قطب الأنـام
عفيف الدين ســيدنا الهمـام	رقا في الحب مرقـى لا يـرام

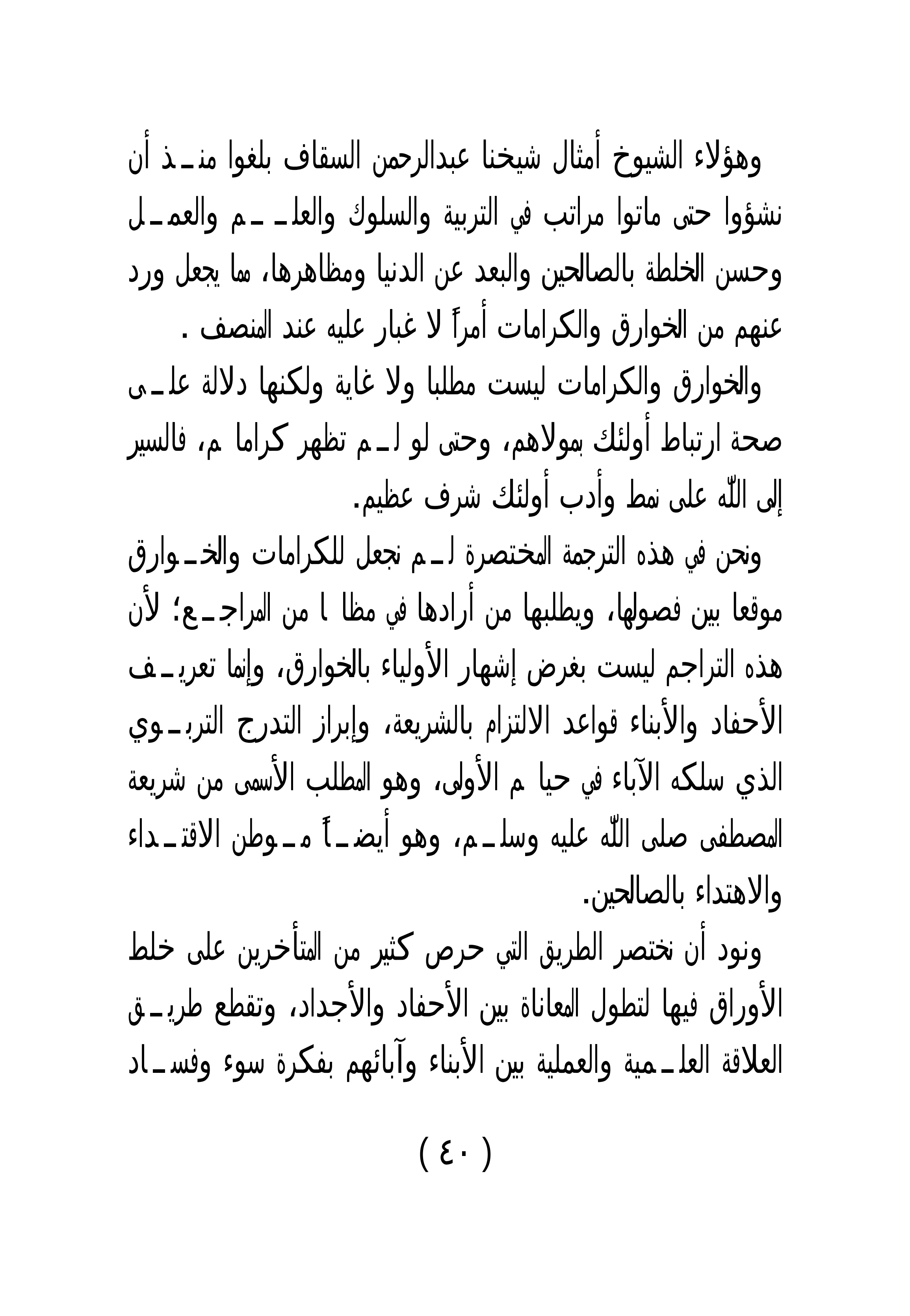
وأهل المعرفة تشـهد بفضـله بحسن الظن في هذا من أجلـه
وحاشا شيخنا لا شيخ مثلـه لانه تـاج سـادات كـرام
حبيبي سلك حسن الظن باللّه وما تحظى من أسرارك من اللّه
وتجعل في قليبـي لـك محلـه وعقد الحب الى يـوم القيـام

وتقول أيضاً فيه:

سلام اللّـه منـا كـل يـوم على شيخ الملا قطب الزمـان
على من فخره فـاق المفـاخر أبي الغوث الذي حاز المعـالي
لسان الزهد له حلـم وعلـم وزاد اعطي من اللّـه الأمـاني
إمام العصر له بـاطن خفـي صفا من كل لهـاف وضـاني
وذا في عبـد رحمـن المؤيـد له فوق المشايخ رفـع شـان
سقا اللّه مـن كـاس المحبـه وقرب الوصل من كاس ملآن
شريف جاهد النفس الذميمـه صبر حـتى ملكهـا بالعنـان

الموقف من الكرامات ومرائي المنامات

لكل عمل وجهد ثـمرة، وثـمرة الأعمال والـمجاهدات حسن الاستقامة وبروز الكرامة، وكما ورد عن السلف: الاستقامة أعظم كرامة.

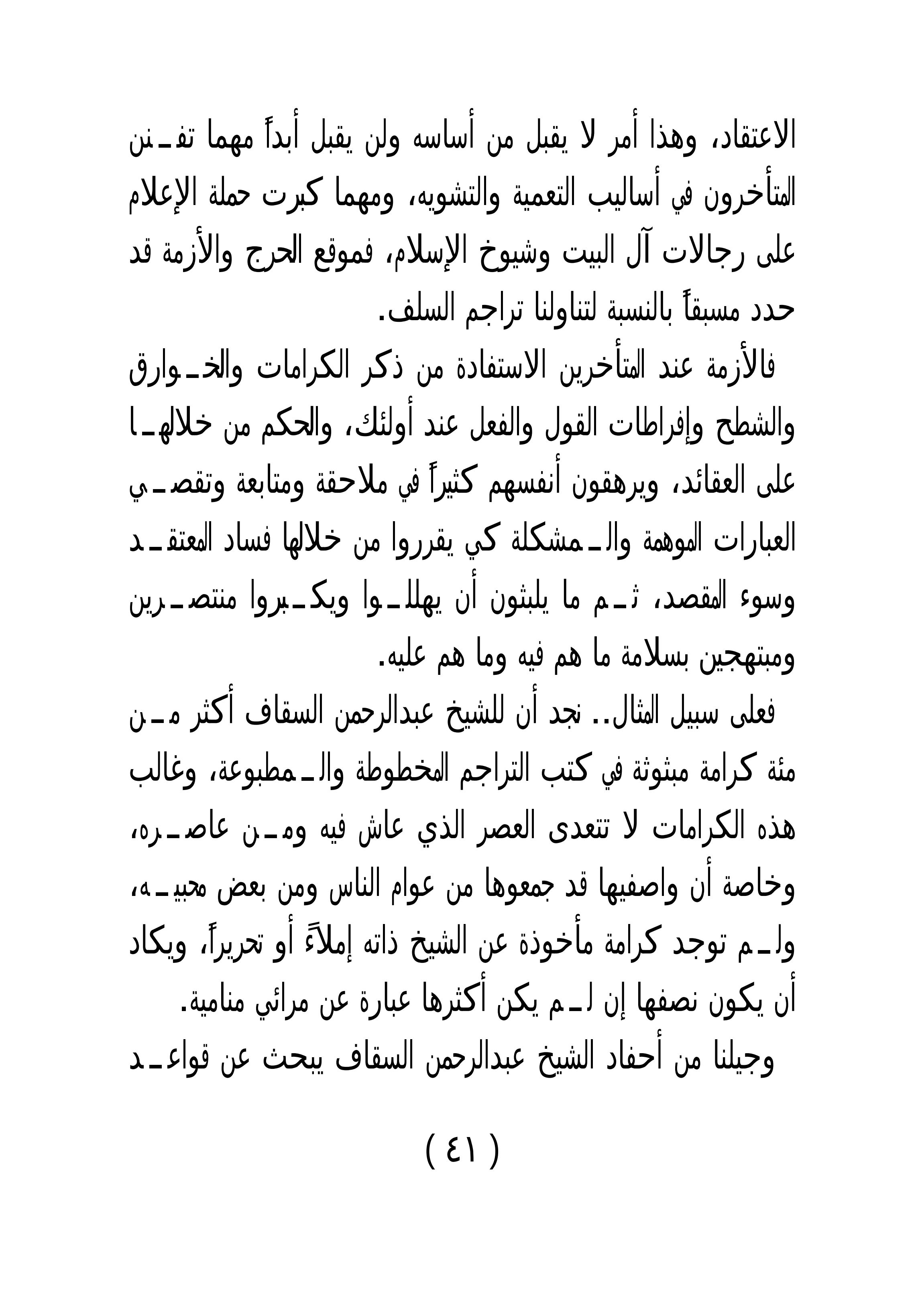


وهؤلاء الشيوخ أمثال شيخنا عبدالرحمن السقاف بلغوا منـذ أن نشؤوا حتى ماتوا مراتب في التربية والسلوك والعلـم والعمـل وحسن الخلطة بالصالحين والبعد عن الدنيا ومظاهرها، مما يجعل ورد عنهم من الخوارق والكرامات أمراً لا غبار عليه عند المنصف .

والخوارق والكرامات ليست مطلبا ولا غاية ولكنها دلالة علـى صحة ارتباط أولئك بمولاهم، وحتى لو لـم تظهر كراماتهم، فالسير إلى اللّه على نمط وأدب أولئك شرف عظيم.

ونحن في هذه الترجمة المختصرة لـم نجعل للكرامات والخـوارق موقعا بين فصولها، ويطلبها من أرادها في مظانها من المراجـع؛ لأن هذه التراجم ليست بغرض إشهار الأولياء بالخوارق، وإنما تعريـف الأحفاد والأبناء قواعد الالتزام بالشريعة، وإبراز التدرج التربـوي الذي سلكه الآباء في حياتهم الأولى، وهو المطلب الأسمى من شريعة المصطفى صلى اللّه عليه وسلـم، وهو أيضـاً مـوطن الاقتـداء والاهتداء بالصالحين.

ونود أن نختصر الطريق التي حرص كثير من المتأخرين على خلط الأوراق فيها لتطول المعاناة بين الأحفاد والأجداد، وتقطع طريـق العلاقة العلـمية والعملية بين الأبناء وآبائهم بفكرة سوء وفسـاد


الاعتقاد، وهذا أمر لا يقبل من أساسه ولن يقبل أبداً مهما تفنن المتأخرون في أساليب التعمية والتشويه، ومهما كبرت حملة الإعلام على رجالات آل البيت وشيوخ الإسلام، فموقع الحرج والأزمة قد حدد مسبقاً بالنسبة لتناولنا تراجم السلف.

فالأزمة عند المتأخرين الاستفادة من ذكر الكرامات والخوارق والشطح وإفراطات القول والفعل عند أولئك، والحكم من خلالها على العقائد، ويرهقون أنفسهم كثيراً في ملاحقة ومتابعة وتقصي العبارات الموهمة والمشكلة كي يقرروا من خلالها فساد المعتقد وسوء المقصد، ثم ما يلبثون أن يهللوا ويكبروا منتصرين ومبتهجين بسلامة ما هم فيه وما هم عليه.

فعلى سبيل المثال.. نجد أن للشيخ عبدالرحمن السقاف أكثر من مئة كرامة مبثوثة في كتب التراجم المخطوطة والمطبوعة، وغالب هذه الكرامات لا تتعدى العصر الذي عاش فيه ومن عاصره، وخاصة أن واصفيها قد جمعوها من عوام الناس ومن بعض محبيه، ولم توجد كرامة مأخوذة عن الشيخ ذاته إملاءً أو تحريراً، ويكاد أن يكون نصفها إن لم يكن أكثرها عبارة عن مرائي منامية.

وجيلنا من أحفاد الشيخ عبدالرحمن السقاف يبحث عن قواعد

الطريق التي جعلت الشيخ عبدالرحمن السقاف أستاذا في المعرفـة، وإماما في السلوك، ورجلاً يسمى بالـمقدم الثاني مـن حيثيـات القواعد العلـمية والعملية التي حدد ا مسيرة المدرسة العلويـة، ووجه مسير ا إلى العالـم الداخلي والخارجي.

ووقوفنا في مرحلتنا هذه عند «مادة الكرامات بين النفي والإثبات» لإقناع من يبحث عن إقناعه واقتناعه، وإرضاء من لا يلزمنا شرعاً إرضاؤه ولا استرضاؤه؛ مسألةٌ لا تتناسب مع مسؤوليات مدرستنا، ولا تتلاءم مع ما نود أن نقرره مع أندادنا وأضدادنا، حول ما يجب العمل من أجله بين النقيضين، وهو « التوسط بين مأخذ الإفـراط والتفريط » .

إن مسألة الفهم الواعي أولاً لثقافة المراحل أصل هام من أصـول المعرفة للتاريخ ورجاله، ثـم دراسة فقه المدارس ذا ا وأسـاليب الأخذ والترقي والتعليم في كل مدرسة، وعلاقـة شـيوخها أولاً بالـمنهج الشرعي كتاب اللّه وسنة رسوله، ودورهـا في خدمـة الإسلام ونشر الدعوة ومصدر هويتها التي كونـت وجودهـا في الواقع، ولعل هذا الأمر -وهو مصدر الهوية المكونة للـمدرسة في الواقع- مهم جداً في إدراك أسباب الانتشار والانحسار.

ويعنينا نحن في مدرسة حضرموت ونحن نجدد لأتباعنا ومريدينا أصول المدرسة العلوية على نمطها الشرعي المتصل علماً وعملاً وسنداً بالمصطفى صلى اللّه عليه وسلم أن نعرف ونعرف الجميع أهمية الدراسة التاريخية العلمية للمراحل وتقلباتها، ووضع كل مدرسة في موقعها المناسب من «فقه التحولات» الذي وضعه للأمة من لا ينطق عن الهوى.

فالكرامات والشطحات مادة دسمة تستهوي العديد من ذوي العلم على نقيضين: مؤيدٍ ومعارضٍ، وليست الأمة في حاجة إلى المحاكمات الصورية، لا للتاريخ ولا للأولياء، الجميع في حاجة إلى وقفة مسؤولة عن بناء الحاضر وإقامة المجتمع الإسلامي المعاصر، فالذين يشتغلون بتسفيه الأوائل وتجريح عباداتهم وعاداتهم نحن وإياهم في أمس الحاجة لإعادة العمل الشرعي بالمنهج الإسلامي المقنع للجميع، ومتى ما جاء الإسلام بعينه اعتقاداً وقيادة وشعوبا؛ انقطع الأمل في الجهل والجهالات، وذهب الإفك وظلمة الشرك والضلالات، والحق ناطق بذاته لا غبار عليه؛ ولكنه -والحق يقال- معتم في الواقع، إن لم نقل منعدم تماماً، فمن الذي يبذل الجهد كي يوحد الأمة ويجمعها على كلمة سواء؟ سواءٌ في

مسائل النظر لآثار الصالحين أو فيما يتعلق بضوابط الاتباع لهم.. وهكذا نعالج قضية «الإفراط والتفريط» عندنا وعند غيرنا.

نهاية عُمر الشيخ عبدالرحمن السقاف ووفاته

لما تقدم العمر بالشيخ عبد الرحمن السقاف وأدركه الكبر والضعف عجز عما كان عليه من تلك المجاهدات التي بنى عليها أول مرة؛ ولكنه ظل يبذل قصارى جهده فيما استطاع، حتى إنه اتخذ قارئا يقرأ عليه القرآن وهو يستمع إليه، وربما قرأ معه مدارسةً، وكان مع ذلك الضعف لا يدخل عليه وقت الصلاة إلا وهو في المسجد متطهراً منتظراً للجماعة، ولا ينفك عن مجالس المريدين والمترددين عليه للاستمداد وطلب الدعاء والتوجيه.

كما كان يرتب أولاده ووجهاء طريقته للقيام عنه بوظائف الأوقات ومجالس الدروس والحضرات، ويؤهلهم لحمل المسؤوليات، ويحرص كل الحرص على ترتيب قواعد السلوك بين المريدين، وحمل الشيوخ على حسن النظر والمراعاة مع الحزم والعزم.

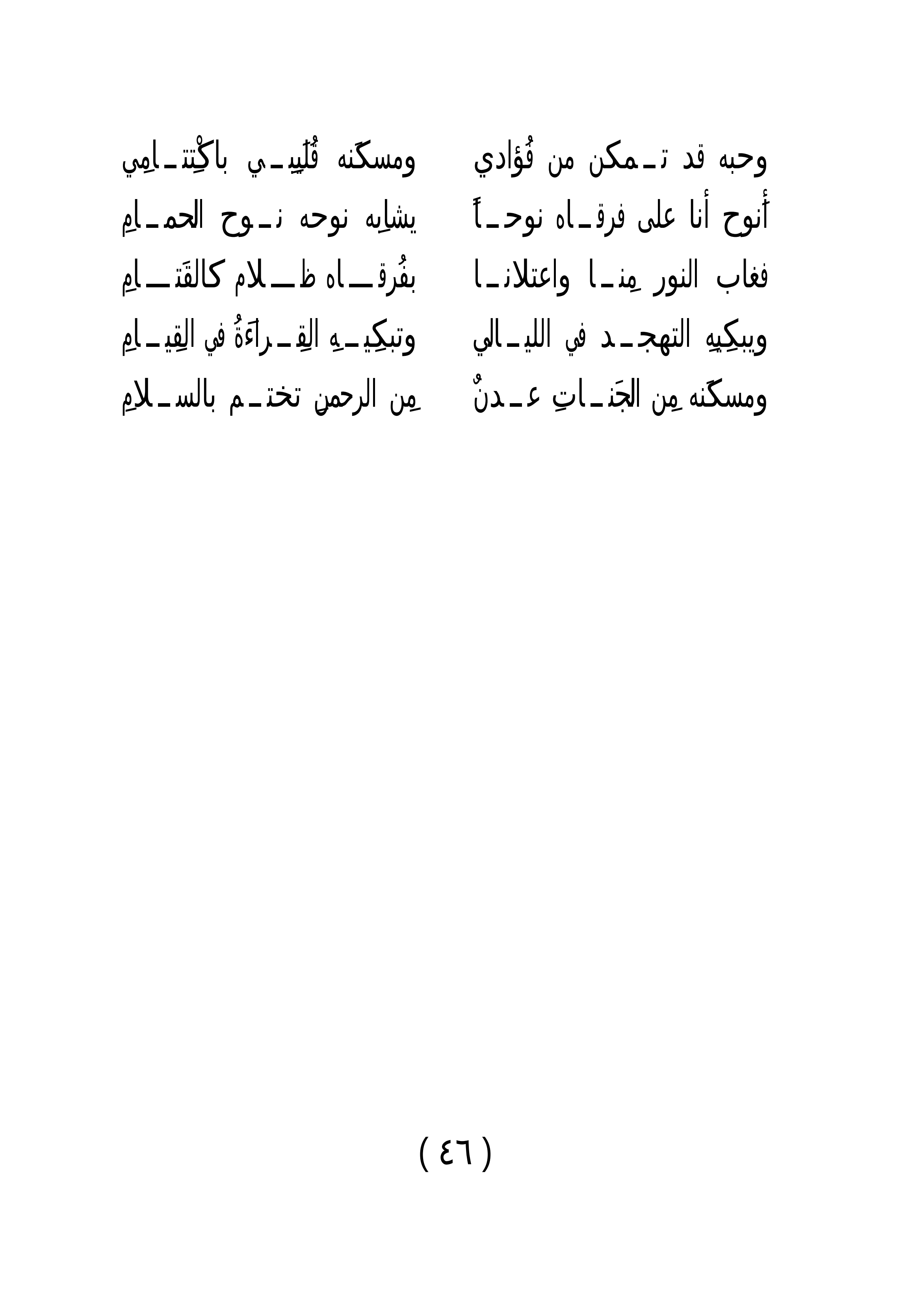
وكان من مهماته في أخريات عمره الاشتغال بترسيخ قواعد الطريق لمدرسة حضرموت، حتى ترسخ عِلماً وعملاً وعاداتٍ

وعباداتٍ في نفوس الأتباع، وكان الشيخ عبدالرحمن السقاف يرغب في تفرد مدرسة حضرموت على ذات النمط الذي اختاره الفقيه المقدم والإمام المهاجر رضي اللّه عنهم أجمعين.

وظلّ رحمه اللّه مثابراً على ما عاهد اللّه عليه حسب طاقاته واستعداداته حتى مرض مرض الموت، وانتقل إلى عالم مولاه في يوم الخميس لسبع بقين من شهر شعبان سنة ٨١٩ هـ، وصعقت حضرموت بخبر وفاته، واضطربت أحوال الناس بفراقه، وتوالى المعزون من أطراف الوادي، وشيعت جنازته في موكب مهيب بين الدموع والدعاء، والحزن مخيم على الفناء وربوعها، ولسان الحال يخاطب الجميع: الذِين إذا أصابتهم مصِيبةٌ قالُوا إنا للّه وإِنا إِلَيهِ راجِعونَ . أُولَئِك علَيهم صلَوات مِن ربهم ورحمةٌ وأُولَئِك هم المهتدون .

ودفن رحمه اللّه في مقبرة زنبل بين أهله وأسلافه، وأقيمت على روحه ما اعتاده أهل حضرموت من القرآن والفواتح والتسابيح، ورثاه ولده الشيخ عمر المحضار فقال من قصيدة طويلة:

ألاَ يا عين ويحكِ لا تنامِي وبثي الدمع واسقِي كُل ضامِي
على فَرقٍ الذي قد صار منه جميع الجسم باكٍ والعظامِ



وحبه قد تـمكن من فُؤادي   ومسكنه قُلَيبِـي باكْتِتـامِي

أنوح أنا على فرقـاه نوحـاً   يشابِه نوحه نـوح الحمـامِ

فغاب النور مِنـا واعتلانـا   بفُرقــاه ظــلام كالقَتــامِ

ويبكِيهِ التهجـد في الليـالي   وتبكِيـهِ القِـراءَةُ في القِيـامِ

ومسكنه مِن الجَنـاتِ عـدنٌ   مِن الرحمنِ تختـم بالسـلامِ





الفهرس

الإمامُ الشَّيخُ عُمرُ المِحضار

مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث
الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

سلسلة أعلام حضرموت ١٠

الإمام الشيخ عمر المحضار

(ت ٨٣٣ هـ)

بقلم خادم السلف

أبي بكر العدني ابن علي المشهور


بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنّا أَعْطَيناكَ الكَوْثَر . فصَلِّ لِرَبِّكَ وانحَرْ.

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر﴾

(٦)

الإهداء

إلى شُيُوخي الأفاضِل..

بَقيَّةِ السَّلَف...

وأمثلةِ الطريقِ في الخَلف..

وإلى المَتَطَلِّعينَ إلى مَعْرِفَة الرِّجَالِ الجَامعينَ بين السُّلطَةِ الرّوحيّة الظَاهرةِ والبَاطنةِ في مَدْرَسَة حَضرَموت..

وإلى الرّاغبينَ في التَعرُّف على نَماذجِ « السّفينةِ الــتي مَن رَكِبها نَجَا، ومَن تخلّف عنها هَلَكَ » ..

المؤلّف

شاهد الحال

«لو شِئْتُ أَنْ أُمْلِيَ مِن تَفْسِيرِ قَوْلِـــهِ تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْــسِـــهَا﴾ ما يُوْقِرُ أَلْفَ بَعِيرٍ لَفَعَلْتُ» .

الشيخ عمر المحضار

سلسلة النسب الشريف

محمد رسول الله صلى اللّه عليه وآله وسلـــم

علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء عليهما السلام

الحسين السبط

علي زين العابدين

محمد الباقر

جعفر الصادق

علي العريضي

محمد

عيسى

أحمد المهاجر

عبيداللّه

علوي

محمد

علوي

علي خالع قسم

محمد صاحب مرباط

علي

محمد الفقيه المقدم

علوي الغيور

محمد مولى الدويلة

عبدالرحمن السقاف

(الشيخ عمر المحضار)

مريم علوية عائشة فاطمة

المدخل

الحمد للّه ومنه الكثير الطيب، ﴿والبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سَيّدنا محمّد الأب الصادق، والعلم السّامق، الذي أذن اللّه لورّاثه بالـمقام الباسق، وجعلهم في كل عصرٍ ما بين قائم وناطق، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأبرار، ما تعاقب الليل والنهار.

وبعدُ فَأَزُفُّ إلى القراء الكرام أنموذجاً جديداً من نماذج مدرسة حضرموت، ربما كان هذا النموذج يحمل تفرداتٍ لـم تؤلف لدى أسلافه، ومواقف لـم تكن لخلافه، ولكنّها تُبْرِزُ للـمتَأَمِّل ما يهيئه اللّه بأسباب التنشئة والتربية الموجهة على أيدي الآباء الـصالحين والأمهات الصالحات، من بناء دفعات الرجولة في الرجال، فيُنَشَّؤُون متَطَلّعين إلى التّرقـي في أوج الكمـال، يحملـون في صـدورهم المسؤوليات بكل معانيها، مسؤولياتهم مع ربهم وخـالقهم، وهـي مصدر الإمداد والاستـمداد، ثـم مسؤولياتهم في بنـاء الواقـع، المستثـمرين أسبابه وظروفه ورصّ صفوف أعضائه وأسرته رصّاً يبرز معنى قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ﴾ ، وهذا الإمام الفَذُّ كان حاله في هذه المواقف كحال المتفردين مـن سلـسلة آبائـه

كالـمهاجر والفقيه، ذو إحساس بالـمسؤولية وقـائم ببنائها ورعايتها مع طول صبر وجلال قدر وثاقب رؤية وعظمة مواقف ونورانية حال.

وحتى لا يطول بالقارئ الوصف أنقلُه إلى الواقع ذاته ليرى من خلال مرحلة النمو والتنشئة، كيف كان منهج التربية الأبوية لهذه المدرسة، وأن فقدان هذه النماذج كان من أهم أسبابه فقدان المنهج التربوي ذاته، ولله في خلقه شؤون، إنما أمره إذا أراد شيئاً، أن يقول له كن فيكون، ومنه المدد والعون وعليه التكلان في كل حال.

التعريف بالشخصية

هو السيد الشريف، والعلـم الشامخ المنيف، الحائز على رتبة المشيخَة الكاملَة، والـمشهود له من شيوخ مصره وعصره بالصدارة الباطنة والظاهرة، والـمتقدم حسّاً ومعنى في كلّ علم وفنّ وذوق ومعرفة في عصره، الولي حقّا ابن الولي، والعالـم ابن العالـم، والوارث ابن الوارث، الناشئ بجدارة الوصف منذ نعومة الأظفار على كتاب الله وسنة النبي المختار، متدرجاً ومتناميا حتى بلغ مدلول الوصف بالـمحضار.

ميلاده ونشأته

ولد بحرم الإقليم، مدينة التربية الأبوية والتعليم مدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، ونشأ مع إخوته الأبرار تحت رعاية الأبوة الصالحة والتربية الروحية الطافحة بهجةً ونورانيةً وتفاعلاً مع بركات الوقت ليل نهار، واستنفاراً واعياً لدقائق اللحظات في المسجد والطريق والدار.

وليست هذه مبالغة في وصف الحال أو إفراطاً، وإنما هي بعض محاولة المتتبع حقائق الوصف مع بعض التجاوز والاحتياط، فالتربية الأبوية لا تقف عند باب مدرسة ولا عند علاقة معلم أو مدرس، فالآباء المربون قد جعلوا كل أسباب حياتهم مدرسة، وما الكتابة والقراءة فيها إلا جزء من أجزاء المعرفة العلمية العملية الشاملة، فالناشئ يعي آثار القرآن وسر معانيه مقروناً بالخشية والتعظيم قبل سن التربية والتعليم، يوقظه من الليل نشيجُ التلاوة للقرآن، ويبهره نور الوجوه المنعمة بالإيمان، تنطلق منها طاقات النور إلى القلوب الفتية، فتحدث فيها شوقاً ولهفاً إلى فطرة اللّه التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق اللّه.

وما أَنِ استقامتِ الأقدام، ليسير عليها الناشئ عاماً بعد عام؛ إلا وقد أَلِفَتْ طريقَ المساجد والـمعاهد وحركة العلـماء والأولياء من قائم وقاعد وراكع وساجد، وإذا ما الْتَفَتَ الطفلُ إلى ما لا يليق وجَد الواقع كلَّه يدُلُّه على الطريق، فلا يجد غير الاستقامة، ولا يسمع في المحيط غير أخبار السلامة في دار الدنيا ودار المقامة، ومن هنا تبدأ الوجهة.

وكان الشيخ عبد الرحمن السقاف ينظر إلى ولده المحضار بعين الرعاية الكلية، حتى صار بذلك محتذياً سَنَنَ أبيه في كافة مقاصده وعباداته وعاداته ومراميه، وقد اختار له من الشيوخ أطوادَ الزمان، ومن المؤدبين والـمعلـمين الأراكين، فنال منهم منالاً عظيماً في كافة العلوم، وكان من جميل حظه قوة إدراكه وسرعة حفظه، حتى ورد عنه أنه استظهر « منهاج الطالبين » في باكورة طلبه.

ومن أجل مشايخه في العلوم وتحقيق الفهوم بعد والده الشيخ العلامة الفقيه أبوبكر بن محمد بلحاج بافضل(١) ومن في مرتبته،

---

(١) الشيخ أبوبكر بن محمد بلحاج بافضل المذحجي ثم السعدي نسبة إلى قبيلة مَذْحِجٍ القحطانية الشهيرة، والسعدي نسبة إلى سعد العشيرة بن مذحج، وهو من آل بافضل، وهم المشايخ المشهورون بالعلم والتقى والصلاح منذ أجيال مضت،

حتى حقق علوم عصره وصحب جملة من أهل التجريد والتـــصوف فانتفع بهم.

مجاهداته ورياضاته

عُرِفَ الشيخُ عمرُ المحضار بقوة العزم ومضاءِ العزيمة من صـــباه، وكانت كُلَيْماتُ والده المربي الشيخ عبدالرحمن الـــسقاف تَـــشُقُّ شغاف قلبه إذا ما أَنَّبَهُ أو عاتبه ليقيم نفسه على طريق المجاهدة، فقد ورد في « الجوهر الشفاف » الحكاية الثامنة والخمسون بعد المئـــتين من مناقب السقاف قال: عن شيخنا الشيخ عمر ابن شيخنا الشيخ عبدالرحمن رضي اللّه تعالى عنهما قال: ذُكِرَ في مجلس والدي رضي اللّه عنه أنّ فقيهاً أراد أن يبول مستقبل القبلة، فذكر أن اســـتقبالها بالبول حرام فأراد أن يستدبرها، فذكر أن استدبارها بالبول حرام، فمال إلى جانب آخر وبال فغفر له بذلك، فأردتُ أن أَقْــرَأَ مـــن العلـــم الشرعي من يوم أصبحتُ، وكنتُ في أُخْرَيــاتِ النـــاس، فلـــما انفض المجلس وذهبَ الناس قام والدي رضي اللّه عنه مـــن

ترجم له الشيخ محمد بن عوض بافضل في كتابه « صلة الأهل في مناقـــب آل أبي فضل » .

مجلسه ثـــم أتى إليّ وقال: يا عمر.. افحق بعابعك[1].. إن الفقهاء ما معهم إلا قبس، والصوفية معهم جذوة من نار، وقال لي أيـــضاً: وأوقية من عمل الباطن تعدل ببهار من عمل الظاهر.

وورد أيضاً في «الجوهر الشفاف» في الحكاية التاسعة والخمسين بعد المئتين قال: عن شيخنا الشيخ عمر رضي اللّه تعالى عنه قـــال: ذُكِر الحلاج في مجلس والدي رضي اللّه عنه، وأطنب في ذكـــره، فقلتُ في نفسي: ليتَ مَن هُو مثله، فالتفت إليّ والدي حين خطـــر ببالي ذلك وقال لي: إن الحلاج ما يعجبه لعب الخَـــط[2]، وكـــان

---

(١) قال مؤلف «الجوهر» (٢: ١٨): وقوله: افحق بعابعك، أي: اجتهـــد اجتـــهادا شديداً، يكنى بها عن سرعة الحث في السير حتى تنال مرادك.

ويستفاد من إشارة الشيخ عبدالرحمن السقاف لولده أن الطريق الـــتي أســـير عليها وأسيّرك فيها من التربية والتسليك العلـــمي العملي أقوى وأسرع ممـــا دار بخلدك وجال في فكرك، وهذا ما تؤكده الحكاية التي تليها، لاحظ.

(٢) لعب الخط نوع من الألعاب الشعبية للأطفال، يخطون خطاً أو خطوطـــاً علـــى الأرض ويقفزونها بمقاييس وتراتيب معروفة، وهنا يلاحظ الأســـلوب الأبـــوي في التربية، حيث لـــم يشتغل الشيخ عبدالرحمن بمنع ولده عن اللعـــب رأســـاً، لأن اللعب للطفل مطلب ذاتي، فتركه يمارس هوايته، حتى إذا مـــا حانـــت الفرصـــة للـــملاحظة من خلال ملاحظة الأب استعدادات الابن وتيقظ حواسه للإعجاب بالشخصيات المذكورة قرع الأب مسمع الابن بالكلـــمة الـــتي انتظـــر طـــويلاً

الشيخ عمر إذ ذاك يعجبه لعب الخط ولـــم يدخل بعد في طريـــق القوم، فأراده والده أن يرتدع عن اللعب بالخط وينقلب إلى المجاهدة ليصير من أهل المعاني الفاخرة، فارتدع عن اللعب وكان من أمره ما كان[1].

قال مؤلف « الجوهر » معلقاً على مـــراد الـــشيخ عبـــدالرحمن السقاف حول قوله: (أوقية من عمل الباطن تعدل ببهار من عمـــل الظاهر): يعني بالباطن هنا معاملات القلب من المراقبة والحـــضور وغيرهما، وعمل الظاهر الجوارح، يعني أن قليلاً من عمل القلـــب يعدل بكثير من عمل الجوارح، ولا يَظُنُّ ظانٌّ أنّ الشيخ عبدالرحمن رضي اللّه تعالى عنه قال ذلك وهو مستخف بالعلـــم الـــشرعي أو جاهل بفضله، كلا بل هو أعلـــم العلـــــماء بفـــضله الـــشريف ومكانه المنيف؛ ولكنه يعلـــم أن العلـــم الباطن -وهـــو العلـــــم

موقعها، فربط بين اللعب وبين التحول إلى بناء الشخـــصية، فالتقطـــت العبـــارة أحاسيس الابن المتيقظ المتطلع وهو بعد لـــم يلتحق بركب المجاهدة، فبدأ يقـــرر الابتعاد عن اللعب، وهذا الترك موقف مجاهدة يـــوازي الفعـــل لـــــمثلها مـــن المجاهدات عند أهل الطريق.

(١) « الجوهر الشفاف » (٢: ١٩) .

باللّه تعالى- أفضل منه وأعلى، واطّلع[1] على أنّ ابنه الشيخ عمر رضي اللّه عنه من أهل ذلك العلم العالي المرتفع الغالي، أعني العلم الباطن، فلذلك أغراه به حتى قصد نحوه وعلا في رحابه وصار إلى ما صار إليه رضي اللّه تعالى عنهما[2].

ومن هنا بدأ طريق التربية النفسية أو ما تسمى بالمجاهدة، وقد ارتقى الشيخ عمر المحضار فيها مرتقىً صعباً، كتب السيد صالح الحامد في «تاريخ حضرموت» [3]: كان للمحضار في أول الأمر مجاهدات عظيمة لا يكاد العقل المجرّد يقبلها لولا الشواهد وروايات الثقات.

وتتركز جل هذه الاهتمامات في قهر النفس وتهذيبها وإخراجها عن دائرة النزعات والرغبات المألوفة، وهذا من التأديب القرآني في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها﴾ ، والتزكية والتطهير مرتبةٌ، وما كان لنفس أن تتطهر من أدرانها ورغباتها من

---

(١) قوله: اطلع، أي: تفرس في استعدادات ولده فأدرك الفطرة التي تتحرك في باطنه، ويمانع ظاهره عنها حينا، فدفع به من خلال التوجيه ليتغلب على رعونة الظاهر ويبرز الإحساس الكامن في باطنه، وهكذا كان.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

غير قمع لشهواتها ورعوناتها، وقد تمكن الشيخ عمر بالتوفيق الإلهي والتوجيه الأبوي والاستعداد الفطري والبيئة الملائمة أن ينخلع عن كافة شهوات النفس وأطماعها وترك الحلال الجائز فضلاً عن المشبوه والمختلف عليه، بل كان يُدرّب نفسه على الاصطبار عن شهوة الطعام الليالي العديدة والأيام ويكتفي بالشيء اليسير من اللبن والماء، وأُثر عنه في أول مجاهداته أنه ربما أخذ الرطبة أو التمرة يقلبها بيده ثم يعطيها غيره، فلما سئل عن ذلك قال: لأن التمر أحب الشهوات إلى نفسي، وهذا المجال من المخالفة للنفس كان أثراً من آثار التربية النفسية الصوفية، وخاصة بعد التَّأَثُّر بكتب الأئمة الأعلام من رجال علم النفس الإسلامي أمثال الشيخ أبي طالب المكي في كتابه « قوت القلوب » والشيخ حجة الإسلام أبي حامد الغزالي في كتابه « الإحياء » .

ورد في « الجوهر الشفاف » (٢: ١٨٦ — ١٨٧) عن المجاهدات قول المؤلف: وكان في بدوّه رضي اللّه عنه شديد المجاهدة كثير العطش والجوع شديد المخالفة للنفس والمحاسبة لها، ويمكث زماناً طويلاً لا يأكل شيئاً إلاّ قليل سمن أو قليل لبن، ومكث زماناً لا يدخل حنجرته شيء حتى يبست، فذهب إلى أخته مريم فأرادت

أن تسقيه ماء فلـــم يدخل الماء في حنجرته من يبوستها، فلَيَّنْتَهـــا بشربِ السمن قليلاً حتى لانتْ ثـــم شرب الماء، ولـــم يـــزل في شدة المجاهدة حتى ظهر عليه أثرها، وكان يُرى جسده كأنه جسد عليل، ومكث لا يأكل التـــمر نحو ثلاثين سنة[1].

---

(١) هذه المجاهدات هي مدرسة السلوك التي رضيها الآباء لأنفسهم، فجنوا ثـــمراتها، فبقيت آثار مجاهداتهم خبراً يروى، وأما جيلنا الحاضر فنصيبه من هـــذه المراتـــب الاستغراب إن لـــم يكن الانتقاد، ومن المنتقدين قـــوم جعلـــوا الـــدين حجـــة لـــمواقفهم لا لخدمته، وإنما لتبرير عجزهم الواضح عن الابتعاد عن الحرام الصرف والتعامل به فضلاً عن الحلال، فيقولون: إن ما تسمونه مجاهدات إنما هو تعـــذيب للنفس، وهذا ليس من الإسلام، وإنما هو من رياضات الهندوس والبوذيـــة، أمـــا الإسلام فقد أحل الطيبات وأجاز لنا أن نأكل ونشرب من غير إسراف.

وخلاصة القول أننا أمام مدرسة إسلامية تربوية كان عليها الأوائل، أســـاس اقتباسها في المجاهدة والـــمكابدة من السنة على صاحبها أفضل الصلاة والـــسلام الذي كان يعصب الحجر على بطنه من الجوع اختياراً، وإذا كشف الصحابة عن حجر كشف عن حجرين..إلخ.

وأما حالنا نحن المتأخرون فأعتقد أن مجاهدتنا سترقى مرقىً حـــسناً إذا نحـــن تحرينا أكل الحلال في هذا العصر وتجنبنا الشبه والحرام، وقمنا بالواجبات وما تيسر من النوافل، وكفى.

ثمرات المجاهدة

قال صاحب «الجوهر الشفاف» عن الشيخ عمر المحضار: ولم يزل على تلك المجاهدة حتى صدقه اللّه وعده، حيث قال وهو أصدق القائلين: ﴿والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وإِنَّ اللّه لمعَ المحْسِنِين﴾، وأمطر عليه مزنُ منّه بمنائح سنيات مواهبه ودرر عجائب يواقيت مكنونه وغوامض علوم شرائعه وعرفانه، فكان من غزارة علمه يقصده الفقهاء يتعنّتونه بما يلقي إليهم من نوادر العلوم الشرعية ولوامع الأبكار اللدنيّة، ويحضرون كثيراً عند عقد مجلسه ويتبركون بزيارته ويستفيدون كثيراً من علومه ويسألونه عن المسائل الفقهية الدقيقة فيجيبهم بالأجوبة الغريبة الفائقة اللطيفة والعبارات الرائقة، منها ما يفهمونها ومنها ما تكل أفهامهم عن معرفتها، ويسألهم عن مسائل فمنها ما يفهمون جوابها ومنها ما يعجزون عنه، فيقولون له: يا شيخ نحن قد قرأنا في كتب كثيرة ولم نطلع على هذه العلوم التي تذكرها وأنت لم نرك تطالع في شيء من الكتب، فمن أين لك هذه العلوم؟ فقال: أنتم معكم مفاتيحُ، فما تدخلون البيوت إلا من أبوابها، وأما نحن فنتسور

الجدرات[1].

ويقصد بذلك أن علمكم مقيد بنصوص الكتب وتقليد أهلها حتى في الإشكالات، أما نحن فعُلِّمنا علماً لدنّياً من جنس الحكمة التي قال اللّه تعالى فيها: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فقَدْ أُوتِيَ خَيراً كثيراً﴾.

ويؤيد هذا ما أورده أيضاً « الجوهر الشفاف » (٢: ١٨٨) قال: وحضر مجلسه يوماً الفقيه العلامةُ الزاهد العالم الكاملُ الذكيُّ الوفيُّ محمد بن حكم بن أبي قشير رضي اللّه عنه، فتكلم الشيخ بالعلوم اللدنّية وعبر عما تكلم فيه بالعبارات اللطيفة والمعاني الدقيقة حتى أبهر الفقيه ذلك، فقال له: يا شيخ عمر نحن نقرأ في الكتب ولم نطلع على شيء من هذا، وأنت لم تقرأ في شيء منهن، فمن أين لك هذه؟ فقال: هذا جينا به من فوق[2] .

واجتمع الشيخ عمر رضي اللّه تعالى عنه مرة عند قبر النبي هود[3] على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ببعض السائحين

---

(١) « الجوهر الشفاف » (٢: ١٨٨).

(٢) المصدر السابق .

(٣) ورد عن الأوائل والأواخر بالتواتر من نقل الأخبار وما ورد في بعض الآثار على

المجتهدين، وكان ذلك السيّاح عالـــماً بكثير من العلوم في الطريقة والحقيقة والطب وغير ذلك من العلوم، فجعل الشيخ عمر يـــسأله عن مسائل كثيرة وكلـــما سأله مسألة أجاب عنـــها، ثـــــم إن الشيخ أورد عليه مسائل حيرته وأدهشته، فمن جملة ما قـــال لـــه: أتدري لـــم سمي الفؤاد فؤاداً، إنما سمي فؤاداً لأن فيه ألف واد وفي كل واد منها ألف واد، وأراد أن يشرح لـــه شـــيئاً مـــن العلـــوم فانـــزعج ذلك السائح واندهش وارتعش واحمّر لونـــه وارتعـــدت فرائصه وبهت، فقام وقال: أستغفر اللّه، فقال الشيخ عمـــر كأنـــه تخمّج بحرك، وأما نحن فما بعد خرج من بحرنا قطرة، وأراده يثبت

وجود قبر سيدنا هود عليه السلام في تلك الناحية، واختلف العلـــماء في ذلـــك اختلافاً كثيراً، والهدف الأساسي الذي كان السلف يرغبونه في هذا الموطن هـــو الخلوة والتفرغ للتعبد، إذ إن خروجهم إلى « ناحية الـــشعب » صـــار تقليـــداً لـــمدرسة حضرموت، ومسألة الخلاف حول موقع القـــبر ترجـــع إلى البحـــث العلـــمي والتاريخي، وإن كان سلفنا الصالح قد تيقنوا من أن تلك المنطقـــة هـــي «موقع قبر نبي اللّه هود» ولا يوجد لديهم خلاف في ذلك، ولكن القول الفـــصل لـــمن أراد التيقن إن كانت هناك حاجة للجدل والـــمماحكة في «موقع القـــبر» فالأمر يرضخ للبحث العلـــمي والتاريخي المستقبلي، وأما تقليد وترتيب وعادات السلف فلا علاقة لها بعين الخلاف ذاته، وإنما هو تقليد مدرسة واختيارات رجالها.

لـــمناقشته، فقال: يا سيدي، أستغفر اللّه، أنا ضيفكم، أنا علـــى فراشكم، فقال الشيخ: مرحباً بك، وسكت عن مخاطبته.

قال مؤلف « الجوهر » : حضرت يوماً مجلس شيخنا الشيخ عمر رضي اللّه عنه وعبداللّه ابن الفقيه علي بن أبي حرمي يقـــرأ علـــى الشيخ تفسير القرآن العظيم للسُّلـــمي والشيخ يشرح له، كلـــما قرأ عليه شرح شرحاً فائقاً، ثـــم قال الشيخ رضي اللّه عنه في أثناء كلامه: الصالحون إذا قرؤوا القرآن أَفْنَوُا الحـــروفَ ثـــــم أَفْنَـــوُا الصوتَ ثـــم يتبعون بعد ذلك في بحر ثـــم يضمحل ذلك البحـــر ويبقون معلقين[1]، ثـــم قال الشيخ: ونحن ندخل هكذا أو في هذا عندما نقرأ ﴿ما نَنْسَخْ مِن آيَةٍ أَوْ نُنْسِها﴾ ونبقـــى مُعَلَّقِـــينَ بعـــد اضمحلال.

وكان رضي اللّه عنه صاحب غوص في الفكـــر وتـــدقيق فيـــه ومعرفة في أسرار الحكمة الملكوتية، وكان مع ذلك شديد الخـــوف غاية الشدّة حتى إنه كان كثيراً ما يقول: وَدِدْتُ أنيّ أكونُ حيوانـــاً يُذبح ويؤكل. وكثيراً ما يقول: لو عَلِـــمتُ أنّ لي عند اللّه تسبيحةً

(١) النص المذكور في « الجوهر » : (ويبقون معلقين في الهواء)، يعـــني: مـــع الهيبـــة والتعظيم.

مقبولةً أو حسنةً لأَقْرَيْتُ –أي: أطعمتُ– أهلَ تريم على البُرِّ واللحمِ حتى دوابَّهم[1] .

رحلته في طلب العلم

رحل الشيخ عمر المحضار في سبيل الطلب والانتفاع بالعلماء رحلات عديدة سواء في حضرموت أو جهات اليمن أو إلى الحجاز، واتصل في كافة رحلاته بأفاضل العلماء والمشايخ، وأخذ الأسانيد العالية عن أربابها، وأظهره اللّه في محافل الشيوخ إظهاراً يليق بحاله.

قال صاحب « الجوهر »[2]: عن شيخنا الشيخ العارف باللّه تعالى عمر ابن شيخنا الشيخ عبدالرحمن رضي اللّه عنه قال: كنت في مكة سنةَ حججتُ فجاء إليّ بعضُ المشايخ وأخذ بيدي وقال لي: أنت ابن السقاف، قلت: نعم، ثم التفتَ إلى أصحابه وقال لهم: والد هذا في حضرموتَ يُغطّي على نفسه حتى لا يظهر منه شيء، واشْهَدُوا عليّ أن والد هذا يحضر عندنا في الحضرات فنقع

(١) « الجوهر الشفاف » (٢: ١٨٩).

(٢) المصدر السابق، وكان حج الشيخ عمر المحضار سنة ٨٠٦ رضي اللّه عنه.

عنده كالضأن وهو فينا كالأسد، ما نخافه إلا يفترسنا وما نستريح إلا بعد ما يروح عنا.

وقد ذكرتِ التراجمُ أن الشيخ عمراً المحضار قد حقق علوم عصره واعتنى بكافة مراتب المعرفة المتداولة آنذاك، وزاد تحقيقه لجملة من العلوم والكتب «كالمنهاج» ، و«التنبيه» في الفقه لكثرة مطالعته ومراجعته مع طلبة العلم، و«الإحياء» ، وكان قد بدأ تداوله والقراءة فيه، و«تفسير السُّلَميّ» حتى كاد أن يحفظه من كثرة مطالعته وتكرار قراءته.

ورود الأحوال وارتقاء المقامات

من ثمرات الاستغراق في الشيء التفاعل معه والتأثر به وورود التجاذب النفسي منه وإليه، وهؤلاء الشيوخ امتزجت أرواحهم بالقرآن وتلاوته والطاعة ومجاهداها وتربية النفس وتزكيتها، فجنوا ثمار ذلك استغراقا في بدائل الحال، فعندما يتجاوز المرء حالاً معيناً إلى آخر يحصل له به استقرار يسمى مقاماً، ومن صفات أحوال الصالحين أنها ناتجة عن ترويض النفوس فتسبب إشراقاً معنوياً يؤدي إلى رضاءٍ باللّه وفرحٍ به واستئناسٍ بذكره وشكره وحسن

عبارته، ووله واستهتار في الشوق لمراضيه، وبعد وتجنب لدناءات النفوس البشرية.

ولما كان الشيخ عمر المحضار تحت رعاية تربويّة مخصوصة شأنُهُ شأنُ إخوته تحت رعاية والده فالأحوال والتحول أمرٌ بديهيٌّ في تطور الحياة التربوية الأبويّة، وهاهو ذاته يقول: أول ما ظهرتْ عليّ الأحوال سنة ٨٠٨ في حياة والدي، ويقول في أثر التربية وملاحظة الشيوخ على بناء الروح واستقامة النفس: (أُعْطِيتُ ثلاثةَ أيادي: يداً من النبي صلى اللّه عليه وسلم ويداً من والدي ويداً من رجل آخر) ، والرجل الآخر لاشك أنه أحد شيوخه الأفذاذ الذين تأثر بهم.

وفي معرض التحدث بالنعمة من الأب المربي الشيخ عبدالرحمن السقاف عندما رأى ثمرة تربيته في ولده قد أنبعت قال: وجدنا مع عمر شيئاً ما كنّا نظنّ أنه معه.

ظهوره وأعماله الجليلة

كان أول بروز الشيخ عمر المحضار من خلال مجاهداته الطويلة واشتهاره بذلك، ثم بتصدّره للتدريس مبكراً ونشر حقائق العلوم من

لسانه الشريفه واحتشاد العلـــماء والفقهاء لسماع تقريراته الفائقة وتعبيراته الرائقة، وما أجراه اللّه على يديه من خوارق العادة، قـــال صاحب « الجوهر » معبراً عن مرحلة ظهوره وبروز مرتبة أحوالـــه: وكان رضي اللّه عنه من كبار جهابذة المشايخ الأعـــلام العـــارفين ورؤساء الصفوة المحققين، كثير الخوارق والكرامات والـــمكاشفات عن الحقائق والآيات، والقدم الراسخ في معرفة الأســـرار المغيّبـــات والبصائر البواهي المشرقات، والإشارات النورانيـــات والنفحـــات الإلهيات والأســـرار الملكوتيـــات والـــــمحاضرات القدســـيات والتـــمكين المكين والتصريف النافذ في الوجـــود، والـــمـــشرب العذب مَنْ سَلْسَبِيلِ فيضِ الفضل، أجمع على إجلاله وإعظامه الأنام وانتفع به الخاص والعام، ونـــزلت بفنائه الركائب وسارت الركبان من كل فج عميق.

قال فيه صاحب « الغرر » ص١٩٥:

رَعَتْهُ أَكُفٌّ مِـــن عنايـــةِ رَبِّـــهِ فللْخَلْقِ هادٍ ثـــم باللّـــه مُهْتَـــدِ
رَضِيعُ لُبانـــاتِ المحَبَّـــة مُرْشِـــدٌ لِحَيرانَ في بحرٍ من التَّيْـــهِ مُزبِـــدِ
يقوم الدياجي في الهواجر صـــائمٌ وللذكرِ يَتْلُوهُ ببيـــتٍ ومـــسجدِ
مُرَبٍّ لِـــسُلاَّكِ الطريـــقِ بحالـــه وأربابُ أنوارِ الحقيقـــةِ تهتـــدي

علا فاعتلى عالي المقامات في العلا معانيه أَعْيا فَهْمُها كُلَّ مُرْشِدِ
جَلاليٌّ أحوالٍ وشَيْخٌ مُسَدَّدٌ مُنَاظِرُهُ في العِلْم يُضْحِي كَابْلَدِ
رَؤُوفٌ عَطُوفٌ للخلائقِ رَحْمَةٌ شريفٌ عفيفٌ عارفٌ بتأَكُّدِ
لَهُ هِمَّةٌ تَعْلُو بحسنِ عزيمةٍ لأعلى مقامٍ قد علا بتَعَبُّدِ

هذا هو الشيخ عمر المحضار بشهادة معاصريه كصاحب «الجوهر» ومن جاء من بعدهم كصاحب « الغرر » ، أجمعت دوائر العلم والولاية والمشيخة أنه ربها وصاحبها، فكان نفع اللّه به خير قائم بها وأفضل راع لها مدة حياته، وقد كان ساداتنا آل البيت النبوي من سلالة آل أبي علوي يتميزون عن كثير من أشباههم وأمثالهم بالجمع بين الاعتناء الكلّي بالدين وقواعده وبين اتخاذ الأسباب، وخاصة عند بروزهم في مواقع التأثير وبدء تحمل مسؤوليات الطريق وخدمة الأمة ورعاية مصالح الخواص والعوام.

فما كان من الشيخ عمر المحضار إلا أن جال بفكره وعقله لوضع قواعد الحياة الاقتصادية وترتيب عائدات الموارد الماديّة، سواء في تريم ونواحيها حيث موقع مظهره ومخبر جوهره، أو في مناطق الساحل التي كان يتعهدها كالشحر والمكلاّ والغيل وغيرها من الأماكن.

بل ذكرت التراجم أنه كان في هذه المرحلة أكثر السادة بني علوي أملاكاً وامتلاكاً للأرض ورعايةً لزرعها وغرس نخيلها ومتابعة ثمراتها، ورتب في ناحية الساحل عدداً من السفن الشراعية للعمل في صيد السمك على أن تكون عائداتها للمصالح المرتبة في العلم والدعوة إلى اللّه وإعانة الفقراء والمعاويز.

وظهر له شأنٌ ومقامٌ من خلال انتشار سمعته في الآفاق، فكانت تُرْسَلُ إليه الأموال الكثيرة فيصرفها في المصارف المحمودة، فقد ذكرت كتب التراجم أنه كان ينفق على غالب بيوت الأشراف، ويؤثرهم بالأفضل المأكل والمطعم، ويتعهد الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، ويكرم الوافدين من الغرباء وطلاب العلم والسائحين للعبادة، حتى إن بعضاً من أقاربه وذويه لامه لوماً شديداً على كثرة إنفاقه فأجابه بقوله: ﴿ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وما عِنْدَ اللّه باقٍ﴾.

ومن مآثره في هذه المرحلة عمارته للمساجد، ومنها مسجده المعروف بتريم[1] ، بناه وأوقف عليه نخلاً وعقاراً ومصالح جمة، كما بنى مسجداً آخر في نواحي الشحر بقرية تسمى « عرف » ، وله

(١) عن « نبذة عن جامع المحضار بتريم » .

هناك بها حوطة معمورة وأوقاف ومقام إلى اليوم[1].

جاء في « الغرر » ص ٤٠٤: وكان الشيخ عمر قد حوط حوطاً كثيرة، فحوّل الشحر ثلاث حوط، ومنها حوطة « واسط » بنواحي الشحر.

ومن أعماله العظيمة في مرحلة تصدره وظهوره قدرته على جمع إخوانه السادة بني علوي تحت إطار التآخي والتآزر في ذات اللّـه، ودعاهم لأول مرة إلى إقامة شكل من أشكال العمل المنظم الموثق بإقامة « النقابة » ، ووقع معهم وثيقةً خطيّةً معمَّدَةً من الدولة آنذاك، قَوامها التكاتف والتعاون المشترك في إعلاء كلمة الحق وقمع صولة الباطل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصر كل مظلوم.

وهذا نموذج لتلك الوثيقة التاريخية المباركة نُقلت من كتاب «تاريخ حضرموت» لمؤلفه السيد صالح بن علي الحامد:

بسم اللّه الرحمن الرحيم وبه نستعين

وحسبنا اللّه ونعم الوكيل

وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

---

(١) « تاريخ حضرموت » لصالح الحامد (٢: ٧٥٠) .

تسليماً طيباً مباركاً فيه

هذا ما حضر عليه الحضور الشهود، بأن « آل باعلوي » نفع اللّه بهم اتفقوا وتراضوا جميعهم كبيرهم وصغيرهم حاضرهم سَادّ[1] غائبهم على أن يقوموا بالحق، على ما قال اللّه ورسوله بينهم، لهم وعليهم في جميع الأشياء تصير إلى الشيخ عمر ابن الشيخ عبدالرحمن السقاف بن محمد بن علي بن علوي، وتراضوا أيضاً من بعد الشيخ عمر على عشرة منهم يدور «الشور»[2] بينهم في صلاح الشيء باللطف والإحسان من غير عنف ولا استكبار، وهؤلاء العشرة إشارتهم إلى الشيخ عمر ابن الشيخ ابن محمد بن علي علوي، والعشرة قد عليهم العهد والميثاق، وقد أشهدوا اللّه -سبحانه وتعالى- وملائكته وأنبياءه والصالحين من عباده وجدّهم الشيخ محمد بن علي المقدّم والشيخ عبدالرحمن والشيخ عمر وجميع المسلمين أنّهم عدول بين آل أبي علوي، ولا يخونون ولا يميلون على غير حق، على ما قال اللّه ورسوله في جميع الأشياء، وإن تصاوبوا العشرة على مصلحة شيء من الأشياء يرونه أنه أصلح لهم

---

(١) ساد، أي: قائم مقامه سدّ مسدّه.

(٢) الشور هو الشورى.

كان رأي العشرة يرجح، وما أشار به الشيخ عمــــر في المـــصلحة ماضٍ، والعشرة المذكورون هم:

١- الشيخ عبدالله ابن الشيخ عبدالرحمن السقاف.

٢- الشيخ عبدالله بن علوي.

٣- الشيخ محمد بن عبدالله.

٤- الشيخ حسن بن شيخ.

٥- الشيخ حسن بن علي.

٦- الشيخ أبوبكر باحسن.

٧- الشيخ حسين بن علي.

٨- الشيخ علي باحسن المعلـــم.

٩- الشيخ محمد بن عمر.

١٠- الشيخ محمد بن علي.

وهؤلاء العشرة إذا مال أحد منهم على غير حق أو مات يبـــدل غيره من الباقين الذين يرضى الشيخ عمر مكانه.

وهؤلاء الضمناء المذكورون العشرة المقدمون في أول الكتـــاب الذين يدور عليهم « الشور » كل واحد منهم قد عاهدوه أصحابه المذكورين على ما قال الله ورسوله « له ولهم » لا يخالفونه، فـــإن

جرت مظلـــمة على أحد من العشرة ولـــم يقدر على إخراجهـــا كانوا جميعا آل باعلوي يقومون معه، وتكون اليد واحدة على مـــا قال اللّه ورسوله، ويذكون العهد الذي أخذ عنهم، وأنهم تراضـــوا جميعهم على أنهم يُخرجون صدقات مساجدهم جميعهـــا، نخيلـــها وذبورها وبيوتها وما تعلق بها على ما قال اللّه ورسوله، ومـــسجد «آل أبي علوي» تجمع صدقته جميعها الذي عند الشيخ عمر والذي عند آل محمد بن عبداللّه وعند آل علي بن عبداللّه وآل علي بـــن عمر وآل أحمد، وجميع ما كان له من الصدقة والفطور والـــموارد يخرج من جميع هذا المذكور خالصاً لوجه اللّه ورسوله، ومـــساجد الشيخ عبدالرحمن جميعها ومسجد باخطفان ومـــسجد الحبـــوظي ومسجد محمد باحسن المعلـــم ومـــسجد ســـرجيس ومـــسجد محمد بن عبداللّه ومسجد باحميد ومسجد النخل ومسجد ييحـــر وصدقته محمد بن علي في السوم وييحر، وهذه المساجد المذكورات يخرج كل واحد صدقته جميعها على ما قال اللّه ورسوله.

والرأي في هذه المساجد إلى اللّه ثـــم الشيخ عمر علـــى كـــل واحد منهن ناظر تقي لا يخون، وآل المساجد يتناظرون علـــى مـــا تراضوا عليه العشرة في مصالح المساجد على ما قال اللّه ورســـوله

ثـــم إشارة الشيخ عمر، ما رأى الشيخ عمر فيه المصلحة فالكـــل تابعينه، وإن غاب يُقدم بإشارته المباركة أحدٌ من آل باعلوي الذين يروهم بالرأفة والرحمة واللطف والإحسان مـــن غـــير عنـــف ولا استكبار.

وإن جرى على أحد من آل أبي علوي مظلـــمة من قريـــب أو غيره بغير حق كان الشيخ عمر أن يهجـــره ولا يـــصافحه، وآل باعلوي جميعهم يتبعون الشيخ عمر بما فعل، واللّه يشهد على هـــذا المذكور جميعه وملائكته وأنبياؤه والصالحون من عباده على ما قال اللّه ورسوله.

وصلى اللّه على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلـــم، والحمد للّه رب العالـــمين. انتهت الوثيقة.

ثـــم تلت الوثيقة توقيعات الحاضرين من حكام وعلـــماء وبقية رؤوس بني علوي، وقد بلغوا واحداً وأربعين.

وبهذه الوثيقة الجامعة بدأت فعالية الشيخ عمر تـــسري علـــى مجتـــمعه، وتهيمن أشتات البيوت العلوية، لتصبح كتلة واحـــدة في السراء والضراء، ودخلت نقابة السادة العلويين مرحلةً جديدةً مـــن مراحل التأثير العلـــمي والعملي في تركيبات البيوت العلوية ذاتها،

ثـــم تركيبات الفئات الاجتـــماعية الأخرى.

كما اعتنى الشيخ عمر المحضار بضبط أحوال المريدين وطـــلاب العلـــم والاهتـــمام بتدريسهم ومعاشهم، وتوسعت في عهده دائرة الاستقبال للغرباء من أفجاج البلاد، فكان لهم نعم المربي والمعلم.

تلاميذه ومريدوه

اتسعت دائرة الأخذ والتلقي عن الشيخ عمر المحضار، وانتفـــع بعلـــمه المئات من كافة الأمصار، ولكن اعتناءه الكثير انصب على من يليه من دائرة تريم وما حولها، وتخرج به منهم الأفذاذ والأئمة، ومنهم الشيخ عبداللّه بن أبي بكر العيدروس[١] والشيخ علـــي بـــن أبي بكر والشيخ أحمد بن أبي بكر والشيخ عبداللّـــه ابـــن الفقيـــه

(١) ولد الشيخ عبداللّه بن أبي بكر في ذي الحجة سنة ٨١١ هـــ، وتوفي جده الشيخ عبدالرحمن وله من العمر نيف وثـــمان سنوات، وكفله أبوه أبوبكر حتى توفي وله من العمر عشر سنوات، وكفله بعد ذلك مع إخوته الشيخ عمر المحضار وقام بهم أفضل قيام، وتربى الشيخ عبداللّه على يديه حتى فتح اللّه عليه، وتوفي الشيخ عمر وله من العمر ثلاث عشرة سنة، وقد بنى بابنته عائشة في حيـــاة أبيهـــا وخلـــف وورث عمه عمر وهو به فرح مسرور. « العقد النبوي » (٢: ٤٤) .

علي بن أبي حرمي[1] والفقيه محمد بن علي بازغيفان [2]وغيرهم، ومن الشحر والمكلا والغيل ونواحيها كعَرَف وواسط وتبالة وغيرها تخرج به الكثير من تلك النواحي.

وكان العديد من رجال العلم والحكم والجاه لهم التعلق التام والعقيدة الحسنة في الشيخ عمر، فمن أولئك الشيخ عبدالرحيم بن سعيد باوزير، ذكره صاحب « صفحات من التاريخ الحضرمي » ص١١٠ وأشار إلى ذلك صاحب « الغرر » ص٣٠٤ في معرضِ عَتْبٍ من الشيخ عمر المحضار على الشيخ عبدالرحيم لما بلغه أنه -أي: الشيخ باوزير- حَوَّطَ حُوطة في الشحر فقال الشيخ عمر: ما لعبدالرحيم وللحوطة..إلخ . كما ذكره صاحب «الغرر» .

كما أورد صاحب «صفحات من التاريخ الحضرمي» ص١٠٣-١٠٤ علاقة الشيخ عبداللّه بن عبدالرحمن باوزير وتعلقه الشديد بالمحضار، وكان من ذلك تزوج الشيخ عمر المحضار بأخت الشيخ المذكور فاطمة بنت الشيخ عبداللّه بن عبدالرحمن باوزير، وعاشت معه في تريم، كما سمّى الشيخ المحضار أحد أبناء

---

(١) « الجوهر الشفاف » (٢: ١٨٩).

(٢) « الغرر » ص ١٩٤.

الشيخ عبداللّه باسمه وهو الشيخ عمر بن عبداللّه بن عبدالرحمن باوزير.

وذكر أيضاً ص١١٩ علاقة الأمير جعفر بن عبداللّه بن علي بن عمر الكثيري جدّ السلطان بدر بوطويرق بالشيخ عمر المحضار فقال: وقد كان جدّه –أي: جد أبي طويرق- الأمير جعفر بن عبداللّه بن علي بن عمر معروفاً بالرأي الثاقب والاستقامة، وقد ضمّه يوما في حوطة سلطانة مجلس مع الشيخ عمر المحضار ابن عبدالرحمن السقاف، فاقترح هذا عليه أن يكون سلطاناً في بلدة «بور» المستعصية، وأكد له أن واليها قد تعب من ولايتها، وأنه يستطيع أن يقنع واليها بالتنازل عن الولاية لجعفر، ولم يزل بها سلطانا حتى تآمر عليه الظلفان فقتلوه سنة ٩٠٥ هـ.

الشيخ عمر المحضار وآثاره الشعرية

لسيدنا الشيخ عمر المحضار جملة من الآثار الشعرية ذات النمط الإنشادي المغنّى على أصوات الحضرة ومجالس السماع المعهود لدى أهل التصوف والذوق، ويمتاز النَّفَس الشعري بنورانية الرؤية وصفاء الوجدان وحرارة المعنى والتغني بالمآثر والمواطن والأطلال في

أسلوب رائق ومؤثر، مثل قوله:

يـــا مـــسيكينة الغنّـــا تـــريم	حُرَّه أمسى لها كم من خليـــل
قد خلي منّها شـــقّ الـــسحيل	والبويقي على ظفـــره شـــليل
يآل علوي ادركوهـــا كلكـــم	قبل تعمى وتـــمسي بالـــدليل
يا أهل جمع التـــرب يااعيانهـــا	انهضوا بادورا طـــاح القتيـــل
يالفقيه انهـــا مـــن ســـاحتك	انما يحتـــمى الا كـــل أصـــيل
عسرت هون اللّـــه عـــسرها	ربنا اليـــوم للبلـــوى يزيـــل[1]

ويقول أيضاً:

ألا ياخيلنـــا صـــبراً شـــويه	نعم يا خيلنـــا ظلّـــي وبـــاتي
عدمتـــم خيلنا ان لـــم تروها	على سَوم الجُنينـــة مُلبَـــسَات
تريم امست لنا فرضـــا علينـــا	ونحن اهل الكتب واهل القرات
نقاتل كل مـــن جانـــا إليهـــا	ونحن كالأســـود الـــضاريات
ومن جانا وبايخـــضع حمانـــا	نكثر في بلـــده الـــصايبات[2]

ويقول أيضاً:

(١) ديوان الحضرة ص٢١.

(٢) المصدر السابق ص٢٢.

ألا ياسفر لي جيـت فانـشد مـن حمـاهم

فباللّـه لـيس تلقـى في الـدنيا كمـاهم

ولا اطيب مـن معايـشهم وعـذب مـاهم

ولـو لي بخـت كنـت في المغنـا معـاهم

هم قـوام غـذو في المحبـة مـن صـغرهم

وعاشـوا في مخافـات وغـابوا في فكـرهم

ويسعد كل مـن كـان في عمـره نظـرهم

في البكـرة صـباحا في مـساهم

وهذا القول مني وهـو مـن حـسن ظـني

وان زليت يـارب بفـضلك فـاعف عـني

وتـرزفني الـشهادة علـى الإسـلام سـني

ونمـشي في الطريقـه نتـابع في أثـرهم

وله أيضاً:

أهـلا وسـهلا بحـبي	يا من سـكن وسـط قلـبي
وفي الهـوى صـار حـسبي	هـذه مقـادير ربي
ماحـد بُلـي قـط مثلـي	أنـا العقيّـق في أهلـي

وقـــد عثـــرت بجهلـــي　　يـــاريح الاحبـــاب هـــبي
يـــامن نظـــر عـــرض قتبـــه　　قـــد شـــم ريـــح المحبـــه
مـــن لـــــم يـــشم المحبـــه　　فلـــيس لـــه قـــط طـــبّ
قلـــبي معلـــق معـــاهم　　في أرضـــــهم او سمـــــاهم
ولـــيس عنـــدي كمـــاهم　　عـــرّج بهـــم يـــوم غِبّـــي
كـــم لي أقلّـــب خـــصالي　　أيامهـــــا والليـــــالي
الـــبر والبحـــــر مـــالي　　وزرعهـــم منـــه حـــبي
ياليـــت لي عـــين تنظـــر　　أو عنـــدهم كنـــت أحـــضر
نرعى الجميل ثـــم نـــشكر　　ونـــا مراعـــي ملـــبي[1]

وله أيضاً:

زاد شوقي إلى ســاحة تــريم　　للـــمشايخ وخصّ أهل التُرب
نسل الاشراف لي شوقي لهـــم　　نعم الاشراف سادات العـــرب
الرجاجيـــل منـــهم والنـــساء　　أهل تلك اللطافـــه والنـــسب
مـــا بـــودّي نفـــارقهم أبـــد　　غير ربي علـــيهم قـــد غلـــب
عمّر اللّـــه منـــهم مـــاخرب　　لا ولا أراهـــم ربي تعـــب

---

(١) المرجع السابق ص٢٥.

من شـــنيهم فياليتـــه جـــذم   أو يخالطه في أيديـــه النكـــب
أو يصيبه غرام مـــن صـــحيح   وسط رجليه جدله من خشب
أو تقع له طعنـــه مـــن عـــدو   في خواصره من عرض المسب
أو تقع له سقطه مـــن بعـــير   راح حاركه من عالي القتـــب
والصلاة على الهادي البـــشير   مافي الليل نجم قـــد غـــرب[1]

وفي تريم يقول أيضاً:

ألا يانازحـــا عـــن بـــلاد الطـــب مالـــك
فـــرح وارجـــع اليهـــا واجعلـــها حلالـــك
بها ترزق مـــن اللّـــه بهـــا توفيـــق حالـــك
تراك ان رحت منها فـــلا تـــرزق كمالـــك
لها مـــشموم كالـــمـــسك وزادوه بنفـــسج
وهـــي كالـــدر منظـــوم أو خـــطّ مُنَـــسج
وهي شربة من القلت صـــافي لـــيس خمـــج
تراك ان رمـــت تـــسعد فاجعلـــها حلالـــك

(١) المرجع السابق ص٢٧.

وقــد خــصت بــأقوام حُــضوا بالــسرائر

لهــم انــوار تعلــو علــى فــوق المنــابر

نجوا بالفضل ياصــاح مــن كــل الكبــائر

بهــم ربي أفــدني نــوالا مــن نوالــك[1]

كرامات الشيخ عمر المحضار

سبق وأن أشرنا للقرّاء أن مادة الكرامات في هــذه السلــسلة المؤلفة لجيلنا المعاصر مؤجلة التناول، ذلك لأن غرضنا من إعــادة كتابة التراجم مخاطبة العقل المعاصر بما هــو مــألوف، وليــصل المتأخرون منا إلى قناعة تامة أن الأولياء بَشَرٌ عرفوا قيمــة الوقــت والعمر والدِّين، فوضعوا كل شيء في محله، ومَن وَضَعَ الــشيءَ في محلّه بَرَزَ له سِرُّ الوقت والعمر والديانة، ولــم يُغَلِّبُوا جانباً علــى آخر، وإنما جعلوا أصل علاقتهم بالدين والدنيا مراد اللّه في الحالين، فجعلوا الدين غاية والدنيا وسيلة مع النظر إليها بعــين الاحتقــار والاستصغار.

(١) «الغرر» ص ٧٨.

وكثير من المعاصرين نشأت لديهم عقدة فكرية خطيرة عن الأولياء والصالحين، وذلك من خلال تركيز مدرسة الإعلام حملتها المتوالية ضدّ المدرسة التقليدية لاجتثاث مواقع تأثيرها، وكان بإمكاننا أن نجند الوقت لتعليل الحكايات المتعلقة بأخبار الكرامات لترضي بعض القراء، ولكن المرحلة لا تساعد على ذلك، فهي مادة على أهميتها مؤجلة التناول، ونأخذ بدلاً عنها المواقف ذات الصلة بإحياء السنة العملية التي دعا إليها صلى اللّه عليه وسلم أمته: «من أحيا سنتي عند فساد أمتي فله أجر مئة شهيد» .

والكرامات ليست شرطا في الولاية، والتقوى هي الاستقامة، ولهذا فإن شروط الولاية والتقوى هي الاستقامة والأعمال الصالحة، وهذه مادتنا التي نهتم بإبرازها في هذه التراجم.

والمتأمل في ثمرات المؤلفات التاريخية والتراجم سيجد الواقع ذاته يفرض على الكاتب مجاراة الحياة المعرفية، واستعدادات المجتمع للمعروضات القلميّة، فالأوائل وقد تساوى في عصرهم العلماء والمحدثون والمجتهدون والأصوليون كان لابد حينها أَنْ تَبْرُزَ من بين هذه النماذج شخصياتُ الأفذاذ الراسخين، فكانت « الأحوال والمقامات والكرامات » من جهة،

وحيناً « الشطحات والعبارات الكشفية » من جهة أخرى ، وهي في واقع الحال لها ما يبررها عند الاحتكام إلى العلم تحت قاعدة التوسط بين الإفراط والتفريط.

فشيخنا الشيخ عمر المحضار نجد أن كافة كتب التراجم حشدت أخبار كراماته الخاصة والعامة حشدا يبرز موقعه العالي في الصلة باللّه، وحشدت أيضا أخبار كرامات غيره، ولا يخلو كتابٌ من الكتب القديمة من وصف كل مترجَمٍ بالخوارق ولو كان صوفياً خاملاً يكره الشهرة، فالإثبات كان مطلباً اجتماعياً تُوزَنُ به شخصيات الرجال عند الموازنة والمفاضلة.

ولا زال المحبون والمتعلقون بالشيخ عمر المحضار تَبْرُزُ لهم كراماتُه وآثار مقامه إلى اليوم كمثل غيره من أولياء اللّه، ولكن المعركة المعرفية اليوم تتركز أصلاً على مسألة « الكتاب والسنة » ، وسوق العرض والطلب يطرح هذين الأصلينِ مجرَّدَيْنِ عن ثمرات العمل بهما عند الأجيال، وانطوت هذه اللعبة الخطيرة على عقول النفعِيِّينَ المجرَّدِينَ عن اتخاذ الموقف الحق، وهذه هي مشكلتنا المعاصرة.

وحتى لا تطول بنا المحاورة في هذا الشأن أؤكد للقراء أن كثيراً

من الكرامات المكتوبة في المؤلفات تحتاج إلى وقفة جادة وتمحيص دقيق يتناسب مع عقليات زماننا، ولا يظلم الأوائل مقاماتهم ومراتبهم، ويصحح مفهوم الأجيال المعاصرة بأسلوب وسط، لا إنكار بالكلية، ولا قبول لكل ما يكتب بالكلية، والفصل في التوثيق وصحة النقل.

وهذه مهمة ليست بالسهلة، ولكن اللّه سيُيَسِّرُها على من كَتَبَ له التيسير، واللّه الموفق.

وفاة الشيخ عمر المحضار

اتسعت دائرة النفع العام للمسلمين والنفع الخاص للمتعلقين والمحبين ولآل باعلوي أجمعين في عصر هذا الإمام الجامع محاسن الأوصاف، كما قال فيه صاحب « الغرر » ص١٩٦[1]:

فذاك الذي قد سَمَا في العُلا … إلى ذُرْوَةِ الفَخْرِ حتى فَخَرْ
هُوَ الليثُ حَقّاً تَرَى للعِدا … لَدَيْهِ ارتعادٌ إذا ما زَأَرْ
له صارمُ المجدِ صَمْصَامُهُ … إذا هَزَّهُ طارَ منه الشَّرَرْ
يَتُولُ إذا ما سَطَا سَطْوَةً … على الوَتْرِ أَلْقَاهُ شَفْعاً ومَرْ
ومَن ذُرْوَةِ العِزِّ خُصَّتْ لَهُ … ومَن نال ما عنه كُلٌّ حَسَرْ

ولم يزل هذا الإمام حجةَ اللّه على عصره وأهل مصره، قائماً فيهم بالعلم والعمل ونشر الفضائل وجمع الشمل وتفقد الأرامل واليتامى، وداعياً إلى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وحارساً أميناً على مهمات الطريق الموروثة عن آبائه وأسلافه قائما بها مجدداً لمعانيها راعياً لأتباعها، حتى ناداه منادي مولاه في أسعد الأوقات

(١) نقلاً عن « الجوهر الشفاف » (٢: ١٩٢).

وأشرف الساعات، وكان متوعكاً فسمع منادي صلاة الظهر ينادي بالأذان فقال: مرحبا بالقائلين عدلاً وبالصلاة أهلاً وسهلاً، وأجاب المؤذن ثم توجه إلى القبلة وأذن للصلاة، ثم أقام وأحرم وصلى وسجد، فخرجت روحه الزكية وهو ساجد، ولم يزل في السجود وهو ميت ولم يَنْحَنِ ولم يتحرك حتى استبطأه الحاضرون، فرفعوه فإذا هو قد فارق الدنيا، وذلك يوم الاثنين ثاني يوم من شهر ذي القَعدة سنة ٨٣٣ .

ونزل خبر موته على تريم وأهلها وعلى الوادي نزول الصاعقة، واحتشد المئات من الناس في جنازته وهو محمول على أكتاف أسرته ومحبيه وأهل مودته حتى مثواه الأخير بجوار أهله وأسلافه رحمه اللّه.

قال صاحب « الجوهر » :

سَقَى اللّه قَبْراً سمَا وافْتَخَرْ ... بجُثمانِ شَمسِ المعالي عُمَرْ
لقد ضَمَّ فيهِ إمامَ الهدى ... أبا حَفْصٍ الليثِ ذا المشْتَهَرْ
صباحُ الظلامِ وغوثُ الأنامْ ... رَفِيعُ المقامِ مُزيحُ الضَّرَرْ
كَريمٌ تَسَلْسَلَ مِن سادةٍ ... كِرامٍ صَفَوْا عن مَشُوبِ الكَدَرْ
حَوَوْا سِرَّ أسرارِ خيرِ الورى ... وفيهِمْ سَرَى سِرُّهُ وانحدرْ

إلى أَنْ تَلَقّاهُ شَــيْخُ الــورى وصارَ لــه المعْــدَنُ المــسْتَقَرْ
تَشَعْشَعَ مِــن بَعْــدِهِمْ نَجْمُــهُ ونارٌ فلـــما تعــالى زَهَــرْ
فآهٍ على القوم قــد أَوْحَــشُوا وآه على فَقْــدِ تلــك الغُــرَرْ
وآهٍ علــى الــسَّيِّدِ المرْتَــضَى وما يَنْفَــعُ الآهُ بَعْــدَ القَــدَرْ
سلامٌ ســلامٌ علــى رُوحِــهِ مِنَ الواحدِ الفَرْدِ مُنْشِي الصُّوَرْ
فذاك الذي قد سَمَــا في العُــلا إلى ذُرْوَةِ الفَخْرِ حَتّى فَخَــرْ[1]

رحمه اللّه رحمة الأبرار، ونفعنا به وبعلومه في هذه الدار، وفي دار المثوبة والقرار. آمين .

(١) المصدر السابق.

الفهرس

سلسلة أعلام حضرموت ١٢

العيدروس الأكبر

الشيخ عبد الله بن أبي بكر
ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف

(٨١١ - ٨٦٥ هـ)

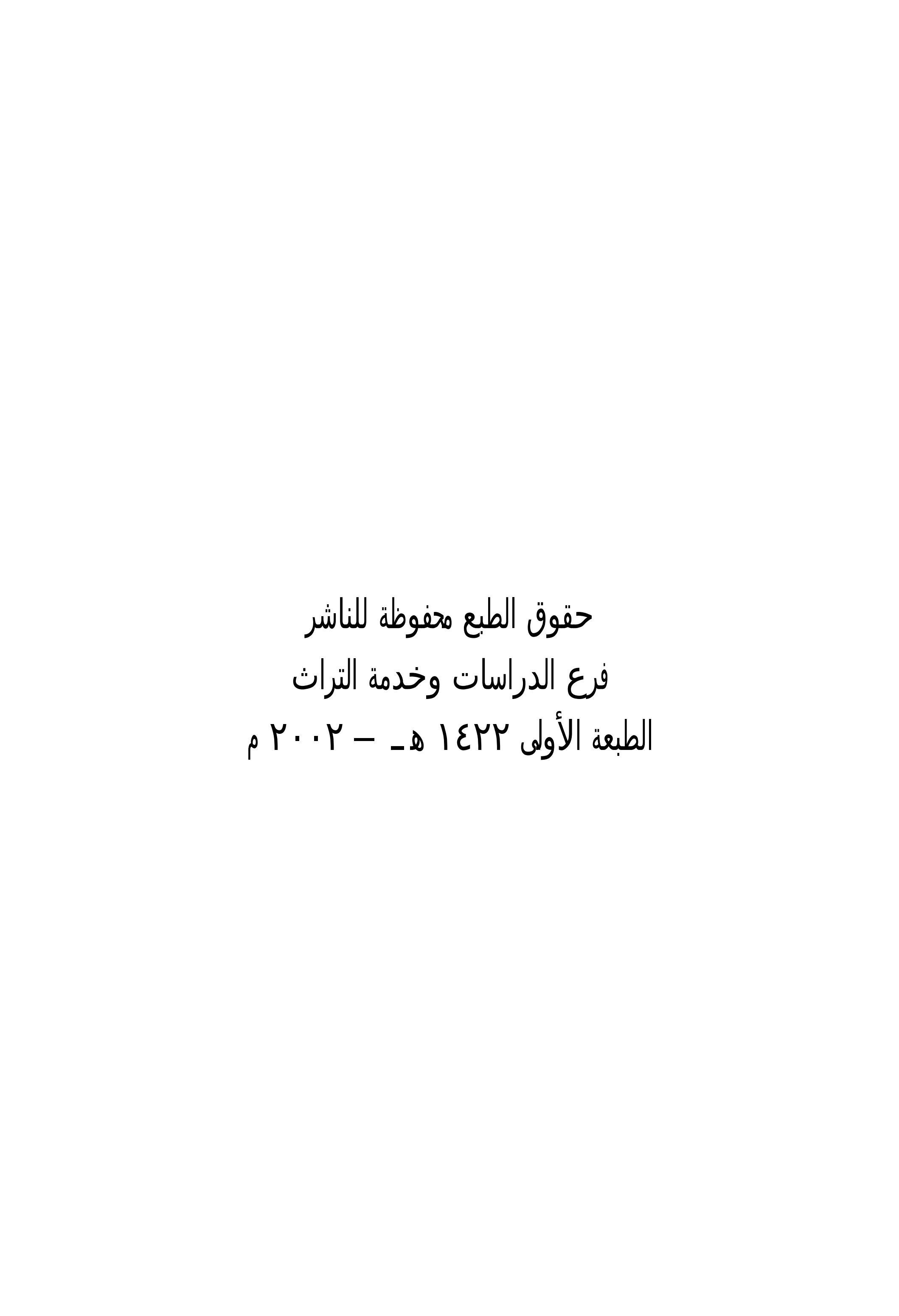
بقلم خادم السلف

أبي بكر العدني ابن علي المشهور

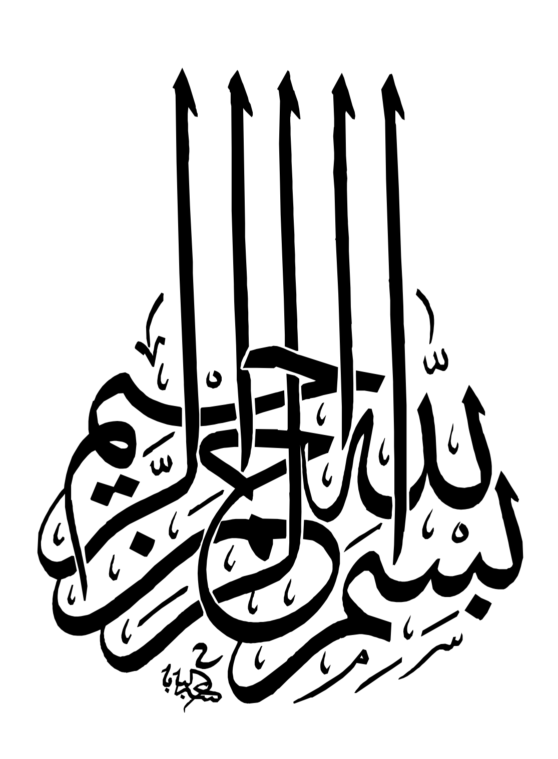
فرع الدراسات وخدمة التراث

أربطة التربية الإسلامية - عدن

العيدروس الأكبر



فرع الدراسات وخدمة التراث
الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م


بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني..

بسم الله الرحمن الرحيم

ِإنا أَعطَيناك الكَوثَر . فصل ِلربك وانحَر.

ِإن شاِنئَك هو الَأبتر

الإهداء..

إلى ذُرية الإِمـامِ العيـدروس أحفـاد الطَّـودِ الشامِخ..

الإِمام الذي وضع بصمات التربية والسلوك على مجمل سير مدرسة حضرموت في العالم..

وإلى الراغِبين في التعرفِ على نمَاذِج (السفِينة التي من ركِبها نجا ومن تخَلّف عنها هلَك)..

المُؤلّف

شاهِد الحَال

شـرقَت تـريم بمجـدِهِ فكأنّمّـا
بـدر تجلّـى في أوانِ تمَامِـهِ
جمعت صفُوف الأوليا فتجمعت
كالكعبـةِ الغـراءِ في أيامِـهِ
مِن قانتٍ أو راكـعٍ أو سـاجدٍ
أو طائفٍ ما حل مِـن إحرامِـهِ
وصفَت به أقمار سعدٍ لو بـدت
في حندسٍ هتكت سواد ظلامِـهِ

الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن باوزير
((تاريخ حضرموت)) ص ٧٦٥

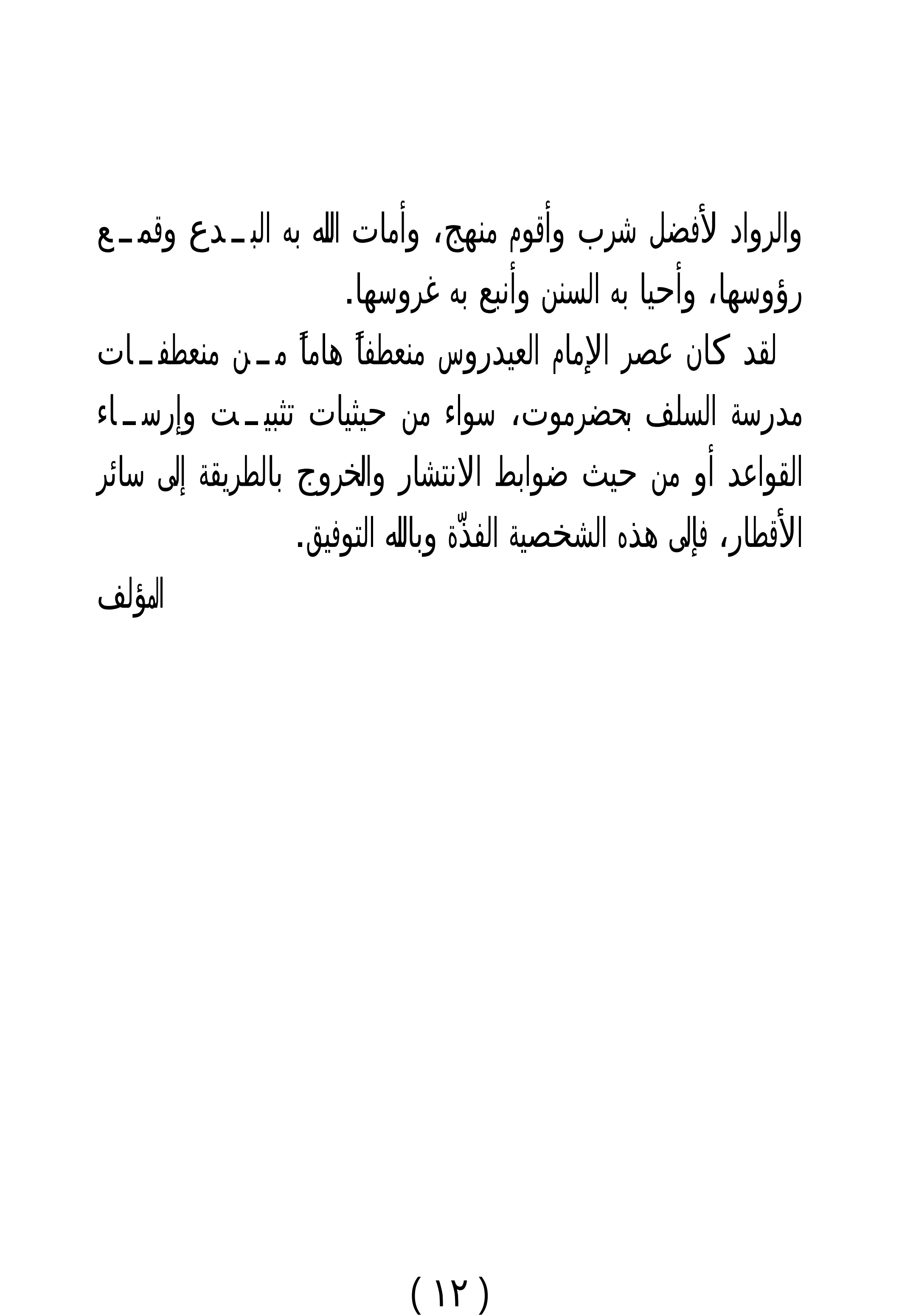
المدخل

الحمدلله الذي توج صدر الأزمنة بدرر الرجال وشيوخ الكمال، ورموز الحكمة ينابيع المعرفة أسباب الاتصال والوصال، أئمة الدين ووراث سيد المرسلين، من اتبعوه واقتدوا به قولاً وفعلاً ونيةً وهمةً وإرادةً وعبادةً وحسن يقين وتمكين، وعلى الآل الأكابر والصحابة المفاخر، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فإلى القراء الكرام أزف علَماً جديداً من أعلام مدرسة حضرموت وإماماً من أئمة الإسلام العاملين بمنهج دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم العدول الثبوت، رجلٌ جمع الله فيه ما تفرق في إسلامه الأئمة من العلم والعمل والإرادة وقوة الهمة، فكان لأهل عصره كالغيث الهامع والمطر النافع.

تحيا بِهم كُل أَرضٍ ينـزلُون بها   كأَنهم لِبقَاعِ الأرضِ أَمطَار

أرسى القواعد للمريدين، ورفع الهمم للطلاب المتعلمين، وأيقظ عقول الغافلين، للتعرف على عظمة دعوة سيد المرسلين، فأناخت ببابه قوافلُ القاصدين من كل فج، وانتهض به هم العباد والزهاد



والرواد لأفضل شرب وأقوم منهج، وأمات الله به البدع وقمع رؤوسها، وأحيا به السنن وأنبع به غروسها.

لقد كان عصر الإمام العيدروس منعطفاً هاماً من منعطفات مدرسة السلف بحضرموت، سواء من حيثيات تثبيت وإرساء القواعد أو من حيث ضوابط الانتشار والخروج بالطريقة إلى سائر الأقطار، فإلى هذه الشخصية الفذّة وبالله التوفيق.

المؤلف

سلسلة النسب

المصطفى صلى الله عليه وسلم

الإمام علي وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما

الإمام الحسين

الإمام علي زين العابدين

محمد الباقر

جعفر الصادق

علي العريضي

محمد النقيب

عيسى

أحمد المهاجر

عبدالله

علوي

محمد

علوي

علي خالع قسم

محمد صاحب مرباط

علي

محمد الفقيه المقدم

علوي

محمد مولى الدويلة

عبدالرحمن السقاف

أبوبكر السكران

(عبدالله العيدروس)

أبوبكر العدني　　　　شيخ　　　　علوي

التعريف بالإمام العيدروس

هو الإمام ا مع على إمامته، وسلطان الأولياء المتفق على ولايته، حامل لواء العارفين، ومقيم قواعد علوم المحققين، وزعيم السادة العلويين، وواسطة عقدهم ورائد مظهرهم ومجدهم.

قال في «المشرع»: (العيدروس) لقب إمام الأولياء، وقال بعضهم: (العيتروس) من أسماء الأسد، قال الجوهري: (العترسة) الأخذ بالعنف والشدة، وهو من أوصاف الأسد، قال العلامة محمد بن عمر بحرق: فلعلّ التاء الفوقانية أُبدلت في (العيدروس) دالاً لاتحاد المخرج، ولا شك أن الأسد مقدم السباع، والعيدروس مقدم الأولياء في عصره.

ميلاده ونشأته

ولد رضي الله عنه في العشر الأوائل من شهر ذي الحجة سنة ٨١١، ولما بشر بولادته جده الشيخ عبدالرحمن السقاف قال: هو صوفي وقته، وحفظ القرآن العظيم[1] وأدرك من حياة جده الشيخ

---

(١) تعلم القرآن على يد السيد الصالح محمد بن عمر باعلوي. «تاريخ حضرموت» للحامد ص٧٥٨.

عبدالرحمن ثمان سنوات[1]، وقد نظر إليه وبرك وقرأ عليه وأخبر بأنه سيكون له شأن.

نشأ نشأةً كريمةً تحت رعايةٍ والده الإمـام أبي بكـر الملقـب بالسكران، حيث أحسن الاعتناء بطفولته وغمره بنظره وعطفـه، ومنحه من سر رجولته، ومات والده وعمره عشر سنوات، فكفله ورباه واعتنى به عمه الشيخ الإمام المغوار الشيخ عمـر المحضـار، وأدرجه في سلك أبناء روحه وقلبه، وجعله تحت نظـره وسمعـه، ورباه مع إخوته تربية الآداب والعمل بما في السنة والكتاب، وأفرغ في جوفه من سر الأبوة ما ملأ جوانحه أمناً وإيماناً ويقيناً وإحساناً، يتقلب منذ الصبا بين العلم والعمل به والفهم القـرآني والحـديثي واللغوي والفقهي والمثابرة في طلبه، وأسلمه إلى نخبة مـن شـيوخ ذلك العصر لينال منهم نصيباً وافراً، ويتدرب م ويتعلم من فرائد العلم باطناً وظاهراً، ومن جملة من انتفع م من الشيوخ:

١- الفقيه سعيد بن عبدالله باعبيد.

٢- الشيخ العلامة عبدالله بامراون.

٣- العالم الرباني الشيخ إبراهيم باهرمز.

---

(١) والدته بنت أحمد بن محمد بارشيد. المصدر السابق ص٧٥٧.

٤ - الشيخ العلاّمة عبدالله باقشير.

وسمع الحديث من عشرات المحـدثين والـرواة في حضـرموت وجهات اليمن، ثم بعد سفره ورحلته إلى الحجاز[١].

وكان له اعتناء خاص « بالتنبيه » و « الخلاصة » و« المنـهاج » ، قرأها مراراً قراءة بحث ومراجعة وتدقيق.

وقرأ علوم التصوف على السيد الجليل محمد بن حسن جمل الليل، وعلى أعمامه أحمد وشيخ ومحمد وحسن.

وأخذ علوم العربية عن العلاّمة الأديب أحمد بن محمد بن عبدالله بافضل، وقرأ في النحو والصرف على الشيخ العلاّمة محمد بن علي باعمار وغيرهم.

---

(١) ذكر صاحب « الكواكب الدرية » السيد عيدروس بن حسين بن أحمد العيدروس سفره إلى شمال اليمن والحجاز ص ١٤٩، بينما يذكر السيد صـالح الحامـد في ((تاريخه)) أنه لم يعرف للإمام العيدروس سفر مل هـذا. ((تـاريخ حضـرموت)) ص٧٦٥ .

مجاهداته ورياضاته

ورد في كتب التراجم وصف مجاهداته بما مثاله: وأما مجاهداتـه فبحر لا ساحل له ولواء جهاد حمله كاهله، أدخله عمه وشـيخه الشيخ عمر المحضار في ا اهدة وهو صغير، وكان يقول: دخل ابن أخي في ا اهدة وهو ابن سبع سنين يصوم ويفطر على سبع تمرات لا يأكل غيرها، ومضت عليه سنة لم يأكل فيها إلا خمسة أمـداد بالمد الشرعي.

وقال عن نفسه: كنت في بدايتي أطالع كتب الصـوفية وأختـبر نفسي بمجاهدا م، فكنت أُجوع نفسي كثيراً، وهجرت النوم أكثر من عشرين سنة[1].

ولازم عمه الشيخ عمر المحضار في طريقة السـلوك وتـدرج في مراتبها ثم زوجه الشيخ عمر المحضار بابنته وأحلّه محـل مهجتـه، وقال: أزوجه بابنتي ولو بالأدنى ولا أزوجها غيره ولو أتاني علـى الدنيا، وألبسه خرقة التصوف وحكّمه التحكيم الشريف وانطـوى انطواءً تاماً في عمه عمر المحضار ونال منه جملة علوم الباطن وسـر علوم الظاهر، وأقعده على منصة الخلافة بجدارة حتى بلـغ رتبـة

---

(١) المصدر السابق.

المشايخ الأكابر وصار في رتبةٍ يعقد عليها بالخناصر، واعترف لـه بالكمال كل متقدم ومعاصر[1].

توليه مرتبة النقابة بعد وفاة عمه

قال صاحب « الكواكـب الدريـة » : وكـان -أي الشـيخ العيدروس- يحب الخمول، إذ به يحصل الوصول، وكـان الشـيخ الأكبر عمه الشيخ عمر المحضار شيخاً على ذوي القدر الجلي ونقيباً على بني علوي، فانتقل إلى رحمة رب العالمين وصاحب الترجمة ابن خمس وعشرين ، فاجتمع رأي الأشراف إلى أن يذهبوا إلى الإمـام الجليل محمد بن حسن جمل الليل -وكان مقيماً بروغَة- فاعتذر عن نفسه ، فقالوا: قدم علينا من ترضاه لذلك منـا، فصـلى صـلاة الاستخارة وطلب من الله أن يوفقه لما يختاره فشـرح الله صـدره بتقديم العيدروس، فقام إليه وأمسك بيديه وقال له: أنت المقدم على الجميع والمتكلم على كل شريف ووضيع ، فاعتذر لصـغر سـنه وضعف قيامه لا سيما وجود أعمامه، فقاموا كلهم إليه وألحوا في

(١) « الكواكب الدرية » ص١٥٠-١٥١.

ذلك عليه، فحينئذ وقع الاتفاق على تقديمه وانتشر في الآفاق صيته، وجلس للإقراء والتدريس والاشتغال بأنفس نفيس.

ارتقاؤه منصة التدريس والتسليك للمريدين

ظهر الإمام العيدروس علماً في منصة التدريس، فكان إذا تكلـم في التفسير فهو حامل رايته، وفي الحديث فهو ذو روايته، وفي الفقه فمدرك غايته، أو في غير ذلك فالكل مستمع لقراءته ،وإذا ما خاض في علوم التصوف أبكى الحاضرين بقراءته، وجـاء في طريـق الله بالأسلوب العجيب والمنهج الغريب والمسلك القريب، جمـع بـين العلم والعمل والحال والهمة والمقال كما وصـفه الشـيخ الكـبير محمد بن أحمد باقشير:

لَه كُل قَلْـبٍ بالولايـةِ شـاهد وكُل فؤادٍ مِـن محبتِـهِ مِلـي
فِللّهِ ما أعلـى مراتـب فَضـلِهِ وأجزلَ ما أعطَى وأوسع ما ولِي
فِنعم الفتى لا شك في عظْمِ شأنِهِ فما شِئْت في الفضلِ الذي ناله قُل

جملة من الآخذين عنه

انتفع بالإمام العيدروس جملة من الأعيان الفضـلاء والمتهـدين النبلاء ومنهم:

١- أخوه الشيخ علي بن أبي بكر.

٢- الشيخ عمر بن عبدالرحمن صاحب الحمرا.

٣- الشيخ عبدالله بن أحمد باكثير.

٤- الشيخ أحمد قسم ابن علوي الشيبة.

٥- الشيخ محمد بن عفيف الهجراني.

٦- ابنه الشيخ أبوبكر العدني ابن عبدالله العيدروس.

٧- ابنه الشيخ حسين بن عبد الله العيدروس.

٨- ابنه الشيخ شيخ بن عبدالله العيدروس.

قال في « الكواكب الدرية » : وكان الإمام العارف بالله تعـالى محمد بن علي صاحب عيديد وتاج العابدين سعد بن علي والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن باوزير مع الاتفاق على جلالة قدرهم وعلـو منصبهم ممن لازم صحبته وأخذ عنه طريقته لعلمهم بعلـو شـأنه وارتفاع مقامه ومكانه[١].

---

(١) المصدر السابق ص١٥٢ .

آراؤه التربوية والعلمية

يقول الإمام العيدروس: وبعد فليس لنا طريق ومنـهاج سـوى الكتاب والسنة، وقد شرح ذلك كله سيد المصنفين وبقية ا تهدين حجة الإسلام الغزالي في كتابه أعجوبة الزمان العظيم الشان الملقب « إحياء علوم الدين » الذي هو عبارة عن شرح الكتاب والسـنة أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً واعتباراً واعتقاداً[١].

وكان رضي الله عنه ينهى أصحابه عن مطالعة «الفتوحات المكية» و«الفصوص» ويأمرهم بحسن الظن في مؤلفها واعتقاد أنه من أكابر الأولياء العارفين، وماذاك إلاّ لعلوها عن فهم العمـوم وغمـوض معانيها عن كثير من الفهوم، بخلاف كتب حجة الإسلام فإ ا تصل إلى فهم معانيها الأفهام ويشترك في الوصول إلى العلم ا الخـاص والعام[٢].

ويقول رضي الله عنه: اعلم أن الطريقة الأخذ بالتقوى والحقيقة الوصول إلى المقصد ومشاهدة نور التجلي، وحقيقة المقامات منازل القلوب، وأولها امتثال الأوامر وترك المناهي، والآخر معرفة عيوب

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٣.

(٢) المصدر السابق.

النفس وتنقيتها من الصفات الذميمة والتحلي بالصفات الحميدة وذكر المولى.

وعيوب النفس كثيرة، وأعظمها إعجاب المرء بما يفعل من الطاعات، وشرط السالك أن لا يصعد من مقام إلى مقام حتى يستوفي حد المقام الأول.

وأما الأحوال فهي ما ينزل على القلب من طرب أو قبض أو بسط أو شوق أو ذوق أو هيبة أو أنس أو وجد أو تواجد أو جمع أو فرق أو فناء أو بقاء أو غيبة أو سكر أو صحو أو شرب معنوي كما يجدونه من ثمرات القرب ونور التجلي ونتائج المكاشفات أو ري أو محو أو إثبات أو تستر أو تجلي أو حضور أو محاضرة أو لوائح أو لوامع أو طوالع أو تكوين أو تمكين أو غيره.

وأما الأنفاس وترويح القلب بلطائف الغيوب[1] ، وصاحب الأنفاس أرق وأصفى من صاحب الأحوال، وصاحب الأحوال أرق وأصفى من صاحب المقامات، وصاحب المقامات أرق وأصفى من العابد، والعابد على العلم الظاهر أرق وأصفى من العوام العابدين بالرخص، وصاحب الرخص أرق وأصفى من المهمل.

---

(١) كذا في الأصل ، بلا جواب شرط.

والكامل من اتصف بالجميع، وهم العلماء بـالله وبـأوامر الله الجامعين بين الشريعة والطريقة والحقيقة، أهل الوراثة، العلماء ورثة الأنبياء[1] .

آراؤه في **علوم القوم**

ومن علوم القوم: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، علـم اليقين لأرباب العقول، وعين اليقين لأهل العلوم، وحق اليقين لأهل المعارف والمشاهدات.

والمشاهدات كثيرة، ومنها مشاهدة القلب على ما كان الغالـب عليه من مشاهدة علم وأحوال أو مكاشفات.

(**لطيفة**) القلب مجمع الخِصال الحميدة، والروح لطيفـة القلـب الروحاني، ولها ترق معنوي في حال النوم ومفارقة البدن ثم الرجوع إليه، وأن الإنسان مركب من (الروح والجسد)؛ لأن الله تعالى سخر هذه (الجملة) بعضها لبعض، والحشر يكون للجملـة، والثـواب والعقاب للجملة، والأرواح مخلوقة، والروح معدن الخير، والـنفس معدن الشر، والعقل حبس الروح، والهوى حبس النفس، والسر نور

---

(١) المصدر السابق ص٣٦.

معنوي محل المشاهدة، والأرواح محل المحبة والقلوب محلّ المعـارف. وقال بعض العارفين: السر ما لك عليه إشراف، وسر السر مـا لا اطلاع عليه لغير الحق، والسر أشرف من الروح، والروح أشـرف من القلب، وصدور الأحرار قبور الأسرار(١).

آراؤه في نموذج سلوك طريق القوم

أول طريق القوم التوبة، وهي أول المنازل والمقامات، ولها ثلاثـة شروط:

١- الندم على ما عمل من الذنوب.

٢- ترك المعصية في الحال.

٣- العزم على أن لا يعود أبداً.

وإن تعلق به حق آدمي فلها شرط رابع وهو الخروج من الحقوق، فمن تاب ثم نقض توبته ثم تاب قبلت منه توبته ثانياً وثالثاً إلى غير اية ما دامت لتوبته الشرائط المذكورة.

---

(١) المصدر السابق ص ٣٧.

آراؤه في ا اهدة

ا اهدة: الجوع ، والصمت ، والعزلة ، والسهر، وتلاوة القرآن.

آراؤه في التقوى

أصل التقوى اتقاء الشرك، ثم من بعده اتقاء المعاصي، ثم من بعده اتقاء الشهوات، ثم من بعده اتقاء الفضلات.

آراؤه في الخوف والرجاء

الخوف ترك معصية الله مخافة عقاب الله.

والرجاء حسن الطاعة طمعاً في نيل الثواب.

والرجاء الكاذب التمادي في الذنب.

والتمني الخوف، والرجاء من شروط الإيمان، ومن زال الخـوف منه والرجاء خرب قلبه.

آراؤه في الحزن المحمود

وهو حزن الآخرة والندم على الذنوب، والحزن فضيلة وزيـادة للمؤمن مالم يكن بسبب معصية.

آراؤه في الخشوع

حقيقة الخشوع خشوع القلب، كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم في المصلي: «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»، ومنه بعده عن الذنوب، وطاعة علام الغيوب.

آراؤه في مخالفة النفس

وأقوى أركان الوصول إلى الله مخالفة النفس، وأرفع الدرجات عند الله مخالفة النفس. والنفس على ثلاثة أوجه: مطمئنة، ولوامة، وأمارة.

١- فالمطمئنة: هي التي اطمأنت بطاعة الله تعالى ولا تطلب مخالفة أمره.

٢- واللوامة: هي التي تلوم الرجل على الذنوب وتحمله على التوبة والإنابة.

٣- والأمارة: هي التي تأمر بالسوء، وهي المهلكة لصاحبها، وهي أعظم حجاب بين العبد وربه.

وعند العارفين دواء النفس مخالفتها، وينبغي للطالب أن يخالف نفسه ولا يقبل منها شيئا إلا ما يوافق رضا الله تعالى.

آراؤه في الحسد والغيبة

الحسد أن يطلب الشخص زوال نعمة كانت عند أحد من المسلمين، والحسد أشد شيء يبعد صاحبه عن الله؛ لأنه لا يرضى بقضاء الله تعالى، وعند العارفين: الحسود لا يسود، والغبطة جائزة، وهو أن يرى الرجلُ أحداً في صلاح أو خير أو مال، فيتمنى أن يكون مثله من غير أن يتمنى زوال تلك النعمة عن ذلك الشخص.

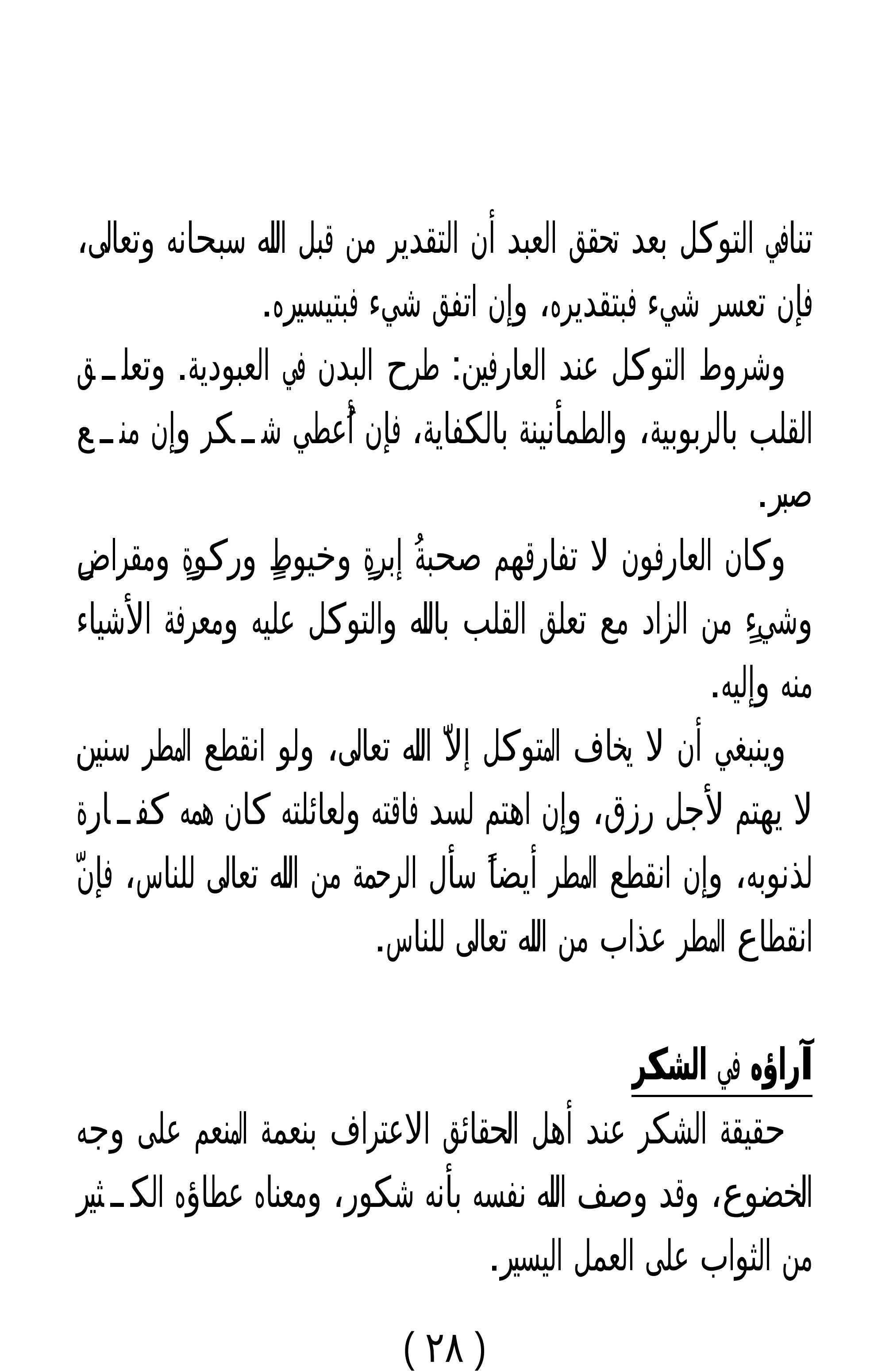
والغِيبة أن تذكر أخاك في غيبته بما يكره ولو كان فيه، فإن لم يكن فيه فهو بهتان، والبهتان أشد من الغيبة، وكلاهما لا يرتفعان بالتوبة، بل التوبة أن يستحلل منه ثم يتوب ويستغفر له ويدعو.

آراؤه في القناعة

القناعة عند العارفين الاكتفاء بالموجود وزوال الطمع عن المفقود، وقال العارفون: من قَنِع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه.

آراؤه في التوكل

المتوكل يكل أمره إلى الله تعالى ويرضى بما يجري عليه من قضاء الله تعالى وقدره، والتوكل محله القلب، والحركة في الأسباب لا



تنافي التوكل بعد تحقق العبد أن التقدير من قبل الله سبحانه وتعالى، فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن اتفق شيء فبتيسيره.

وشروط التوكل عند العارفين: طرح البدن في العبودية. وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة بالكفاية، فإن أُعطي شكر وإن منع صبر.

وكان العارفون لا تفارقهم صحبةُ إبرةٍ وخيوطٍ وركوةٍ ومقراضٍ وشيءٍ من الزاد مع تعلق القلب بالله والتوكل عليه ومعرفة الأشياء منه وإليه.

وينبغي أن لا يخاف المتوكل إلاّ الله تعالى، ولو انقطع المطر سنين لا يهتم لأجل رزق، وإن اهتم لسد فاقته ولعائلته كان همه كفارة لذنوبه، وإن انقطع المطر أيضاً سأل الرحمة من الله تعالى للناس، فإنّ انقطاع المطر عذاب من الله تعالى للناس.

آراؤه في الشكر

حقيقة الشكر عند أهل الحقائق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، وقد وصف الله نفسه بأنه شكور، ومعناه عطاؤه الكثير من الثواب على العمل اليسير.

وإذا اشتقْت إلى أنموذجٍ من حلاوة الشكر فانظر إلى مـن هـو دونك في جميع الأمور، ولا تنظر إلى مـن هـو فوقـك أصـلاً، واعترافُك بالعجز عن الشكرِ شكر.

آراؤه في اليقين

اليقين عند العارفين هو قوة الإيمان، وقال بعضهم: هو المعرفة ثم اليقين ثم التصديق ثم الإخلاص ثم المشاهدة ثم الطاعـة، ونتيجتـه امتثال الأوامر واجتناب المناهي واتباع الكتاب والسنة.

آراؤه في الصبر

الصبر عند العارفين التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع الغصص وإظهار الغنى مع طول الفقر بساحات المعيشة.

وعند العارفين: تجرع المرارة من غير تعبس، وأفضل الصبر صـبر العبد على ترك الذنوب وامتثال الأوامر مـن الطاعـات ومتابعـة الكتاب والسنة.

آراؤه في المراقبة

المراقبة علم باطلاع الحق سبحانه وتعالى عليه واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه، ومن له هذا العلم فليحفظ أفعاله وأقواله وما يجري في خاطره عما لا يرضي الله، ولينظر على الدوام جريان خطـاب الله تعالى معه من الأمر والنهي، وقال العارفون: إذا جلست للناس فكن واعظاً لقلبك ولنفسك، ولا يغرنك اجتماعهم عليك، فإ م يراقبون ظاهرك والله رقيب باطِنك.

آراؤه في الرضى

قال بعضهم: هو كسبي، وقال آخرون: هو شيء يحل في القلب كالأحوال، والرضى ترك الاعتراض على تقدير الله تعالى.

آراؤه في العبودية

العبودية عند العارفين أربعة أشياء: الوفاء بـالعهود ، والحفـظ للحدود ، والرضاء بالموجود ، والصبر عن المفقود.

آراؤه في الإرادة

الإرادة ترك ما عليه العادة من اتباع الشهوات، وجمـع المـال، وحب الدنيا وغير ذلك. وحقيقة الإرادة نهوض القلب في طلـب الحق إلى الله سبحانه وتعالى.

آراؤه في الاستقامة

الاستقامة الثبات على الصراط المستقيم، والصراط هـو اتبـاع الكتاب والسنة والتمسك بالآداب الشرعية وتقـوى الله ظـاهراً وباطناً من غير تزلزل، فمن علامات أهل البـدايات أن لا تكـدر معاملتهم فترةٌ. ومن علامات أهل التوسط أن لا تصعب منازلا م ومواصلا م وقفةٌ. ومن علامات أهل النهايات أن لا تتداخل معهم حجةٌ.

قال بعض العارفين: كن صاحب استقامة لا طالب كرامة، فـإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطالبك بالاستقامة.

آراؤه في الإخلاص

الإخلاص إفراد الحق في الطاعة بالقصد، وهو أن تريد بطاعتـك التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنعٍ للمخلوق واكتساب محمدة عند الناس أو محبة مدح من الخلق . قال العارفون: لا يعرف الرياء إلا مخلص، والصدق سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه.

آراؤه في الحياء

قسم العارفون الحياء إلى وجوه:

١- حياء الجناية، كحياء آدم عليه السلام.

٢- حياء التقصير، وهو حياء الملائكة، يقولون: ما عبدناك حق عبادتك.

٣- حياء الإجلال، كإسرافيل عليه السلام حين تسربل بجناحه حياء من الله تعالى.

٤- حياء الكرم: كحياء رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يستحيي من أضيافه أن يخرجوا فقال تعالى: ﴿ولا مستأنِسِـين لِحدِيثٍ﴾ .

٥- حياء الحشمة: كحياء علي رضي الله عنه لما استحى أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم المذي لمكان فاطمة.

٦- حياء الاستحضار: كحياء موسى عليه السلام حين قال لربه: إني لَتعرِض لي الحاجةُ فأستحِيي أن أسألك، قال تعالى: سلني حتى ماء عجينك وعلف دوابك.

٧- حياء الإعزاز: وهو حياء الرب سبحانه يدفع إلى العبد كتاباً مختوماً بعد ما يعبر الصراط، فإذا فيه فعلت ما فعلت فاستحييت أن أظهر عليك فاذهب فقد غفرت لك[1].

آراؤه في الحرية

الحرية في اللغة الخلوص، وحرية الذات أي خلوصها من الأشياء المذمومة، وعند أهل الحقائق عبارة عن صفاء الذات من حب الدنيا، وحب الجاه، أو الشهرة وتعلق الخاطر بكل ما سوى الله تعالى.

---

(١) قلت والله أعلم: ولعل منه حديث ((إن الله يستحيي أن يرد يد عبده صِفرا)).

آراؤه في الذكر

الذكر على نوعين: ذكر اللسان ثم ذكر القلب، واعلم أنه أول الطريق، ومبدؤه ذكر اللسان، ثم ذكر القلب تكلفاً، ثم ذكر القلب طبعاً، ثم استيلاء المذكور على القلب طبعاً، وإنما الهدى بعده، أعني هدى الله.

آراؤه في الفتوة

قال العارفون: الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان، وقالوا أيضاً: الفتوة أن لا ترى لنفسك فضلاً على غيرك، والمروءة شعبة من الفتوة.

آراؤه في الفراسة

أصل الفراسة قوة الإيمان، وفي الحديث: « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ، قال العارفون: الفراسة سواطع أنوار الغيب في القلوب وتمكين معرفة لمعاني السرائر من غيب إلى غيب، حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق إياها.

قال بعض العارفين: من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وتعود أكل الحلال لم تخطئ فراسته[١].

آراؤه في **الخلق الحسن**

أن تحسن إلى من يؤذيك وترحم خلق الله حتى عدوك، وأقل مراتب حسن الخلق احتمال الأذى، وحسن الخلق نصف الإيمان.

آراؤه في **الجود والسخاء**

السخاء عند العارفين هو المرتبة الأولى، ثم الجود بعده، ثم الإيثار، فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء، ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه الأقل فهو صاحب جود، ومن أعطى جميع ماله وصبر على الجوع فهو صاحب إيثار.

(١) « الكواكب الدرية » ص٤٥.

آراؤه في الغيرة

الغيرة في العبد للحق هو أن لا يجعل شيئاً من أحواله وأنفاسه لغير الحق سبحانه وتعالى.

وإذا وصف الحق سبحانه بالغيرة فمعناه لا يرضى بمشاركة الغير معه فيما هو حق له من طاعة عبده.

آراؤه في الولاية

علامة الولي ثلاثة أشياء: شغله بالله ، وفراره إلى الله ، وهمّه بالله.

آراؤه في الدعاء

قال صلى الله عليه وسلم: « الدعاء مخ العبادة » ، والدعاء إظهار فقه العبودية.

وطائفة قالوا بالسكوت والجمود تحت جريان الحكم ثم الرضى بما سبق من اختيار الحق سبحانه وتعالى أولى.

آراؤه في الفقر

الفقر شعار الأولياء وحلية الأصفياء واختيار الحق سبحانه وتعالى لخواصه من الأنبياء والأتقياء والفقراء، صفوة عباده ومواضع أسراره.

وقال العارفون: تكلم الناس في الفقر والغنى أيهما أفضل؟ فجملة من العارفين قالوا: الأفضل أن يعطى الرجل كفايته ثم يصان فيه.

آراؤه في التصوف

الصوفي منسوب إلى الصوف، أعني لابس الصوف، والمراد به الآن الجماعة المعروفة بالتعبد والمشتغلة بتصفية القلوب، وحقيقة التصوف أن يميتك الحق عنك ويحيِيك به، وعند العارفين: التصوف الدخول في كل خلُقٍ سِني والخروج من كل خلق دِني، وعلامة الصوفي الكبير أن يكون كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح.

آراؤه في الآداب

حقيقة الآداب اجتماع خصال الخير، فالأديب الذي اجتمعت فيه خصال الخير، والعبد بطاعته يصل إلى الجنة وبأدبه في طاعته يصل إلى الله.

قال بعض العارفين: أدب أهل الدنيا في الفصاحة والبلاغة بحفظ العلوم وأسماء الملوك وأشعار العرب.

وأدب أهل الآخرة في رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظها عن الشهوات.

وأدب أهل الخصوصية في طهارة القلوب، ومراعاة الأسرار، والوفاء بالعهود، وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر، وحسن الأدب في مواقف الطلب، وأوقات الحضور في مقامات القرب.

آراؤه في السفر

السفر على قسمين: سفر البدن: وهو الانتقال من بقعة إلى بقعة.
وسفر القلب: وهو الارتقاء من صفة إلى صفة.

آراؤه في الصحبة

الصحبة على ثلاثة أقسام: صحبة من فوقك، وهي في الحقيقـة سلامة، وصحبة من دونك، وهي تقضي علـى المتبـوع الإيثـار والشفقة والفتوة.

آراؤه في الأحوال عند الموت

بعضهم الغالب عليه الهيبة، وبعضهم الغالب عليه الرجاء، ومنهم من كشف له في تلك الحالة ما أوجب له السكون وجميل الشفقة.

آراؤه في المعرفة

العارف من عرف الحق سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله في معاملاته، ثم تنقى من أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه، فحظي من الله بجميع إقباله وصدق الله في جميع أحواله، وانقطع عن هواجس نفسه، فلا يصغي بقلبـه إلى خاطر يدعوه إلى غيره، فإذا صار عن الخلق أجنبيا وعن آفات نفسه بريئا وعن المساكنات والملاحظات نقيا، ودام في السر مع الله تعالى مناجاته، وحق في كل لحظة إليه رجوعه فصار محدثاً من قبل الحق

سبحانه، بتعريف مناجاته وأسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره؛ سمي عند ذلك عارفاً، وتسمى حالته معرفة ، قال ذو النون رحمـه الله: علامة العارف ثلاثة:

١- لا يطفئ نور معرفته نور ورعه.

٢- ولا يعتقد باطناً من الشريعة والعلم بما ينقص عليه ظاهراً من الحكمة، أي: لا شيء يخالف الشريعة.

٣- ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارم الله.

آراؤه في المحبة

المحبة تكون من الله للعبد، وقد تكون من العبد لله، فأما محبة الله تعالى للعبد ففي إرادته لإنعامٍ مخصوص، وأما محبة العبد لله تعـالى فحالة يجدها من قلبه تلْطُف عن العبارة، وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم وإيثار رضاه وقلّة الصبر عنه والاحتياج إليه، وعدم الفـرار منه ووجود الاستئناس بدوام ذكره بقلبه، والشوق أزيد من المحبة، والاشتياق أزيد من الشوق، والشوق اهتياج القلـوب إلى لقـاء المحبوب، وهو -أي الشوق- يسكن باللقاء والرؤية، والاشتياق لا يزول باللقاء.

آراؤه في حفظ قلوب المشايخ

لازم على المريد حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم، وعلى المريد حفظ قلب شيخه وترك الاعتراض عليه، وحمله أفعاله وأقواله على وجه جميل، فمن صحب شيخا ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة، قال العارفون: من قال لأستاذه وشيخه: (لِـم ؟) لم يفلح.

آراؤه في كرامات الأولياء

ظهور كرامات الأولياء جائز، فلا شيء يمنع من جوازه، وظهور الكرامات على أمته صدق، ولا تكون الكرامات لجميع الأوليـاء، ومن كان فيه أوصاف الأولياء ولم تظهر منه كرامة لم يقـدح في ولايته، فالأولياء مختلفون في ظهورها، وأكثرهم يخفو ا، وبعضـهم يظهرو ا، ليظهر صدقهم وتصان طريقتهم، ليقتدوا م ويتوبوا من المعاصي ببركتهم.

آراؤه في وصايا العارفين للمريدين

ينبغي للمريد أن يحصل شيئا من العلوم من كتب الفقه مثل «التنبيه» لأبي إسحاق ومنهاج النووي، ومن كتب السلوك كتب الغزالي كـ«منهاج العابدين» و«الأربعين الأصل» و«إحياء علوم الدين» و«نشر المحاسن» أو «الإرشاد» لليافعي، ليصح به اعتقاده وعبادته ويقلد أحدا من الفقهاء في الفقه من أصحاب الشافعي من الأئمة المذكورين، وليترك الرخص إلا عند الضرورة، وليقلد شيخا في سلوك طريق الجنة، وليعرض على شيخه ما يجري في خاطره وما يرى في نومه ليميز له الخاطر الرحماني من الخاطر الشيطاني، ويشرح له المقامات وعلومها والعمل بما فيها.

آراؤه في اللباس

اعلم أن اجتهادهم في اللباس مختلف، فمنهم من يلبس ما يجد من غير تكلف، ويأمر المريدين أيضا أن يلبسوا ما يجدونه. ومنهم من يكره أكثر من ثوب واحد، ومنهم من يجيز ثوبين للاحتياط للطهارة، أي: إذا تنجس ثوب لبس الآخر.

آراؤه في السماع

اعلم أن سماع الأشعار بالألحان الطيبة النغم وللتلذذ إذا لم يسمع محظورا ولم يسمع على مذموم في الشرع مبـاح في الجملـة، ولا خلاف أن الأشعار أنشدت بين يدي النبي صلى الله عليه وسـلم، وأنه سمعها ولم ينكر عليهم في إنشادها.

وفيه تصانيف للعلماء كثيرة، وقال الإمام حجة الإسلام أبوحامد محمد بن محمد الغزالي في كتاب « إحياء علوم الـدين » في آخـر كتاب السماع والوجد: إن السماع قد يكون حراماً محضاً، وقـد يكون مباحاً، وقد يكون مستحباً، وقد يكون مكروهاً.

أما الحرام فهو لأكثر الناس من الشبان، ومن غلبت عليه شـهوة الدنيا فلا يحرك السماع إلا ما هو الغالب على قلوم من الصفات المذمومة.

وأما المكروه فهو لمن لا ينـزله على صورة المخلـوقين ولكـن يتخذه عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو.

وأما المباح فهو لمن لا حظ له من التلذذ بالصوت الحسن.

وأما المستحب فهو لمن غلبت عليه محبة الله تعـالى ولم يحـرك السماع منه إلا الصفات المحمودة.

بعض من وصايا ومكاتبات الإمام العيدروس

جمع السيد الشريف عيدروس بن حسين بن أحمد العيدروس نبذا هامة في كتابه « الكواكب الدرية » من وصايا ومكاتبات سيدنا الإمام العيدروس، وا ال هنا لا يتسع لنقل كافة ما كتب وجمع منها، وإنما نكتفي بأخذ لوامع منها على سبيل الاستفادة، وخاصة أن محور مواضيع الوصايا والمكاتبات يدور حول سير المريد إلى الله ووسائل الوصول من طريق ا اهدة.

تعريف بالسلوك

السلوك دخول الخلوة بالعلم والعمل، وهو قراءة « التنبيه » والعمل بما فيه وقراءة « الدرر » و« الأربعين الأصل » للغزالي، والعمل بما فيه على قدر الطاقة والإمكان، وإلاّ قراءة ربع « التنبيه » لأبي إسحاق والعمل بما فيه، وقراءة « بداية الهداية » والعمل بما فيها على قدر الطاقة والإمكان.

وبعد ذلك يدخل الخلوة بإشارة شيخ عارف بصير عالم عاقل ناقل يعرف السلوك والوصل، ويعرف من الشريعة والطريقة والحقيقة ما قسم له.

والشريعة والطريقة والحقيقة واحد كما قال العلماء: الشريعة كاللبن، والطريقة كالزبد، والحقيقة كالسمن[1] .

فليزين الطالب ظاهره بلباس الشريعة حتى يقع نور ظاهره -أي الشرع- في قلبه ويزيل عن قلبه الظلمة الطبيعية، ويمكن للطريقة النزول في قلبه، والطريقة العمل الصالح والأخذ بالتقوى والعزلة والجوع والصمت والذكر والسهر والوضوء بعد الفروض وقطع منازل ومقامات.

والعارفون مختلفون، فكل شيخ وضع «طريقة» -أي: في التسليك- عما هو عليه من الحال والمقام، فبعضهم وضع طريقة الجلوس مع الناس وتربيتهم، وبعضهم اختار طريقة الوحدة، وبعضهم طريقه كثرة الأوراد من صوم وصلاة وغيرها من الطاعات، وبعضهم طريقته خدمة الناس وحمل الحطب والحشيش على ظهره ويبيعه في السوق ويتصدق بثمنه، وبعضهم طريقه اختيار ما اتفق له في جميع الأحوال فيلبس ما وجد ويأكل ما وجد وهكذا.

---

(١) المصدر السابق ص٦٠ .

وأما « الحقيقة » فهي الوصول إلى المقصد ومشاهدة نور التجلي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لحارثة: لكل حق حقيقة فمـا حقيقة إيمانك؟ فأجاب: عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عنـدي حجرها ومدرها وذهبها وفضتها، وأظمات اري وأسهرت ليلي.. الحديث، فتمسكه بدين الله وقيامه بأمر شريعته وأخذه بـالأحوط والعزيمة بسهره وعزف نفسه عن المشتهبات طريقة، وانكشافه عن أحوال الآخرة حقيقةٌ[1] .

تعريف بخلوة الأربعينية

ليس مطلوب القوم العارفين من الأربعـين شـيئاً مخصوصـاً لا يطلبونه في غيرها؛ لكن لما وقفوا على كتاب الله وحديث رسـول الله وقد خص الله الأربعين بالذكر في قصة موسى عليـه السـلام: وواعدنا موسى ثلاثين ليلةً وأتممناها بعشرٍ فتم مِيقات ربِهِ أربعين ليلةً وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من أخلص للهِ أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمةِ من قَلْبِهِ على لسانِه » ؛ أحبوا

(١) المصدر السابق ص٦٢.

تقييد الوقت بالأربعين رجاء أن ينسحب حكم الأربعين على جميع زما م، فيكونون في جميع أوقا م كهيئتهم في الأربعين.

ويلوح في الأربعين للعارفين والمشايخ المحققين سر، ومعنى سـر ذلك أن الله أمر بتكوين آدم من ترابٍ فخمر طينة آدم بيده أربعين صباحاً، وفي هذا الباب استطراد واسـع لم نـذكره هنـا طلبـاً للاختصار[1].

وقد غلط في طريق الخلوة والأربعينية قوم وحرفوا الكلام عـن مواضعه، ودخل عليهم الشيطان وفتح لهم باب الغرور، ودخلـوا الخلوة على غير صراط مستقيم، وعلى قصد ذميم، والسبب أ ـم سمعوا أن المشايخ والصوفية كانت لهم خلوات وظهرت لهم وقـائع وكشوفات بغرائب وعجائب فيه، فدخلوا الخلوة لطلـب ذلـك، وهذا عين الاعتلال، ومن دخل الخلوة معتلا في خلوته ضعفت عليه الفتوحات والمنامات الصادقات[2].

---

(١) المصدر السابق ص٦٦.

(٢) حذفنا جملاً وعباراتٍ تفصيلية للموضوع، المصدر السابق ص٦٨.

والدواء كله في متابعة الشرع في جميـع معاملاتـه وحركاتـه وسكناته وفي جميع أحواله في نيته واعتقاده[1].

كيفية الدخول في الأربعينية

روي أن داود عليه السلام لما ابتِلي بالذنب خر ساجداً أربعـين يوماً وليلة حتى أتاه الغفران من الرحمن، وقد أجمع العارفون وجميع العلماء والصوفية أن الوحدة والعزلة مِلاك الأمر ومتمسك أربـاب الصدق، فمن استمرت أوقاته على ذلك فجميع عمره خلوة، وهي السلامة العظمى في دينه، وإن لم يتيسر له ذلك وكان مبتلى بنفسه أولاً ثم بالأهل ثم بالأولاد فليجعل لنفسه من ذلك نصيباً، كما قيل: ما أخلص عبد لله تعالى أربعين صباحاً إلا أنبت اللهُ الحكمة في قلبه وزهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره داء الدنيا ودواءها[2].

ومن شرائط الخلوة أن يكون في خلوته جاعلاً وقته شيئا واحـدا موهوبا لله تعالى بإدامة فعل الرضى، إما تلاوة أو ذكر أو صلاة أو

(١) المصدر السابق ص ٦٩.

(٢) المصدر السابق ص٧٦ ، وفي الباب إضافات حذفت، وهي خاصة بمراتب الدخول للأربعينية إذا أراد.

مراقبة، فإذا فتر عن ذلك ينام ويلازم في خلوته إدامة الوضوء، ولا ينام إلا من ضرورة أو غلبة، وإذا كان ذاكر الله بكلمة « لا إله إلا الله » وسأم الذكر باللسان يقولها بقلبه ويمدها مع النظر إلى قِدم الحق، فأثبته وأبطِلْ ما سواه.

وأما قوت من يدخل الأربعينية والخلوة فالأولى أن يقنع بالخبز والملح، ويتناول كل ليلة رطلا واحدا يتناوله بعد العِشاء، وإن قسمه نصفين نصفا يفطر عليه ونصفا آخر الليل، وإحياؤه بالذكر والصلاة، وإن لم يصبر على ترك الإدام تناول الإدام، وإن كان الإدام يقوم مقام الخبز ينقص من الخبز بقدر ذلك، وإن أراد التقليل يزن قوته بنوى –أي: بحجم- دقل خفيف، وينقص كل ليلة حبة من نوى ذلك التمر[1].

وقد اتفق جميع مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء: قلة الطعام، وقلة المنام، وقلة الكلام، واعتزال الأنام.

(١) وفي الباب إضافات وتفصيلات هامة لأهل ذلك المقام. المصدر السابق ص٧٩ - ٨٠.

وقد قيل للسيد الجليل سهل بن عبدالله: أين يذهب الجـوع في حق من يأكل في الأربعين أكله، قال: يطفئه النور. وقـال غـيره: الفرح بالله يطفئ لهب الجوع.

ومن وصاياه

لا تحسب السعادات والشقاوات والمنازل والدرجات بمدح الخلق وذمهم، بل المنازل والدرجات بمدح الله عز وجل وكتابه العزيـز، والبعد والشقاوات بذمه في كتابه أيضاً، وكذلك بمـدح الرسـول صلى الله عليه وسلم في الأحاديث النبوية، وذمه أيضا في أحاديث، ومدح الأولياء وذمهم في آثارهم وأقوالهم، فـلا تسـمع أقـوال المتكلمين بل اسمع كلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وأوليائه فقط.

ومن وصاياه

لا تثق بصداقة المتعلقين وثق بصداقة الصادقين، واقبل العذر مـن المعتذرين كما قال بعضهم:

اِقْبلْ معاذير من يأتيك معتـذراً   إنْ بر عندك فيما قال أو فَجـرا

فقد أطاعك من يرضيك ظاهره   وقد أحبك من يعصِيك مستترا

ومن وصاياه

اتخّـذِ الناس جميعا أصدقاء ولا تعادِ أحداً، والناس ثلاثة أصناف: محبين، ومتوسطين، ومناكرين. أما المحبون فمود م سـيادة. وأمـا المتوسطون فصداقتهم معاونة. وأما المنكرون فكفايتهم واحتمـال أذاهم ومدارا م أنفع.

ومن وصاياه

لا تكثر مخالطة النساء المحظورات ولو على صدق نية.

ومن وصاياه

أحسِن إلى من أساء إليك تجد خير الدنيا والآخرة، واقتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وآل بيته وأوليائـه العـارفين، والدليل في ذلك قوله عز وجل: خذِ العفْو وأْمر بالعرفِ وأعِرض عن الجاهلين .

ومن وصاياه

كن أنصح الناس للناس خاصهم وعامهم تكن عندهم أعز الناس.

ومن وصاياه

ستر جميع العيوب والشرور في الصمت عن جميع الشرور.

ومن وصاياه

عليك بحسن الظن في كتاب الله العزيز وفي رحمة الله تعالى وفضله وعفوه وغفرانه وتجاوزه وستره ولطفه ورأفته وصبره على خلقه وحلمه وإحسانه.

ثم عليك بحسن الظن والمتابعة لنبيه صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وصحابته.

وعليك بحسن الظن في أولياء الله خاصة وعامة، ولا تغرك كثرة الآراء والخلاف من حيث حب الدنيا والمحاسدات، فإن كل مسلمٍ ولي فكيف أهل الخصوص؟ وعليك بسلامة الصدر من الشرور، وعلامة الشرور الإصرار على الغيبة والبغي والحقد والحسد والكبر

واتباع شهوة الفرج وإفراط الغضب والبخل وسوء الظن مع الكبر والازدراء.

ومن وصاياه

عليك بالصمت، من أراد السلامة في جميع الأحـوال في الـدين والدنيا والآخرة فعليه بالصمت إلا فيما لابد منه، فجمال العقـلاء الصمت والصدق. وباطنه وسره وعلنه ولبه كتمـان الأسـرار في الدين والدنيا، وما فضل بني آدم إلا بالعقل[1].

ومن وصاياه

لا تجادل أهل الحقد والمحاسدات ولا تطمع في رضاهم أصـلاً، فإدراك رضاهم مستحيل.

ومن وصاياه

لا تطمع في محبة أهل الجاهات والرياسات والمحاسدات خصوصاً إذا كانت العقول ضعيفة ولا يعرفـون العلـوم والمعقـولات ولا

(١) المصدر السابق ص ٨٣ ، وفي العقل زيادة استطراد.

يطالعون كتب العلم النافعة كالكتب الغزاليات، فإ م إذا كانوا ذا الوصف يغلب عليهم الصفات البهيميات، والصفات السـبعيات، والصفات الشيطانيات، والصفات المعجونة في الطينـة في ابتـداء الصور الآدميات، ذلك تقدير العزيز العليم.

مقولاته في كتاب « إحياء علوم الدين »

آداب الشريعة ولبابها وآداب الطريقة ولب لبا ا ومعرفة الحقيقة وأثمارها ولب لباب ايتها مشروح في « الإحياء » ، بل جميع العلوم ظاهرها وباطنها في طي مطوي أسرارها ، وهي أعجوبة الزمان عند الصوفية والفقهاء.

ما يطالع « الإحياء » إلاّ سعيد ولا يهجرها إلاّ شـقي مطـرود اختار الدنيا على الآخرة والشهوات علـى العبـادات والـذنوب والعيوب على ما يقربه إلى عـلاّم الغيـوب، واختـار البلـوات والظلمات على الأنوار والأذكار والتلاوة[1].

وفي مكاتبة لبعض مريديه كتب ما مثاله: ولكن أشـير عليـك بقراءة ربع «التنبيه» و« بداية الهداية » والعبادة، أعني العلـم النـافع

---

(١) المصدر السابق ص٧٦.

الذي يخوفك من الله ويزهدك في الدنيا ويرغبك في الآخرة ويبصرك بعيوب نفسك، وهو علم الغزالي، أعني: ما في « إحياء علوم الدين » وما أشبهها من الكتب[1].

وفي وصية أخرى قال: وبعد فليس لنا وللأولين والآخرين من جماهير العلماء بالله والعلماء بأمر الله، ونحن يا بقية الناس والمسلمين والسالكين والزاهدين -أي العارفين- ما لنا طريق ومذهب ومنهاج وصراط سوى الكتاب والسنة، وأعني بالكتاب القرآن، وبالسنة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووارث الشريعة إمام الشافعية، سيد المصنفين السالك طريق سيد المرسلين، وإمام المجتهدين بل إمام المحدثين، بل إمام العلماء المتقين بل إمام الزاهدين، بل إمام الفقهاء بل إمام العارفين المحققين، محيي الدين محمد بن محمد بن محمد الغزالي في كتابه الملقب « أعجوبة الزمان » ، الذي هو تفسير الكتاب والسنة، بل هو الحقيقة، بل هو الطريقة، بل هو المحجة البيضاء والمنهاج الأسنى، بل هو موضع رضا الله، بل هو موضع نظر الله، بل من أحبه وطالعه وعمل به فقد استوجب محبة الله ومحبة رسوله ومحبة ملائكته وأنبيائه ورسله وأوليائه، بل جمع بين

---

(١) المصدر السابق ص٩٥.

الشريعة والحقيقة في الدنيا والآخرة وصار عالما في الملك والملكوت مذكورا في كلا العالمين، بل لو مثلاً أحيا الله الموتى لمـا أوصـوا الأحياء إلا بما في « الإحياء » يقيناً تحقيقاً، بل جمع العلماء والعقلاء محققون أن رضى الله في كتاب « الإحياء » ظاهرا وباطناً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ومحبة « إحياء علوم الدين » ومطالعته تحضر القلـب الغافـل في لحظة كحضور سواد الحبر بوقوع الزاج في العفص والماء، فكيـف والعمل بما فيه يوصلك إلى مطلوبك في الدارين، وتأثير كتب الغزالي تقربك لمحبة الكتاب والسنة ولمحبة الصحابة ولمحبة التـابعين ولمحبـة الشافعي ولمحبة العلماء بالله والصوفية ولمحبة الفقهاء العاملين الزاهدين ولمحبة مشايخك ولمحبة قرابتك وعلماء جهتـك ولأوائـل العلمـاء الزاهدين وأجدادك العابدين، وبمحبته تحب الصالحين وتحسن الظن بساير المؤمنين والمسلمين، وبمحبة كتبه تحـب التـابعين وتـبغض الظالمين وتشفق على سائر المؤمنين، بل تحصل بمحبته معرفة عيوبك وتبغض دنياك وترغب في آخرتك وتتواضع لإخوانك وتضـمحل

دعواك وكذبك ورياؤك وعجبك وجهلك بنفسك[1]. انتهى كلامه ووصاياه.

وكفى أنه قد ألف في « الإحياء » رسالة سماها « البخبخة » وهي إشارة كافية إلى اهتمام الشيخ العيدروس بهذا الكتاب وتحريك همم الطلاب والمريدين باقتنائه ومطالعته والعمل بما فيه، بل صار منـذ عهد الامام العيدروس منهج السلوك الراقي، لكافـة الـراغبين في صعود المراقي، إضافة إلى بقية كتب الغزالي الأخرى كـ« البداية » و«الأربعين الأصل» وغيرها.

آثاره الإعمارية والإصلاحية وإنفاقه في وجوه الخير

كان الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس متربعاً على منصة العلم والعمل والإصلاح والبناء العلمي والعملي مدة حياتـه كلـها في حضرموت ساحلها وداخلها.

وكان أخوه الشيخ علي قائما على نيابة الأوقاف والمساجد وما إليها من شؤون العلويين كما كان إذ ذاك مؤلف العصر ومؤرخـه

(١) المصدر السابق ص١١٠-١١١ .

وأديبه، وهو مع ذلك يمثل الشريعة كما أن أخاه العيدروس يمثـل الحقيقة، و ذا قد اقتسما وراثة عمهما الإمام عمر المحضار[1].

وقد انتظم للإمام العيدروس مالم ينتظم لغيره من اجتماع الرئاسة الدينية والإصلاحية والدعوة إلى الله، ولذلك قلما يتوجه في وجـه من وجوه الإصلاح إلاّ ويصحبه التوفيق والنجاح، لنفوذ كلمتـه وقبول جاهه واجتماع الناس على إجلاله.

وكان مثالاً عالياً في الجود والسخاء وإكرام الضيوف وإسـعاف الفقراء وبناء المساجد والمدارس، قال عنه صاحب « المشـرع » : ينفق إنفاق من لم يخش الفقر، وكان له نصـيب مـن الاهتمـام بالأسباب والعمل الدنيوي، فلم يهمل الزراعة بل قام ا وخاصـة في أرضه المعروفة بصوح، ناحية بلدة بور، وقد ألجأه عدم وجـود البذر الكافي في شرق حضرموت، إلى أن بعث الشيخ عبدالله بـن عبدالرحمن باوزير إلى قيدون ناحية دوعن ليأتيه بالبذر الرماد مـن هناك.

---

(١) نقلاً عن « تاريخ حضرموت » للحامد بتصرف طفيف ص٧٦١.

وللإمام العيدروس مؤلفات مفيدة منها « الكبريت الأحمـر » ، وهو أشهرها، وله شرح على قصيدة العارف بالله الشـيخ سـعيد بالحاف، كما ألف كتاباً في مناقب شيخه سعد بن علي مذحج.

وله رسائل ووصايا وعبارات فخرية وفقرية ذات فوائـد جمـة، اعتنى ا صاحب كتاب « الكواكب الدرية في مناقـب السـادة العلوية » ، وكان يروى عنه قوله: هل من مبارز في جميع العلـوم؟ ويقول: لو شئت أن أصنف على حرف الألف مئة مجلد لفعلـت. وقد جمع بعض تلامذته كلامه في مجموع ، مخطوط.

ولعل من أهم ما رسمه الإمام العيدروس من آثاره تثبيت الطريقة العلوية وترسيخ قواعدها ومزجها بالقواعد الصوفية العالميـة مـن حيثيات « سلوك المريدين وتربيتهم » ، ولهذا صار القائلون من بعده يقولون: طريقتنا في الظاهر غزالية وفي الباطن شاذلية.

والمقصود بذلك أن اختيار الشيوخ لكتب الإمام الغزالي صارت منهجا عمليا في التربية والتنشئة، وأما العلاقات الروحية الباطنة فهي على أساس المنهج الصوفي الشاذلي في الأذكار والحزوب والأوراد.

وقد تناولت كتب التراجم الإسهاب حول تفاصيل حياته وأعماله ومقاماته التي بلغ إليها في الولاية ومراتب القرب من الله، وأطنـب

الشعراء في مديحه وذكر مناقبه، ومنهم الفقيه المقرئ المحدث اللغوي جمال الدين محمد بن أحمد باقشير، له في الإمام العيدروس قصـائد طنانة منها قصيدته اللامية، وهي قصيدة مطولة نكتفي فيها بإشارة لطيفة من أبياته:

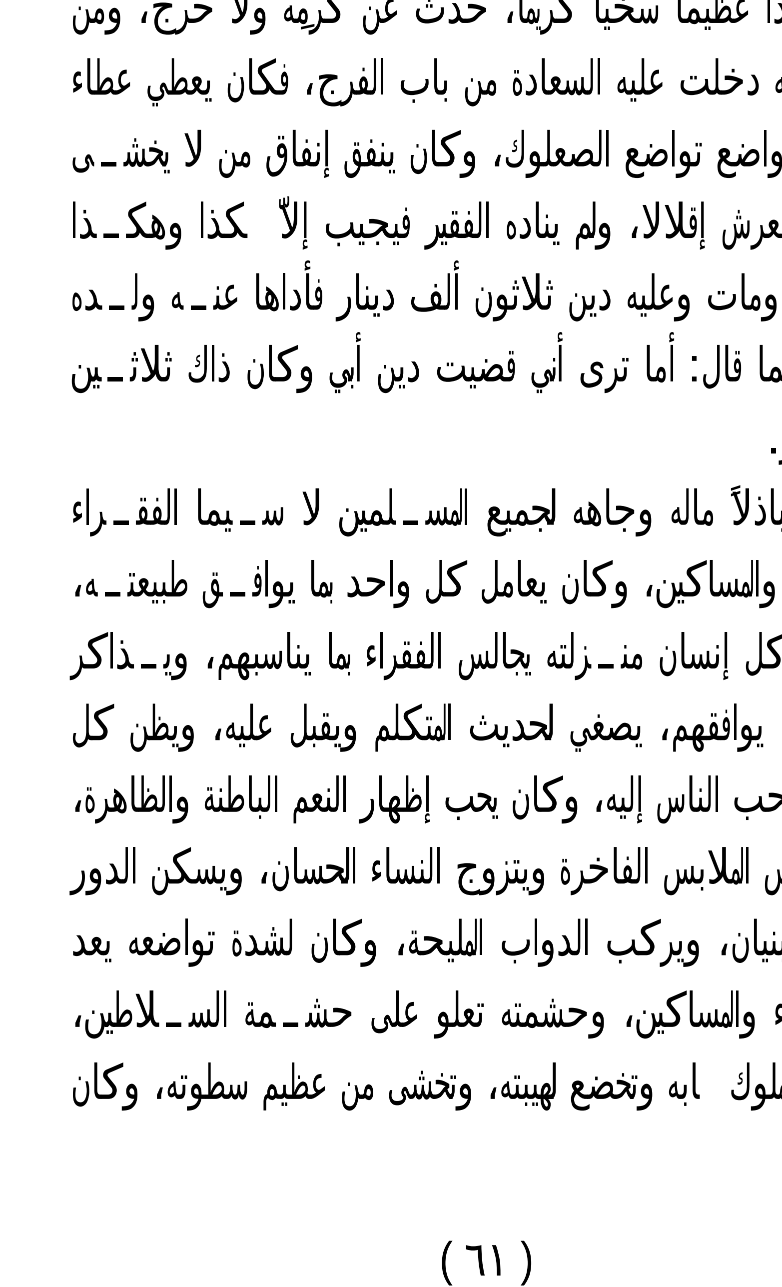
إلى سيدٍ حلْوِ الشمائل طـاهرٍ ... له منصِب فوق المناصبِ يعتلي
جلِيلٌ جميلٌ سيد وابـن سـيدٍ ... مثِيلٌ فَضِيلٌ تاج كُـل مفَضـلِ
شمَائِلُه الإحسانُ والجود والوفـا ... وأخلاقُه القرآنُ يا لك مِن ولِي
له الحكم شأنٌ والشريعةُ مشرع ... وعِلْم الهدى فَن ومحبوبه العلِـي
له كُل قَلْبٍ بالولايـةِ شـاهِد ... وكُل فؤادٍ من محبتِـهِ ملِـي
له لُطْف صِديقٍ وهيبةُ فـاروقٍ ... وحِشمةُ عثْمانٍ وعِلْم الفَتى علِي[1]

وصف التراجم لحاله ومقامه

أطنب المترجم في ذكر أحواله وأخباره وصفاته، قال صـاحب «الكواكب الدرية» عنه:

---

(١) «الكواكب الدرية» ص ١٥٧.



كان جواداً عظيماً سخياً كريماً، حدثْ عن كَرِمِه ولا حرج، ومن لاذ بأعتابه دخلت عليه السعادة من باب الفرج، فكان يعطي عطاء الملوك ويتواضع تواضع الصعلوك، وكان ينفق إنفاق من لا يخشـى من ذي العرش إقلالا، ولم يناده الفقير فيجيب إلاّ كذا وهكـذا وإلاّ فلا، ومات وعليه دين ثلاثون ألف دينار فأداها عنـه ولـده أبوبكر كما قال: أما ترى أني قضيت دين أبي وكان ذاك ثلاثـين ألف دينار.

وكان باذلاً ماله وجاهه لجميع المسـلمين لا سـيما الفقـراء والضعفاء والمساكين، وكان يعامل كل واحد بما يوافـق طبيعتـه، وينـزل كل إنسان منـزلته يجالس الفقراء بما يناسبهم، ويـذاكر الفقهاء بما يوافقهم، يصغي لحديث المتكلم ويقبل عليه، ويظن كل أحد أنه أحب الناس إليه، وكان يحب إظهار النعم الباطنة والظاهرة، فكان يلبس الملابس الفاخرة ويتزوج النساء الحسان، ويسكن الدور المشيدة البنيان، ويركب الدواب المليحة، وكان لشدة تواضعه يعد من الفقراء والمساكين، وحشمته تعلو على حشـمة السـلاطين، وكانت الملوك ابه وتخضع لهيبته، وتخشى من عظيم سطوته، وكان

مع ذلك يداريهم ويحسن الكلام لديهم، بل ربما عظم بعضهم قاصداً قضاء حوائج المسلمين وإصلاح ذات البين.

وكان يقول لأتباعه: خصلتان نفعلها ونحذر أتباعنا منها: السماع ومخالطة الولاة. وكان في أول أمره يكره السماع، ولما توالت عليه المنازلات وتواترت لديه الواردات صار يحضر السماع[1].

وكتب عنه صاحب « المشرع »:

الشهير بالعيدروس أبو محمد حامل لواء العارفين، ومقيم علوم المحققين، مبدي علوم الحقيقة بعد خبو أنوارها، ومبين معالم الطريقة بعد خفاء آثارها، ومظهر عوارف المعارف بعد خفائها، فرع روحة العظمة والجلالة وروضة العلم التي سقاها الفيض الإلهي، سلسبيل الفضل وسلساله، الإمام المقدم على التحقيق، من باسمه تنشرح الصدور وتحيا النفوس، وبرسمه تفتخر المحابر و تتز الطروس، ولسماعه تخشع الأصوات وتخضع الرؤوس[2].

وكتب عنه صاحب « الغرر » ص٢٠٢:

(١) المصدر السابق ص١٦٥ - ١٦٧ .

(٢) « المشرع الروي » (٢: ٣٤٢).

الشيخ الكبير العارف بالله الشهير العالم العامل الإمـام الفاضـل القدوة الكامل السالك الواصل الجامع بين العلمين الظاهر والباطن الحاوي محاسن الفضائل المتجنب للرذائل، له اليد الطولى في العلـم اللدني والباع الطويل في فنون العلم الرباني، وله تقوى الله مذهب، محلى بالعلم ومتوج بالعمل، فتجلت له المعاني في أشرف الحلل إلخ..

قال فيه الشواف في ((قصعة العسل)) :

فـيهم معربـد مشـهور	العيـدروس المـذكور
ذي عـلا فـوق الطـور	حـتى يناجيـه الله
معطـى مـن الله السـر	فان شـاف شـي دامـر
يرحمـه وامسـى عـامر	صـالح وثابـت لله
له نـور يملـي الافجـاج	سـلطان صـيته زعـاج
ألبسـه باريـه التـاج	واكليـل مـن نـور الله
العيـدروس الموصـوف	قطـب الزمـان المعـروف
بكـل قطـب مشـغوف	محبوب هو مـن عنـد الله
بخ بخ لشـيخ السـادات	تضـرب لـه الخانـات
وفي المعـالي رايـات	بيضـاء تـلالي والله

وفاته

ذكرت كتب التراجم أن الإمام العيدروس كان يتعهد السفر إلى بلاد الساحل حينا بعد حين، ولما دنا أجله تجهز للسفر إلى الشحر وأوصى أصحابه وأحبابه، وقطع ما بينه وبين الناس وألبس ولـده أبابكر العدني وحكمه وأجلسه مجلسه ونصبه شيخاً، وقال لـبعض أولاده: لن نلتقي في هذه الدار، وبلغ مدينة الشحر على عشرة أيام لأنه كان يقيم بكل قرية مدة من الزمن تطييبا لخواطر أهلها، وقابله أهل الشحر بكل إجلال واحترام كعادتهم، وأقـام بينـهم شـهرا وبضعة أيام، وكان من عادته أن يقيم بها ليلتي الاثـنين والخمـيس «حضرة الذكر» يحضرها الخاص والعام، فيتكلم على الجميع ويلقي عليهم من علومه وفهومه كل عجيب وغريب.

ثم إنه توجه راجعاً من الشحر لأربع خلون من رمضـان، ولمـا وصل بلدة عرف مرض بها فأقام يومين ثم ركب بغلته ورحل، وأمر بالسماع بقصيدة فيها ذكر الشوق والفراق والبعد عن الأوطـان، وكان ذاك آخر سماع له، ولما وصل (حسر السمرة) على الطريـق أقام يومين وهو يعاني من الرمد، وتقدمت القافلة إلى (عبـول) ولم يستطع الإمام العيدروس الركوب فحمل على الأعناق إلى عبول ،

وهناك نصبوا له الخيمة حيث عرجت فيها روحه الزكية قبل الزوال من يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من رمضـان سـنة ٨٦٥هـ ـ وعمره إذ ذاك أربع وخمسون سنة، وعند ذلك حاروا في أمـرهم، ثم اتفقوا على حمله إلى مدينة تريم فحملوه عصراً وساروا به لـيلاً ونهاراً وبلغوا تريم بين العشائين لأربع عشر خلون مـن رمضـان وخسف القمر تلك الليلة، قال الشلّي: وظَن النـاس أن القيامـة قامت، وجهز تلك الليلة وحضر الصلاة عليه خلائق لا يحصـون، وصلى عليه أخوه الشيخ علي بن أبي بكر ولقنه ثم رفع صوته بقوله:

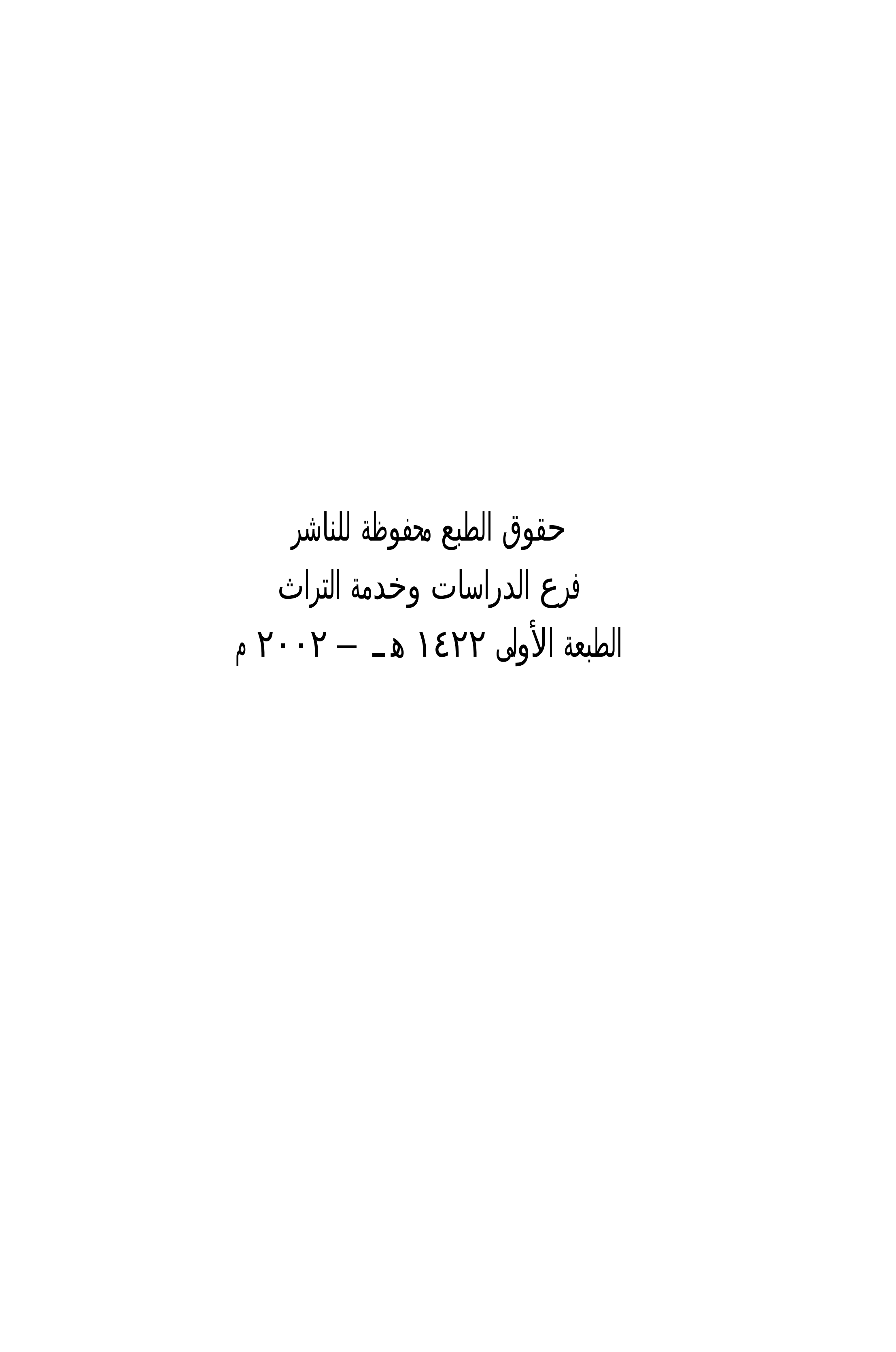
غِبتم فيا وحشةَ الدنيا بفَقْدِكُم فاليوم لا عِوض عنكُم ولا بدلُ

ودفن قبل الفجر بمقبرة زنبل، وقبره معروف وعليه قبة مباركة، رحمه الله رحمة الأبرار، وجمعنا به في دار القرار، آمين.

الفهرس



الشيخ عبدالله باعلوي



فرع الدراسات وخدمة التراث
الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م

الشيخ عبدالله باعلوي
(٦٣٨ - ٧٣١ هـ)
الغلاف الداخلي


بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني..

بسم الله الرحمن الرحيم

ِإنا أَعطَيناك الكَوثَر . فصل ِلربك وانحَر.

ِإن شاِنئَك هو الأَبتر



(٦)

الإهداء..

إلى شيوخي الأَفَاضِل..

بقيةِ السلَف..

وأمثلةِ الطريقِ في الخَلَف..

وإلى أحفادِ الإِمام الشيخ عبدالله باعلوي في مشارق الأرض ومغار ا..

وإلى الراغبين في التعرفِ على نماذجِ ((السفينةِ التي من ركِبها نجا ومن تخلّف عنها هلَك)) ..

المُؤلّف



(٨)

شاهد الحال

كبير شـهير للفضـائل حـائز
فكم قد أتت مِن آيـةٍ ونـوادرِ
شريف منيف هـاشمي ومحسِـن
إلى كُل شخصٍ قائمٍ في الدياجِرِ
ومجتهد حاز الفنـونَ جميعهـا
وجاهـد في ذاتِ الإلـه ببـاترِ
وقدوةِ أهلِ العصرِ فانصر لشأنِهِ
لقد فاق في العليا لكل مصـاِيرِ
وأولُ من سميت في القطرِ شيخه
سمعنا بـذا عـن أولٍ وأواخِـرِ

« الغرر » ص١٤٧



المدخل

الحمد للّه وكفى، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى، وعلى آله الأطهار أولي الرفعة والصدق والوفا، وعلى أصحابه المخلصين في الاتباع والاقتفا، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد فهذا نموذج جديد في سلسلة أعلام حضرموت.. رجلٌ من الرجال الأصفياء الأتقياء الذين اتسعت مشاهدهم علماً وعملا.. وارتقت مداركهم فهماً وذوقاً ونبلا.. وحاز مع شرف نسبه شرف الاتباع قولاً وفعلا..

قيل عنه : إنه أول من سمي بالشيخ في سلسلة السادة بني علوي.. عبد صدق في عهده مع ربه.. في سره وجهره.. وبجوارحه وبقلبه.. فنال مقام القرب والقبول .. بشاهد استجابة المولى لدعائه يوم استغاث به أهل مكة لنزول الغيث، فأنزله اللّه وجاد بالسيول..

تأمل معي دقائق السلوك.. ومعاملة الرجل لـملِكِ الملوك.. لتعرف من هؤلاء الرجال، ولماذا تذكر أخبارهم وتقتفى آثارهم.

إليك أيها القارئ الكريم بعض ما أبرزته وسطرته أقلام الثقات.. وما حفظته بالتواتر ألسنة الرواة عن الرواة.. نقدمه هدية إليك.. وإلى جيل العصر الحائر.. الجيل الذي نسي تاريخ الأئمة الفضلاء.. واشتغل بغشاء الزمان وامتداح الدخلاء.. فورث العقوق.. وأنكر الحقوق.. وظن في الصالحين ظن الإثم.. وكره في كل ما ينسب لهم وإليهم.. فعاش متجردا عن الجذور الثابتة.. ومنفصما بالجوهر والمظهر عن سلوكيات الفئة المخبتة.. يخبط خبط عشواء.. إلى أن يقضي اللّه أمرا كان مفعولا..

هاك هذه الترجمة المختصرة.. فعسى أن نكتب بها من البارين.. وندخلَ بها في مسلك عباد اللّه الصالحين.. في هذه الدنيا ويوم الدين.. آمين .

من هو الشيخ عبداللّه باعلوي ؟

هو الإمام العامل، الجامع بين علمي الظاهر والباطن، والحاوي على حقيقة العلم وسره، وأخلاق الرسالة في سره وجهره، صاحب الصيت الذائع، والكرم الشاسع، والقلب الواسع،

والـمجاهدات الخيرة، والأحوال النيرة الشيخ عبدالله بن علـوي ابن الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي إلى آخر النسب الشريف.

ولد رحمه اللّه في مدينة العلـم والعمل مدينة تريم سنة، وقيل سنة ٦٣٨، وأدرك جده الفقيه المقدم محمد بن علي، وحفظ ا القـرن العظيم، وترعرع على التقوى منذ نعومة أظفاره، ورضع القـرآن وآدابه، وتفاعل معه وبه علـماً وعملاً في كافة أطواره ؛ إذ كان المحيط ينبض بالنور والهدى يعرف فيه الجميـع آبـاءً وأمهـات.. وإخواناً وأخوات.. وشرائح اجتـماعيةً وفئات.. الكل يعرفـون كيف تصرف الأوقات.. وكيف يستفاد من الأنفاس واللحظات..

قال صاحب « المشرع الروي » ص١٨٧ :

وكانت أحواله تنـزع إلى أحوال أبيه وجده، وما سلكها مثـل سلوكه من بعده، فكان في أول سلوكه يأوي إلى الجبال والقفـار، ويجاد نفسه جهاد الأبرار، ويكلفها مشـاق العبـادات، وعـزائم القربات والطاعات، وكان كثير البكاء والعبرات، لاهيا عن المـراء والخصومات، كثير التلاوة لكتاب اللّـه العزيـز، ويـأمر أولاده وأصحابه بكثرة تلاوته .

رحلة الشيخ عبداللّه باعلوي من حضرموت

رحل الشيخ عبداللّه باعلوي في باكورة عمره من حضرموت إلى الحرمين الشريفين، ومكث ما قرابة ثـمانية أعوام، وعبر خـلال رحلته من حضرموت في حواضر اليمن المباركة وقراها ، ومنها ما ذكرته كتب التراجم عن دخوله إلى حاضرة العوالق السفلى مدينة أحور، وكان ا الشيخ العلامة عمر بن محمد بن ميمون التهامي[1]، وهو من تلاميذ الشيخ إسماعيل الحضرمي، وكان متصدرا ا لنشر العلـم والدعوة إلى اللّه، فأخذ عنه الشيخ عبداللّه باعلوي، وأقـام بأحور مدةً من الوقت اختلف المؤرخون في تحديدها .

---

(١) رحل الشيخ عمر ميمون من امة بعد تخرجه بالشيخ إسماعيل الحضرمي إلى مدينة أحور في النصف الثاني من القرن السابع، واستقر ا وأسس حوطتـه الشـهيرة باسمه، وابتنى ا معهداً للتعليم وقصده الطلاب من كل مكان، وكتب إليه الشيخ إسماعيل بما مثاله : كيف آثرت سكنى أحور على امة ؟ فقال له : إن أكثر أهل امة مشاة على أقدامهم، وإني وجدت أحور بلداً تَساقطاً لكثرة ما فيهـا مـن الفواحش، فأرجو أن ينقذ اللّه أحداً منهم على يدي، فكتـب إليـه إسماعيـل الحضرمي : هنيئا لك، فقد ظفرت بما لـم نظفر به، فهدى اللّه به خلقا كثيرا، من أجلهم الشيخ أحمد بن أبي الجعد . انتهى عن «الـمشرع» ص١٢٧، وتوفي الشيخ عمر ميمون بأحور سنة ٦٧٨ ودفن ا .

ومنها رحل إلى عدن، وإلى ائم اليمن، وحيثـما نـزل كـان العلـماء والأولياء والوجهاء يحتفون به ويأخذون عنه ويفيدونـه ويستفيدون منه .

قال صاحب « الغرر » ص١٦٩ : ودخل مدينة تعز، فلازمه أهلها أن يقيم ا، فلـم يجبهم إلى ما طلبوه واعتذر إليهم، فأخذ عـن جملة من أهلها.

استقراره بالحرمين الشريفين

وصل الشيخ عبدالله باعلوي إلى الحرمين الشريفين، واستقر بادئ ذي بدء بمكة مجاوراً لبيت الله الحرام، ومستفيدا من حلقات العلـم التي ارتقى ا إلى أعلى مقام، وقائما بالعمل الصالح ما بـين قيـام وصيام، حتى أظهر الله عليه سر التقوى، وكان أحق ا وأهلـها، وبرز مكنون الحال النوراني واستفاض، واستشعر النـاس الأمـن والبركة من عطاء ذلك الوفاض، فتعلـق بـه الصـغير والكـبير، والـمأمور والأمير، ولـم يختلف في نورانية حاله، وأثـر فعالـه ومقاله، واستجابة الحق لسؤاله، وحنين ابتهاله، وأجرى الله علـى يديه الكرامات، وانفعال الأشياء مع كمال الثبـات، وأُسـقط في

أيدي بعض المتحيرين لـما تحققوا سمـو العطـاء الإلهـي عليـه واجتـماع القلوب عليه، فألقى الخاص والعام عصا التسيار لديه، وأُخذت عنه العلوم والفهوم، واستجازه الجم الغفير من أهل الأقطار والأمصار، ممن لا يحصى عددهم، ولا يستقصى عددهم .

بعض مناقبه وأحواله

ورد في كتب التراجم « كالـمشرع » و« الغرر » و«شرح العينية» وغيرها أن الشيخ عبدالله باعلوي لـما جاور بمكة المكرمة اجتهد في العلوم والأعمال، والـمجاهدات الطـوال، فكـان في شـهر رمضان من كل عام يختـم القرآن في ركعتين يصليهما بعد الإفطار وصلاة المغرب، ثم رحل إلى مدينة زبيد، وكانت إذ ذاك مجمـع العلـماء والفضلاء الفخام، وأخذ ا عن جماعة من علـمائها وسمع منه الكثيرون من فضلائها، فحدثهم ببعض مروياته، وأفادهم ببعض مستنبطاته، ثـم دخل مدينة تعز فأخذ عـن علـمائها وأخذوا عنه ، ولبسوا خرقة التصوف منه[1] ، وكان مـن همتـه

(١) « المشرع » ص١٨٦ .

وسخائه ما ذكره صاحب « الغرر » حيث قال : كـان ينفـق في زمانه على آل أبي علوي الجميع، ويتصدق بصدقات عظيمة، منها صدقته على المسجد المنسوب إليه « مسجد بـاعلوي »، وكـان يسمى من قبل « مسجد بـنـي أحمد » نسبة لذرية الإمام المهاجر إلى اللّه أحمد بن عيسى، تصدق عليه الشيخ عبداللّه باعلوي بأراض وعيون ونخيل بما يساوي ٩٠ ألف دينار، وجعل مصـارفها علـى عمارته وضيافة الواردين إليه، كما عمر سوق تريم وتصدق بأراض أخرى ونخيل على خدمة المقبرة من حفر ودفن وغير ذلك، وتصدق أيضا بأراض تسمى « الواسطة » على ضيوف البلدة .

وكانت الأموال تصل إلى حضرموت من الحرمين الشريفين مـدة إقامته هناك، حتى جرى أمر اللّه على أخيه الشيخ العلامة علي بـن علوي بحضرموت، فكتب إليه أعيان تريم يطلبون منه العـودة إلى تريم. فهيأ نفسه من الحجاز بطريق البر وعبر عـدن، ومنـها إلى المكلا.

وذكرت كتب التراجم أنه في رحلته بين عدن والـمكلا دخـل أحور لحضور جنازة شيخه العلامة محمد ميمون، قـال صـاحب «المشرع الروي» ص١٨٦: ثـم قصد مدينة أحور لزيارة شـيخه

الإمام عمر بن ميمون فوجده قد مات وغسلوه وكفنوه، وكـان الشيخ عمر لـما احتضر طلب أصحابه منه أن يقدم عليهم واحداً منهم يكون خليفته من بعده، فقال لهم: إذا مت غسلوني وكفنوني، وسيقْدم عليكم عند ذلك شيخ صفته كذا وكذا فهو الشيخ بعدي فقدموه في الصلاة علي، فلـما قدم عليهم صاحب الترجمة علـى الصفة المذكورة أخبروه بوصية الشيخ، فتقدم وصلى ـم عليـه وألزموه بالإقامة عندهم ليكون شيخا عليهم، فاعتذر عن ذلـك، ثـم رأى ولد الشيخ عمر أهلا للـمشيخة فحكمه وألبسه الخرقة الشريفة وأقامه شيخا عليهم، وقال له: (أُشدد خواصرك فإني أمرت بتقديمك)، ثـم ارتحل عنهم وقَدِم عين بامعبد .

عودته إلى تريم وتوطنه بها

عاد الشيخ عبدالله باعلوي إلى تريم فاستقبله أهلها ورحبـوا بـه وجعلوا مكانه في الصدارة، واحتفوا به غاية الاحتفاء وتزوج مـن زوجة أخيه المتوفى واسمها فاطمة بنت سعد بالغيث، واعتنى بأولاد أخيه ورباهم أحسن تربية، قال صـاحب « المشـرع » ص١٦٨ : ثـم قدم مدينة تريم فحصل لأهلها بقدومه الفضل الجسيم والسـر

العميم، وانتعشت به البلاد واغتبط به العباد وقابل الناس بوجه يتهلل سرورا، وكلام يملأ الأرض ضياء ونورا .

ثم جلس للتدريس في مذهب إمام الأئمة محمد بن إدريس، ودرس في سلوك الطريقة وتكلم في علوم الحقيقة، ووفد إليه الناس من كل جانب ووسعت أخلاقه الأقارب والأجانب، ونصب المشايخ ورفع قدرهم، وتمثل بين يديه للعلم الجم الغفير، وتخرج به جمع كثير ممن يطول ذكرهم ويتعذر حصرهم .

بعض تلامذته

تخرج بالشيخ عبدالله باعلوي جمع غفير منهم :

١- أولاده الثلاثة علي ومحمد وأحمد .

٢- ابن أخيه محمد مولى الدويلة[١] .

٣- ابن عمه أبوبكر وعلوي ابني أحمد .

٤- السيد محمد بن علوي .

٥- الشيخ عبدالله ابن الفقيه أحمد بن عبدالرحمن .

٦- الشيخ علي بن سالم .

---

(١) له ترجمة مستقلة ضمن هذه السلسلة.

٧- الشيخ فضل بن محمد بافضل .

٨- الشيخ عبدالله ابن الفقيه فضل.

٩- الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد.

١٠- الشيخ محمد بن علي باشعيب الأنصاري.

١١- الشيخ محمد بن الخطيب.

١٢- الشيخ أحمد بن علي الخطيب .

١٣- الشيخ عبدالرحمن بن محمد الخطيب .

١٤- الشيخ عمر باوزير المقبور بالغيل الأسفل.

١٥- الشيخ خليل بن عمر بن ميمون صاحب أحور .

١٦- الشيخ مفلح بن عبدالله بن فهد .

١٧- الشيخ باحمران المقبور بميفعة ، وهو غير تلميذ الفقيه المقدم[1].

ترتيب أوقاته وماقاله بعض الشيوخ عن ذلك

قال صاحب « المشرع الروي »: كان من عادته أن يخرج إلى المسجد فيصلي الوتر ويقرأ القرآن إلى الفجر، ثم يعتكف يقرأ

(١) المصدر السابق .

القرآن إلى طلوع الشمس ثم يذهب إلى البيت فيجلس قليلا ثم يرجع إلى المسجد فيجلس للدرس إلى وقت القيلولة فينامها في بيته، وينزل لصلاة الظهر ثم يجلس ببيته للمطالعة حتى وقت العصر ثم يصلي بالناس صلاة العصر ويستمر مع أصحابه إلى أن يصلي المغرب ثم يجلس يقرأ القرآن إلى العشاء ما شاء اللّه، ثم يذهب إلى داره.

وأما في رمضان فيستمر في المسجد إلى أن يصلي التراويح، ثم يصلي ركعتين يقرأ فيهما القرآن، ثم يذهب إلى داره فيتسحر، ثم يرجع إلى المسجد فيقرأ القرآن حتى يضحي النهار، فيصلي الضحى ثم يرجع إلى بيته فينام القيلولة ثم يرجع إلى المسجد فيصلي الظهر جماعة ويجلس للدرس إلى العصر، ويجلس بعد العصر يذكر اللّه، فهذه عادته التي اشتهرت، وعبادته التي ظهرت[1].

وكان الشيخ مولى الدويلة يقول: ما رأيت في سفري وإقامتي مثل عمي عبداللّه، وكان العارف باللّه الشيخ عبد الرحمن السقاف

(١) المصدر السابق ص١٨٨ .

يقول: اتفق جميع العارفين أن الشيخ عبداللّه باعلوي بقية ا تهدين أولي التصريف والتـمكين[1].

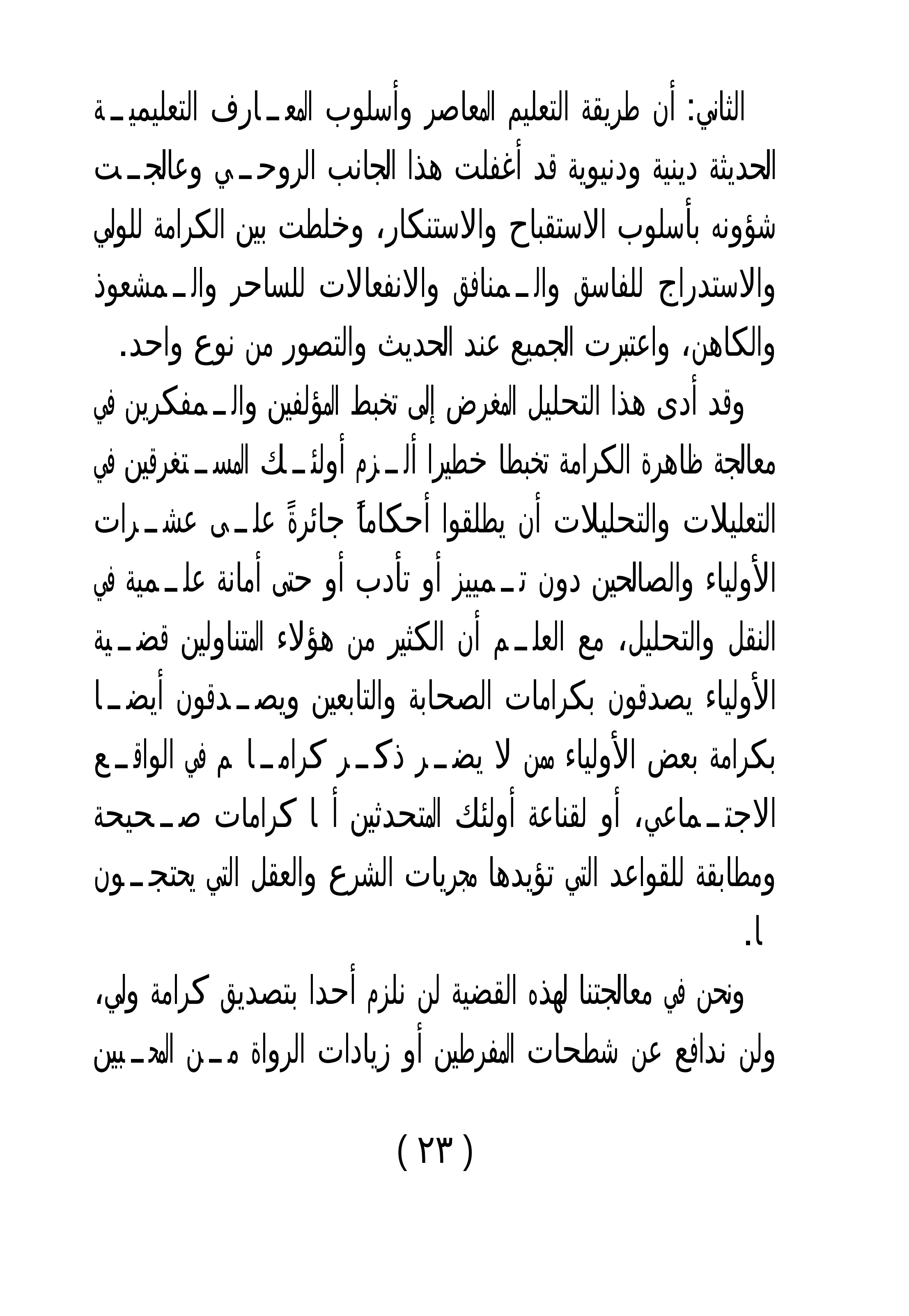
ما نسب إليه من الكرامات وانفعال الظواهر

من البديهي أن كرامات الأولياء لا ينكرها إلا جاحد أو زنديق، حيث إن الثابت في الكتاب والسنة الشريفة إمكان وقوع الكرامات لعباد اللّه الصالحين، وورد في القرآن نماذج عديدة مـن كرامـات الأولياء، ومثلها في السنة.

إلا أن مشكلة الجيل الحاضر أنه قد استوحش كل الاسـتيحاش من الكرامة وورودها في التراجم لسببين:

الأول: أن سرد بعض هذه الحكايات والكرامات يخرج عن دائرة الاحتـمال العقلاني للبشر، وقد يرد فيها ما يخالف بعض الثوابت الشرعية المتعارف عليها عند أهل العلـم، مما يجعلها عرضة للطعن والرد والإنكار.

(١) المصدر السابق.



الثاني: أن طريقة التعليم المعاصر وأسلوب المعارف التعليمية الحديثة دينية ودنيوية قد أغفلت هذا الجانب الروحي وعالجت شؤونه بأسلوب الاستقباح والاستنكار، وخلطت بين الكرامة للولي والاستدراج للفاسق والمنافق والانفعالات للساحر والمشعوذ والكاهن، واعتبرت الجميع عند الحديث والتصور من نوع واحد.

وقد أدى هذا التحليل المغرض إلى تخبط المؤلفين والمفكرين في معالجة ظاهرة الكرامة تخبطا خطيرا ألزم أولئك المستغرقين في التعليلات والتحليلات أن يطلقوا أحكاماً جائرةً على عشرات الأولياء والصالحين دون تمييز أو تأدب أو حتى أمانة علمية في النقل والتحليل، مع العلم أن الكثير من هؤلاء المتناولين قضية الأولياء يصدقون بكرامات الصحابة والتابعين ويصدقون أيضا بكرامة بعض الأولياء ممن لا يضر ذكر كرامام في الواقع الاجتماعي، أو لقناعة أولئك المتحدثين أ ا كرامات صحيحة ومطابقة للقواعد التي تؤيدها مجريات الشرع والعقل التي يحتجون ا.

ونحن في معالجتنا لهذه القضية لن نلزم أحدا بتصديق كرامة ولي، ولن ندافع عن شطحات المفرطين أو زيادات الرواة من المحبين

والـمتعلقين الذين شوهوا صورة الأولياء بما نقلوه وما كتبوه وهم لا يعلمون؛ بل سنضع النقاط على الحروف من حيثيـات الواقـع السليم لأولئك الرجال ومواقفهم العلـمية والعملية ومجاهـدا م السلوكية وورعهم وصدقهم مع اللّه، كما يرويها ثقات عصورهم.

وأما الكرامة فموقفنا منها: أ ا ثـمرة من ثـمرات طاعـا م ومجاهدا م، فإن صحت وثبت وقوعها فالإسلام والدين لا ينفـي وقوع الكرامة بشروطها، أما إن خالفت الشرع والعقـل الملتـزم بالعدل والإنصاف فتعرض على وقائع أحوال المصنفين والناقلين قبل الهجمة المغرضة على الصالحين، وترضخ الحكاية لأمانة التسلسـل المنطقي الناتج عن طول البحث عن المصدر والكاتـب وأسـلوب العصر الذي كتبت فيه أو نقلت عنه، ولا ننحى منحى المدرسـة الحديثة التي كشطت من سجل الإسلام والدين عشرات بل مئـات الأولياء والصالحين، بشبهات الأقوال وظنيات الأحوال، لأن مسألة الإخراج لا يمتلكها أحد، ومثلها مسألة إخـراج كـل منتسـب للتصوف والصوفية، لأن في الصوفية مثل ابن عربي وابن الفـارض، ولأن العيدروس قيل عنه: إنه المتصرف في الكـون، أو أن الشـيخ عبداللّه باعلوي شفع لفقيره عند حساب الملكين أو غير ذلك مـن

الاحتجاجات التي رسمتها أقلام العديد من معاصرينا لتشويه وجـه العباد والزهاد، ولصرف الجيل عن مدرستهم وعن أعمالهم الجليلة.

إن كل هذا التشويه والتعتيم لا يغير الحق ولا يطمسه وإنما يمنحه البقاء، ويجلي عنه القتام والغشاوة التي علقت بأهدابه مـن كـلا الجانبين، من مفْرِطٍ مندفِع أو من مفَرطٍ حاقدٍ منتفِـع، واللّـه ولي الجميع.

نموذج من كرامات الشيخ عبداللّه باعلوي

قال في « المشرع » ص١٨٨ : منها أنه أنكر على رجل بمكـة المكرمة شرب الخمر فقال له: أنا خياط أستعين بذلك على صنعتي، فقال: إن أغناك اللّه عن ذلك تعاهدني على ألا تعود لشربه؟ فقال: نعم ، فدعا رضي اللّه عنه ربه أن يتوب عليه وأن يغنيه عنه ، فتاب وحسنت توبته وأغناه اللّه وعاهده ثلاث ليالي لئلا ينقض توبتـه، ثـم رأى صاحب الترجمة كأن قائلاً يقول: احفروا لفلان في محل كذا مد البصر، ومن صلى عليه غفر اللّه له، فاستيقظ وسأل عنه ، فإذا هو قد مات ، فصلى عليه.

قلت: هذه واحدة من الكرامات التي جرت لصاحب الترجمة، وحسبما ورد في « المشرع » وغيره فلا يوجد فيها ما يستغرب أو يطعن فيه، وربما أثار البعض قوله: « ومن صلى عليه غفر له » ، والمعلوم أن هذه العبارة أوردها الحكاية في معرض الرؤيا، وليست حديثاً نبوياً ولا آية قرآنية حتى يحتج بها أو يحتج عليها. وخلاصة الرؤيا تشير إلى صلاح الرجل، والحكم بالمغفرة في هذه الرؤيا عند التأويل دلالة على رضا المولى سبحانه وتعالى عن حال المتوفي، وأمر المغفرة أو عدمها لله وحده سبحانه.

ومنها: أن رجلاً أنشد أبياتاً تتعلق بالبعث والحساب، فتواجد صاحب الترجمة وخر مغشياً عليه، فلما أفاق قال للرجل: أعد الأبيات، فقال الرجل: بشرط أن تضمن لي الجنة، فقال: ليس ذلك إليّ؛ ولكن اطلب ما شئت من المال، فقال الرجل: ما أريد إلا الجنة، فقال: إن حصل لنا شيء ما كرهنا، ودعا له بالجنة، فحسنت حالة الرجل وانتقل إلى رحمة الله وشيعه صاحب الترجمة وحضر دفنه وجلس عند قبره ساعة فتغير وجهه، ثم ضحك واستبشر، فسئل عن ذلك فقال: إن الرجل لما سأله الملكان عن ربه قال:

شيخي عبداللّه باعلوي، فتعبت لذلك، فسألاه أيضاً فأجاب بذلك فقالا: مرحباً بك وشيخك عبداللّه باعلوي. انتهت.

قلت: هذه الكرامة هي التي يدندن عليها أقوام في عصرنا، ومن خلال عرضها على الناس وكتابتها في مؤلفاتهم يؤكدون فساد عقائد آل البيت بحضرموت، حيث يتوهمون أن الشيخ عبداللّه باعلوي يجعل نفسه وسيلة قبول عند الحساب في البرزخ، وهذا لم يقع لنبي ولا لملك مقرب كما يقول البعض، ونحن عندما نتناول هذه الأمور نرى أن الحكاية ليست مقياس القبول أو الرد لحال الرجال لما ذكرناه سلفاً، ولكن إذا أمعنا النظر في هذه الحكاية من باب افتراض صحتها وسلامة نقل الرواة لها فإننا يقيناً لا نرى فيها ما يخالف الشرع أصلاً، وهذا نؤكده بعرض الحكايات على العقل والتعليل المنطقي بعد معرفتنا صحة ورود الكرامات على أيدي عباد اللّه الصالحين، فنقول: إن موقع الإشكال لدى البعض هو ما يلي:

١- ضمان الجنة، وهذا لا يملكه أحد في الدنيا ما عدا وعود الأنبياء بأمر اللّه تعالى، وربما قارن البعض من المعترضين هذا الأمر بما يقال: صكوك الغفران لدى المسيحيين.

٢- اطلاع الشيخ باعلوي على ما يدور في البرزخ وهو في الدنيا، وتفاعله مع ما يجري بين الفقير والملائكة.

٣- قول صاحب الكتاب بعد إيراد هذه الحكاية: قال بعضهم: هكذا ينبغي أن يكون الشيخ، يحفظ مريده حتى بعد موته.

قلت والله أعلم: لا يوجد في سياق الحكاية ما يثبت ضمان الشيخ عبدالله باعلوي بالجنة للرجل أصلاً، فالذي ثبت في نص الكرامة قولان:

الأول: قول الشيخ عبدالله باعلوي: (ليس ذلك إلي ولكن اطلب ما شئت من المال) نفى قدرته على الضمان،وهذا وحده كافٍ لنفي مة المعرضين.

الثاني: لما أصر الرجل على رغبته في ضمان الجنة؛ لم يوافقه الشيخ على بغيته بصيغة القطع أو التأكيد بالضمان بل قال له: (إن حصل لنا شيء ما كرهنا، ودعا له بالجنة) ، وفي هذا دلالة واضحة على كمال الأدب مع المولى سبحانه وتعالى، وأن الأمر مقرون بالمشيئة، وتبينه «إن» الشرطية ثم الدعاء بالجنة، وهذا أمر مسنون ومطلوب شرعاً.

وأما مسألة القول باطلاع الشيخ على ما يدور في عالـم البرزخ فأمر يحتـمل التأويل على قسمين:

الأول:أن يكون الاطلاع من باب الكشف، وهذا معلوم لـدى الأولياء بأمر اللّه تعالى، وأن كل المتأخرين لا يقرون هذه المسـألة ولا يؤمنون ا؛ ولكن الوقائع والأدلة تشير إلى حصول مثل هـذه الأمور لدى بعض الصالحين، ولسنا بصدد إثبات الحادثـة، وإنمـا بصدد المنافحة عن شرف المترجم له من م التشـريك والـتكفير المعلنة، فقد ورد في الحديث أن رجلاً ضرب خيمته على مكان من الأرض فسمع رجلاً يقرأ تحته بسورة تبارك، وهذا السماع يقـيني ثابت وإن كان مخالفاً للعقل، ولـما جاء الرجل إلى رسول اللّـه صلى اللّه عليه وسلـم ليخبره بما سمع قال صلى اللّه عليه وسلـم بما معناه: « ذاك رجل كان يقرؤها في الدنيا فأُعطِيها في قـبره..» ، و ذا الدليل ومثله يسقط احتجاج المانعين للسماع.

الثاني: أن سياق الحكاية مبينة حدث الاطـلاع دون إظهـار الكيفية، فالذي يحتـمل عقلاً أن الشيخ أخذته سِنة مـن النـوم ، فرأى في السِنة ما ورد على لسانه بعد ذلك، وهذا محتـمل كـل الاحتـمال، وإذا صح هذا الاحتـمال انتفى الاحتجـاج كليـةً

ببطلان الحكاية، لأن ورود مثل هذا في المنام غير مستحيل، ويؤيد هذا ما ذكر أن الشيخ جلس عند قبره ساعة.

والذي يجعلنا نتقصى هذه المسائل ونرضخها للتعليـل العقلـي والـمنطقي إشفاقنا الحقيقي على أهل لا إله إلا اللّه الذين أصا م التخبط ولزمهم التخوض في أهل اللّه، بسبب سوء النوايا الجاثـمة على حملة الأقلام وبعض شيوخ المعرفة في هذه المرحلة.

الشيخ عبداللّه باعلوي في أخريات عمره

كان الشيخ عبداللّه باعلوي من الرجال المعمرين(١) الذين مد اللّه لهم في العمر مع نشاط في العبادة والأعمال الصالحة، واجتـهاد في أعمال البر وفعل الخير، وكان يقول في آخر عمره: كل شيء قصر مني إلا الدنيا، فإني لا أبالي ا أقبلت أم أدبرت، وإنما هـي مـن الحنجرة وطالع .

---

(١) قال في «المشرع» ص١٩٣ : كان الشيخ شيخ بن عبداللّه العيدروس يقول: ما بلغ أحد من آل أبي علوي من العمر ما بلغ مشاهيرهم الثلاثة: الأستاذ الأعظـم الفقيه المقدم، والشيخ الإمام عبداللّه باعلوي، وشـيخ الأشـراف عبـدالرحمن السقاف، والشيخ عبداللّه باعلوي أطولهم عمراً.

ويعني بقوله: (كل شيء قصر مني) يعني من القوة على العبادات البدنية لضعف جسمه ، مقارنة بما كان عليه أيـام شـبابه وأيـام ابتدائه.

ومع ذلك فقد ذكرت كتب التراجم أنه لـم يتأخر رحمه اللّـه في أخريات عمره عن طاعة، ولا تقاعس عن فضيلة، وله شمائـل عالية، ذكر منها صاحب «المشرع» (٢: ١٩١) قولـه: وكـان رضي اللّه عنه يحب الطيب تشم منه رائحته من بعد فيعرف بذلك، وكان أبيض اللون طويل القامة صبيح الوجه واسع العينين فصـيح السان ثبت الجنان كث اللحية ي المنظر كثير التبسم عند لقاء كل أحد، مدحه فضلاء زمانه بغرر القصائد لو اجتـ ـمعت لكانـت ديواناً عظيماً.

وعلى الجملة فمناقبه كثيرة وشمائله أجلى من شمـس الظهـيرة، ولـم تزل رباع الشرع معمورة بوجوده، ورياض الفضل مغمورة بجوده، يلقي دروساً ويدير من المعارف على أهل العوارف كؤوساً، إلى أن فرغت مدته من هذه الدار، وانتقل إلى دار القرار في جـوار العزيز الغفار رحمه اللّه رحمة الأبرار، وكان انتقاله يـوم الأربعـاء منتصف شهر جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ٧٣١ ،

وكان يوماً مشهوداً من ضجيج الأنام، لا سيما الفقراء والضـعفاء والأيتام، وشيعه خلائق لا يحصون، ودفن بجانب قبر جده الأسـتاذ الأعظم الفقيه المقدم، وكان عمره يوم وفاته ثلاثا وتسعين سنة، أو إحدى وتسعين سنة، على ما مر من خلاف في عام ولادته(١).

مدحه صاحب «الغرر» بأبيات طويلة نختار منها طرفاً صالحاً:

سلام على نسلِ الشيوخ الأكابرِ سلام عليـه بالعشـي وبـاكرِ
سلام على شيخ الشيوخِ أبيـهم سلام عليه عد طَـش المـواطرِ
سلام على الأوابِ واحدِ عصرِه إمامِ الهدى كهفِ التقى والبصائرِ
سلام على كنـز المساكين عينهم أب لليتـامى والأرامـل ياسـرِ
سلام على القَوامِ في نسقِ الدجى وفي الصيفِ صوام بوقْتِ الهواجرِ
سلام على النحريـر والفاضـل ترقى إلى العلْيا بفَخـر مفـاخِرِ
عظيم التقى والزهدِ للخلْقِ معقِلٌ إذا ناب خطْب مؤلـم للعشائرِ
كثير السخا بحر خِضم إذا طَمى بإفضالِه الأقطاب عين الـدوائرِ
يقوم مقاماً لـم يقُم فيه غـيره هو الشيخ عبداللّهِ نجـلٌ لبـاقِرِ
سلالةُ علوي الهمامِ الـذي سمـا سماءَ المعالي ما له مِـن منـاظِرِ

---

(١) المصدر السابق ص١٩٢-١٩٣ .

آل عبدالله باعلوي

يطلق هذا اللقب على جملة من بيوت السادة بـنـي علوي من ذرية الشيخ عبدالله باعلوي، وقد خدمت سلسلة أنسابهم خدمـة جليلة في كافة كتب الأنساب والـمشجرات الخاصـة بالسـادة بـنـي علوي، وكان من آخر هذه المؤلفات خدمة وترتيباً كتاب «شمس الظهيرة» تحقيق وتعليق السيد محمد ضياء شـهاب، ومنـه استفدنا رؤوس المعلومات المنقولة هنا عـن السـادة آل عبداللّـه باعلوي، وقد اختصرنا النقل عنهم اختصاراً يتلاءم مع موضـوع بحثنا هنا بحيث لـم نستطرد إلى ذكر تفاصيل التراجم عن البيوت أو من ظهر منهم، بل اكتفينا بالإشارة إلى مسمى العائلات فقـط، وننصح الراغب في التوسع والاستفادة التفصـيلية عـن ذريـة آل عبدالله باعلوي وفروعهم وتراجم شخصـيات البـارزين منـهم الرجوع إلى الكتاب المذكور آنفا ففيه الغنية والكفاية إن شاء اللّه.

تسلسل بيوت آل عبدالله باعلوي

ذكر صاحب «شمس الظهيرة» (٢: ٣٣٧) أن الشيخ عبداللّـه باعلوي له ثلاثة بـنـين:

الأول: أحمد ، ولأحمد ابن واحد هو الإمام الناسك محمد جمـل الليل مقدم تربة قَسم، المتوفى سنة ٧٨٧ ، ولـمحمد ابـن هـو عبدالله، ولعبدالله ابن هو أحمد، وقد انقرضوا.

الثاني: علي بن عبدالله المتوفى بتريم سنة ٧٨٤ ، ولـه أربعـة بـنـين وهم محمد قرندلي، وأحمد، وعبدالرحمن، وقد انقرضوا .

والرابع: عبدالله، له ابنان: أحمد، انقـرض، وعلـوي الشـهير بالشيبة، له ستة بـنـين، أربعة منهم أعقبوا، واثنان انقرضوا، ومن هؤلاء الأربعة تفرع أبناء وأحفاد آل عبدالله باعلوي على النحـو التالي:

١- آل الشيبة، وينتسبون إلى عمر بن علوي بن علي بن عبدالله باعلوي[1].

٢- آل المسيلة بالسواحل وغيرها، ينتسـبون إلى محمـد بـن علوي بن علي بن عبدالله باعلوي[1] .

---

(١) راجع «شمس الظهيرة» (١: ٣٣٨) .

٣- آل باروم بدوعن ببلاد الماء وبالهند والحجاز وغيرها، ينتسبون أيضاً إلى محمد بن علوي بن علي بن عبدالله باعلوي[٢].

٤- آل الشلّي، وينتسبون إلى السيد عبدالله بن أبي بكر بن علوي الشهير بالشلّي[٣].

٥- آل بن جنيد، وينتسبون إلى السيد محمد بن أحمد قسم بن علوي الشيبة[٤].

٦- آل الأخضر، وينتسبون إلى السيد محمد بن أحمد قسم بن علوي الشيبة[٥]، ومنهم آل جنيد الأخضر بسيحوت ودثينة والعوالق وغيرها.

٧- آل الجيلاني بمرخة ودوعن برحاب وليسر، يرجعون أيضاً إلى السيد محمد بن أحمد قسم بن علوي الشيبة[٦].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق (١: ٣٣٩-٣٤٤).

(٤) المصدر السابق (١: ٣٤٧).

(٥) المصدر السابق (١: ٣٤٨).

(٦) المصدر السابق (١: ٣٥٠).

٨- آل حمدون بالحبشة، وينتسبون إلى السيد محمد حمدون بن علوي بن محمد المعلم بن علي جحدب بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله باعلوي[١].

٩- آل خرد بتريم ودوعن وجاوا وفاليمبانغ وكلانتن وسومز وبالي، وينتسبون إلى السيد زين بن علي خرد بن محمد حميدان بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله باعلوي[٢].

١٠- آل بارقبة بتريم والهند وجاوا وبجامبي وشربون وفاليمبانغ وسياك ورياو وسورابايا وفكلونتن، وينتسبون إلى السيد عمر بارقبة بن أحمد الأكسح بن محمد بن عبدالله باعلوي[٣].

١١- آل باعبود دبجان، بقسم والغيظة وظفار وجاوا، وينتسبون إلى السيد علي دبجان بن أحمد الأكسح بن محمد بن عبدالله باعلوي[٤].

---

(١) المصدر السابق (١: ٣٥٣-٣٥٤).

(٢) المصدر السابق (١: ٣٥٥).

(٣) المصدر السابق (١: ٣٥٥) .

(٤) المصدر السابق (١: ٣٥٩) حاشية.

١٢- آل المنفر بتريم وملابر وجاوا ولحج والحبشـة والحجـاز وزيلع واليمن، وقد ذكر محقق « شمس الظهيرة » أن أسرة آل المنفر تشعبت إلى فروع وهم:

١- آل المشهور مرزق بشبام وبانقيل بجاوا.

٢- آل فدعق بالهند وسقطرا وحبان والعوالق وشقرة.

٣- آل أبي نمي بالحبشة والشحر والغيـل والـمكلا وحجر وأحور والهند وظفار.

٤- آل مطهر بقسم وجاوه والهند والشحر.

٥- آل مديحج بتريم والريدة وجاوا واليمن والهند.

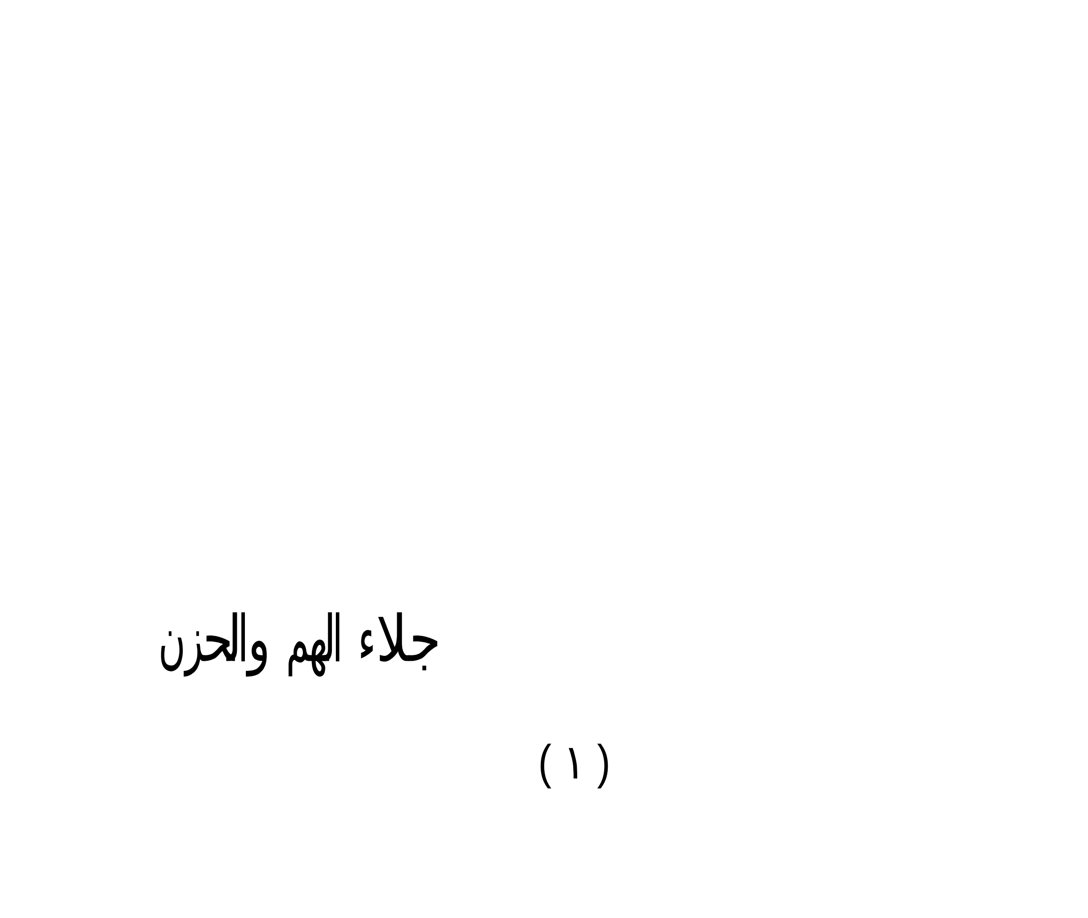
٦- آل بن حامد بتريم وملابر وجاوا .

٧- آل مدهر بظفار ومكة، ومنهم بيت واحد بأحور.



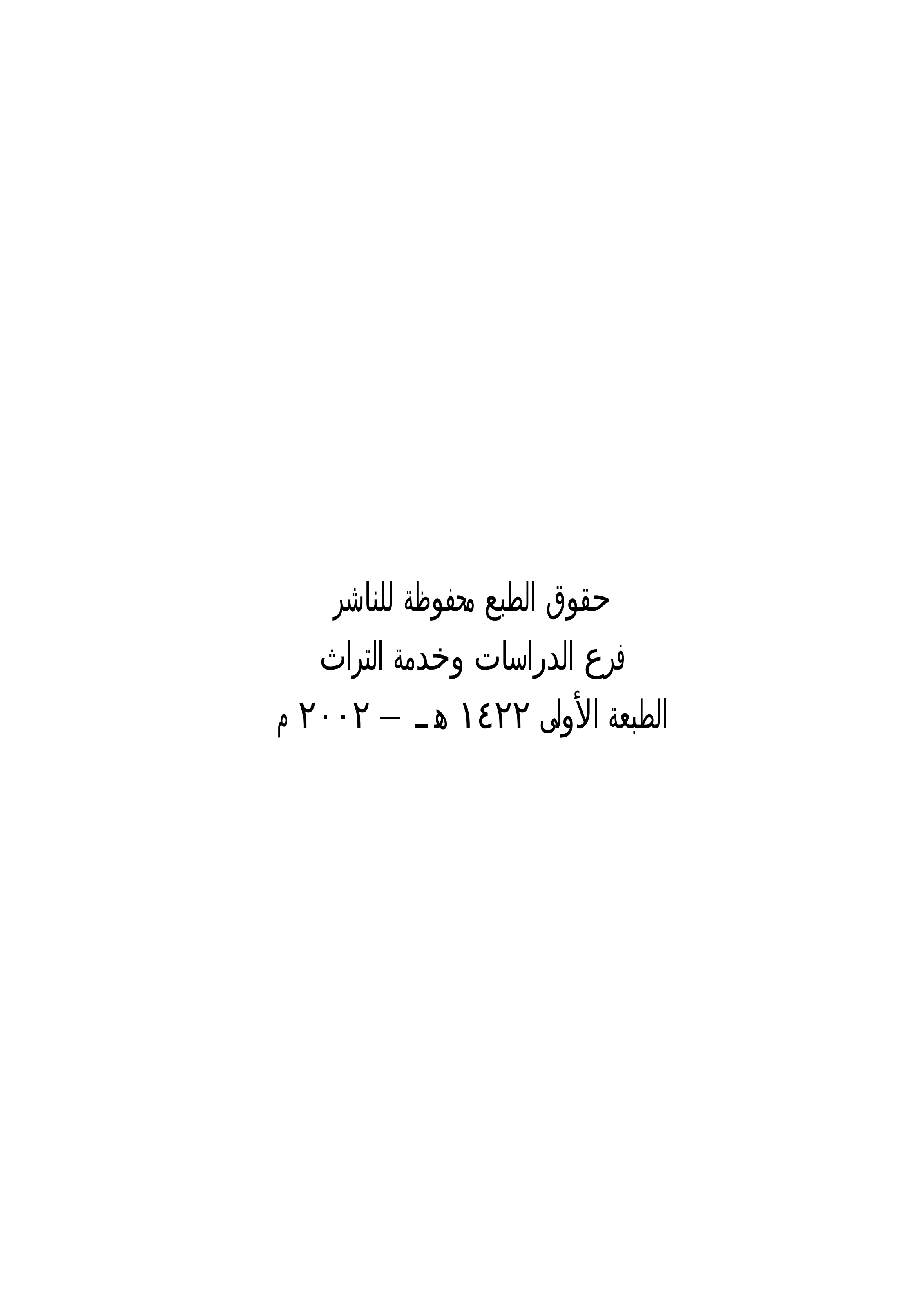


الفهرس



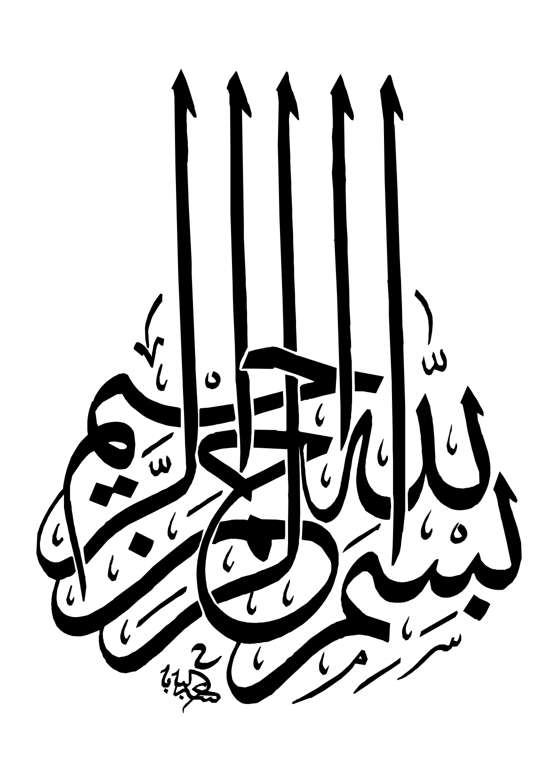
جلاء الهم والحزن

(١)



فرع الدراسات وخدمة التراث
الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م

جلاء الهم والحزن
(غلاف داخلي)

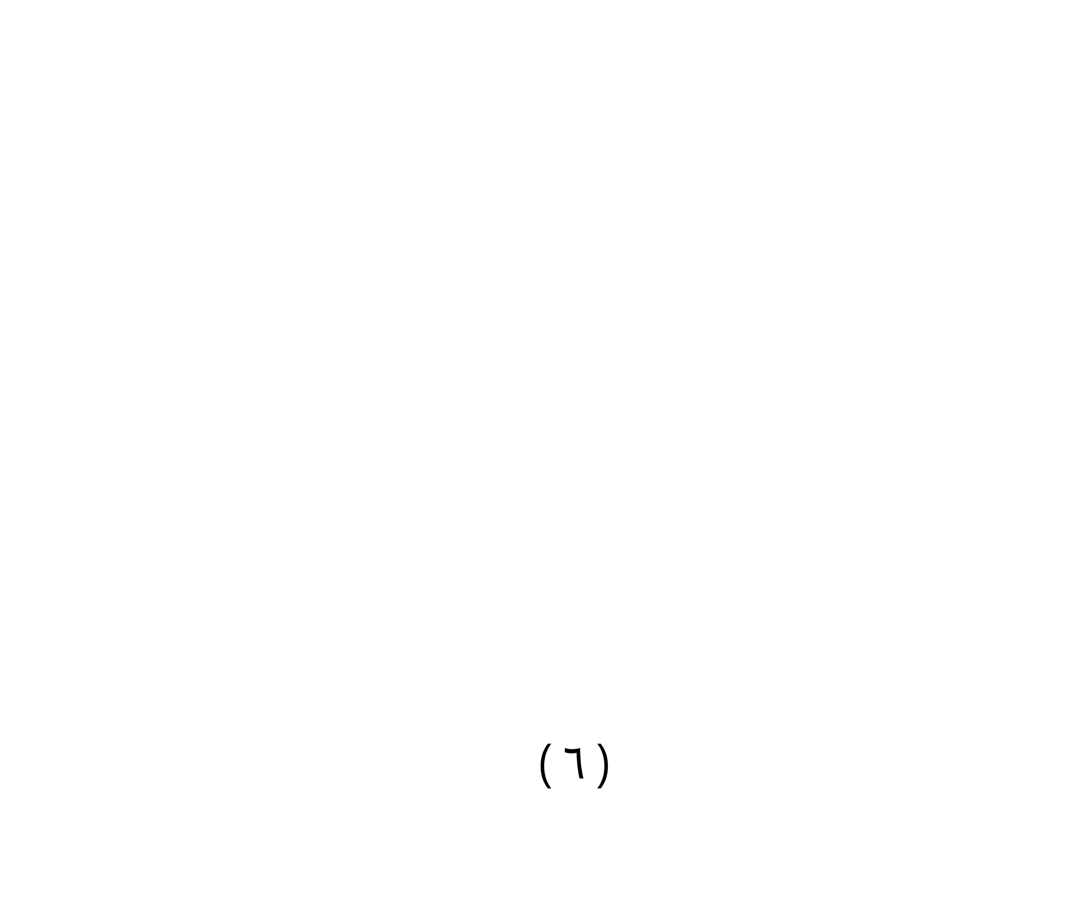

بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني..

بسم الله الرحمن الرحيم

ِإنا أَعطَيناك الكَوثَر . فصل ِلربك وانحَر.

ِإن شاِنئَك هو الأَبتر



(٦)

الإهداء..

إلى شيوخِي الأَفَاضِل..

بِقيِةِ السلَف..

وأَمِثلَةِ الطرِيقِ في الخَلَف..

وإلى أحفادِ الإمام أبي بكر العدني ابن عبدالله العيدروس..

أَحدِ أَفذاذِ مدرسةِ حضرموت المنتشِرةِ في مشـارقِ الأرضِ ومغارِبها..

وإلى الراغِبين في التعرفِ على نمَاذِجِ ((السفِينةِ الـتي مـن ركِبها نجَا ومن تخَلف عنها هلَك)) ..

المؤلف

(٨)

لمحة موجزة عن مدينة عدن

تناول عدد من المؤرخين مدينة عدن بالتقصي اسماً وتاريخاً، ومن أولئك المهتمين بهذا الشأن بامخرمة في «تاريخ ثغر عـدن»، وابـن المجاور في «تاريخ المستبصر»، وتكلـم عنها الهمداني في «الإكليل»، والجَندي في «السلوك».

ويوجد في اليمن عدد كبير من « العدنات » ما بين قرى عامرة، وأخرى مندثرة. ويبدو من هذه التسميات أن « عدناً » ليست اسماً علـماً، والأغلب أنها مصطلح لوصف مواقع ذات خصائص معينة، وهذا ما يؤكده تقصي «العدنات» الموجودة ببعض مناطق الـيمن؛ منها مساحة محدودة شمال محافظة لحج ما بين لبعـوس والضـالع وشمال ردفان أمكن حصر ما لا يقل عن عشرة من «العدنات» فيها، كلها منسوبة إلى ما يميزها عن بعضها البعض، مثل: عدن حمـادة، عدن أهور، عدن غير، عدن أرود، عدن جعشان، عدن الشـهي، عدن الدقيق، عدن الحجال، عدن الحوشبي، عدن الراحة.

ويفيد من رأى هذه المواقع أنها تقع بعيدة عن جادة الطريـق؛ منتجعاتٍ اتخذها الناس طلباً للحماية والأمان، وتوسع بعضها حتى شمل أغلب الجبل، الذي تربض تحته عدن أبين، وعدينة تعز، وعدين

التعكر في محافظة إب، واختفى بعضها مثل عدن لاعة في حجـة، وحصن عدن في وادي حضرموت، وعدن المناصب، وعدن بـني شبيب في نواحي إب .

إن الانطباع الذي يمكن الخروج به مـن هـذا الاسـتعراض للعدنات هو أن هذا الاسم له علاقة بالاستيطان والإقامة والـيمن والرخاء، وهذا أيضاً يطلق على عدن أبين التي نحن بصددها ابتداء من تسميتها عيناء العربية السعيدة إلى فَرضة العرب. كما أن تفسير الكلـمة باليمن والسعادة في بعض النقوش اليمنية يفيـد نفـس المعنى(١) .

وقيل : سميت عدن نسبة لعدن بن عدنان، وهي نسبة لشخص كان اسمه عدنا، وكان أول من حبس ا. وهي أيضـاً نسـبة إلى عدنان بن نقشان بن إبراهيم، وهي مشتقة من فعل « عدن » مـن العدون، وتعني الإقامة، أو من المعدن، وهو معدن الحديد.

أما ياقوت الحموي فقد أورد سبباً للتسمية، وهو قوله: (إ ـا اسم أطلقته الحبشة في غزوهم اليمن عندما عبرت سفنهم إلى عدن،

---

(١) « العقَبة » لعبد اللّه محيرز ص٣١.

فقالوا: ((عدونة)) ، فسميت لذلك عدناً) .

وعدن - في تاريخها الطويل - كانت محط أنظار الطامعين والحالمين، وعلى شواطئها الهادرة تبادلت عساكر الغزاة أدوار الانتصارات والهزائم، وفي جوفها الملتهب بحرارة الصيف ، واعتدال الشتاء نبتت علاقات المجتمع العدني خليطاً ومزيجاً من أطراف المعمورة، حقيقةً ورمزاً، ومعنى وصورةً.

وظلت أشرعة السفن التجارية تمخر العباب منذ عمق التاريخ القديم حينما كان السبئيون والحميريون يمارسون التجارة مع الهند ومصر، ويتبادلون المحصولات والمصنوعات مع الآشوريين والفينيقيين والمصريين، وكان حينها ميناء عدن أحد الموانئ المهمة في سلسلة الموانئ التجارية كميناء حصن الغراب وظفار ومسقط [1] وغيرها.

وظلت أهمية عدن - من حيثيات الموقع التجاري والحربي - حلقة اتصال بين الشرق والغرب، وكان موقعها الجغرافي وسط الطريق بين أوروبا والهند.

---

(١) ((معالم تاريخ الجزيرة العربية)) لسعيد عوض باوزير ص ٤-٥ بتصرف.

وأشارت كتب التاريخ إلى موقع عدن، واهتمام الدول القديمة والحديثة ا؛ سواء قبل الإسلام أو بعده، واعتنى العديد من الملـوك والأمراء والسلاطين ببناء السدود، وتوفير المياه، وإقامة الحصـون فيها. ومن أولئك السلاطين المرتبطين بعدن : السلطان عامر بـن عبدالوهاب -أحد ملوك آل طاهر- وكان معاصراً للإمام أبي بكر العدني بن عبدالله العيدروس - المترجم له - وأحد المتعلقين بـه، والـمتأثرين بشخصيته[1].

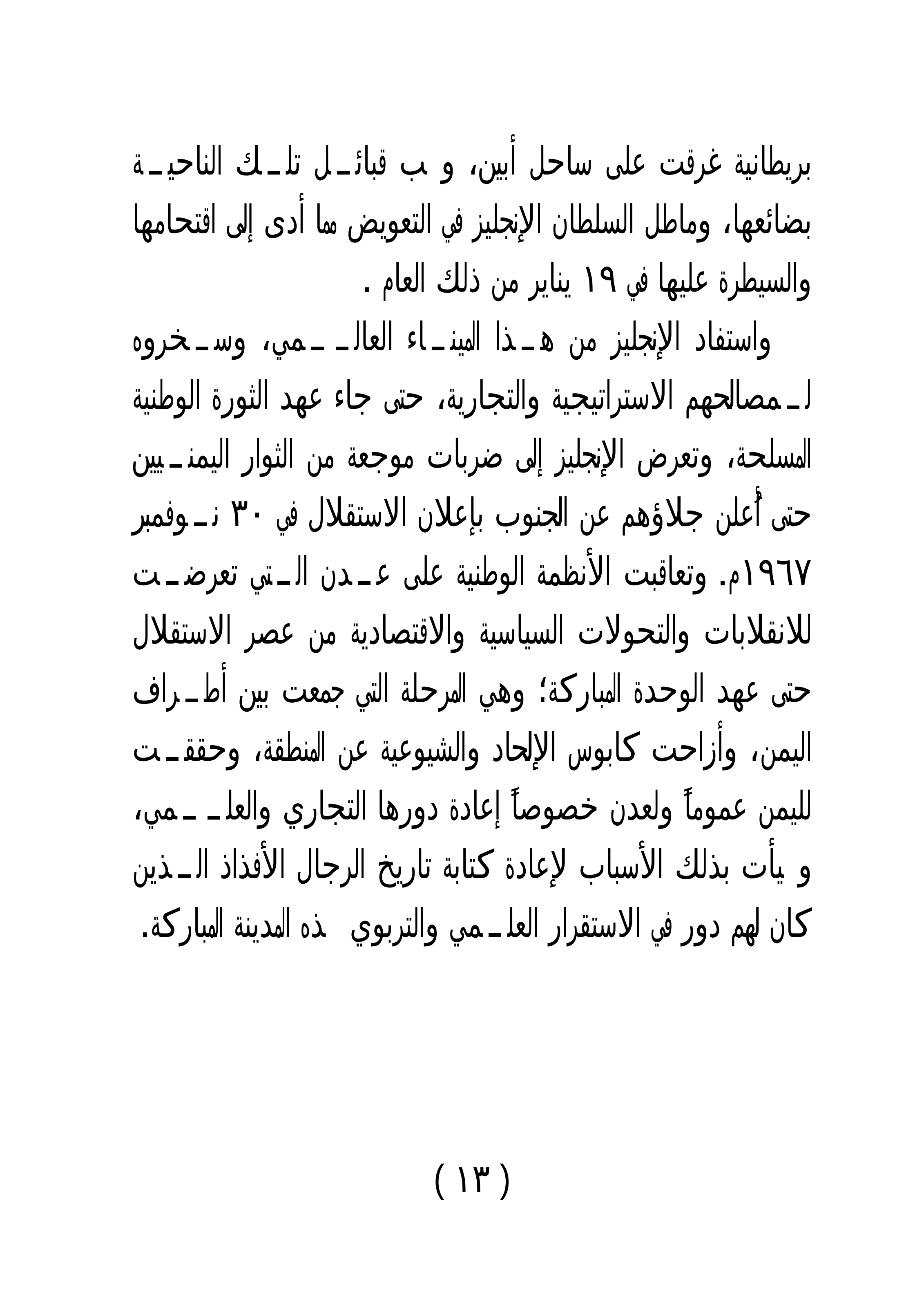
وقد بنى السلطان عامر بعدن الصهريج المستدير -المعـروف «بصهريج بليفر» الواقع خارج دائرة الصهاريج الأخرى- ومد قناة تحمل المياه من بئر «ماحطا» إلى عدن سنة ١٥٠٠ م .

وفي سنة ١٥١٣م حاول البرتغاليون احتلال عدن ؛ ولكنـهم فشلوا وتلقوا في محاولا م هزائم منكرة على يد الدولة الطاهريـة إبان حكم السلطان عامر والأمير مرجان.

وظلت عدن شامخة شموخ جبالها ورجالها، حتى انتزعها الإنجليز من سلطان لحج عام ١٨٣٩م تحت ستار طلب تعـويض لسـفينة

---

(١) سيأتي التعريف به عند الكلام على نماذج من أشعار الإمام العدني .


بريطانية غرقت على ساحل أبين، و ب قبائـل تلـك الناحيـة بضائعها، وماطل السلطان الإنجليز في التعويض مما أدى إلى اقتحامها والسيطرة عليها في ١٩ يناير من ذلك العام .

واستفاد الإنجليز من هـذا الميـاء العالـمي، وسـخروه لـمصالحهم الاستراتيجية والتجارية، حتى جاء عهد الثورة الوطنية المسلحة، وتعرض الإنجليز إلى ضربات موجعة من الثوار اليمنـيين حتى أُعلن جلاؤهم عن الجنوب بإعلان الاستقلال في ٣٠ نـوفمبر ١٩٦٧م. وتعاقبت الأنظمة الوطنية على عـدن الـتي تعرضـت للانقلابات والتحولات السياسية والاقتصادية من عصر الاستقلال حتى عهد الوحدة المباركة؛ وهي المرحلة التي جمعت بين أطـراف اليمن، وأزاحت كابوس الإلحاد والشيوعية عن المنطقة، وحققـت لليمن عموماً ولعدن خصوصاً إعادة دورها التجاري والعلـمي، و يأت بذلك الأسباب لإعادة كتابة تاريخ الرجال الأفذاذ الـذين كان لهم دور في الاستقرار العلـمي والتربوي ذه المدينة المباركة.

الاستهلال

الحمد للّه وحده وعليه التكلان، والصلاة والسلام على سـيد ولد عدنان، سيد الأولياء، وإمام الأتقياء، والقدوة الحسنة لكل من اهتدى واقتدى، بشهادة رب الأرض والسما، القائـل سـبحانه: لقد كان لكم في رسول اللّه أسوة حسنة سيدنا محمـد بـن عبداللّه، المنافح عن شرف أولياء اللّه بما أجراه مولاه على لسانه من الحديث القدسي الذي رواه عن اللّه : «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب».

اللّهم صل وسلـم على سيدنا محمد تاج الأصفياء، وعلـم الأولياء، وخاتمة الرسل والأنبياء، صلاةً وسلاماً دائمين مـتلازمين بتلازم الذكر من الذاكرين، والشكر من الشاكرين، وعلـى آلـه وأصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فيقول العبد الفقير إلى اللّه - كثير الـوزر والتقصـير - أبوبكر العدني ابن علي بن أبي بكر المشهور باعلوي :

رضيت باللّه رباً، وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد صلى اللّه عليه وآله وسلـم نبياً ورسولاً، وألزمت نفسي - قدر الوسع والطاقة - أن أخدم طريق السير إلى اللّه، من خلال تعريف نفسـي وأهـل

عصري، على ما يجب التعرف عليه من أدب الرجولة في الرجـال، وشرف الأمانة في أعناق أهل الكمال، الذين ما ألهتهم الدنيا بحـال من الأحوال، صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه ، فكان العهد نبراساً لهداية الضال، وإرشاد الجهال، ولأبين لأشباهي وأمثالي المخدوعين بأسباب الحضارة؛ أو المستغرقين في التشكيك بأهل الذوق والإشارة أن المسألة ليست على علا ا، وأن لكل مقام مقال، ولكل زمـن دولة ورجال ؛ فلا إفراط ولا تفريط، ولا عشوائية ولا تخلـيط . وكفانا كفانا من الحذلقة والأغاليط؛ فإن لكل كتاب أجل، واللّـه أعلى وأجل، ومن لـم يعرف حقوق أولياء اللّه فلن يسعد برضى ربه .

ولأبين أن العصر عصر تنكر و وك، وتمحك وتكبر، وافتـراء على اللّه مما لـم ينـزل اللّه به من سلطان. وقد قرأنا وسمعنا مـن هذا التهوك والتطاول على الأولياء ما لا مزيد عليـه، واستسـمن الناس ذا ورم، وادعى العلـم والفتيا كل حامل قلـم، وظهـر الشح المطاع، والهوى المتبع، والدنيا المؤثَرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، واختلط الحابل بالنابل، والعالي بالسافل، ولـم نجد في هـذا الصخب الشامل، والـبلاء النـازل ؛ إلا السـكون إلى الكتـب

والـمراجع نقلب فيها حقائق الأزمان، وثوابت الإسلام والإيمـان والإحسان، في أهل المراتب الحسان، « الذين إذا رؤوا ذكر اللّـه، وعند ذكراهم تتنـزل الرحمات » .

وهذا يقين من يقين نذكره على سبيل التبيين، وتطمين الأرواح المؤمنة لتستبين؛ وغرضنا من ذلك رضى اللّـه رب العالـمين، وإحياء سنة سيد المرسلين، القائل : «من أحيا سنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد»، ونصرة أولياء اللّه من آل البيت، ومن أحبهم، و ج منهجهم، واهتدى ديهم، وسار بسيرهم على منهج الحـق والتمكين. وهذه ترجمة أحد أئمتهم، ومختصر حياة فرد من شيوخ ملتهم، وهو الإمام الجهبذ الحجة سيدي أبوبكر العدني ابن عبداللّه العيدروس ابن الشيخ عبدالرحمن السقاف رضي اللّه عنهم أجمعين .

وقد جعلتها سيرة على نمط التراجم العصرية مجردة عن أساليب الكتابة التقليدية، ملتـزمين المعاصـرة في الأسـلوب والتحليـل، ومتجاوزين ما لا حاجة لأهل العصر به من الإسهاب والتطويـل؛ آملين قبول العمل في صالح الأعمال، وراجين ا التقرب لحضـرة المولى العزيز المتعال، وحباً وتعلقاً بأوليائه الأبطال رضي اللّه عنـهم وأرضاهم، وجمعنا م في دار القرار والجلال، مستورين محفوظين؛

غير محرومين ولا مبدلين، وآخـر دعوانـا أن الحمـد للّـه رب العالـمين.

تسلسل نسب الإمام العيدروس

هو السيد الشريف أبوبكر « العدني » ابن عبداللّه العيدروس بن أبي بكر السكران، ابن الشيخ عبدالرحمن السقاف، ابن الشيخ محمد مولى الدويلة، ابن الشيخ علي العفيف، ابن الشيخ علوي الغيـور، ابن الشيخ الفقيه المقدم محمد، ابن الشيخ علي، ابن الشيخ محمـد صاحب مرباط، ابن الشيخ علي خالع قسم، ابن الشيخ علوي، ابن الشيخ محمد، ابن الشيخ علوي، ابن الشيخ عبيداللّه، ابـن الإمـام أحمد المهاجر، ابن الإمام عيسى، ابن الإمام محمد، ابن الإمام علـي العريضي، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابـن الإمام علي زين العابدين، ابن الإمام الحسين السبط، ابـن الإمـام الغالب علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول اللّه صـلى اللّه عليه وآله وسلـم.

مشجر النسب

الإمام العدني رمز الأولياء في مدينة عدن

إن من عباد اللّه الصالحين رجالاً لا يموتون بموت أجسادهم، بل تتجدد ذكريات حيا م كل زمن ووقت وفي كثير من المناسـبات، وتحيا في نفوس الأجيال شريف أخبارهم، وجليل أحوالهم؛ وهذا هو سر الجدارة المحقوقة لكثير ممن إذا رؤوا ذكر اللّه الذين إذا ذكـر اللّه وجلت قلو م وإذا تليت عليهم آياته زاد م إيماناً وعلى ر ـ م يتوكلون .

وهنا في مدينة عدن -المدينة الرابضة بين الجبال الشماء؛ المطلـة على البحر الزاخر؛ مدينة الحيوية والـذكريات؛ مدينـة التـاريخ والآثار؛ مدينة المظاهر الناطقة بعمق الحيـاة وعراقـة المـواطن؛ مساجدها وزواياها معلنة عن تاريخ سلسلة من الأماجـد الـذين عكفوا بين المحاريب للإبلاغ والدعوة إلى اللّه والتصـدر للتعلـيم والإفادة. هنا يجد المرء نفسه منساقة بالفطرة إلى التأمل والتفكـر، وإلى استعادة الماضي من خلال قراءة مشـاهد الحاضـر؛ ليمتلـئ الضمير ارتياحاً، والفؤاد جة.

وهناك تحت سفح الجبل الأشم في جنوب غرب مدينـة عـدن يرقب الزائر مسجد الإمام أبي بكر العدني ابن عبداللّه العيـدروس،

وهو مسجد عريق التأسيس بـني في حياة الإمام العدني إبـان حلوله بعدن خلال القرن التاسع الهجري . كان هذا المسجد منـذ تأسيسه مجمع المريدين، ومقصد الفقراء وطلاب العلـم؛ مسـجداً تميزه المئذنة العالية الجميلة ذات الطراز الهندسـي المتفـرد، وقبتـه البيضاء الناصعة، وشرفاتها المتعددة [1]. وتحت القبة مباشـرة يقـع ضريح الإمام العدني، ومن حوله أضرحة متعـددة داخـل القبـة وخارجها.

لقد دفن في هذه المقابر عدد من أفراد بيت الإمام العدني، منهم ولده الشيخ أحمد المساوى[2]، والسيد عمر بن عبدالله العيدروس[3]، والسيدة مزنة[4] بنت الإمام العدني ، ودفن أيضاً تحت القبة الأمـير مرجان بن عبدالله الظافري أمير عدن[5]، الذي كان محباً للإمـام العدني ومتعلقاً به، وهو من بنى بجوار المسجد رباطاً كـبيراً وداراً

---

(١) بنى القبة السلطان عامر بن عبد الوهاب.

(٢) ستأتي ترجمته مع التلاميذ .

(٣) وهو سبط المترجم له ، أي: ابن بنته.

(٤) وهي أم السيد عمر المذكور آنفا.

(٥) ستأتي ترجمته مع التلاميذ .

لسكن الشيخ القائم بالتربة [1].

وفي كل يوم وليلة يشهد المسجد المبارك والمقام الباذخ زواراً من كل حدب وصوب؛ من راغب في قراءة التاريخ الصامت، ومن مستطلع آثار المتقدمين في البناء والهندسة والتصميم، ومن سائح جره الفضول السياحي لمشهد يحمل مقومات تاريخية فنية ودينية، ومن زائر يتذكر الآخرة؛ ويستغفر لأهل القبور؛ ومن الناس من ليس بذاك ولا ذا؛ ولكل وجهة هو مولّيها.

ويتساءل العديد من الناس – خصوصاً في عصرنا الحاضر – من هو العيدروس ؟ وما قصة تفرده ذا المقام والاحترام، وبماذا تفرد في هذا الموطن حتى صار مشهده مستحقاً لهذا التبجيل ؟

والحقيقة التي خفيت عن الكثير من ضحايا الإعلام المعاصر أن لكل تاريخ رجال، ولكل رجال سمات وعلامات؛ وإذا لم يبق من العلامات والسمات غير الأبنية المشيدة والثياب المنجدة؛ فالأمر يدل على خيانة حلت بتاريخ الرجال، وتضافر سلبي تعاونت عليه الأجيال؛ وعند ذلك لابد من نفض الغبار عن تلك الأستار؛

(١) « تاريخ الشحر » ص٨٦ .

ليرى الجيل المخدوع أن هذه الآثار تنبـي عن أئمة صنعوا ا ـد، وصاغوه للأمة بصدق الاتباع، وكمال الانتفاع .

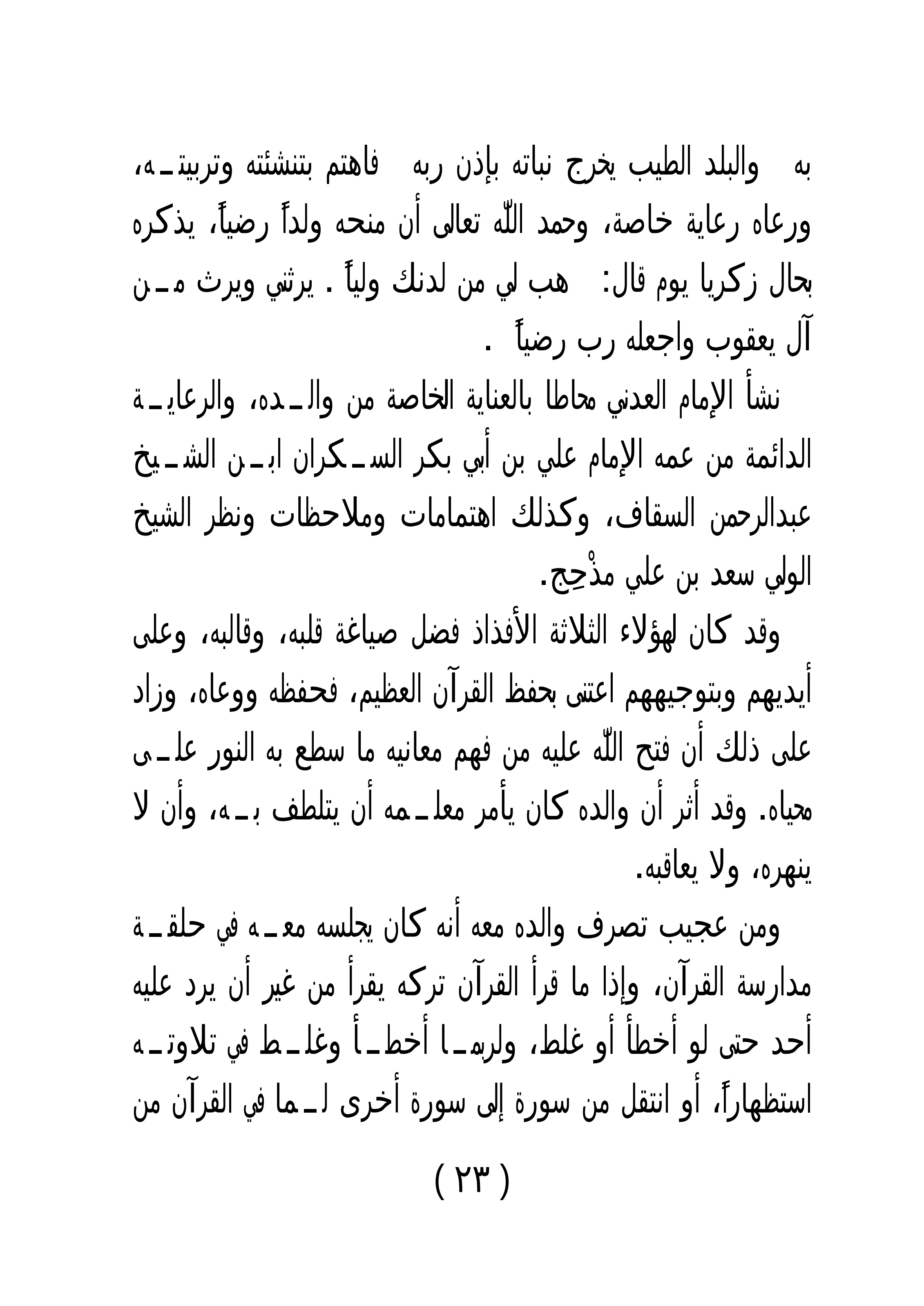
ولـم تكن الأبـنـية والأستار إلا أدنى مظاهر شعور الأجيال المتلاحقة بالعجز عن الارتفاع إلى مستوى أولئـك؛ فخلـدوهم للتاريخ المعاصر بحمل الأكسية والـمباخر تاركين ما كان عليـه أولئك الشيوخ من المحامد والـمفاخر.

وإن من هؤلاء الشيوخ الأكابر صاحب هذا المشهد الشـامخ، الإمام الشريف السني الحسيني أبابكر العدني بن عبداللّه العيدروس، اشتهر في عدن بالعيدروس نسبةً إلى أبيه، ولقب بالعدني لسكناه في عدن ووفاته ا.

ميلاده ونشأته

ولد الإمام العدني -في أوائل القرن التاسع الهجري عام ٨٥١ هـ وقيل: عام ٨٥٢هـ، الموافق عام ١٤٣٢م تقريباً- بمدينـة تـريم الغناء؛ إحدى مدن حضرموت، وأهم مراكزها الدينية علـى مـر التاريخ.

كان والده الإمام عبداللّه العيدروس منتظراً قدومه بعد أن بشـر


به   والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه   فاهتم بتنشئته وتربيتـه، ورعاه رعاية خاصة، وحمد اللّه تعالى أن منحه ولداً رضياً، يذكره بحال زكريا يوم قال: هب لي من لدنك ولياً . يرثني ويرث مـن آل يعقوب واجعله رب رضياً   .

نشأ الإمام العدني محاطا بالعناية الخاصة من والـده، والرعايـة الدائمة من عمه الإمام علي بن أبي بكر السـكران ابـن الشـيخ عبدالرحمن السقاف، وكذلك اهتمامات وملاحظات ونظر الشيخ الولي سعد بن علي مذْحِج.

وقد كان لهؤلاء الثلاثة الأفذاذ فضل صياغة قلبه، وقالبه، وعلى أيديهم وبتوجيههم اعتنى بحفظ القرآن العظيم، فحفظه ووعاه، وزاد على ذلك أن فتح اللّه عليه من فهم معانيه ما سطع به النور علـى محياه. وقد أثر أن والده كان يأمر معلـمه أن يتلطف بـه، وأن لا ينهره، ولا يعاقبه.

ومن عجيب تصرف والده معه أنه كان يجلسه معـه في حلقـة مدارسة القرآن، وإذا ما قرأ القرآن تركه يقرأ من غير أن يرد عليه أحد حتى لو أخطأ أو غلط، ولربمـا أخطـأ وغلـط في تلاوتـه استظهاراً، أو انتقل من سورة إلى سورة أخرى لـما في القرآن من

المتشابه فيتركه حتى يعود بنفسه مرة أخرى إلى تصحيح ما أخطأ فيه.

وفي هذا العمر المبكر وجهه والده إلى قراءة مبادئ العلوم من لغة، وحديث، وتفسير، وفقه وغيرها من العلوم المتداولة آنذاك. وكان يشجعه على المطالعة والمراجعة والبحث، حتى صار ميالاً بطبعه للمطالعة في المؤلفات التي تزخر بها مكتبة والده، ومع هذا الميل الطبعي فقد حرص والده على أن يلاحظ توجهه من خلال مطالعاته. وفي هذا المضمار يتحدث الإمام العدني عن نفسه فيقول : (لا أذكر أن والدي – رحمه اللّه – ضربني ولا انتهرني قط ؛ إلا مرة واحدة لما رأى بيدي جزءاً من كتاب «الفتوحات المكية» لابن عربي، فغضب غضباً شديداً، فهجرتها من يومئذ) .

وقال : (وكان والدي ينهى عن مطالعة كتاب «الفتوحات» و«الفصوص» لابن عربي، ويأمر بحسن الظن فيه، ويقول: إن كتبه اشتملت على حقائق لا يدركها إلا أرباب النهايات، وتضر بأرباب البدايات [1]).

---

(١) في هذه العبارة إشارة إلى ما يسمى اليوم بالمستوى؛ حيث يشير الإمام العيدروس لولده العدني أن كثيراً من الكتب التي سبح مؤلفوها في بحور الحقائق لا

...

تتلاءم مع المبتدئ، أولاً لعدم تأهله لفهم ما فيها؛ ثم لأن المبتدئ غير محتاج لـما فيها، وما فيها مستعاض عنه بما هو أهم وأجدى وأنفع، وأما أرباب النهايات – وهم ما يمكن أن يطلق عليهم اليوم « المتخصصين » - فهم قادرون علـى فهـم العبارة، وأيضاً لا يضرهم منها ما لا يطابق النقل، والعقل؛ لتمكنـهم في علـوم الشريعة، وفهمهم حال أولئك، وما بلغوه من مقامات وأحوال.

وهذا القول الذي وضعه الإمام العيدروس يدل على أن السلف الصالح كانوا ينشئون أبناءهم على هدي الكتاب والسنة، وهم المحقوقون بذلك؛ ولذا تـراهم يصرفون نظر أبنائهم عن الكتب الأخرى، بل وينكرون عليهم ذلك، وفي هـذا أكبر حجة ودليل على عدم العلاقة بين مسلك التصوف بحضرموت وبين إفـراط المفرطين في مفاهيم التوحيد المنسوبة لبعض الأولياء كـالحلول والاتحـاد ومـا شاكلهما من الأقاويل التي يرمي ا المتأخرون « الصوفيةَ » على غـير تمييـز ولا بيان.

وأفضل ما نستدل به على « سلامة منهج السلف » ليس التـهم المقـروءة والـمسموعة في كتب الإعلام العصرية، وإنما « عبارات السلف وكلـما م التي حفظتها لنا تراجمهم » حيث سنجد أن السلف قد سبقوا متأخري العصر في تحييد «مفاهيم الإفراط» عن حقيقة المنهج العلـمي المتبع لدى أهل السنة والجماعة، بل وتفوق الأوائل على الأواخر أ م سلكوا مع ابن عربي والحلاج وغيرهم مسـلك الأدب، ولـم يتهموهم بالـمروق والإلحاد، بل حذروا من كتبهم وأقـوالهم، وتركوا أمرهم إلى الله.

إقامته وترحاله

عاش الإمام أبوبكر بن عبدالله العيدروس منذ ولادته في حضرموت متدرجاً في السلوك، والعلـم، والاستفادة، والقيام بمظـاهر والـده الإمام العيدروس بعد وفاته، وقد بلغت مدة هذه الإقامـة المتواليـة ثـمانية وثلاثين سنة تقريباً ؛ إلا أنه بعد وفاة والده صـار يتعهـد السفر إلى الشحر كعادة والده؛ وقد كان والده دائـم السـفر إلى الشحر لزيارة الشيخ سعد بن علي الظفاري ثم الشحري، وتأسـيا بأبيه صار الإمام أبو بكر العدني يسافر إلى شبام ودوعـن لزيـارة المشاهد والـمآثر، ومنها زيارة قيدون، حيـث ضـريح الشـيخ سعيد بن عيسى العمودي. وكان يتردد إلى شعب نبي اللّـه هـود، ويعبر أثناء رحلته على البداوة وأهل القرى لنشر الدعوة إلى اللّه.

وسافر إلى الحرمين الشـريفين مـرتين؛ الأولى كانـت عـام ٨٨٠هـ[(١)]، وعاد منها إلى حضرموت، والثانيـة كانـت عـام

---

(١) رحلته الأولى بطريق البر، وإليها أشار الشيخ عبد اللطيـف بـاوزير في مقدمـة الديوان، وأشار إلى مرور الإمام أبي بكر العدني بسـاحل بـلاد العوالـق إلا أن التصحيف في الكتابة جرى مجراه، فكتب « بلاد الطوالقة » بالطاء، ولا توجد على ساحل البحر العربي بلاد ـذا الاسم.

٨٨٨هـ ، ومنها دخل إلى زيلع[1] التي حاكمها محمد بن عتيق ، وله تعلق كبير بالإمام أبي بكر العيدروس، وقد ارتبط واتصل به قبل وصوله، ويذكر أن الإمام أبي بكر العيـدروس انتقـل إلى عـدن واستوطن في ذلك العام.

وذكر الشيخ بحرق -في « مواهب القدوس »- أنه لـما عزم الشيخ أبوبكر بن عبدالله على السفر إلى الحج في المرة الثانية دخل على والدته الصالحة التقية عائشة بنت الشيخ عمر المحضار ليستودع منها؛ فرآهـا متغيرة الحال لفراقه، فأشفق عليها وعزم على ترك السفر؛ فلـما رأت منه ذلك قالت له: (اعزم يا ولدي على ماكنت عليه من السفر؛ وأنـا أصبر على فراقك) ، فقال لها: (أخشى أن يأتي الموت وأنـا غائـب عنك) ، فقالت : (إنك لن تحضر موتي أبداً) ، قال : (وكيف ذلك يكون ؟) قالت : (إني رأيت في المنام كأني دخلت الجنة فسألت عنك، فقيل لي: إنه في زيلع، وما معنى ذلك إلا أني أموت وأنـت بزيلـع). وكان الأمر كذلك، فإنها رحمها الله توفيت وهو في زيلع بعد رجوعـه من مناسك الحج.

---

(١) عاصمة بلاد الصومال آنذاك.

توطنه في عدن المحروسة

لـما غادر الإمام العدني حضرموت في حجته الثانيـة سـار في طريقه إلى بلاد كثيرة، وعبر على عدن و ائم اليمن كزبيد وبيـت الفقيه والـمراوعة، وكان مع ابن عمه الشيخ عبدالرحمن بن علي، واتصلا في هذه الرحلة بجملة من العلـماء والـمحدثين والأولياء المتقين؛ حتى بلغا أرض الحرمين الشريفين، وحجا تلك السـنة؛ ثم عزم الإمام العدني على السفر بعد الحج إلى زيلع للقـاء حاكمهـا محمد بن عتيق، وكانت معرفته به من الحجة الأولى ٨٨٠ هـ.

وفي زيلع وصل الخبر بموت والدته الشريفة عائشة بنت الشـيخ عمر المحضار، فحزن لـمو ا حزناً شديداً، وتذكر ما وعدت بـه في الرؤيا. وبعد أيام سافر إلى الحديدة بحراً. ومنها إلى تعز في أوائل عام ٨٨٩ هـ، وكان عازما على الركوب إلى الشـحر، فوافـق دخولُه تعزاً اجتماع الناس للتعزية بوفاة الشريف سراج الدين عمر بن عبدالرحمن صاحب الحمراء المتوفى بتعـز في شـهر رمضـان ٨٨٨هـ، فانكبت الناس على الإمام العدني للتعزية، وأرسل إليـه علـماء عدن بعزمهم على الوصول إلى تعز لتعزيته؛ فأرسل إليهم أنه سيأتي إلى عدن، فعزم على زيارة عـدن، ولـما وصـل إلى

الحوطة – عاصمة لحج – أرسل من يخبر أهل عدن بقدومه؛ فخرج علـماء عدن ووجهاؤها وعامة أهلها لاستقباله، ودخـل مدينـة عدن في موكب مهيب يوم ١٣ ربيع الثاني من عام ٨٨٩هـ [1]، واستقبل التعازي من الناس، ولازمه العدد الكثير طلبـاً لدعائـه، وامتلأت القلوب بمحبته، وألقى المولى على أهالي عدن شدة التعلق به، فطلبوا منه الإقامة ا؛ فاستخار ربه تعالى في ذلك فانشرح لـه الصدر، وتم الأمر على مقتضى ما كتب اللّه في سابق الأزل؛ قال في «مواهب القدوس» : (وكان قد أخبره عمه الشيخ علي بن أبي بكر السكران في مقتبل عمره بأنه يسكن عدن ويموت ا، فكان الأمـر كذلك، ومنذ ذلك الحين أقام الإمام العدني بمدينة عدن، وشيد فيها

(١) خلد أهل عدن هذه الذكرى المباركة كل عام بإقامة ما يسمونه بالزيارة السنوية للعيدروس، وهي مناسبة دخوله إليها، لا كما يعتقد البعض أ ا حـول وفاتـه، وللزيارة المذكورة اهتمام ومظهر كبير في عدن منذ القـدم، وصـارت إحـدى المناسبات الشعبية الرسمية التي تعتني ا الدولة والشعب، إلا أن هذه المناسبة طرأت عليها بعض الإفراطات التي كانت سبباً من أسباب الهجمة المبيتـة علـى المقـام والـمقابر بتاريخ ٢٣ / ٣ / ١٤١٥ الموافق ١٩٩٤/٩/٢ م، وقد أعاد المناصب بعد ذلك دور الزيارة العلـمي والعملي بالتدريج حتى صارت اليوم مناسبة ذات مدلولات اجتماعية وروحية هامة ومفيدة.

جامعه الأفْيح الذي صار طيلة حياته قبلة القاصدين، ومأوى لطلاب العلـم، وغرباء الدارين، والـمتعلقين، والـمحبين، وظل كذلك حتى وفاة الإمام العدني في شهر شوال من عام ٩١٤ هـ) .

وذكر صاحب « تاريخ الشحر »[1] أن السـلطان عـامر بـن عبدالوهاب بنى على قبر الإمام العدني قبة معظمة عجيبة. وبنى من بعده الأمير مرجان الظافري رباطاً كبيراً، وداراً كبيرة لسكنى الشيخ القائم بالتربة، ثم بنى الشيخ محمد بن عبدالـملك ثلاثة أروقة محيطة بالقبة .اهـ. ولـم ينقطع مدد رباط عدن بعد انتقال الإمام العدني إلى رحمة اللّه؛ بل قام بالأمر من بعده ولده الشيخ أحمد المسـاوى حتى وفاته؛ ثم قام من بعده الشريف محمد بن عبداللّـه، وأخـوه عمر بن عبداللّه، وهكذا .

أحوال الإمام أبي بكر العدني وعاداته وبعض صفاته

عاش – رضي اللّه عنه – منذ صباه موطناً نفسه على العـادات الحسنة، والصفات المستحسنة، فلا غرو إذا تفرد عـن الأشـباه، والأمثال في بعض أحواله؛ فقد كان وقته مقسماً منذ نعومة أظفاره

(١) ص٨٦ .

بين طاعة اللّه، وخدمة العلـم، وطلبه، ونشر الـدعوة إلى اللّـه، ومجالسة أهل الخير، وذكر اللّه تعالى في السر، والجهـر، وقـراءة القرآن، وتلاوة الأوراد، وخدمة والديه؛ شغوفاً بمطالعـة الكتـب النافعة؛ صارفاً جل أوقاته في النفع الخاص والعام؛ رؤوفاً بـالعوام وخاصة ممن يترددون على مجالسه، ويعاملهم بـاللطف، واللـين، ويوجههم إلى الخير بالحسنى، وكان يقول : (إني إذا رأيت المؤمن قد وفقه اللّه لأداء الفرائض، واجتناب الكبائر أرحت خاطري منه ؛ لأنه قد صار مع الركب يمشي على قدميه، وإنما أشغل خـاطري، وأصرف عنايتي، وأبذل جهدي في خلاص من رأيته منـهمكاً في العصيان، واقعاً في حبائل الشيطان[1]) .

ولهذا كان بعد استقراره في مدينة عدن يجمع أتباعه ومحبيـه في مجالسه كل ليلة؛ وخاصة من يعرف أن انصرافه وذهابه يعود عليـه بالـمعاصي والـمخالفات، فكان يحفظهم بالـمجالسة وسمـاع الذكر والقراءة حتى صلاة الفجر؛ فيصلي م في مسجده، ويعطي كل واحد منهم أجرة عمل يومه، ويسمح له بالذهاب إلى منـزله

(١) ((ا موعة العيدروسية)) ص٢٠.

لينام، حتى يتروض حاله على الطاعة، ويعزف عن حب المعصـية، فيتركه بعد ذلك يسوس نفسه في كسبه وطاعته للّه.

وكان رحمه اللّه على غاية من الرأفة والرحمة بالـمسلـمين المنكسرة قلوبهم، يؤنسهم، ولا يرهبهم، ويفتح لهم بـاب الرجـاء والطمع في عفو اللّه؛ لعلـمه بسعة رحمة مولاه، وكـان جامعـاً للأخلاق المحمودة من الحياء، والـمروءة، والزهد في الدنيا، شديد التمسك والاعتصام بكتاب اللّه وسنة رسول صـلى اللّـه عليـه وسلـم، ويحث مريديه على ذلك، ويكره الخـوض في فضـول الكلام مثل ما جرى بين الصحابة [1] رضوان اللّه عليهم أجمعين .

وكان ينـزعج كثيراً إذا وردت عليه في التلاوة آيات الخوف، ويبكي كثيراً، وإذا وردت آيات الترغيب ارتـاح لهـا، وانبسـط وانفرجت أساريره، وكان يعجب ممن لا يتـأثر بآيـات التقريـع

---

(١) مذهب السلف بحضرموت عدم الخوض فيما جرى بين الصحابة، وترك الجدل فيه من أساسه حيث لا يرون في ذلك الأمر فائدة ترجـى للأمـة غـير البغضـاء، والشحناء، وفتح المجال للسفهاء وأتباع الأهواء الذين يأكلون ويشربون بإشـاعة الجدال، والكلام في الرجال، وربما ضعفوا عن وضع القواعد الشرعية لبناء الحاضر والـمستقبل على الكيفية المرجوة، وإذا قرئ في بعض الكتب شيء مـن ذلـك كانوا يمرون القراءة دون تعليق، ويتجاوزون الوقوف عندها.

والترهيب، ويقول في ذلك : (إن القلوب إذا استحكم عليها الهوى لـم يزدها التخويف إلا نفوراً) .

وكان جلالي الجوهر؛ جمالي المظهر؛ حسن الاختيار لكل طيب في الملبس والمـأكل والـمركب، وكان كثير الإنفاق حتى ركبته الديون الكثيرة، ولامه بعض خاصته على كثرة إنفاقه فكان يقـول لهم: لا تدخلوا بيني وبين ربي، فما أنفقت ذلك إلا لرضاه، وقـد وعدني أن لا أخرج من الدنيا إلا وقد أدى عني ديني، فكان الأمـر كما قال رحمه اللّه .

قال في « مواهب القدوس » حول ما أثير عن كثرة الإنفاق مـن يده رحمه اللّه : (جرى ذكر الإمام العدني بحضرة السلطان العادل عبداللّه الكثيري، وكأن بعض الحاضرين عرض بالطعن في الإمـام العدني، فزجره السلطان وقال : أشهد أنه سيد أهل عصـره ؛ لأن سادة الناس في الدنيا الأسخياء، ولا أعلـم على وجه الأرض أكرم منه [1]) .

---

(١) « مواهب القدوس » ص١٣، وجاء في « النور السافر » ص٢٦٧ عـن الشـيخ العلامة عمر بن أحمد بن محمد بن عثمان العمودي أنه دخل عدناً في زمان الشيخ أبي بكر العدني العيدروس، فأضافه الشيخ أبوبكر، وبالغ في ذلك، فلـما رأى

وكان رحمه اللّه بادئ ذي بدء في مدينة عدن يسكن بمنطقة صيرة قريباً من البحر حتى تـم تشييد مسجده سنة ٨٩٠ هـ ـ الموافـق ١٤٧٠ م؛ فانتقل إلى جواره، وفـتح دروس العلـ ـم، وحلقـات التذكير، وصار مسجده ومنـزله ملتقى الأضياف والزوار من كافة النواحي والأقطار، وكان يطرب للسماع، ويأنس بـه في مجالسـه، ويعقد له الأوقات الخاصة بعد أن يقضي وظائف الأوقات الأخـرى بالعلـم، والدروس، والذكر والتذكير.

ولـما سئل الشيخ عبداللطيف بن أحمد الزبيدي[1] عن أحـوال الإمام العدني قال: (الذي نعتقده وندين اللّه به أنه صاحب الوقت، وشرح أحواله قدس اللّه سره يطول، وإنما الغرض إزالة الإشـكال عن أهل الوهم والخيال بشهادة أرباب البصائر والكمال) .اهـ .

قال الشيخ محمد بن عمر بحرق الحضـرمي[2] : ولقـد كنـت

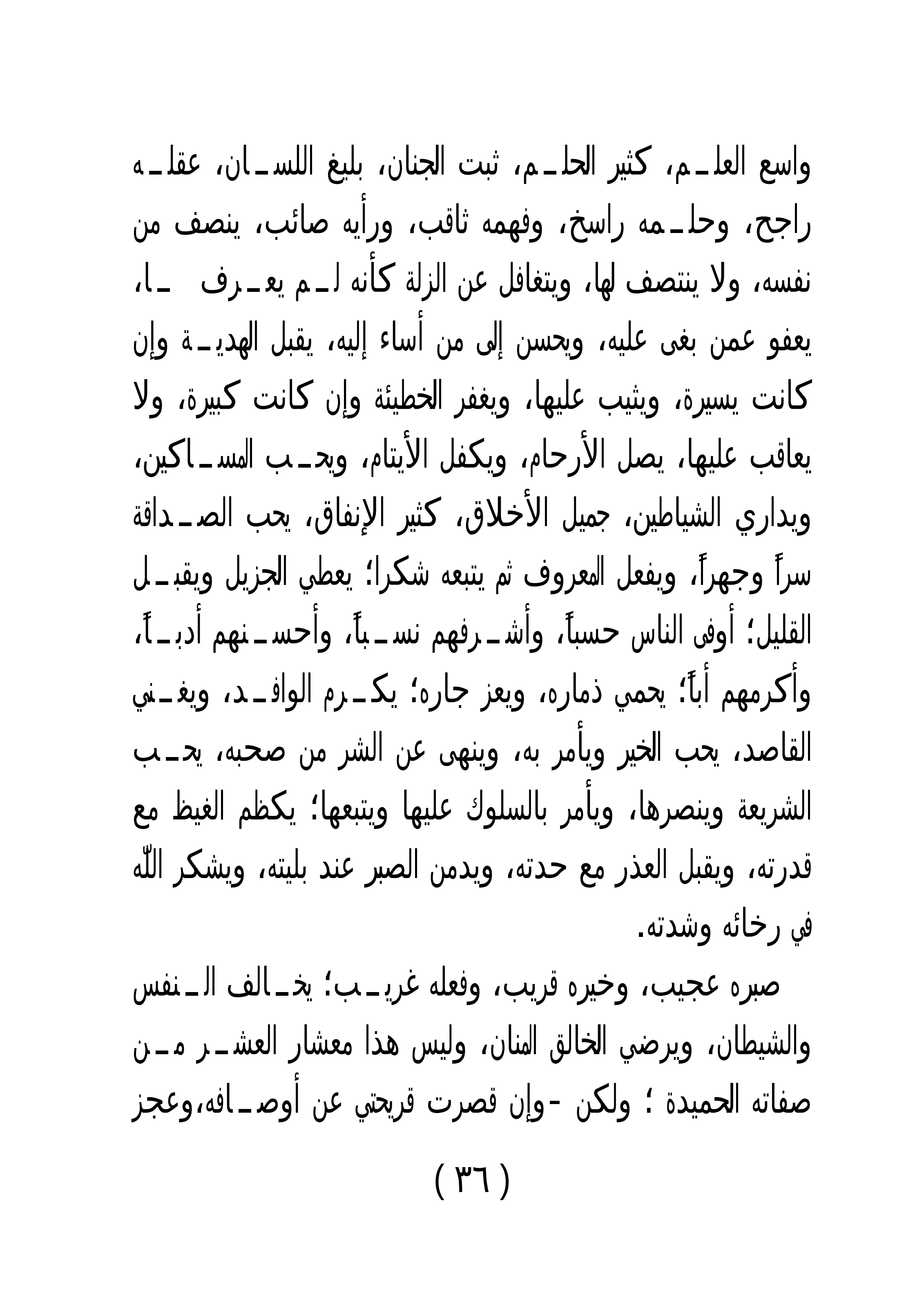
الشيخ عمر كثرة ما صنع خطر في قلبه أن هذا إسراف . فالتفت إليـه الشـيخ أبوبكر العدني قائلاً : (أكرمناهم فقالوا إسراف) . فقال الشيخ عمر : أسـتغفر اللّه.اهـ . ويدل كلام الإمام العدني أن صنيعه كان على نية إكرام العلـم وأهله، وليس للتبذير .

(١) ستأتي ترجمته مع التلاميذ .

(٢) « مواهب القدوس » ص١٤ .

أستشكل أشياء تصدر من سيدي قدس اللّه سره تقصر عنها عقول أمثالنا القاصرة، وكنت بتوفيق اللّه أعرضها على أرباب البصـائر، وما منهم أحد إلا ويأمرني بالتسليم، ويشهد عندي بعلـو مقـام سيدي، وأنه على هدى من العليم، ومنها أني عرضت على سـيدنا وشيخنا الفقيه العالـم العارف باللّه محمد بـن أحمـد باجرفيـل الدوعني رحمه اللّه تصرفات مالية يباشـرها سـيدي في قبضـها، وصرفها في ظاهر الأمر في غير مصارفها، فقال لي: أنا أشهد أنـه أمير المؤمنين المالك للتولية والعزل، والحل والعقـد، والتصـرفات كلها..إلخ . ومنها أني قلت لسيدنا وشيخنا الشريف بدر الـدين الحسين بن الصديق بن الحسين الأهدل قدس اللّـه أرواحهـم أن أحوال سيدي الشيخ أبي بكر أشكلت علينا، فقال : دعها تحـت حجا ا؛ مستورة بسحا ا؛ فلو أشرقت لأحرقت الوجود كله، أما ترى أنا نقف على أبوابه، ونكتفي بتقبيل أعتابه) .

ونختم هذا الفصل عن أحواله بما وصفه به تلـميذه الشـيخ عبداللطيف باوزير في مقدمة الديوان «محجة السالك» بما مثالـه : وشيخنا رضي اللّه عنه أحسن الناس خلقاً وخلقاً، وأكثرهم أدبـاً؛ سهل الجناب؛ قريب الحجاب، حسن الخطاب، سـريع الجـواب،


واسع العلم، كثير الحلم، ثبت الجنان، بليغ اللسان، عقله راجح، وحلمه راسخ، وفهمه ثاقب، ورأيه صائب، ينصف من نفسه، ولا ينتصف لها، ويتغافل عن الزلة كأنه لم يعرفها، يعفو عمن بغى عليه، ويحسن إلى من أساء إليه، يقبل الهدية وإن كانت يسيرة، ويثيب عليها، ويغفر الخطيئة وإن كانت كبيرة، ولا يعاقب عليها، يصل الأرحام، ويكفل الأيتام، ويحب المساكين، ويداري الشياطين، جميل الأخلاق، كثير الإنفاق، يحب الصداقة سراً وجهراً، ويفعل المعروف ثم يتبعه شكرا؛ يعطي الجزيل ويقبل القليل؛ أوفى الناس حسباً، وأشرفهم نسباً، وأحسنهم أدباً، وأكرمهم أباً؛ يحمي ذماره، ويعز جاره؛ يكرم الوافد، ويغني القاصد، يحب الخير ويأمر به، وينهى عن الشر من صحبه، يحب الشريعة وينصرها، ويأمر بالسلوك عليها ويتبعها؛ يكظم الغيظ مع قدرته، ويقبل العذر مع حدته، ويدمن الصبر عند بليته، ويشكر اللّٰه في رخائه وشدته.

صبره عجيب، وخيره قريب، وفعله غريب؛ يخالف النفس والشيطان، ويرضي الخالق المنان، وليس هذا معشار العشر من صفاته الحميدة ؛ ولكن -وإن قصرت قريحتي عن أوصافه،وعجز

فهمي عن اتصافه- أقول كما قال القائل :

جمعت له وصفاً على حسبِ طاقتي   ومـا أنـا إلا باليسـير لجـامع

وقال عن صفاته في مقدمة الديوان[1] : (وشيخنا رضي اللّه عنه أعلـم أهل زمانه بالسنة، وأقومهم عليها، وآمرهم باتباع الملـة، وأحبهم فيها، ولقد رأيت علـماء الحديث، والأصول، والفروع، وغيرهم يأتون إليه فيملي على كل في فنه حتى يفحمهم. يذكّر في الرجاء حتى يتحقق أنه أرجا خلق اللّه، وإذا وعـظ يتحقـق أنـه أخوف خلق اللّه؛ يحب من الأمور ما تيسر، ويكره ما تعسر ؛ لأن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلـم ما خير بين أمـرين إلا اختـار أيسرهما. وشيخنا رضي اللّه عنه يحب التفاؤل بالخير، ويكره التطير بالشر) .

أما البشارات والإشارات التي أظهرت فضله، ومقامه فكـثيرة، ومنتشر خبرها في كتب الطبقات والتـراجم، ومنـها مـا أورده صاحب «العقد النبوي»[2]: إن الفقيه عبدالرحمن باوزير قال : (بينما نحن جلوس عند أبيه إذ قال: « اللّه أكبر » ثلاثاً، فقلت له : مه يـا

---

(١) ديوان « محجة السالك » ص٤ .

(٢) « العقد النبوي » ص١٢٠ .

سيدي ؟ قال : بشرت بولدٍ من أهل الولاية والعناية والمكارم، وقال أيضاً في بعض الليالي وقد طرأ عليه حال من حالات وجده : يبرز ويظهر بدر الكمال، من أبراج الجمال، الحائز لمحامد الأعمال، صاحب المقام الأسنى، والسر المصون الأهنى، فولد الشيخ المذكور في ذلك اليوم.

وكان السلطان سلطان بن دويس والي تريم جالساً يوماً عند الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس وولده أبو بكر يعبث بلحيته، فقال السلطان: يا شيخ تحب هذا الولد ؟ فقال : وكيف لا أحبه ؟! قد بشرت عند وضعه أني أعطيت ولداً من أهل العناية والولاية) .

شيوخه ومعلموه

الشيخ أساس من أساسيات الطريق، ويعرفه أهل العلم بأنه المعلم الآخذ بالمريد إلى الله بالنصيحة، والقدوة الحسنة، ومراعاة الحال والنفس بالرياضة والتأديب حيناً، وحيناً بالزجر، والتأنيب. وكما أن للصلاة إماماً، وللمعارف العلمية خبراء؛ فإن لتربية النفس، و ذيبها في ذات الله شيوخاً ومسلكين. واتخاذ الشيخ للمريد أمر لا بد منه حتى لا يتخذ إلهه هواه.

وإن من مصيبة الزمان انعدام الشيوخ المربين، وكثرة المتحذلقين الفتانين. وقد كان السلف الصالح يعتنون بالبحث عن الشـيوخ، ويسافرون في سبيل ذلك ويظعنون.

والشيوخ أنواع ومراتب؛ فشيخ فتح، وشيخ تسليك، وتربيـة؛ وشيخ تعليم؛ وشيخ تبرك.

وقد هيأ اللّه للإمام العدني هذه النماذج كلها منطوية في جملة من الرجال الذين ارتبط م وأخذ عنهم كما سيأتي:-

والده الإمام عبداللّه العيدروس

كان زعيم العلويين وحجتهم، وإمامهم في عصره. ولد بتريم سنة ٨١١هـ، وحفظ القرآن العظيم. واستوعب علوم عصره، ومصره، وزاد عليها من علـم الأحوال والباطن بما شهد له بـه الخـاص والعام. لقّبه والده بالعيدروس. وهو لقـب يطلـق علـى «إمـام الصوفية». قال في «المشرع»[1]: (العيدروس لقب إمام الأولياء، وقال بعضهم: العيتروس من أسماء الأسد، ولـما بشر بولادته جده عبد

(١) « المشرع الروي » (٢: ١٥٢) .

الرحمن السقاف قال: هو صوفي وقته) . اهـ . كما يطلـق عليـه «العيدروس الأكبر» تمييزا له عن بقية العدارسة من بعده.

مات عنه والده وهو ابن عشر سنين؛ فقام بتربيته عمه الشيخ عمر المحضار، وزوجه بابنته عائشة؛ ثم ربطه بجملة من أكـابر شـيوخ عصره فأخذ العلوم، وتبحر فيها؛ خصوصاً في علوم الشريعة، فقهاً، وحديثاً، وعقائد. وتفوق في علوم التصوف علـماً وحالاً، وكانت له مجاهدات، ورياضات أخذها عن عمه المحضار، ولـما توفي عمه المحضار اختاره بنوعلوي نقيباً لهم وعمره خمس وعشرون سنة، فقام ا خير قيام، وأخذ عنه الخاص والعام؛ ثم لـم يزل كذلك حـتى توفاه اللّه وهو في رحلة جهة الشحر عائداً إلى تريم بقرية تسمى « عبول » في ١٢ رمضان ٨٦٥ هـ ، وعمره حينئذ أربع وخمسـون سنة، ثم حمل على الأعناق إلى تريم ودفن ا يوم الرابع عشر مـن رمضان، وصلى عليه أخوه الشيخ علي بن أبي بكر وقال فيه بعد أن لقنه :

غِبتم فيا وحشةَ الدنيا بفَقْـدِكُم فاليوم لا عِوض عنكم ولا بـدلُ

وهو أول شيوخ الإمام العدني؛ وأول من فتق لهاته للـ ـمعارف والعلوم، وأسبق الرجال لـمنحه زناد قبس الفهوم؛ بل نبت لحمه،

وعقله بين يديه، ونما فهمه وإدراكه من خلال قراءته عليه، وقـد كان حريصاً عليه كل الحرص، يراقب سلوكه وأخلاقـه، ونمـو معرفته وأذواقه، وقد مر آنفاً بعض ما كـان يلاحظـه عليـه في مطالعاته وقراءاته، حتى أقام توجهه على طريق المنـهج السـوي، لـمسلك السادة بـنـي علوي :

وينشأ ناشِـئُ الفتيـان مِنـا   على ما كـان عـوده أبـوه

لقد عوده أبوه على تحقيق كتب العلـم، وحفظ القرآن؛ فحقق في السلوك «بداية الهداية»، و«منهاج العابدين»، وفي الفقه «منـهاج الطالبين»، و«الخلاصة» وكلها للغزالي. و« عمدة ابن النقيب »، وقرأ في السلوك «الإحياء» على والده، وحقق معانيه، ثم التـزم بطريـق النذر مطالعة شيء منه كل يوم طول حياته.

وأدخله أبوه الخلوة وعمره إذ ذاك أربع عشرة سنة، وأخرجه بعد سبعة أيام وقال: إنه بحمد اللّه لا يحتاج رياضة.

وكانت من رياضاته في حياة والده وتحت رعايته: خروجه كل ليلة من آخر الليل إلى بعض شعاب تريم مع ابن عمه عبدالرحمن بن علي، فيقرأ كل واحد منهما عشرة أجزاء في صلاته. ثم يرجعان إلى المسجد قبيل الفجر، كما عود نفسه السهر من صغره حتى صار له

عادة وطبعاً بغير تكلف.

وقبيل وفاة الإمام العيدروس بنحو شهرين -وعمره إذ ذاك أربع عشرة سنة- ألْبس ولده العدني وحكمه وأجازه، وأجلسه مجلسه في رجب سنة ٨٦٥هـ، ولهذا كان يقول : (أتـوني بـا مسـرجة ملجمة، وقالوا : اركب. فركبت[1]).

وقد عاصر الإمام العدني من حياة والده أفضل العمر وأنصـعه؛ وكل حياة الإمام العيدروس فاضلة وناصعة. شهد مقامه الشـامخ على منصة النقابة لبـنـي علوي، وكلـمته النافذة لدى أمـراء حضرموت، ورؤساء العشائر؛ كما جلس بين يديـه في المجـالس الخاصة ، والعامة يقرأ عليه، ويستمع منه، ويتأدب به. وكان والده شغوفاً بكتب الإمام الغزالي، ويقول فيها: (إنـما تصـل إلى فهـم معانيها عموم الأفهام، ويشترك في الوصول إلى العلـم بها الخـاص والعام).

---

(١) قال هذه العبارة عندما أقيم مقام والده بعد موته، وذلك أن بعض أكابر بـنـي علوي قال له : (كيف تنال هذا المقام في هذا السن؟) فقال: (إنما أتوني بها مسرجةً ملجمة.، وقالوا لي: اركب، فركبت) . فقال له ذلك السائل: (اركب يا سـيد، فذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء) .اهـ ص١٢ من «المجموعة العيدروسية» .

كما شهد الإمام العدني كرم والده، وإنفاقه الواسع على الفقراء، والـمحتاجين، والأرامل، والأيتام؛ حتى مات وعليه مـن الـدين والغرم ثلاثون ألف دينار، أداها عنه الإمام العدني فيما بعد؛ وفيها يقول :

أما ترى أنني قَضـيت ديـن أبي وكان ذاك ثلاثونَ الف دينـارِ[1]

وللعيدروس الأكبر جملة من المؤلفات منها ما خـرج إلى حيـز الوجود وطبع كالكبريت الأحمر، ومنها مـا لا يـزال مخطوطـا كمجموع كلامه[2].

الشيخ علي بن أبي بكر السكران

ولد – رحمه اللّه – في تريم سنة ٨١٨هـ حفظ القرآن العظيم، وحقق علوم القراءات؛ وخصوصاً قراءتي أبي عمرو، ونافع، وحفظ «الحاوي الصغير» للقزويني في الفقه، والحاوي في النحو، وكان أهم شيوخه الذين اعتنوا به عمه الشيخ عمر المحضار حيث كان يكفله

---

(١) الديوان، «المجموعة العيدروسية» ص٢٨٨ .

(٢) ومن ترجم له السخاوي في «الضوء اللامع» (٥: ١٦) ، وقد أفردنا له ترجمـة ضمن هذه السلسلة.

هو، وشقيقه العيدروس بعد وفاة والدهما. أخذ عـن جملـة مـن الشيوخ بحضرموت، ورحل إلى الشحر وغيـل بـاوزير لطلـب العلـم؛ كما رحل إلى عدن؛ وأخذ عن الشيخ باشكيل؛ ثم سـافر إلى الحرمين الشريفين سنة ٨٤٩هـ وأخذ عن جملة من العلـماء؛ كما دخل زبيد، وأخذ عن علـمائها. واشـتهر في أول حياتـه بالعلـم، والتحقيق فيه أكثر من اشتهاره بالتصوف وحقائقـه، ثم تدرج في علوم القوم حتى غدا فيها مثالاً، وقدوة.

له مجاهدات عديدة، وتصانيف علـمية مفيدة منـها «معـراج الهداية» و«البرقة المشيقة في أسانيد الطريقة» و « الدر المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي »، وكتب أخرى في الفقه، والنحو، والعقائد، وديوان شعر. وانتفع به خلق كثير داخـل حضـرموت وخارجها . وله اعتناء خاص بكتب الغزالي وخاصة في «الإحياء»، وله حِكَم وعبارات مأثورة ذات أثر قوي على القلوب، ذكر ـا كتب التراجم كـ«المشرع» وغيره. وتوفي وهو قائم في منبر الدعوة والعلـم عام ٨٩٥هـ، ودفن بتريم .

وكان من أعظم شيوخ الإمام العدني تأثيراً عليه، حيـث كـان الإمام العدني يميل إلى عمه الشيخ علي، ويستأنس بقربه، والانتفاع

منه، والأخذ عليه. وقد قرأ عليه جملة من الكتب النافعة، كـ«عوارف المعارف» للإمام شهاب الدين السهروردي، وختمه عليه في مجلسه سنة ٨٧٧هـ، كما ألبسه عمه الخرقة[(١)]، وأذن له في إلباسها، وأجازه في جميع مروياته وأسانيده [(٢)]، وزوجه بنته في

---

(١) الخرقة : هي لباس يوضع على رأس المريد كالعمامة أو القلنسوة، وهي رمز للعلاقة الروحية بين الشيخ والمريد، ومبايعة المريد لشيخه، والدخول تحت دائرة حكم اللّه ورسوله من خلال العلم والعمل، يؤيده حديث الوليد بن عبادة بن الصامت قال : « أخبرني أبي عن أبيه قال : بايعنا رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم - على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، بأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول الحق حيث كان، ولا نخاف في اللّه لومة لائم » .

ففي لبس الخرقة معنى المبايعة. وقد حققنا مطلب الخرقة وأسانيدها واختلاف العلماء فيها في ترجمتنا المطبوعة « الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم » ص٢٩.

(٢) الإجازة : هي سند الرواية في العلوم الشرعية والعلوم الذوقية متسلسلة إلى مصادرها الأصلية، وهي أصل من أصول العلوم وتحقيقها. وكان التلميذ لا يعتبر عند أهل العلم مريداً إلا إذا أذن له شيوخه بواسطة الإجازة مكتوبة أو شفوية، وهي بمثابة الإذن المتسلسل في العلم المجاز فيه، ولها شروط واعتبارات خاصة ذكرها أهل العلم في كثير من مصنفاتهم. وقد أشار إليها في مدرسة حضرموت السيد العلامة عيدروس بن عمر الحبشي في كتابيه « عقد اليواقيت الجوهرية »، و«جواهر اللآل في أسانيد الرجال» .

حياة والده [1].

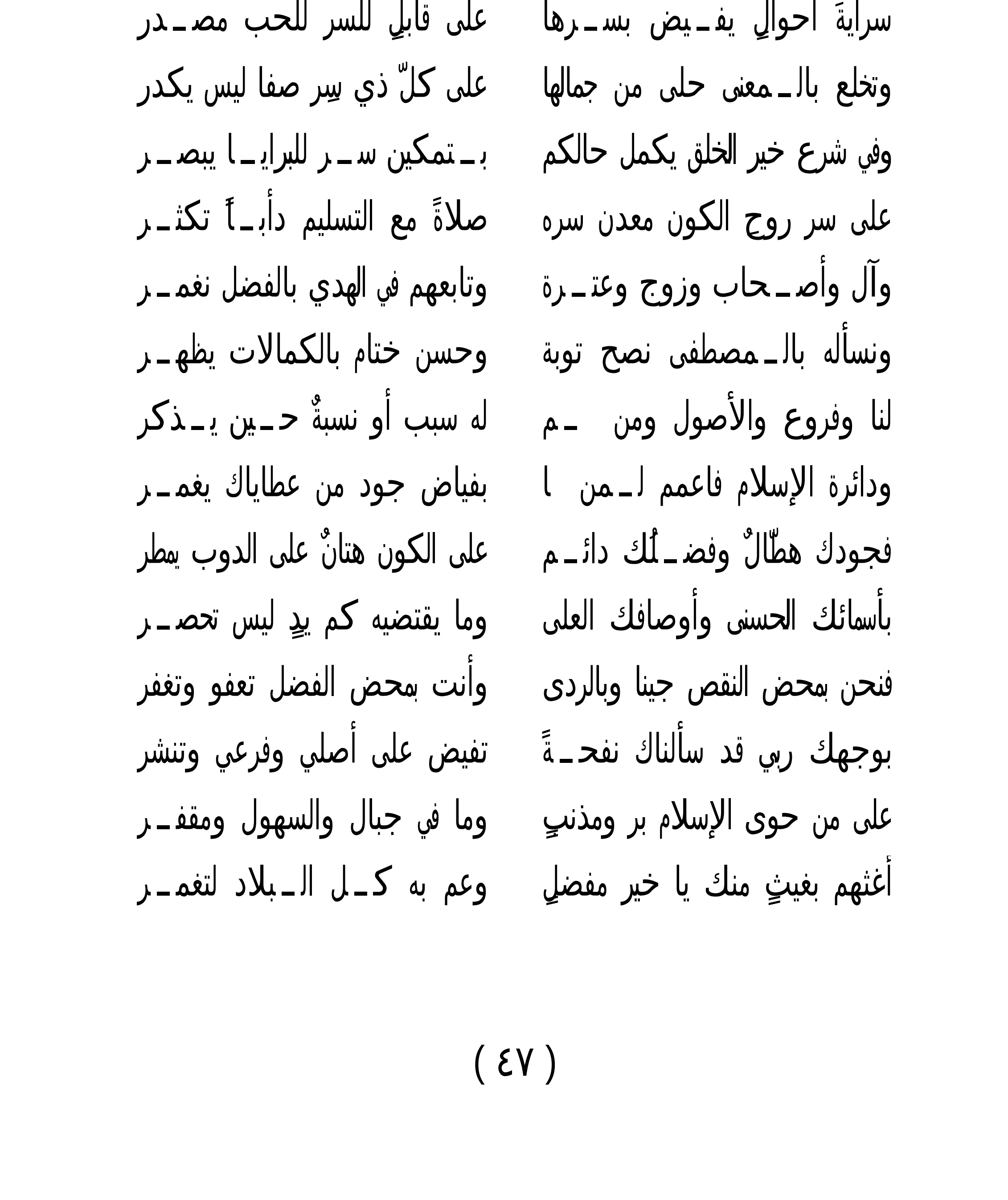
وقال الشيخ علي بن أبي بكر السكران مادحاً فيه [2]:

سلام كنشر المسك بل هو أفخر … وأ ـر من شمس الضـحى حـين
ورحمتـه والزاكيـات غـوامر … مضاعفةٌ تغلو وتعلـو وتشـهر
على فخرِ دينِ اللّه نجلِ عفيفِـه … أبي بكرٍ المفضال سِـر ومظْهـر
رعاه إلهـي واحتظـاه عنايـةً … وخصصه في حيطةِ الحِفْظِ مغمر
جزاه إلهي مِن جزيـل عطائِـه … لطائف لا تحُصى تجل وتكْبـر
ومنه يعود النفع في كـل لحظـةٍ … على السادة الإخوان يطمو ويغمر
سلام عليه كل حـينٍ وطرفـةٍ … سلام على الآباء يزكو وينشـر
سقى اللّه ربعا ضمه وطمى الحمى … سوابغ إفضال من الجـو تمُطـر
وأعطاه تمكينـاً مكينـاً بطاعـةٍ … وحال اشتقاقٍ ما هنالك يبـهر
وحصناً حصيناً من كمال سلامةٍ … ومحضِ نصيحاتٍ تدلّ وتبصـر

---

(١) أشارت كتب التراجم إلى أن الإمام العيدروس زوج ابنه أبابكر العدني وعمـره عشر سنوات على بنت عمه علي بن أبي بكر السكران، وذلك لبلوغـه مبكـراً بسبب اعتدال مزاجه، وصحة تركيب جسمه، ولأن هذا السن أقل ما يكون فيه البلوغ بالاحتلام، وكان السلف يميلون إلى تزويج أبنائهم وبنا م مبكرين .

(٢) « العقد النبوي » (٢: ١٣٥).


يمد ذوي التسليك همّـة أثرهـا بصادق عزمٍ كاملٍ لـيس يفتـر
سرايةَ أحوالٍ يفـيض بسـرها على قابلٍ للسر للحب مصـدر
وتخلع بالـمعنى حلى من جمالها على كلّ ذي سِر صفا ليس يكدر
وفي شرع خير الخلق يكمل حالكم بـتمكين سـر للبرايـا يبصـر
على سر روح الكون معدن سره صلاةً مع التسليم دأبـاً تكثـر
وآل وأصـحاب وزوج وعتـرة وتابعهم في الهدي بالفضل نغمـر
ونسأله بالـمصطفى نصح توبة وحسن ختام بالكمالات يظهـر
لنا وفروع والأصول ومن ـم له سبب أو نسبةٌ حـين يـذكر
ودائرة الإسلام فاعمم لـمن ا بفياض جود من عطاياك يغمـر
فجودك هطّالٌ وفضـلُك دائـم على الكون هتانٌ على الدوب يمطر
بأسمائك الحسنى وأوصافك العلى وما يقتضيه كم يدٍ ليس تحصـر
فنحن بمحض النقص جينا وبالردى وأنت بمحض الفضل تعفو وتغفر
بوجهك ربي قد سألناك نفحـةً تفيض على أصلي وفرعي وتنتشر
على من حوى الإسلام بر ومذنبٍ وما في جبال والسهول ومقفـر
أغثهم بغيثٍ منك يا خير مفضلٍ وعم به كـل الـبلاد لتغمـر

الشيخ الفقيه أبو العباس أحمد بن أبي بكر السكران

ولد بتريم ونشأ ا على غاية من الاجتهاد والـ ـمثابرة. حفـظ القرآن، وحقق العلوم، واستظهر المتون، وبرع في جملة من الفنون. وأخذ عن جملة من شيوخ عصره، وسافر في سبيل الطلب إلى امة اليمن، ودخل زبيد، ورحل إلى الحرمين لأداء النسكين. وأخذ ـا عن علـماء كثيرين. وعرف بكثرة تحريه في العبادة؛ وكان كـثير المداومة على أعمال البر؛ كثير البكاء من خشية اللّه تعالى.

أخذ عنه جملة من الشيوخ من أجلهم ابن أخيه الإمـام العـدني -المترجم له هنا- وهو ثالث الثلاثة بعد والده وعمه علي اعتناء به واهتماماً بتربيته ومراعاته. وقد قرأ عليه جملة من مؤلفات الفقـه، والنحو، ومختصرات العلوم، كما انتفع بتوجيهاتـه، وملاحظاتـه السديدة. وحصل منه على الإجازة في كافة مروياتـه، وأسـانيده العالية، وألبسه، وأجازه، كان آخرها عام ٨٦٧ بتريم [(١)].

(١) ذكر ذلك في « الجزء اللطيف » من « ا موعة العيدروسية » ص٢٢١ قائلا:

(ومنهم السيد المبارك عمي الفقيه أبوالعباس أحمد ابن الشيخ أبي بكـر بـن الشيخ عبدالرحمن؛ وكان من أكمل الأخيار والسادة الأبرار، عظيم المحبة للخـير وأهله وأهل العلـم وطلبته؛ كثير المداومة على الأذكار أثناء الليل وأطراف النهار؛

الشيخ سعد بن علي مذحج

هو الشيخ الجامع بين علـمي الظاهر والباطن المـربي الناسـك سعد بن علي الحضرمي. ولد بتريم ونشأ ا وحفظ القـرآن بعـد معاناة وشدة ؛ إلا أن أمه بعد ذلك جاءت به للشيخ عبـدالرحمن السقاف؛ فقال: (اتركيه عندنا يفتح اللّه عليه)؛ فكان الأمر كذلك، وقرأ على جملة من أكابر الشيوخ؛ فقرأ الفقه على الفقيـه جمـال الدين محمد بن حكم باقشير، وقرأ على الشيخ عبداللّه بن فضـل بلحاج. ترجم له الشيخ علي بن أبي بكر السكران ترجمة واسـعة سماها « الدر المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي » فقال: (كانت سيرته اقتفاء الكتاب والسنة متأدبا بأدب القـرآن العظـيم والنبي الكريم وأفاضل الصحابة).

ألبسني الخرقة الشريفة مرارا عديدة في مجالس مختلفة آخرها سنة سـبع وسـتين وثـمان مئة بمسجد أبيه المعروف بتريم حرسها اللّه تعالى وسائر بلاد الإسلام بعد حضرة وسماع، كما ألبسه شيخه وعمه الشيخ عبداللّه بن عبدالرحمن، كما ألبسه أخوه وصنوه الإمام القدوة شجاع الدين عمر صاحب عرف، كما ألبسه والـده وشيخه الشيخ عبدالرحمن المذكور).

وسلك مسلك عباد الله الصالحين من العلـماء الراسخين. وكان من رجال ا اهدات العظيمة من صيام وقيام وكثرة مراقبـة للّـه، وخشية وصمت عن فضول الكلام، ومحاسبة للنفس مـع عمـارة الأوقات بما يرضي رب البريات، مع غاية المحبة لآل البيت ولصالحي الأمة والتأدب بآدا م والشفقة على المسلـمين والدعاء لهم.

وبالجملة فالشيخ سعد من رجال الولاية الذين أجمع الثقات على بلوغه مراتب العبودية المحضة، وقضى حياته في خدمة مولاه راضيا مستبشرا مطمئنا حتى دعاه داعي الوفاة ليلـة الاثـنين ٩ رجـب ٨٥٧هـ، ودفن في تربة الفريط بتريم، بعد أن شـهدت جنازتـه جموعا عظيمة من العلـماء والصلحاء ومن عامة الأمة الذين حزنوا لفقده، وبكوا لفراقه .

وكان الشيخ سعد أكثر الشيوخ أثراً عليه في صباه، ومالك قلبه وجوارحه في صبحه ومساه، حتى كان الإمام العدني يقول: (مـا كنت أحسب أن أبي إلا الشيخ سعد لكثرة عنايته بي وملازمتـه لي في صباي؛ حتى كنت إذا بكيت أمروا الخادمة أن تـذهب بي إلى المسجد الذي هو فيه معتكف فأسكن إليه. وفي إحدى الليالي قمت من نومي واشتد علي البكاء حتى أيقظت أهل البيت كلهم؛ فأمروا

الخادمة أن تذهب بي إلى الشيخ سعد فخرجت بي إلى باب المسجد وألقتني ورجعت؛ فدخلت على الشيخ سعد في غفلة منه وهو مستلقٍ على قفاه فاتحاً عينيه إلى السماء؛ فلما أحس بي أخذني وأضجعني وألقى علي ثوبه، وأعطاني قرصاً حاراً من الشعير كأنه قريب العهد بالتنور، فاشتغلت به حتى غلبني النوم).

ولما كبر الإمام العدني ازداد ارتباطه بالشيخ سعد وانتفع به كثيراً، وأخذ عنه أخذاً تاماً، وألبسه الخرقة الشريفة حال سن التمييز في جمادى الأول سنة ٨٥٧هـ قبيل وفاته بشهرين .

وكان العدني يقول : (أكثر ما يأتيني المدد من اللّه سبحانه وتعالى بواسطة الشيخ سعد)، وتوفي الشيخ سعد والإمام العدني في نحو سبع سنين من العمر[(١)]، وكان يقول كلما رأى العدني في صباه: (سيكون لهذا الولد شأن عظيم).

---

(١) و ذا التحديد لوفاة الشيخ سعد ينتفي صحة ما يتناقله البعض من رمي الشيخ سعد بالطين من تريم ووصوله إلى عدن والإمام العدني في حلقة الدرس بمسجده لما قطع عتم الماء بسواكه كرامة لهما، حيث اتضح أن وفاة الشيخ سعد قبل سكنى الإمام العدني بعدن، اللّهم إلا إذا كان هناك رجل آخر غير سعد بن علي، وانظر الكلام على ذلك ص١٢٩.

الشيخ محمد بن علي « صاحب عيديد »

هو السيد الشريف الولي العارف بالله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله ابن الفقيه أحمد بن عبدالرحمن ابن عم الفقيه. كان يعرف بمولى عيديد لسكناه ا؛ وهي شعب في جهة الغـرب مـن تريم، كان رحمه الله من الفقهاء العاملين، والأولياء المتقين؛ قرأ على الشيخ عبد الرحمن السقاف، وعلى الشيخ محمد بن حكم باقشير، وعلى الشيخ عبد الله بن فضل، وغيرهم. وكان متبحراً في جملة من العلوم ومنها علـم الطب والتشـريح، ابـتنى حوطـة في «وادي عيديد»، وبنى ا مسجداً للصلاة. وكان لا يخرج إلا لصلاة الجمعة وزيارة أحد من أهل الخير، وكان يتردد عليه طلبة العلـم ورجال الولاية للأخذ والانتفاع. توفي رحمه الله سنة ٨٦٢هـ ودفن بتريم، رحمه الله رحمة الأبرار[١] .

وقد أدرك الإمام العدني من حياة هذا الإمام عشر سنوات، ونال منه النظر، والدعاء، والإلباس، والإجازة، حيث كان يتـردد بـين

---

(١) « شرح العينية » ص٦٥٢-٦٥٣ بتصرف واختصار.

الحين والآخر على منـزله بصحبة والده الإمام العيدروس بشـعب عيديد. وفي هذه الترددات والزيارات قرأ عليه الإمام العدني وانتفع به، وأشار إلى ذلك العدني في «الجزء اللطيف» عند ذكره لـمشايخه الذين أخذ عنهم سند الخرقة، وحدد ذلك الإلباس بسنة ٨٥٩هـ أو ٨٦٠ هـ.

الشيخ محمد بن عبدالرحمن بلفقيه

أخذ عنه الإمام العدني بتريم وقرأ عليه في علوم الفقه، والتصوف، وغيرها.

الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل

أخذ عنه الإمام العدني بتريم منذ بداية طلبه للعلـم بتوجيـه والده؛ وخاصة في علوم الفقه، والحديث. وكانت وفـاة الشـيخ عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج في الخامس من شهر رمضـان سـنة ٩١٨هـ بمدينة الشحر ودفن بـها، أمـا مولـده فكـان سـنة

٨٥٠هـ[١].

الشيخ محمد بن علي باجحدب

حفظ عليه القرآن الكريم بتريم[٢].

الشيخ سالــم بن غبري

حفظ عليه القرآن الكريم بتريم[٣].

الشيخ إبراهيم بن محمد باهرمز

أخذ عنه الإمام العدني ولبس منه الخرقة في مدينــة شــبام ســنة ٨٩٧هـ في محفل عظيم حضره جملة من المشايخ والعلــماء[٤].

---

(١) « النور السافر » ص٩٨ .

(٢) ذكر ذلك في « الجزء اللطيف ».

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق ص١٧ .

الشيخ أحمد بن محمد بن عثمان العمودي

عده الإمام العدني من أشياخه الذين ألبسوه وأجازوه في الإلباس، كان ذلك في أول زيارة قام بها الإمام العدني لوادي دوعن عام ٨٦٧ هـ[1].

الشيخ محمد بن أحمد بافضل

ذكره أيضاً الإمام العدني وعده من كبار أشياخه بما مثاله[2]: ألبسني الخرقة الشريفة وأذن لي في إلباسها بتاريخ شهر محرم الحرام سنة ٨٨٧هـ كما ألبسه شيخه القاضي جمال الدين محمد بن مسعود باشكيل الأنصاري.

ولد الشيخ محمد بن أحمد بافضل بتريم سنة ٨٤٠هـ، وينسب إلى سعدالعشيرة الحضرمي. وكان له أخذ بتريم وما حولها عن جملة من العلماء، ورحل إلى الشحر والغيل، ثم رحل إلى عدن وأخذ عن العلامة محمد مسعود باشكيل، ومحمد بن أحمد باحميش، وجد

---

(١) ذكر ذلك في « الجزء اللطيف » ص١٦ .

(٢) المرجع السابق ص١٨ .

واجتهد حتى برع في العلوم وتصدر، ولـما دخل الإمام العـدني عدناً كان الشيخ بافضل يجله ويحترمه، حتى إنه إذا قدم العدني مـن سفر كان الشيخ يدخل إلى عدن قبله يعلـم أكابر الناس بقدومـه ويأمرهم بالخروج لـملاقاته. ولـما سِئل عن ذلك قال: لتصـل رحمة اللّه إلى الناس بالنظر إليه وبنظره إليهم. وكان السلطان عامر بن عبدالوهاب يجل الشيخ بافضل ويخدمه ولا يرد شفاعته. وكان له مقام واحترام في عدن وما حولها . نظم ذلك الشيخ الشـريف عمر بن عبدالرحمن باعلوي صاحب الحمراء في قصيدة قال فيها :

سلام على شخصٍ به عدنٌ زهت ... أبي فضلٍ المشهورِ زينِ الشـمائل
جمالٍ لدين اللّه خـادمِ شـرعِه ... دليلِ طريقِ اللّـه بـدرِ المحافـل

إلى آخر القصيدة .

له مؤلفات عديدة ورسـائل مفيـدة، منـها شـرح تـراجم البخاري[1]، ومختصر لـ «قواعد الزركشي» المعروف « بالمنثور » في أصول الفقه ، ثم شرح هذا المختصر، وكتاب « العـدة والسـلاح

(١) أي: شرح عناوين أبواب البخاري وعناوين فصوله.

لـمتولي عقود النكاح »، وشرح ألفيـة البرمـاوي[1] وغيرهـا، وكانت وفاته يوم السبت ١٥ شوال سنة ٩٠٣هـ بعدن ودفـن بها[2].

الشيخ عبداللّه بن أحمد بن علي بامخرمة

ترجم له في « النور السافر »[3]، وذكر ميلاده في رجب ٨٣٣هـ بالهجرين، ونشأ بها وحفظ القرآن ثم رحل إلى عدن لطلب العلـم وتفقه بالإمامين محمد بن مسعود باشكيل، ومحمد بن أحمد باحميش، واجتهد وجد في الطلب، وكان فقيرا لا يملك شيئاً إلا أنه حصـل من العلـم شيئاً كثيراً حتى ساد أقرانه وظهر برهانه وصار عمـدة الفتوى، زوجه أبوشكيل بنته ورزق منها أولادا منهم : الطيب بن عبداللّه بامخرمة .

تولى الشيخ عبداللّه بن أحمد القضاء بعـدن في عهـد الدولـة الطاهرية، وباشر الوظيفة بنـزاهة تامة، وصدع بالحق، وأقام العدل

---

(١) وهي ألفية في أصول الفقه للإمام محمد بن عبدالدائم البرماوي (ت ٩٣١ هـ).
(٢) وممن ترجم له السخاوي في « الضوء اللامع » (٧: ١٤) .
(٣) « النور السافر » ص٣٠ .

مدة سنتين، ثم عاد إلى حضرموت هارباً من وظيفـة القضـاء، ثم أعفاه السلطان علي بن طاهر عن القضاء فعاد إلى عدن وأقام ـا حتى وفاته في محرم سنة ٩٠٣هـ.

الشيخ أحمد بن عمر المزجد

شيخ الإسلام؛ صاحب العلوم الكثيرة؛ صفي الـدين القاضـي أحمد بن عمر بن محمد بن عبدالرحمن ابن القاضي يوسـف بـن محمد بن علي بن محمد بن حسان ابن الملك سيف بـن ذي يـزن المذحِجي السيفي المرادي شهاب الدين الشهير بالـمزجد الشافعي الزبيدي؛ نسبة إلى زبِيد.

كان من العلـماء المشهورين، وأحد المحققين المعتمدين. وكـان على غاية من التمكن في مراتب العلوم الإسلامية أصولها وفروعها، ولد سنة ٨٤٧هـ بجهة قرية الزيدية ونشأ ا، وأخذ عن جملة من علـماء بيت الفقيه، وتعز وغيرها، وبرع في علوم كثيرة وتميـز في علـم الفقه حتى كان أوحد وقته. ومن مصنفاته المشهورة «العباب

المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب»[1]؛ وكان للـمزجد شغف بالشعر، وله إبداع فيه. ولي قضاء عدن وزبيد، وباشر ذلك بعفة وديانة، وكانت أوقاته على غاية من الترتيب، وكان بينه وبين الإمام العدني اتحاد كلي ولكل منهما إلى الآخر ميل قلبي، وكانت بينهما محبة وتعلق، وجرت بينهما مكاتبات ومواصلات ستأتي عند ذكر المراسلات والأشعار.

وكانت وفاة المزجد في ربيع الآخر سنة ٩٣٠هـ ودفن بباب سهام، ورثاه جماعة من أكابر العلماء والأدباء من تلامذته ومعاصريه.

وقد كان بينهما مساجلات ومراسلات سيأتي ذكر نموذج منها عند الكلام على شعر الإمام العدني ص١٠٧.

الشيخ يحيى بن أبي بكر العامري

ذكره الإمام العدني في « الجزء اللطيف » بما مثاله[2]: ومنهم

---

(١) وقد شرحه العلامة شيخ الإسلام أبوالحسن البكري، كما شرحه الفقيه أحمد بن حجر الهيتمي في « الإيعاب » إلا أنه مات قبل إتمامه، ولا زال مخطوطا.

(٢) « المجموعة العيدروسية » ص٢٢٣ .

سيدي وشيخي الفقيه الإمام الحافظ المحدث الحبر العلامة الولي الصالح يحيى بن أبي بكر العامري، ألبسني الخرقة الشريفة عن شيخه الشيخ الشريف المشهور بالمساوى أحمد بن يحيى، وأذن لي في إلباسها، وذلك في المسجد المعروف بمسجد الشمسي بمدينة حرض حرسها اللّه عام ٨٨٠ هـ في رحلتي إلى مكة للحجة الأولى[(١)] .

الشيخ مقبول بن أبي بكر الزيلعي

ويعرف بصاحب اللحية، ذكره في « الجزء اللطيف » [(٢)].

الشيخ مقبول بن موسى الزيلعي

ذكره في « الجزء اللطيف » [(٣)].

الشيخ محمد بن عبدالرحمن السخاوي

هو الإمام الحافظ المؤرخ الفقيه العلامة شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي الأصل

---

(١) وممن ترجم له السخاوي في « الضوء اللامع » (١٠: ٢٢٤).

(٢) « المجموعة العدروسية » ص٢٢٤ .

(٣) المرجع السابق.

القاهري الشافعي المتوفي بالمدينة المنورة والمدفون بالبقيع بجوار مشهد الإمام مالك.

ولد في ربيع الأول عام ٨٣١ هـ وحفظ القرآن في صباه ، كما حفظ بعد ذلك « المنهاج » للنووي ، وألفية ابن مالك، و«نخبة الفكر» لشيخه ابن حجر في المصطلح، وألفية العراقي في المصطلح كذلك، وغالب «الشاطبية» في القراءات السبعة، ومقدمة الشاوي في العروض. وشارك في علوم الفرائض، والحساب، والميقات، وأصول التفسير، والفقه. وبرع في فنون عدة وأخذ عن نحو أربعمئة شيخ. وأذن له بالإفتاء والتدريس والإملاء. وسمع الحديث على شيخه الشهاب ابن حجر؛ وكان لزيما له، وقرأ عليه الاصطلاح بتمامه، وأخذ عنه علوم الحديث وتصانيفه في الرجال؛ ولم يفارق شيخه ابن حجر حتى مات .

ثم أخذ يجوب البلاد للنفع، والانتفاع، وزيادة الأخذ، وطلب السند؛ ثم عاد إلى الحرمين الشريفين وجاور بمكة وأخذ عن علمائها .

وتصدر للتدريس، والإفتاء، والإملاء؛ وله تصانيف عديدة، منها «المقاصد الحسنة»، و« فتح المغيث بشرح ألفية الحديث »، و« القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع »، و« الضوء اللامع لأهل

القرن التاسع »، و«المنهل العذب الروي في ترجمة الإمام النووي»، و« الجواهر والدرر » في ترجمة شيخه ابن حجر، وغيرها من المؤلفات[1] ، توفي عام ٩٠٢ هـ رحمه اللّه.

الشيخ أحمد بن أحمد الشرجي

هو الشيخ العلامة الفقيه الأجل شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عبداللطيف بن أبي بكر الشرجي الحنفي، ولد سنة ٨١١هـ وسمي باسم والده، وأخذ عن جملة من العلماء كالشيخ أحمد بن أبي بكر الرداد، والنفيس العلوي، والتقي الفاسي، وعلي ابن الجزري، وأبي الفتح المراغي وغيرهم.

له مجموعة من المؤلفات أغلبها في علم الحديث؛ ومنها «التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح»، وهو أشهر كتبه في الحديث، وله «طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص» في تراجم الصوفية من أهل اليمن.

كان ميلاده بزبيد ووفاته ا ربيع الثاني سنة ٨٩٣هـ ـ الموافق

(١) « النور السافر » ص١٩ .

١٤٨٧م[1]، اجتمع الإمام العدني بالفقيه الشرجي في مدينة زبيد وهو في طريقه إلى الحج سنة ٨٨١هـ، واعترف كل منهما للآخر بالفضل، واستمد كل منهما من صاحبه وأخيه، وكان الإمام العدني قد سمع عن كتابه «طبقات الخواص» فطلبه منه عارية للمطالعة، ولما فرغ منه كتب إليه: صدر إليكم الكتاب، وقد حل عندي بمحل عالٍ وخطرت على البديهة أبيات عاطلة، ومثلك من يصلح ما اختل، ويتجاوز عمن أساء، وكان مطلعها:

شهاب الدين قد أحييت ذكراً لأرباب الكمال وزدت فخراً
فقد نظمته عقداً ثميناً حوى كم جوهرٍ غال ودرا[2]

الشيخ أبو القاسم المكي

وهو من جملة شيوخه الذين ذكرهم في « الجزء اللطيف »، وأشار إلى أنه لبس منه الخرقة الشريفة، وأذن له في إلباسها بإسناده الذي أورده متصلا إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني وذلك سنة ٨٨٠هـ

---

(١) عن مقدمة تحقيق « طبقات الخواص » لعبداللاه الحبشي .

(٢) الديوان، « المجموعة العيدروسية » ص٣١٤ ، وممن ترجم له السخاوي في «الضوء اللامع» (١: ٢١٤) .

عام رحلته إلى الحج.

الشيخ عبدالله بن عقيل باعباد

ذكره الإمام العدني في « الجزء اللطيف »[1]، وأشار إلى لبس الخرقة الشريفة عند ذكره لسنده إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني، وأنه أذن له في إلباسها بذلك السند.

الشيخ عبداللطيف بن أحمد الشرجي الزبيدي الحنفي

ذكره الإمام العدني في « الجزء اللطيف » ضمن مشايخه الذين ألبسوه الخرقة الشريفة، وأذن له في إلباسها، وذلك عام ٨٨٠هـ بمدينة زبيد خلال زيارة الإمام العدني له في منزله، توفي عام ٩٢٨هـ[2].

---

(١) « الجزء اللطيف » ص١٨ .

(٢) المرجع السابق، وممن ترجم له السخاوي في « الضوء اللامع » (٤: ٣٢٢) .

الشيخ عفيف الدين عبداللطيف بن موسى المشرعي

ذكره الإمام العدني في « الجزء اللطيف »[(١)] من جملة مشايخه الذين ألبسوه الخرقة، وأذن له في إلباسها بسـندها المتصـل إلى الشـيخ عبدالقادر الجيلاني[(٢)].

الشيخ الفقيه جمال الدين محمد بن أحمد الدهماني القيرواني

ذكره الإمام العدني في « الجزء اللطيف »[(٣)]، وأشار إلى أنه لـبس منه الخرقة الشريفة وأذن له في إلباسها بتاريخ محرم الحـرام سـنة ٩٠٤هـ بمكة المكرمة؛ متصلة بسندها إلى الجنيد رضي اللّه عنه.

الشيخ أبوبكر الشهير بأبي حربة

ذكره أيضا في « الجزء اللطيف » بما مثاله: ومنهم سيدي وشيخي الولي ابن الولي الشيخ المحجوب أبوبكر الشهير بأبي حربة؛ ألبسـني الخرقة الشريفة وأذن لي في إلباسها سنة ٨٨٥ هـ سـنة حجـتي

---

(١) المرجع السابق.
(٢) « الضوء اللامع » للسخاوي (٤: ٣٣٩).
(٣) « الجزء اللطيف » ص٢٠ .

الأولى إلى مكة بإسناده إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني .

الشيخ موسى بن عبدالرحمن « صاحب أرحب »

وهو من أجل الشيوخ الفقهاء الأفاضل؛ كان له الارتباط الوثيق بالإمام العدني، وللإمام العدني كامل الارتباط به. وكانت بينهما مكاتبات ومساجلات حفظ منها ديوان الإمام العدني قصيدة واحدة بعث بها صاحب الديوان للشيخ موسى جواباً على كتاب وصل إليه منه طلب فيه «صاحب أرحب» الإذن في دخول عدن لزيارته والتماس بركاته ودعائه، فأرسل أبياتا قال في مطلعها:

أهلاً بكم ومرحب يا ساكنين أرحب بل ساكني فُؤادي
قربتم ونا اقرب إليكم وأطرب في خالص الودادِ

ومع أن الشيخ موسى المذكور متأدب مع الإمام العدني ومتواضع لمقامه السامي ؛ إلا أن كلا منهما يعتبر الآخر من شيوخه، وهكذا كان السلف يأخذون عن أهل العلم، والتقى، والصلاح ولو كانوا أقل سناً وأدنى مرتبة.

الإمام العدني والآخذون عنه تلـمذةً وصحبة

اتسعت دائرة الأخذ والتلقي عن الإمام العدني بحضرموت وسائر مناطق اليمن والحجاز وزيلع، وغيرها من البلاد التي زارها ، وكثر مريدوه إلا أن تقييد الآخذين جمعاً لـم يتهيأ لـمعاصريه كما هو حال الذين صحبوه وخدموه وتعلقوا به، وقد جمعت كتب التراجم التي بين أيدينا جماعة من تلامذته وأصحابه، فاقتطفنا منهم بعـض النماذج، ومن هؤلاء :

الشيخ عبدالرحمن بن علي بن أبي بكر السكران

وهو ممن حسنت له الصحبة والارتباط مع تمام الانطواء والأخوة في ذات اللّه تعالى ظاهراً وباطناً مع ابن عمه الإمام أبي بكر العدني.

ولد نفع اللّه به عام ٨٥٠هـ بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، ونشأ نشأة الصالحين في أسرة صالحة ومجتمع صالح، مجتمـع تـريم النوراني، مجتمع أسهم في تقوية وجهته، وجبلته لاسـتجابة نـداء فطرته، للقيام بطاعة ربه، والاهتمام بالـمجاهدة وتزكية الـنفس بتوجيه وعناية شيوخه وأسرته.

حتى ذكر أنه كان يخرج في صباه من آخر الليل كل يوم مـع ابـن

عمه الإمام أبي بكر العدني إلى بعض شعاب مدينة تريم يصليان ويقرآن في صلاتهما عشرة أجزاء من القرآن كورد يومي لكل واحد منهما في صلاته، فإذا ما طلع الفجر نزلا إلى الصلاة في المسجد مع الإمام العيدروس، وكانت هذه الألفة والأخوة في اللّه تعالى بين الإمام العدني وابن عمه عبدالرحمن بن علي بارزة منذ ذلك العمر المبكر.

قرأ الشيخ عبدالرحمن بن علي على والده كتباً عديدة في شتى الفنون، ومنها في علوم الفقه، والحديث، والتفسير، والتصوف، وحقق « إحياء علوم الدين » تحقيقاً، وكرر قراءته على والده عدة مرات، قيل: إنها بلغت أربعين مرة.

كما أخذ عن جملة من مشايخ عصره، وغالب شيوخه هم أيضاً شيوخ ابن عمه الإمام العدني، وخصوصاً في الأسفار والرحلات التي تصاحبا فيها إلى الحج.

ومنها رحلتهما إلى الحج سنة ٨٨٧هـ وفيها اجتمع بالشيخ يحيى العامري بمدينة زبيد، وبالشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الشرجي، والشيخ شهاب الدين أحمد بن عمر المزجد.

وفي الحجاز اجتمع بالحافظ السخاوي، وأخذ عنه السند والإجازة، وفي رحلات أخرى أخذ الشيخ عبدالرحمن عن جملة من

رجال عدن كالشيخ محمد بن أحمد بافضل، والفقيه عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل، وأخذ عن الفقيه الدوسي.

ولما استقر الإمام العدني بعدن ظلت الأواصر الحميمة بينهما على غاية من المتانة والتجدد، ويبدو ذلك واضحاً من خلال تتبع ما أبقاه الزمن من مكاتبتهما وآثارهما الشعرية والنثرية، وسنذكر من ذلك نبذاً في قسم النثر والشعر.

الشيخ عمر بن عبدالله العيدروس

ولد سنة ٩٢٦هـ وتوفي بعدن في شهر محرم المحرم ١٠٠٠هـ ودفن في قبة الإمام العدني مجاوراً لقبره من الجانب الجنوبي.

أخذ السيد عمر عن الإمام أبي بكر العدني أخذاً تاماً، وانتفع به، وتزوج من ابنته الشريفة مزنة، واشتهر بالجهة اشتهاراً عظيماً، وأشير إليه بالأصابع لكرمه وحلمه.

تصدر في مسجد جده بعدن بعد وفاة أخيه السيد محمد بن عبدالله بمكة عام ٩٧٨هـ فقام من بعده بالمقام خير قيام، وكان شديد التواضع كثير الاجتهاد في العبادة حتى قيل: إن أحداً مدحه بقصيدة في مجلسه العام فغضب وأمر بإقامته من المجلس.

وليس للإمام العدني ذرية متسلسلة إلا من جهة السيد عمر المذكور[1] لتزوجه بالسيدة مزنة المشار إليها سلفاً. وقد كانت وفاته سنة ٩٦٧هـ رحمه اللّه[2].

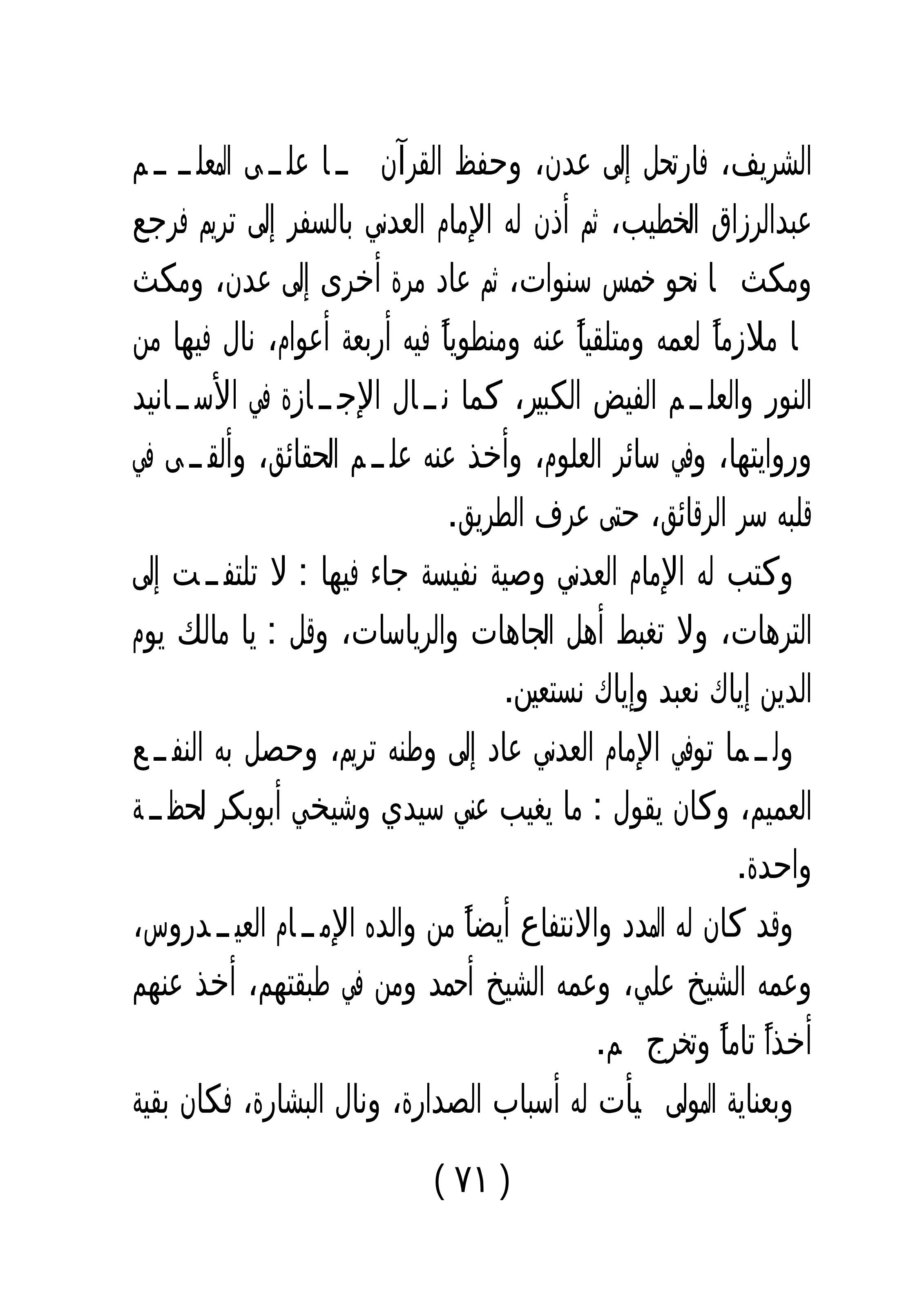
الشيخ شيخ بن عبداللّه العيدروس

وهو ممن أخذ وانتفع وتلقى العلوم والفهوم عن أخيه الإمام العدني، كان رحمه اللّه من أعيان الصالحين، ومن خواص عباد اللّه المخلصين، حسن الأخلاق والشيم، جميل الأوصاف، معروف باللطف والكرم.

ولد بتريم، ونشأ ا تحت رعاية روحية عالية قام ا نحوه والده وأعمامه وشيوخ عصره، ولما بلغ من العمر أربعة عشر عاماً طلبه أخوه الإمام أبوبكر العدني أن يأتي إلى عدن لطلب العلم

(١) ومنهم نجله السيد أحمد، وقد ذكر الطيب بافقيه في «تاريخ الشحر» ص٤٥٤ أن السيد أحمد بن عمر بن عبداللّه العيدروس خلف والده في المقام، وكان قد جمله اللّه بعقل كامل وزينه بفضل شامل، له أخلاق ألطف من نسيم السحر، وأوصاف كالمسك إذا انتشر، وعلم فائض زخار، وفضل يتدفق تدفق الأ ار..إلخ.

(٢) «النور السافر» ص١٣٢.



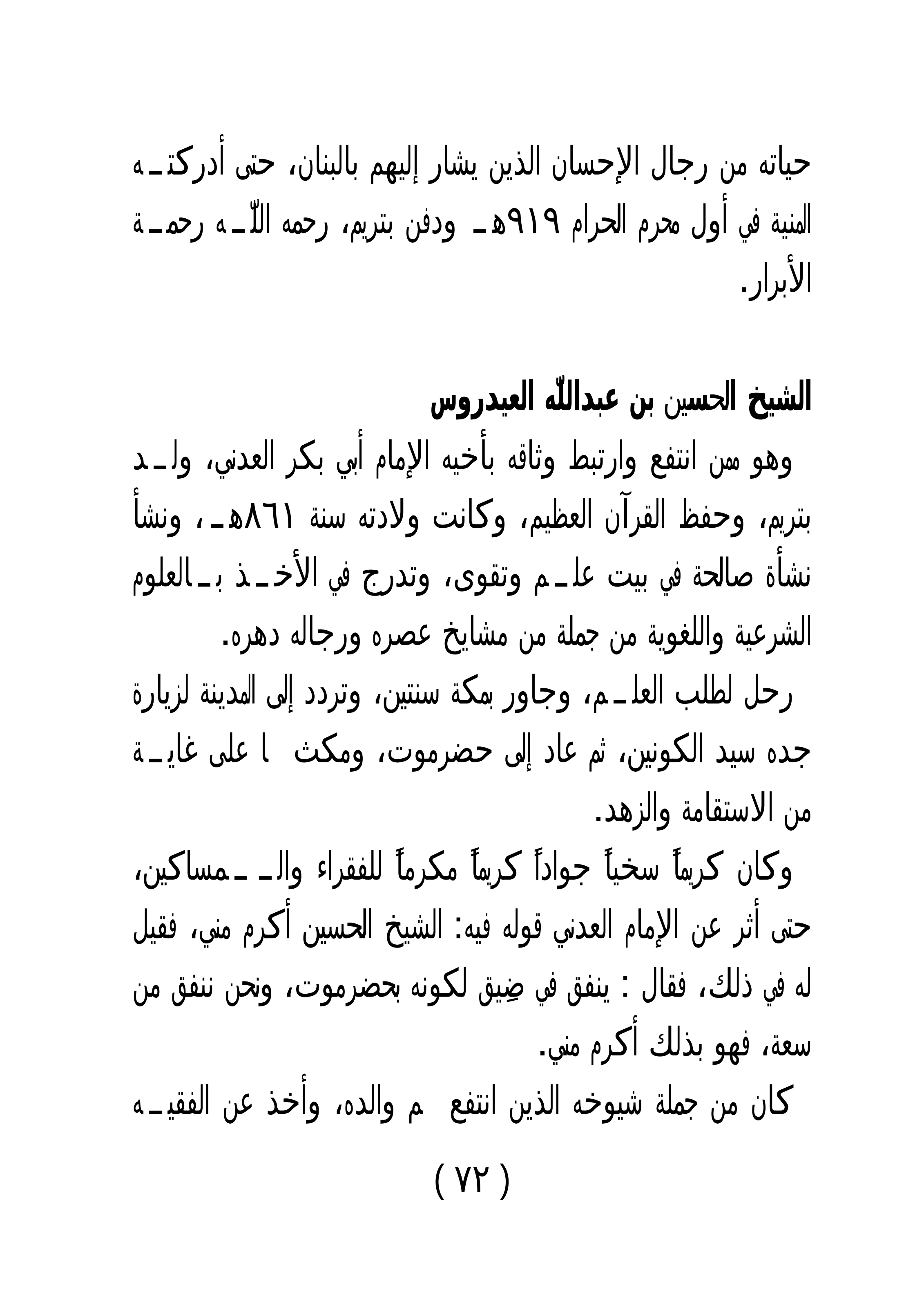
الشريف، فارتحل إلى عدن، وحفظ القرآن ـا علـى المعلــم عبدالرزاق الخطيب، ثم أذن له الإمام العدني بالسفر إلى تريم فرجع ومكث ا نحو خمس سنوات، ثم عاد مرة أخرى إلى عدن، ومكث ا ملازماً لعمه ومتلقياً عنه ومنطوياً فيه أربعة أعوام، نال فيها من النور والعلـم الفيض الكبير، كما نـال الإجـازة في الأسـانيد ورواياتها، وفي سائر العلوم، وأخذ عنه علـم الحقائق، وألقـى في قلبه سر الرقائق، حتى عرف الطريق.

وكتب له الإمام العدني وصية نفيسة جاء فيها : لا تلتفـت إلى الترهات، ولا تغبط أهل الجاهات والرياسات، وقل : يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين.

ولـما توفي الإمام العدني عاد إلى وطنه تريم، وحصل به النفـع العميم، وكان يقول : ما يغيب عني سيدي وشيخي أبوبكر لحظـة واحدة.

وقد كان له المدد والانتفاع أيضاً من والده الإمـام العيـدروس، وعمه الشيخ علي، وعمه الشيخ أحمد ومن في طبقتهم، أخذ عنهم أخذاً تاماً وتخرج م.

وبعناية المولى يأت له أسباب الصدارة، ونال البشارة، فكان بقية



حياته من رجال الإحسان الذين يشار إليهم بالبنان، حتى أدركته المنية في أول محرم الحرام ٩١٩هـ ودفن بتريم، رحمه اللّه رحمة الأبرار.

الشيخ الحسين بن عبداللّه العيدروس

وهو ممن انتفع وارتبط وثاقه بأخيه الإمام أبي بكر العدني، ولد بتريم، وحفظ القرآن العظيم، وكانت ولادته سنة ٨٦١هـ، ونشأ نشأة صالحة في بيت علم وتقوى، وتدرج في الأخذ بالعلوم الشرعية واللغوية من جملة من مشايخ عصره ورجاله دهره.

رحل لطلب العلم، وجاور بمكة سنتين، وتردد إلى المدينة لزيارة جده سيد الكونين، ثم عاد إلى حضرموت، ومكث ا على غاية من الاستقامة والزهد.

وكان كريماً سخياً جواداً كريماً مكرماً للفقراء والمساكين، حتى أثر عن الإمام العدني قوله فيه: الشيخ الحسين أكرم مني، فقيل له في ذلك، فقال : ينفق في ضِيق لكونه بحضرموت، ونحن ننفق من سعة، فهو بذلك أكرم مني.

كان من جملة شيوخه الذين انتفع م والده، وأخذ عن الفقيه

عبدالله بن أحمد باكثير، والقاضي إبراهيم بن ظهيره، والفقيه محمد بن عبدالرحمن الأسقع، والفقيه العلامة عبدالهادي السودي قبل أن تصيبه الجذبة الإلهية، كما كانت له اليد الطولى في علم الفلك والقراءات، وكان يحقق قراءة الشيخين نافع وأبي عمرو.

توفي رحمه الله تعالى بتريم في ١٦ محرم سنة ٩١٧هـ، وفيه قال القائل :

إن الحسين تواترت أخباره ... في فضله عن سادةٍ فضلاءِ
غيثٌ يسح على العفاة سحابه ... سحاً إذا شحت يد الأنواءِ
تالٍ لآثار النبي محمدٍ ... متمسكٍ بالسنة البيضاءِ
ورثَ المكارم والعلى عن سادةٍ ... ورثوا عن الأسلاف والآباءِ[1]

الشيخ عبدالله بن شيخ بن عبدالله العيدروس

وهو ممن انتفع كثيراً وارتفع بالإمام العدني منذ صباه، فقد ذكر في «العقد النبوي» أنه ولد - أي الشيخ عبدالله - بحضور الشيخ أبي بكر، حيث كان ميلاده أيام الخريف بالنخل المسمى نعيمة

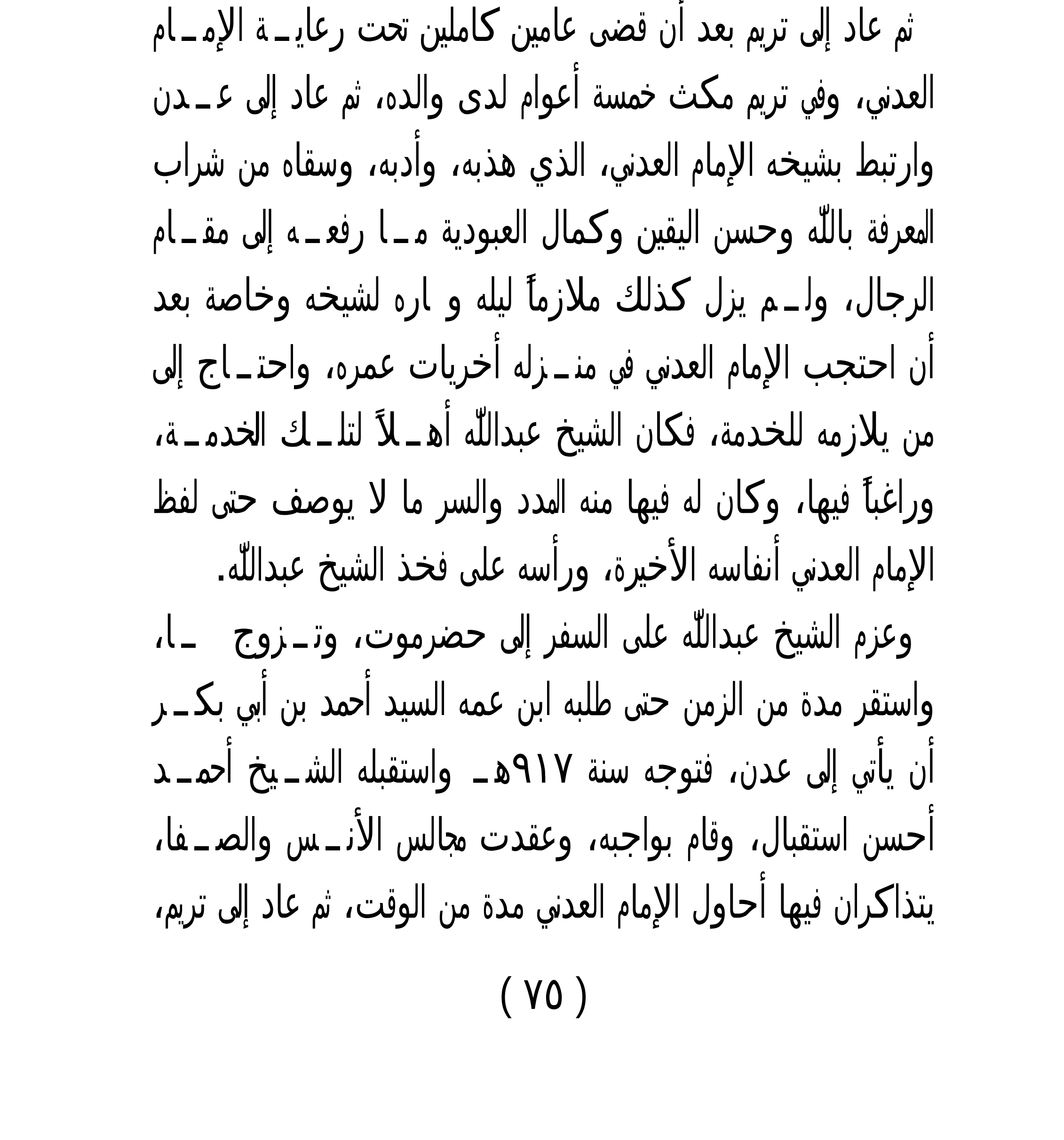
(١) « تاريخ الشحر » ص٩٤ .

بوادي دمون، فجاء الشيخ أبوبكر بعد أن بشره به وأهدى البشـير ثوباً وأخذ المولود وحنكه بتمر بيده المباركة، وستره بخرقـة مـن صوف وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى اتباعاً للسنة، وقـال لأخيه السيد شيخ : هذا ولدي، هذا يرثني، احتفظوا بـه حفظـه اللّه(١).

ولد سنة ٧٨٧هـ وأخذ نصيباً وافراً من علوم عصره على جملة من المشايخ، وحقق كثيراً منها، وارتقى في مراقي الطاعات والأوراد والعبادات حتى شهد له الخاص والعام في مقتبل العمـر بظهـور إشارات الولاية، وكان من أبرز شيوخه والده الشيخ شـيخ بـن عبداللّه العيدروس، وعمه الشيخ الحسين بن عبداللّه العيـدروس، ولـما بلغ من العمر أربعة عشر عاماً وصل كتاب من عمه الشيخ أبي بكر العدني إلى أخيه الشيخ شيخ بن عبداللّه العيدروس يحـرض عليه بإرسال ولده عبداللّه إلى عدن، ومن جملة من كتبه في الرسالة: أريد أن يكون نظري عليه، فامتثل أمر أخيه، وأرسل بولده عبداللّه إلى عدن ففرح الإمام العدني بوصوله واستبشر به، وأمـر الشـيخ

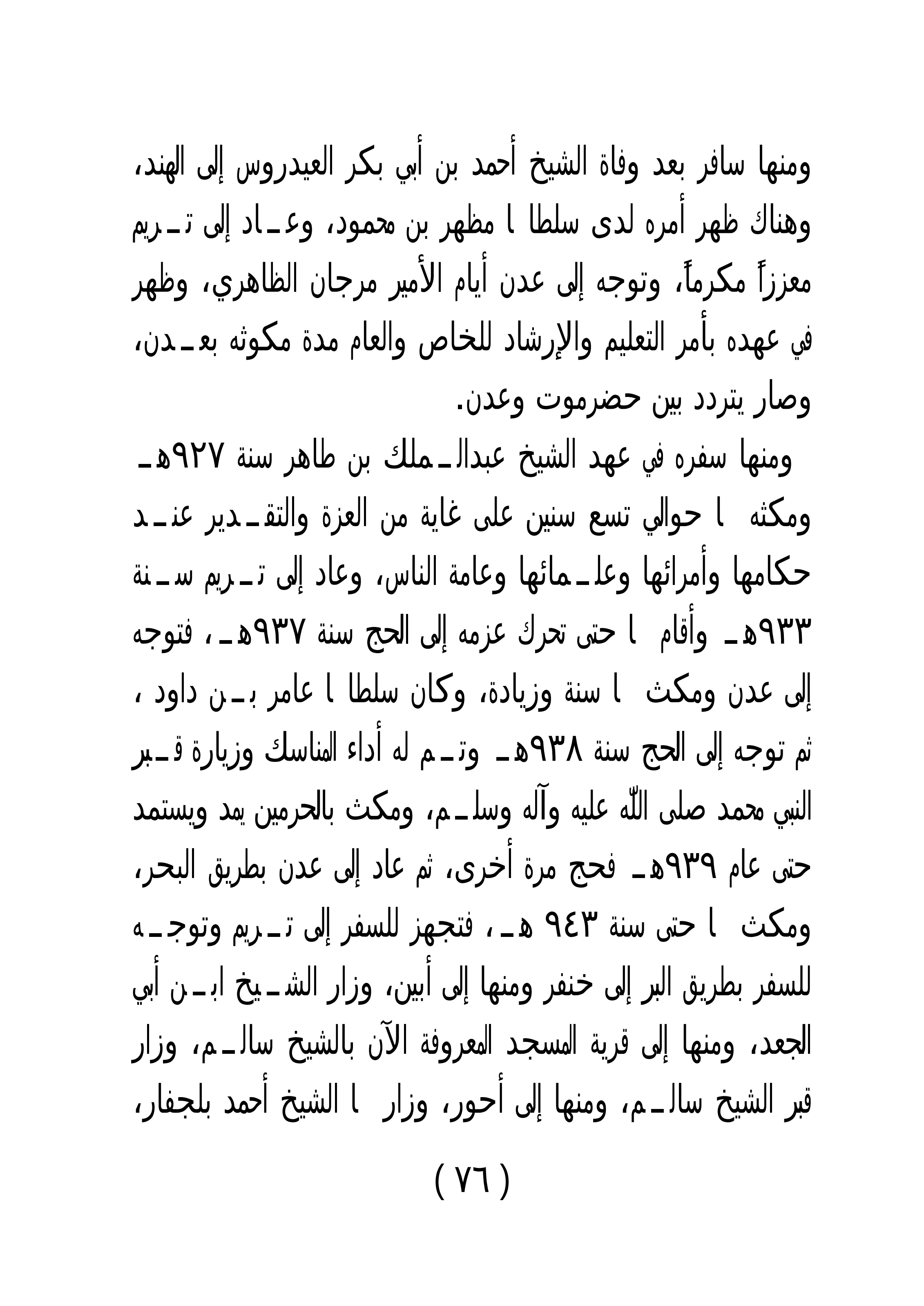
---

(١) « العقد النبوي » (٢: ٣١٨).


الصالح عبدالرزاق الخطيب أن يعلـمه القرآن حفظـاً وتحقيقـاً، ويعرض ما يقرؤه على عمه الشيخ أبي بكر كل يوم إلى أن خـتم المصحف.

ثم عاد إلى تريم بعد أن قضى عامين كاملين تحت رعايـة الإمـام العدني، وفي تريم مكث خمسة أعوام لدى والده، ثم عاد إلى عـدن وارتبط بشيخه الإمام العدني، الذي هذبه، وأدبه، وسقاه من شراب المعرفة باللّه وحسن اليقين وكمال العبودية مـا رفعـه إلى مقـام الرجال، ولـم يزل كذلك ملازماً ليله و اره لشيخه وخاصة بعد أن احتجب الإمام العدني في منـزله أخريات عمره، واحتـاج إلى من يلازمه للخدمة، فكان الشيخ عبداللّه أهـلاً لتلـك الخدمـة، وراغباً فيها، وكان له فيها منه المدد والسر ما لا يوصف حتى لفظ الإمام العدني أنفاسه الأخيرة، ورأسه على فخذ الشيخ عبداللّه.

وعزم الشيخ عبداللّه على السفر إلى حضرموت، وتـزوج ـا، واستقر مدة من الزمن حتى طلبه ابن عمه السيد أحمد بن أبي بكـر أن يأتي إلى عدن، فتوجه سنة ٩١٧هـ واستقبله الشـيخ أحمـد أحسن استقبال، وقام بواجبه، وعقدت مجالس الأنـس والصـفا، يتذاكران فيها أحاول الإمام العدني مدة من الوقت، ثم عاد إلى تريم،



ومنها سافر بعد وفاة الشيخ أحمد بن أبي بكر العيدروس إلى الهند، وهناك ظهر أمره لدى سلطا ا مظهر بن محمود، وعـاد إلى تـريم معززاً مكرماً، وتوجه إلى عدن أيام الأمير مرجان الظاهري، وظهر في عهده بأمر التعليم والإرشاد للخاص والعام مدة مكوثه بعـدن، وصار يتردد بين حضرموت وعدن.

ومنها سفره في عهد الشيخ عبدالـملك بن طاهر سنة ٩٢٧هـ ومكثه ا حوالي تسع سنين على غاية من العزة والتقـدير عنـد حكامها وأمرائها وعلـمائها وعامة الناس، وعاد إلى تـريم سـنة ٩٣٣هـ وأقام ا حتى تحرك عزمه إلى الحج سنة ٩٣٧هـ، فتوجه إلى عدن ومكث ا سنة وزيادة، وكان سلطا ا عامر بـن داود ، ثم توجه إلى الحج سنة ٩٣٨هـ وتـم له أداء المناسك وزيارة قـبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلـم، ومكث بالحرمين يمد ويستمد حتى عام ٩٣٩هـ فحج مرة أخرى، ثم عاد إلى عدن بطريق البحر، ومكث ا حتى سنة ٩٤٣ هـ، فتجهز للسفر إلى تـريم وتوجـه للسفر بطريق البر إلى خنفر ومنها إلى أبين، وزار الشـيخ ابـن أبي الجعد، ومنها إلى قرية المسجد المعروفة الآن بالشيخ سالـم، وزار قبر الشيخ سالـم، ومنها إلى أحور، وزار ا الشيخ أحمد بلجفار،

ومنها إلى ميفعة، وإلى قيدون، ثم إلى تريم في ذي الحجة ٩٤٣هـ، وبقي بها حتى وفاته في ١٤ شعبان ٩٤٤هـ ودفن بمقبرة أهله وسلفه.

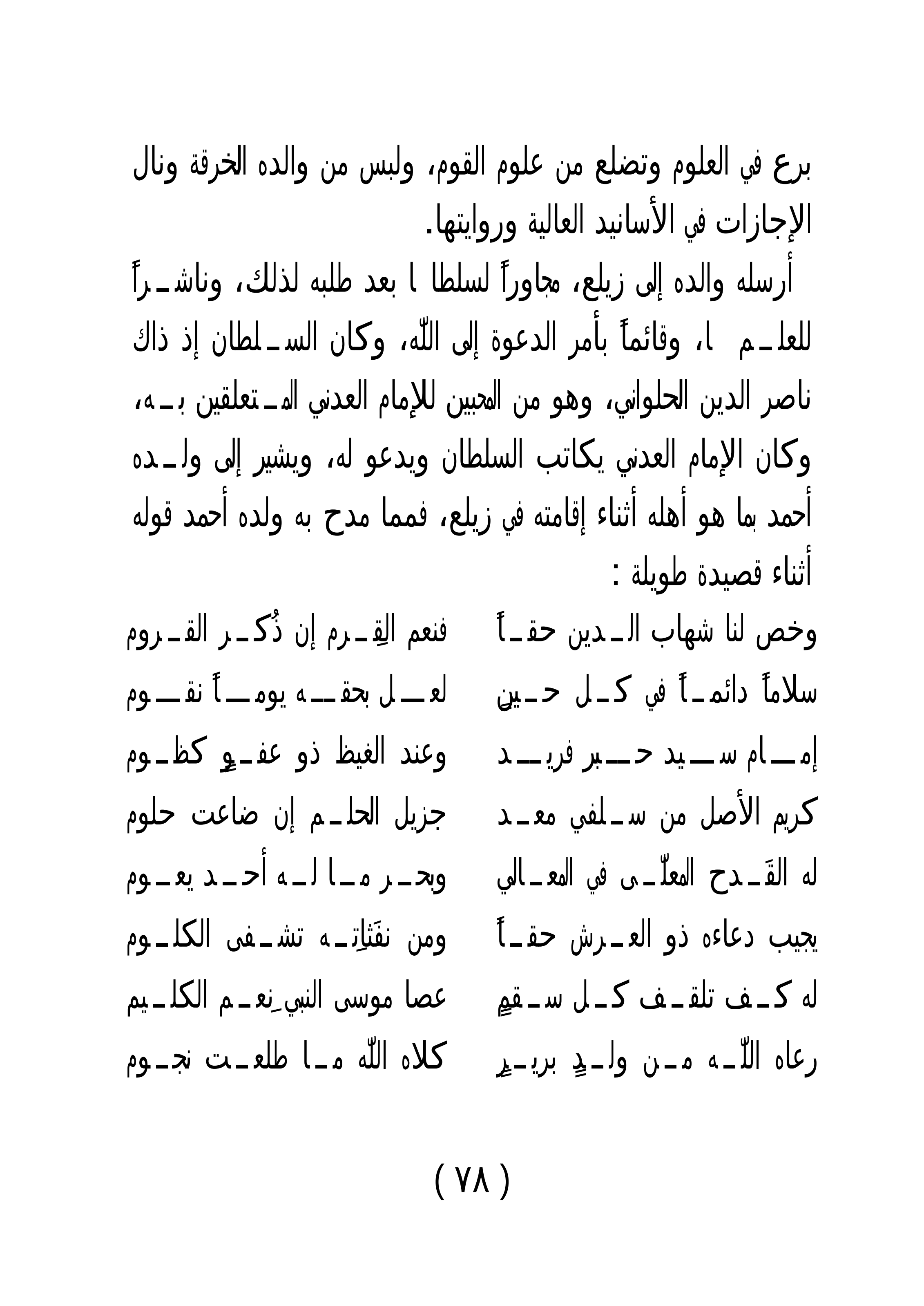
الشيخ أحمد المساوى ابن أبي بكر العدني

وهو الوارث لأبيه وحامل الراية من بعده، القائم بالمقام بعد أبيه خير قيام، والناهض بما نهض به آباؤه الكرام.

ولد بتريم سنة ٨٨٢هـ ونشأ بها آخذاً أوليات العلوم ومتلقياً عن مشايخه مخدرات الفهوم، وكان والده الإمام العدني يكاتبه من عدن ويحثه على الطلب[1]، أشار إلى ذلك الإمام الحداد في «مكاتباته» (٢: ٥٠١) بما مثاله: وقد رأينا سابقاً في كتاب من سيدي الشيخ أبي بكر صاحب عدن لولده الشيخ أحمد وهو بتريم يحثه فيها على أن يقرأ شيئاً من النحو على الفقيه الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل. اهـ.

ثم رحل إلى عدن وقام بخدمة والده وملازمته والقراءة عليه حتى

(١) نقلت الترجمة عن الجزء الثاني «العقد النبوي» باختصار وتصرف.



برع في العلوم وتضلع من علوم القوم، ولبس من والده الخرقة ونال الإجازات في الأسانيد العالية وروايتها.

أرسله والده إلى زيلع، مجاوراً لسلطا ا بعد طلبه لذلك، وناشراً للعلم ا، وقائماً بأمر الدعوة إلى اللّه، وكان السلطان إذ ذاك ناصر الدين الحلواني، وهو من المحبين للإمام العدني المتعلقين به، وكان الإمام العدني يكاتب السلطان ويدعو له، ويشير إلى ولده أحمد بما هو أهله أثناء إقامته في زيلع، فمما مدح به ولده أحمد قوله أثناء قصيدة طويلة :

وخص لنا شهاب الدين حقاً ... فنعم القِرم إن ذُكر القروم

سلاماً دائماً في كل حينٍ ... لعل بحقه يوماً نقوم

إمام سيد حبر فريد ... وعند الغيظ ذو عفوٍ كظوم

كريم الأصل من سلفي معد ... جزيل الحلم إن ضاعت حلوم

له القَدح المعلّى في المعالي ... وبحر ما له أحد يعوم

يجيب دعاءه ذو العرش حقاً ... ومن نفَثاتِه تشفى الكلوم

له كف تلقف كل سقمٍ ... عصا موسى النبي نِعم الكليم

رعاه اللّه من ولدٍ بريءٍ ... كلاه اللّه ما طلعت نجوم

أقــر اللّــه عــيني بــالتملي برؤيتــه وإن رغــم الخصــوم
وأبقانا الجميـع بخـير عـيشٍ فجـود إلهنـا جـزلٌ عمِـيم

ولـما ركبت الإمام العدني الديون لكرمه وجـوده هيـأ اللّـه السلطان ناصرالدين عبداللّه باحلوان لقضائها، فبعث بالأموال مـع الشيخ أحمد المساوى، ذكر ذلك صاحب «العقد النبوي»[1] بقوله:

ثم لـما أراد اللّه سبحانه وتعالى قضاء دين سيدي الشيخ شمـس الشموس أبي بكر بن عبداللّه العيدروس أيقظ اللّه له قلب ناصـر الدين بن عبداللّه باحلوان، فأرسل من زيلع صحبة ولـده الشـيخ أحمد بجميع قضاء الدين وزيادة، فوصل السيد أحمد إلى عـدن في رمضان إلى بيت السعادة وقضى جميع الدين الذي علـى سـيدي الشيخ أبي بكر، ونادى المنادي بالأذان في أزقة عدن : من له ديـن على سيدي الشيخ أبي بكر العيدروس فليحضـر الآن . وسـافر سيدي الشيخ أحمد بن أبي بكر في النصف من رمضان إلى زيلع[2] .

وبقي الشيخ أحمد المساوى بزيلع حتى توفي والده الإمام العـدني، ولـما بلغه خبر الوفاة رجع إلى عدن وقام بالـمقام أتـم قيـام،

---

(١) «العقد النبوي»(٢: ٣٢٣) .

(٢) المرجع السابق (٢: ٣٢٣-٣٢٤) بتصرف واختصار.

وأحيا الرواتب التي كان أنشأها والده والأوراد، وواظب على مـا كان عليه أبوه من إطعام الطعام، وصلة الأرحام، والإحسـان إلى الفقراء والأيتام.

قال الشيخ بحرق في « مواهب القدوس »[1]: وكأنه - أي الشيخ أحمد - رؤي بعد موت والده كأنه حمل أباه على كتفه . وتوقف عن تأويلها، فكان تأويلها قيامه بمقام أبيه بعـدن ومقـام جـده بحضرموت، وعاش الشيخ أحمد بعدن على غاية من العز والفضل، كريما سخياً جواداً كاظماً للغيظ، يشهد له بذلك من عاشره مـن أصحابه.

وقال في موضع آخر[2]: ولقد صدر من بعض المنسوبين إلى أبيـه يوماً ما لا يصبر عليه إلا أمثاله، ولا يصفح عنه إلا أشكاله، فأعرض عنه، فعرضت عنده بما لذلك الشخص إلى أبيه من النسبة والخدمة والصحبة خشية أن يبادر إليه مما هو من طبع البشر، فقـال : إنـا لنراعي ما كان لوالدي من الدواب فضلاً من الخدام كأصـحابه، ولـم يكافئه إلا بالجميل والإحسان، ولا أحرمه الدخول في زمرة

---

(١) « مواهب القدوس » ص٢٣ .

(٢) المرجع السابق ص٢٥ .

المحبين والإخوان.

وقد أثبت الإمام العدني في خاتمة رسالة « الجزء اللطيف » ما يشير إلى تقديمه لولده أحمد المساوى والإذن له في إلباس الخرقة بسندها إلى المشايخ، وذلك يوم الجمعة الخامس من شهر شوال ٨٩٤هـ.

وتوفي الشيخ أحمد في آخر شهر المحرم ٩٢٢هـ بعدن، ودفن بجوار والده الإمام العدني من جهة اليمين، وعمره إذ ذاك ست وأربعون سنة تقريباً.

وكان له ولدان توفيا قبله فانقطع بموته نسله، ولم يورث من بعده أحداً، رحمه الله رحمة الأبرار.

الشيخ محمد بن عمر بحرق

وهو من خواص الآخذين والمتعلقين بسيدنا الإمام العدني، ولد ليلة النصف من شعبان سنة ٨٦٩ هـ بحضرموت ونشأ بها وتلقى بدايات العلوم الشرعية واللغوية، وحفظ القرآن العظيم واجتهد في تحصيل المعارف وتحقيقها، وأخذ عن جملة من مشايخ الوادي كالفقيه محمد بن أحمد باجرفيل، ولما ارتحل إلى عدن لازم الشيخ عبدالله بن أحمد بامخرمة وقرأ عليه في الفقه وأصوله وفي العربية حتى

كان جل انتفاعه به، كما أخذ بعدن عن الفقيه محمد بن أحمد بافضل.

وارتحل إلى زبيد وأخذ عن علمائها كالعلامة زين الدين محمد بن عبداللطيف الشرجي، والفقيه جمال الدين بن محمد بن أبي بكر الصائغ، وأخذ عن السيد الحسين بن عبدالرحمن الأهدل، وهو الذي ألبسه خرقة التصوف، وسمع من الحافظ شمس الدين السخاوي بمكة، وبدع في النظم والنثر والخطابة، وكان كريماً محسناً لطلاب العلم، ومحباً للخير متصفاً بالإنصاف رجاعاً إلى الحق مواظباً على أفعال الخير.

صحب الشيخ أبابكر العدني العيدروس، وأخذ عنه، وانتفع به غاية الانتفاع، وكتب ترجمة حافلة عن حياته سماها « مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس » .

تولى القضاء بالشحر، ثم عزل نفسه، ورجع إلى عدن، ولقي ـا قبولاً، وخاصة عند أميرها مرجان بن عبدالله الظافري، ولما مات مرجان عزم الشيخ بحرق إلى الهند ووفد على سلطا ا مظفر بن محمود، فقربه وفرح به وأنزله المنزل اللائق به.

للشيخ بحرق عدة مصنفات ذكرها كتاب « النور السافر »، كما

له عدة أشعار جيدة منها شعر رقيـق في السـلطان عـامر بـن عبدالوهاب حين شرع في بناء مدارس في زبيد.

كما مدح شيخه الإمام أبابكر العدني بقصائد عديدة منها قصيدة على الشعر الغنائي جاء في مطلعها :

شـ ـابيح بـ ـالغرام كم ذا تسـتر بعشـقي
وارفـ ـع ذا اللثـ ـام أوخذ نصيبـي ورزقي[1]

كما أن له قصيدة عظيمة سماها « العروة الوثيقة في الجمـع بـين الشريعة والحقيقة »، وشرحها شرحاً حسناً سماه « الحديقة الأنيقة » مطبوع.

توفي الشيخ بحرق بحيدر آباد بالهند في ٢٠ شعبان ٩٣٠هـ ودفن ا، رحمه اللّه رحمة الأبرار.. آمين.

(١) « النور السافر » ص١٤٩، وليلاحظ القارئ أن هذه القصيدة من الشعر الغنائي الذي سيأتي بيانه عند الكلام على نماذج من شعره .

الشيخ الحسين بن الصديق الأهدل

هو العلامة الفقيه بدر الدين الحسين بن الصديق بن الحسين بن عبدالرحمن الأهدل اليماني، ولد في ربيع الثاني سنة ٨٠٥هـ بأبيات حسين من ائم اليمن، ونشأ ا، وحصل على العديد من العلوم في صباه، واشتغل بعلم الفقه على الفقيهين أبي بكر بن معيض، وأبي القسم بن عمر بن مطير، وغيرهم.

ترجم له في « النور السافر »، وأفاض في ذكر مشايخه وعددهم، حج عام ٨٧٢هـ، وجاور مكة عاماً كاملاً [1]، وأخذ عن جماعة من علماء الحرمين، وعبر على زبيد، فأخذ عن الشيخ يحيى العامري، وحقق عليه «المنهاج»، كما قرأ على الحافظ السخاوي

---

(١) حكي أنه لما زار النبي صلى اللّه عليه وسلم وقف أمام القبر الشريف وأنشد قصيدة يقول فيها :

إن قيل: زرتم بما رجعتم   يا سيد الرسل ما نقولُ؟

فسمع الجواب من الحجرة الشريفة :

قولوا: رجعنا بكل فضلٍ   واجتمع الفرع والأصولُ

وانظر القصة في « تاريخ الشحر » ص٣١، ٣٢.

بمكة، وذكره السخاوي في «الضوء اللامع».

دخل إلى عدن وأقام بها، وانتفع به خلق كثير، ومنهم الشيخ الفقيه محمد الطاهر بن عبدالرحمن ابن عبدالرحمن ابن القاضي محمد بن مسعود باشكيل[1].

ولما وصل الإمام أبوبكر العدني إلى عدن أنكر الشيخ حسين مظهره وحاله مدة من الزمن، ثم لما تحقق له عظم حاله وصدق مقاله، وامتلأ قلبه بسواطع أخباره، تأدب له وانطوى فيه، وصحبه وأنشأ في مدحه قصائد عديدة منها[2]:

من الحسان الخُرِدِ قد صادني غَرِير يرمي بقوس حاجبٍ

وأنشده إياها[3].

وقد توفي الشيخ الحسين بعدن ودفن بها، وقبره معروف في المسجد المسمى باسمه، وكانت وفاته ليلة الاثنين أول القعدة الحرام سنة ٩٠٣هـ، رحمه الله رحمة الأبرار.

---

(١) « تاريخ الشحر » ص٣٤.

(٢) « العقد النبوي » ص٢٧.

(٣) للقصة تتمة في « تاريخ الشحر » ص٣٢ آثرنا اختصارها.

الشيخ محمد بن أحمد باجرفيل الدوعني

من أفاضل العلـماء العاملين، والشيوخ المخلصين، ولـد يـوم الاثنين ١٢ من ربيع الأول سنة ٨٢٠هـ، أخذ أوليات علومه عن جماعة من الشيوخ الأكابر، وتفقه وأحسن الوجهـة في الطلـب، واعتنى من بدايات حياته العلـمية بالتصوف علـماً وعملاً، حتى ظهرت عليه آثار العمل، ونطق لسانه بعلوم الذوق مبكـراً، ولازم الشيخ الكبير علي بن أبي بكر السكران ملازمة الظل للشاخص مدة أربعة أشهر راغباً في أن يسمع منه عبارة : أنت منا أهل البيـت، كما قالها النبي صلى اللّه عليه وآله وسلـم لسلـمان الفارسـي رضي اللّه عنه؛ لكن الشيخ علي لـم يجبه لذلك حتى ألح عليه في الطلب وتحقق لدى الشيخ علي صدقه في محبته، فقال له: يا فقيه إن الدين النصيحة، لا يجيبك إلى مقصودك هذا إلا الشيخ أبو بكر بن عبداللّه «صاحب عدن»، فإنه القطب الوارث من صغره بعد موت أبيه، ونحن نكتب لك إليه أن يجيبك إلى مرادك، فكتب الشيخ علي إليه، وكتب إليه الشيخ باجرفيل، فأتاه منه الجواب بـنـيل القصد والـمراد.

وعاش الشيخ باجرفيل حياته باذلاً وقته للعلـم والتـدريس،

واستقر أخريات حياته في غيل أبي وزير من أعمال الشحر حتى توفي بها في شهر ربيع الأول من عام ٩٠٣هـ رحمه الله رحمة الأبرار.

الشيخ جار الله ابن فهد

هو المؤرخ العلامة الشيخ جار الله محمد بن عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي، ويعرف كسلفه بابن فهد.

ولد بمكة سنة ٨٩١هـ ونشأ بها في كنف أبويه، فحفظ القرآن، وطلب العلم الشرعي، وسمع من الحافظ السخاوي، ومن المحب الطبري، وحصل على الإجازة من جماعة من العلماء، منهم الشيخ عبدالغني النابلسي.

كما توجه إلى المدينة المنورة مع والده، وجاور بها، وسمع من والده تجاه الحجرة الشريفة كتب السنة و«الشفاء» للقاضي عياض، وسمع على السيد السمهودي بعضها، ومنها تاريخ «وفاء الوفا»، وفتاوى السمهودي، ولبس منه الخرقة، ثم عاد إلى مكة وتوسع في طلبه للعلم حتى استوفى ما عند مشايخ بلده، فرحل إلى مصر والشام، ودخل حلبا وبيت المقدس، وعاد إلى اليمن، وأخذ إجازات

كثيرة عن خلق كثير، كما دخل بلاد الروم، وتزوج ـا، ورزق الأولاد، ثم عاد إلى مكة، وتصدر ا للحديث حـتى تـوفي عـام ٩٥٤هـ . وكان التقاؤه بالإمام العدني خلال تردده على الـيمن حيث اغتبط بالإمام أبي بكر العدني واستجازه وأخذ عنـه، ذكـر ذلك الشيخ بحرق في «مواهب القدوس» وعده من جملة الآخـذين عن الإمام.

الشيخ عبداللّه بن عبداللّه باقشير

ومن انتفع بصحبة الشيخ أبي بكر العدني العيدروس وأخذ عنـه أخذاً تاماً الشيخ العلامة الفقيه عبداللّه ابن الفقيه عبداللّه ابن الفقيه الإمام محمد ابن الشيخ حكم باقشير الحضرمي الشافعي.

ولد بحضرموت، ونشأ ا مترقياً في الأخذ بـالعلوم، ومجالسـاً لصلحائها، وعلـمائها، وأوليائها، حتى صار من الأئمة المحققـين، والعلـماء العاملين، والفقهاء البارعين، له تصانيف عديدة، وكتب مفيدة، جمع اللّه له بين العلـم والعمل والورع. ومن كتبه المهمـة «قلائد الخرائد وفرائد الفوائد» وكتاب «السعادة والخير في مناقـب السادة بني قشير» .

توفي الشيخ عبدالله بن محمد باقشير في بلدة قسم بـالعجز سـنة ٩٥٨هـ.

الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي الحلبي

وهو ممن أصابته جذبة العناية الإلهية حتى حولت مجرى حياته من التجارة والأسفار في سبيلها، إلى العلـم والأخذ عن الشيوخ، ذكر ذلك «النور السافر» بما مثاله: اشتغل أول حياته بالتجارة حـتى صار من أعيا ا، ثم اختار بعد ذلك طريق الفقر إلى الله، وكان لـه خط حسن، فلقي بالـمسعى بمكة رجلاً من أهل الله، وقال لـه: اذهب فقد أعطيناك الخط والحظ، فذهب إلى عدن واتصل بالشيخ أبي بكر، وتتلـمذ له، ولازمه نحو عشرين سنة، واختص بنظـره، وتخرج به، ثم أمره الشيخ أبو بكر بالدخول إلى الهند والإقامة ـا، فدخلها وأقام طيلة حياته، وانتفع به خلق كثير، وأخذوا عنه أخذاً تاماً. توفي سنة ٩٥١هـ بحيدر أباد بالهند.

الشيخ محمد بن عبدالله العيدروس

أخذ عن الإمام العدني بعدن، وانتفع به، وتصدر في مسجده بعد

وفاة ولده أحمد المساوى، وسار سيرة حسنة في المقام، ثم ما لبث أن سافر إلى مكة وتوفي ا عام ٩٧٨ هـ.

الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن باوزير

وهو من خواص الآخذين والـمتعلقين بالشيخ أبي بكر العـدني، صحبه وانتفع به انتفاعاً كبيراً، ولازم مجالسه العامة والخاصة، وامتلأ به، وخدم ديوانه المسمى «محجة السالك وحجة الناسك» بالجمع والحفظ، وصدره بمقدمة مسهبة عن مناقب الإمام العدني وكراماته التي رآها أو سمع ا في عصره، كما أحسـن في وصـف شـيخه وأحواله العالية، ونقلنا في قسم عاداته وأحواله تلك النبذة المباركة.

الشيخ جوهر بن عبدالله الحبشي

يعتقد أن هناك شخصين يحملان هذا الاسم، أحدهما -وهو المتـأخر زمنا- أخـذ عـن الإمـام العـدني وانتفـع بـه. وأمـا الشـيخ جوهر بن عبدالله الآخر -وهو المتقدم زمنـا- والـمدفون بجـوار مسجده المعروف في عدن -في حارة البصال قديما- فتـذكر مصـادر التاريخ أنه لـم يأخذ عن الإمام العدني، بل مات قبله بمئتين وثـمانين

عاماً، والإشكال حاصل في تشابه الأسماء، ولعل جوهرا المذكور أنه أخذ عن الإمام العدني هو المعروف بالحبشي، وأما الآخر فهو البهاء جوهر بن عبدالله العدني، عاش في عهد الملك المسعود بن أقيس بن محمد بن أبي بكر بن أيوب آخر ملوك الأيوبيين في اليمن، وكان عبداً عتيقاً متسبباً في الخان بعدن، يشتغل بتجارة القماش، وكان معروفاً بالنزاهة والأمانة حسن المعاملة، وهو الذي بنى المسجد المعروف باسمه في حارة « جوهر » بمدينة عدن.

وليس صحيحاً ما يشاع من أن جوهرا كان عبداً للسيد العيدروس، فإن جوهر الأول مات سنة ٦٢١هـ الموافق ١٢٢٨م. وأما جوهر الثاني فهو ممن أخذ عن الإمام العدني.

الشيخ عبدالعليم الحوايجي

أحد المريدين المخلصين وطلبة العلم المتعلقين صدقاً بالشيخ أبي بكر العدني، التزمه وقرأ عليه، وأحسن الارتباط به، وكان بعد تخرجه وانتفاعه سبباً في تأليف «الجزء اللطيف في التحكيم الشريف»، حيث ذكر أن الشيخ أبابكر العدني نصبه شيخاً وأجازه وحكمه، وطلب الحوايجي من الشيخ أبي بكر العدني أن يمنحه كيفية

التحكيم والإجازة، فجمع الشيخ أبوبكر رسالة « **الجزء اللطيـف** » استجابة لطلبه وتحقيقاً لرغبته[1] .

الشيخ عبداللّه بن أحمد باكثير « صاحب مكة »

الشيخ الفقيه والحاذق النبيل، ولد بتريم و ا نشأ وتعلـم وتـربى وتفقه على كوكبة من رجال الولاية والرعاية، وفي مقدمتهم سيدنا الإمام عبداللّه بن أبي بكر العيدروس، كما أدرك جزءاً من مظهـر الإمام أبي بكر بن عبداللّه في تريم وعدن، وأخذ عن الابن، كمـا أخذ عن الأب، ثم رحل إلى الحرمين وأقام ا بقية حياته، وكـان دأبه استقبال الوافدين من حضرموت، والاعتناء ـم، وترتيـب أمورهم في مكة والـمناسك.

وقد توفي الشيخ عبداللّه بن أحمد باكثير بمكة ودفن ا ليلة السبت ١٣ ربيع ثاني عام ٩٢٥ هـ .

(١) « ا موعة العيدروسية » ص ٢٠٩ .

الشيخ نعمان بن محمد المهدي

ورد خبره وأخذه وتعلقه بالإمام العيدروس العدني في كتاب «العقد النبوي»[1]، وورد أيضاً في «شرح قصيدة: هات يا حادي فقد آنَ السلو»[2]، وذُكر في الكتابين نص لحكاية جرت للمذكور مع سيدنا الإمام العدني ظهر فيها كرامة جلية له ببركة صدق تعلقه، ومفادها باختصار حصول رؤيا منامية للشيخ نعمان وهو مسافر في مركب، وحصل في المركب بعض العطب، ودخل الماء، وأيقنوا بالهلاك، فأخذته سِنة، ورأى الإمام العدني جاء إلى المركب وبيده منديل أبيض فسد الثغرة التي دخل منها الماء، فلما استيقظ بشرهم بالفرج، فكان الأمر كذلك[3].

---

(١) « العقد النبوي » (٢: ١٢٧) .

(٢) ص٦٨ ، الكتاب للإمام عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس المتوفي بمصر عام ١١٩٢ هـ ، واسمه « الفتح المبين من أنفاس العيدروس فخر الدين »، ويسمى أيضا « تشنيف الكؤوس من حميا ابن العيدروس » ولا يزال مخطوطا.

(٣) المرجع السابق ص١٤٣ .

الشيخ محمد الطهطاوي المكي

ذكره السيد عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس في « شرح قصيدة: هات يا حادي »[1]، وأشار إلى أخذه وتعلقه بالإمام العدني، وذكر في السياق وقائع كرامة جرت للإمام العدني بعد استماعه لقصيدة مدحه بها أحد التلاميذ.

الأمير مرجان بن عبدالله الظافري

مولى السلطان الظافر عامر بن عبدالوهاب، تولى الحكم من بعده، وأظهر الحزم في قيادته وسلطانه، وكان له تعلق كبير وتولع عظيم واعتقاد في الإمام العدني.

وروت عنه بعض كتب التراجم كرامات خارقة أجراها الله أمام عينيه لسيده الإمام العدني، وخاصة في الحروب التي خاضها مع سيده عامر بن عبدالوهاب، وجاء في « مواهب القدوس » لبحرق قول الأمير مرجان عن الإمام العدني: لو شئت أن أملي من كرامات الإمام العدني كتاباً مجلداً لأمليت.

---

(١) المرجع السابق ص٩٨ .

وقد صار الأمير مرجان بعد توليه الإمارة صاحب كلمة نافذة حتى على مواليه من آل طاهر الحكام، وكان أهل الجبال بتعز ونواحيها لا يدينون بالولاء لأحد من بني طاهر إلا إذا رضي عنه الأمير مرجان بعدن[1]، وأورد من ذلك ص ١٤٨ ما مثاله :

وفيها - أي سنة ٩٢٦هـ - خرج الأمير مرجان من عدن إلى التلاج وصحبته الشريف عبد اللّه بن شيخ بن عبداللّه بن أبي بكر العيدروس، وهلال عتيق الشيخ أبي بكر العيدروس والقائم بتربته، وقدم الشيخ عبد الملك من لحج إلى التلاج، فاجتمع به الأمير مرجان ومن معه فبايعه الأمير وحلف له وأمره بالتقدم إلى الجبل ومقاتلة ابن عمه الشيخ أحمد بن محمد، فإذا صفي الجبل نزل إلى لحج ودخل عدن[2].

وبقي الأمير مرجان وفياً للإمام العدني والمقامه من بعده، وعلى يده تم بناء رباط العيدروس بجوار المسجد كما ذكره « تاريخ الشحر » ص٨٦.

---

(١) ذكر ذلك في الطيب بافقيه في « تاريخ الشحر » بوقائع وردت في ص١٤٦، ١٤٨، ١٥١ .

(٢) « تاريخ الشحر » ١٤٨ .

وكانت وفاة الأمير مرجان بعدن سنة ٩٢٧م ودفن تحت سـقف قبة الإمام العيدروس، وفي سنة ٩٧٢ هـ دفن في قبر الأمير مرجان القبطان صفر الرومي الذي جاء في جيش لـ ـمحاربة الإفـرنج، ومرض في البحر وعاد إلى عدن ومات ا . اهـ « تاريخ الشحر » ص٣٧٥ .

أعماله النثرية

كان الفن النثري في عصر الإمام العدني يمثل صورة راقية في فـن التعبير أكثر مما يعبره الشعر، وذاك يعود إلى المدرسة الصوفية الـتي اعتنى رجالها بالـمكاتبات والـمراسلات بأسلوب ذوقي يحمـل المعاني السامية والعبارات الرصينة الدائرة في قاموس التصوف، وتفيد المعاني التي يذوقها كل منهم عند مكاتبته لشبهه ومثله.

وقد بقيت لنا من نماذج الكتابة النثرية للإمـام العـدني بعـض المكاتبات والوصايا والـمقولات، نتناول هنا منها مكاتبة نثريـة وشعرية مرسلة إلى الشيخ عبدالرحمن بن علي بتريم، وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالـمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلـم.

من الفقير إلى اللّه تعالى المملوك العبد الرق أبي بكر بن عبداللّـه علوي لطف اللّه به [1] :

فقد ورد في الكتاب الكريم المقابل بالتبجيل والتعظيم المشتمل على الدر النظيم، والزهر الفائق البسيم، الذي يحق أن يقال: إنه مـن سليمان وإنه بسم اللّه الرحمن الرحيم الوارد من الشيخ الأوحد، العالـم العلـم المفرد، سيد الشرفا وسبط المصطفى، ورضيع ألبان الصفا والوفا، بحر الحقائق، وكاشف رموز الدقائق، زين الأدبـاء، ولسان العرب العرباء، ذي الأخلاق الرضية، والشمائل المرضـية، والهمة العالية الأبية، والأنفاس العلوية القدسية، وجيه الدين، وبركة المسلـمين، سليل الصالحين، واسطة عقد الشرف الثمين، الشـيخ الأجل الولي الصالح، الساعي في المصالح، عبدالرحمن بن علي ابـن الشيخ أبي بكر رضي اللّه عنهم آمين، ونفعني بهم، فقبلتـه تقبيـلَ مقتطفٍ من رياضه، مغترفٍ من حياضه، متبركٍ بمواضع أقلامـه، معترفٍ بإنعام تودده وشامل إكرامه وإنعامه، ونـزهت طَـرفي في حدائق براعته، وما أودعه من جواهر بلاغته، فشكر اللّـه أنامـلَ

(١) ضمن الرسالة بعد هذه العبارة جملة من الأبيات الشعرية .

سطرت سطوره، ونظمت منثوره، واقتطفت مـن ريـاض الأدب زهوره، وأطلعت في سماء البلاغة كواكبه وبدوره.

وما أهديتم من السلام فخصكم اللّه بأضعافه، وغمـركم بمنـه وألطافه، وما جاء به من علوم البلاد، وما حدث فيها مـن الفـتن والفساد، فالرجاء في اللّه أن يزيل الشر وينفي كل محذور، ويطفي نار الفتن، ويمحي منها سائر اليمن، ما ظهر منها وما بطن، والبلاد وإن حصل ا ما ترى فالحوطة باللّه ثم ببركة السـلف محفوظـة، وبعين العناية والرعاية إن شاء اللّه ملحوظة، وكيف لا وهي موضع مهابط الرحمة والسكينة، وموطن أقدام الأولياء والصالحين.

وقد أحسن سيدنا الإمام السبكي رضي اللّه عنه :

وفي دارِ الحديث لطيف معـنى إلى قُـرشٍ ـا أصـبو وآوي
لعلي أنْ أمـس بحـر وجهـي مكاناً مسـه قَـدم النـواوي

وعوائد اللّه لـم تزل جميلة، ومواهبه في جميع الأحوال جزيلة [1].

وفي آخر المكاتبة جاء ما مثاله :

(١) للـمكاتبة بقية مطولة لـم نثبتها هنا، ويمكن للراغـب الاطـلاع عليهـا في «ا موعة العيدروسية» ص١٩٨.

وفي النفس من الضيق ذا الوقت من عدم ا انس كثير، فلـ ـما آنست منك الأنس، وعرفت منك أنك تحب البسط، كان كمـ ـن جر ـراً محبوساً، فلا تعتب على كثرة البسط، فإنه من صفاء المودة، وفي القلب نصائح يحب المملوك أن يبديها لكم لـ ـما غلب الـ ـود وصفا الحب.

اعلـ ـم أن هذا الزمان خصوصاً عندكم الغالب على أهله عـ ـدم الوفاء، وإظهار القبيح والجفاء، وصرتم بين أظهر أعداءٍ للدين جبلوا على محبة إذاعة مثالب أهل المناصب، وقبيلتنا الغالب عليهم عـ ـدم الاحتراز في الأقوال والتلبيس في الأفعال، فلا يجروا على أنفسهم إلا زيادة سوء ظن فوق ما جبلوا عليه.

وأنت بسلامتك قد جعلك اللّٰه مفرداً، وإفرادك من غير اختيار من زمان أبيك في الحافة والبيت والـ ـمسجد والطبـ ـع، فالصـ ـواب اعتزالك منهم قلباً وقالباً وأبقالك على ما اختار اللّٰـ ـه لـ ـك فهـ ـو أعلـ ـم بالخيرة، ولا تدخل نفسك في الأمور الصـ ـادرة مـ ـا بـ ـين إخوانك، وقل: الكبار سادة والصغار أولاد، ولا يمكن العصبية مع أحد على أحد، وقل: حالي يضعف عن الخصومات ومخالطة أرباب الدول، وقل: أنا منفصل من زمان الوالد ورغبت في الاعتزال عـ ـن

كله لعلـمي بضعف حالي فلا تكلفوني سوى أني أحبكم الجميع، فهذا هو الأصلح لأ م لا يتبعون ما أمرت ولا تحسن منك العصبية مع أحد دون أحد مع ما في المخالطات من الآفات ما يذهب الدين والجاه والـمروءة، وأكثر ما يتعبنا قول الشامتين الحاسدين: راحوا أهل الخير وبقي من لا ينفع، ولا عاد على رسم الفقـراء سـواك، فبالله عليك ورسوله لا تدنس قميص سلوكك بسـليط مخالطـة أوباش تريم ورعاعها.. أف لرئاسة تناط م.. فوالله ما تجشـمت الفرقة وحليت لي الغربة إلا لكراهة تلك المخالطات والـمعاملات من خسران الدين والدنيا.

وبعد فاعلـم سيدي أني إذا ذكرت بعدي عن التـرب المنيفـة والضرائح الشريفة وعدم زيارة المشايخ يحصل التعب الكلـي، وإذا رجعت أذكر ما قاسيت من مرير عشرة العشيرة وعدم احتفـالهم بمراعاة المروءة، وقِل امتثال العاقل، وعدمِ رمق العواقب -وسـيان عندهم عدوهم وصديقهم في إفشاء غوابي أسـرارهم- أحببـت الغربة وذقت لها حلاوة كائناً ما كانت، ولاشيء يتعبـنـي سوى أن أموت في غير تريم، فالدعاء الدعاء أن الله تبارك وتعـالى سبحانه جل ذكره أن يجعل موتي بتريم.

وبعد فخاتمة كتابي نسأل الدعاء أن يختم للجميع بخير الدنيا والدين والآخرة بحق محمد وآله آمين[1] .

نماذج من مقولات الإمام العيدروس

جمع الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن باوزير في مقدمة الديوان «محجة السالك وحجة الناسك» نبذاً من المقولات النافعة التي سمعها في مجالس متعددة من شيخه الإمام أبي بكر العدني ومنها:

نموذج من مقولاته في العقيدة

قال رضي اللّه عنه : إن اللّه سميع بصير، قادر حي، قيوم مهيمن، أول آخر، ظاهر باطن، أبدي أزلي، ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انتهاء، ليس له شريك ولا قرين، ولا نظير ولا معين، تقدست عن الأشباح ذاته، وتنزهت عن الأمثال صفاته، يسمع من غير أصمخة وآذان، ويرى من غير حدقة وأجفان، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، ليس هو من شيء ولا في شيء ولا فوق شيء، إنه لو كان من شيء لكان مسبوقاً، ولو كان

(١) «المجموعة العيدروسية» ص٢٠٠.

في شيء لكان محصوراً، ولو كان فوق شيء لكان محمولاً، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم البصير، جل وعلا عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وقال رضي اللّه عنه في قوله تعالى: الرحمن على العرش استوى :

استوى ليس هو استواء وقوع وحلول بل هو استواء ملك وحكم، وقال صلى اللّه عليه وآله وسلم: « لا تفضلوني على أخي يونس بن متى » ؛ لأنه صلى اللّه عليه وآله وسلم رقى إلى العرش والكرسي ويونس هبط إلى أسفل الأرضين وكانا سواء بين يدي اللّه سبحانه وتعالى، وقال تعالى : واسجد واقترب ، فعلم أن لا ثَم جهة لأن القائم أقرب إلى السماء من الساجد، تعالى عن إحاطة العقول والأفهام.

خلق الكائنات بقدرته، وأقامها بمشيئته، لا يتصل ا ولا ينفصل عنها، بل هو كما شاء، كيف شاء، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون[1] .

---

(١) مقدمة الديوان ص٢٣٧ من « ا موعة العيدروسية » .

نموذج من مقولاته في التقوى وحسن الظن

وقال رضي اللّه عنه : عليكم بتقوى اللّه، فإن اللّه تعالى قـال : وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، وقال تعالى : واتقـوا اللّـه ويعلـمكم اللّه ..الآية .

وقال رضي اللّه عنه: عليكم بحسن الظن في اللّه عز وجل ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والـمغرب ولكن البر من آمن باللّه واليوم الآخر والـملائكة والكتاب والنبيين .. الآية .

والإيمان هو حسن الظن والتصديق، قال تعالى : وتعاونوا على البر والتقوى ، وقال تعالى : فسوف يأتي اللّه بقـوم يحبـهم ويحبونه .

وقال في حديث الإعرابي لـما سأله عن الساعة فقال له: «مـا أعددت لها؟» قال: حب اللّه ورسوله، فقال له صلى اللّه عليه وآله وسلـم: «أنت مع من أحببت» ، وحسن الظن دليل على السعادة ، ويرجى لصاحبه حسن الخاتمة عند الموت[1] .

وقال رضي اللّه عنه : ما خسر صاحب حسن ظن وإن أخطـأ،

---

(١) «ا موعة العيدروسية» ص٢٢٨ .

وقال في بعض قصائده :

ربي بك احسنت ظني فإنه خير ملتزم
وإنه الكنز الآكبر وإنه الإسم الآعظم

وأكثر ما يوصي رضي اللّه عنه في حسن الظن، وقال: هو أوفى عمل يقرب إلى اللّه تعالى ؛ لأن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» .

وقال رضي اللّه عنه: احذروا سوء الظن، فإنه دليل على الشقاوة، ويخشى على صاحبه سوء الخاتمة، والعياذ باللّه، وقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»، وقال تعالى لنبيه في حق المنافقين : استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر اللّه لهم ، فانظر إلى المنافقين مع سوء ظنهم لا ينفعهم استغفار النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وهو أفضل خلق اللّه تعالى.

وقال رضي اللّه عنه : ما أفلح صاحب سوء ظن وإن أصاب .

نموذج من مقولاته في زيارة الأولياء

وقال رضي اللّه عنه : عليكم بزيارة الأولياء والتعرف م ، وإن

صحت النية ، وثبتت العقيدة ، فإن عالـــم الغيـب والشـهادة مرتبطان كالروح والجسد، لا تأتي بركة من عالـــم الغيـب إلا بواسطة حركة من عالـم الشهادة، وعليه الدليل بقوله جل وعلا لـمريم عليها السلام : وهزي إليك بجذع النخلة .. الآيـة ، ولـموسى عليه السلام : أنِ اضرِب بعصاك البحر ، فجعل الهز وحركة العصا من عالـم الشهادة سبباً للبركة النازلة من عالـــم الغيب[1].

نموذج من مقولاته في الطاعة وخطر المعصية

وقال رضي اللّه عنه : إياكم والاستدلال عليه – أي: على الحق جل وعلا- مع طاعته، وإياكم والتنفر[2] عنه عند معصيته، وإياكم والإياس من رحمته في أي حال كان.

وقال رضي اللّه عنه : لا تستقلوا الطاعة وإن كانت يسيرة فـإن فيها رضى اللّه، ولا تستحقروا المعصية وإن كانت صغيرة فإن فيها غضب اللّه وأبغض ما عليه .

---

(١) «المجموعة العيدروسية» ص٤٣٩.

(٢) المقصود هنا بالاستدلال: الدلال المؤدي للاتكال، وبالتنفر اليأس.

وقال رضي اللّه عنه لـمن يمشي بالنميمة ويتعاطى الغيبة: إن اللّه سبحانه وتعالى قال : ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه وقال تعالى : هماز مشاء بنميم . مناع للخـير معتدٍ أثيم . وقال صلى اللّه عليه وسلـم : « المسلـم مـن سلـم المسلـمون من لسانه ويده »، وقال أيضاً: وهـل يكـب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟

وقال رضي اللّه عنه :

كل جـرح علاجـه ممكـن ما خلا يا فتى جـرح اللسـان

وقال رضي اللّه عنه : ما عير أحدكم أخاه ببلية إلا وابتلاه اللّه ا أو بأعظم منها، قال علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه : لو عيرت امرأةً بالحَبل لخشيت أن أُحبل.

وقال رضي اللّه عنه: إياكم والكبر والحسـد فإ مـا يحبطـان الحسنات ويمحقان البركات كما تمحق النار الحطب، قـال اللّـه سبحانه وتعالى: إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ، وقال تعالى: إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهـنم داخرين ، وقال تعالى : أم يحسدون الناس على ما أتاهم اللّه من فضله .

وقال رضي اللّه عنه : هما - أي الكبر والحسد - أول ذنب عصي به اللّه عز وجل، وقال: كلما أفاض على عباده نعمة ازداد الحسود غيظاً، وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت :

قل للحسود إذا تنهد: طَعنةً يا ظالماً وكأنه مظلوم

وقال رضي اللّه عنه: في الكتب الأولى : « الحسود لا يسود أبداً، والخبيث لا يخُرج إلا نكداً » .

نموذج من أدعيته رضي اللّه عنه

اللّهم أَجِرنا من غير ضرر، وأغننا من غير بطَر، اللّهم أجرنا من غير ابتلاء، وأغننا من غير امتلاء.

وكان دعاؤه رضي اللّه عنه في غالب محاضر ذكره : اللّهم ارزقنا من العقول أوفرها، ومن الأذهان أصفاها، ومن الأعمال أزكاها، ومن الأخلاق أطيبها، ومن الأرزاق أجزلها، ومن العافية أكملها، ومن الدنيا خيرها، ومن الآخرة نعيمها، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[1] .

---

(١) « المجموعة العيدروسية » ص٢٤١.

نموذج من مقولاته في **الفرق** بين **الشريعة والحقيقة**

وقال رضي اللّه عنه جواباً لسؤال ورد عليه من بعـض الفقهـاء يسأله عن الفرق بين الشريعة والحقيقة رداً كافياً وجواباً شافياً هذه صورته :

بسم اللّه الرحمن الرحيم، الحمـد للّـه وهـو الحامـد لنفسـه والـمحمود، ومنه انبعاث القصد للقاصدين وهو المقصود، خلـق لعبده إرادته بإرادته، وأثبته حتى أقام عليه حجته، وبإثباته له أقـام عليه أمره و يه، وجازاه على مقتضى سعيه، فناداه : وأن لـيس للإنسان إلا ما سعى ، وتارة أقام نفسه ونفـاه فقـال: ومـا تشاؤون إلا أن يشاء اللّه .

فحصلت الحيرة، وعميت الأبصار والبصيرة، فوفق من يشاء مـن عباده بمكنون علـمه، فوقف مع الشريعة بحبه، ومع الحقيقة بقلبه، فالعلـم المتجلي على الجسم علـم ظاهر، وهو علـم الشـريعة، والعلـم المتجلي بالقلب علـم باطن، وهو علـم الحقيقة، فأقـام ظاهر الإسلام على أركان، القائم ا جوارح الأبدان، وأقام حقيقة الإيمان والإحسان على يقين وبيان، القائم ا تصميم الجنان، ولكن لـما خفي عن الأسماع الحسية ما بالقلب جعل لها ترجمانا، وهـو

اللسان، فارتبطت الشريعة بالحقيقة، والحقيقة بالشريعة.

فمن ها هنا قال أهل الشريعة الواقفون مع العلـم الخـالي عـن العمل: ما سوى الشريعة كفر، فصدقوا من وجه وأخطـأوا مـن وجه، وقال المترسمون بألفاظ الحقيقة العارون عن التحلي ا : مـا سوى الحقيقة شيء، فصدقوا من وجه وأخطأوا من وجه، فناداهم أهل الجمع من أرباب الدعوة : أما سمعتم شاووش التوفيق، علـى قارعة الطريق، ينادي : والذين جاهدوا فيهم لنهديهم سـبلنا ؟ فالاجتهاد هو الشريعة، وهو تعاطي أقوال الشريعة بالأعمال ليهديه سبله، وهو الحقيقة، فمن هاهنا لـمن تعرفـوا الحقيقـة لعـدم استعمالكم الشريعة، ويا أيها المترسمون بألفاظ الحقيقة لـم تحصل لكم الهداية إلا بالاجتهاد على أوامر الشريعة، واجتناب مناهيها[١].

ومن أهم أعماله النثرية رحمه الله ونفع بع رسالته المسماة « الجزء اللطيف في التحكيم الشريف » كتبها لأحد تلامذته ومريديه، وهو الشيخ الصالح الفقيه عفيف الدين عبدالعليم الحوايجي، وصدرها بعد

---

(١) للـمقالة بقية في ص٢١٨ من « ا موعة العيدروسية » .

براعة الاستهلال بقوله:
أما بعد فقد سألني الولد العزيز الناصح، الفقيه الـولي الصـالح، عفيف الدين الشيخ عبدالعليم الحوايجي أن أنصبه شـيخاً وألبسـه الخرقة، وآذن له في إلباسها لـمن شاء، وسألني عن كيفية التحكيم المتعارف بين المشايخ رضي اللّه عنهم، فأجبته إلى ذلك واستخرت اللّه تعالى في جمع جزء لطيف أُبين فيه إلبـاس الخرقـة الشـريفة، وأوضح ما ورد فيها وعليها، وباللّه التوفيق.اهـ.
وقد أورد الإمام العدني في هذه الرسالة كافة أسانيد لبس الخرقـة عند أهل التصوف وطرقها التي وصلت إليه، واسـتدلالات أهـل الطريق فيها، وما جرى من الخلاف بين أهل العلـم في شـأ ا، وقال بعضهم: إ ا بدعة، ثم استطرد المؤلف لتفصيل معنى البدعـة وأقسامها، ومن ذلك انتقل إلى ذكر أصناف لبس الخرقـة وآداب لبسها، وأشار إلى صفة أخذ العهد وهي :
١- أن يذكر الشيخ للـمريد آداب التوبة، ونسبتها، ثم يضـع باطن يده اليمنى فوق بطن يد التائب اليمنى، ويعرفه بـأن الشـيخ والـمريد مشتركان في التوبة.
٢- يرفع الشيخ صوته ويقول: أعوذ باللّه من الشيطان الـرجيم،

بسم اللّه الرحمن الرحيم، أستغفر اللّه العظيم (ثلاثاً) وأسأله التوبة والمغفرة والتوفيق لما يحبه ويرضى، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد للّه رب العالمين.

ويتبعه المريد في قوله.. إلخ.

واستطرد المؤلف إلى صيغ أخرى مستحسنة في أخذ العهد، وأشار إلى شيوخه الذين ألبسوه الخرقة، والرسالة قيمة في موضوعها وفنها، وهو السند العلمي والروحي الذي تتوثق به طرق الأخذ والتلقي عند أهل ذلك العصر، ومنها يستشف الباحث مدى الاهتمام التربوي وتوثيق أسانيده وصلاته في حياة السلف الصالح.

أشعار الإمام العدني ذات الأغراض المتنوعة

يزخر ديوان الإمام العدني بالعديد من القصائد ذات الأغراض الشعرية عند الصوفية، وكما هو معلوم أن للشعراء الصوفيين وجدان راق وأسلوب رصين وكلمات ذات مدلول ليست كلها على ظاهرها، خصوصاً في التعريض بالمسميات الحسية كالسكر، والخمر، والكؤوس، وسهام العين، وهند، ولبنى، وليلى، وغيرها، فالخمرة عندهم والسكر: نشوة الذكر والفكر، والكؤوس:

إشارة للسبب والواسطة المؤدي إلى النشوة، والرموز الأنثوية: عبارة عن غرض مقتضى الحال الذي يعتري الشاعر عند تعبيره، وكلـها تدور في مستوى الجمالية الوجدانية، واستفراغ كافة المعاني الحسية في مستوى اللذة الظاهرة لتعبر عن وجـدان راق، غلـب علـى الجوارح، فأنطق اللسان بنشوة الوجدان على المسـتوى الـذوقي الإنساني .

وليست كل القصائد الصوفية من هذا النمط الغزلي، وإنما توجد بينها أغراض أخرى كالوعظ، ومحاسبة النفس، والتزهيد في الـدنيا وحطامها، وعلى العموم فالنص الأدبي الصوفي مدرسة متفردة عن غيرها، ولا يحسن من منعدمي ذلك الذوق أن يرضخوا قصـائد التصوف إلى محسوسات الذهن الشهواني الرخيص، وإذا كـان في الصوفية من صار هدفاً للـمز والغمز والتنقـيص مـن خـلال النصوص فإن التعميم بهذا الحكم على كل الصوفية مجانب للحـق، وانشغال بمادة فكرية منقرضة بانقراض رجال ذوقهـا لا حاجـة للانشغال بها وتحجيم أمرها .

والواقع الفكري والعاطفي المعاش اليوم هو أدعى للاهتمام بـأثر الوجدان الرخيص المدمر للسلوك والحياة والشرف، وأقول هذا ليس

ترويجاً للغزل الصوفي، ومدحاً لقاموسه الخمري المعنـوي، وإنمـا تأكيداً على ضرورة إعطاء كل مدرسة حجمها ومقامهـا الـذي تنطلق منه وجدانيا ، لا من حيث محاكمة الكلـمات والعبارات وعزلها عن حقائق حال قائلها وزمانه ومدرسته.

وهذا الحكم يجر نفسه على كل تراث التصوف، ولـيس علـى الجانب الأدبي فقط، فالناقدون الإسـلاميون اليـوم -وأكثـرهم المتخرجون من مدرسة الشك الديكارتية والبافلوفية وأشبا هها مـن مدارس النقد ومدارس علـم النفس الحديثة، ولا مخرج لهـم مـن أثرها وتأثيرها- هؤلاء قد حملوا على عواتقهم -كما يقولون- هم تنقية التاريخ والأدب والعلوم الإسلامية من الشوائب العالقة ا من آثار التصوف والوضع والنحل والغنوص وما شاكل ذلك بمقاييس أجنبية وغريبة عن الإسلام ذاته، ولهذا آل ـم هـذا الانـدفاع والحماس إلى وصم الأوائل بما ليس فيهم، ويظنـون أن مقـاييس نقدهم إسلامية خالصة، وأنى لهم ذلك، والـ ـمرء منتسـب إلى مدرسته التي بنت تركيب فكره ووجدانه ومواقفـه وتوجهاتـه، وغالب مدارس المسلـمين من ألفها إلى يائها اليوم منطويةٌ نفسيات تلامذِتها وثقافا م على آثار نشاط المدرسة الاستعمارية الحديثـة

-من أول هياكل المدرسة الابتدائية إلى مرحلة الشهادات العليا- بما لا يجرد أقلامهم ولا ألفاظهم عن آثـار التراكمـات التعليميـة المشبوهة .

والخير كل الخير في إعذار المسلـمين، والإشفاق م من كيـد الأعداء المتربصين الذين يوغرون صدر المسلـم علـى المسلـ ـم، ويبدعون غاية الإبداع في إيجاد الفرقة والخلاف، مع أن في الأمـر سعة، وفي الإنصاف عند الدراسة ميزان عدل لا يحيـف إذا كـان الوزان عدلاً في ذاته، سمحاً في معاملاته، مخلصاً في أعماله ونياته .

وقد استخلصنا هنا بعض النماذج الشعرية للأغراض التي يطرقها شاعرنا العدني، والأسلوب الذوقي الذي ينتهجه، ونود أن نلفـت القارئ إلى أننا توخينا الاختصار في هذه النماذج تجنبا للإطالة عليه بما يتناسب مع الوحدة الموضوعية للقصائد .

وغالب أشعار ديوان الإمام العدني من الغزليات ذات العبـارات الشعبية المنشدة بأصوات غنائية، وبأسلوب غير متكلف، وقد يخرج بعضها عن قواعد العروض المألوفة، وميز ا الأدبية تنوع مطالعهـا الإيقاعية على أصوات الإنشاد السائد آنذاك عند صوفية الـيمن، وقاموسها اللغوي ممزوج بين اللّهجة الشعبية والألفـاظ العربيـة

الفصيحة البارزة في قالب أدبي مقبول ؛ وكثيراً ما يميل إلى استخدام الألفاظ الشعبية المتداولة في بعض مناطق اليمن وخاصة في التـهائم مثل :

شاعشـــق لي معـــز غـــالي　　　وارتقـــي لي مرتقـــي عـــالي
شا فـاخر لي بفخـر محبـوبي　　　وأعطاني في الحب مطلـوبي (١)

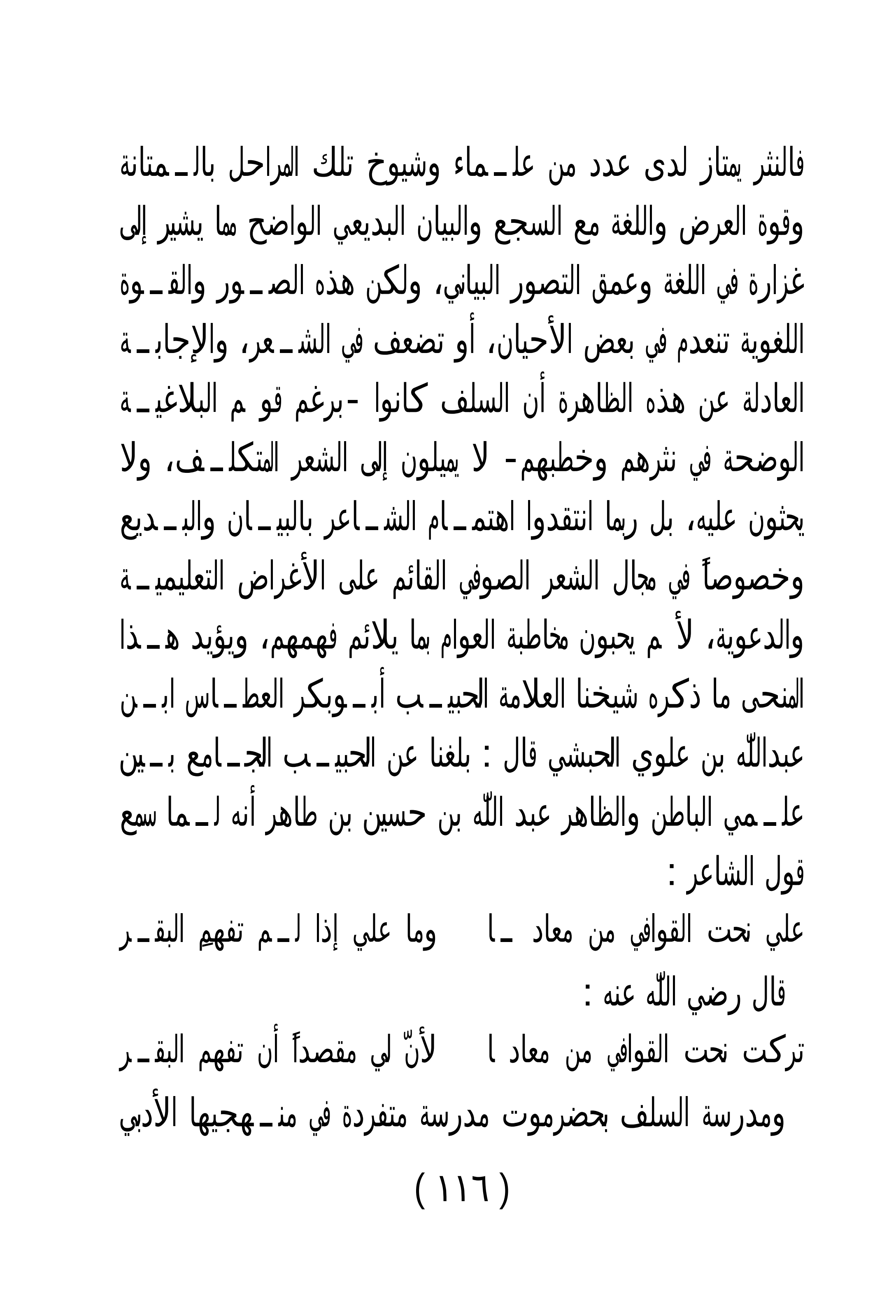
ومثل :

إذا شا اترك الهم وواصل سروري　　　ولي رب يعلـم بخافي أمـوري
وشا ادخل وشا اجزم بقلب جسور　　　أرى اللوم عندي خطأ غير صائب
أناشا استجير بالجمال المكمـل　　　ومن في النبيين أكمل وأفضـل

مع أن الملاحظ في تركيب بعض القصائد ضعف البناء الشـعري، وكثير من السلف عند كتابة الشعر لا يتكلفون الصور والـمعاني، وخاصة أن غرضهم هو الدعوة إلى الله بـين العامـة، وغالـب قصائدهم تؤلف للإنشاد والسماع، فلذلك يتوخون فيها البساطة، واللغة المتداولة، وقد أشكل هذا الأمـر علـى بعـض البـاحثين المعاصرين، وظن أن في الأمر شيئاً، حيث يختلف الشعر عن النثـر،

---

(١) الديوان، ((ا موعة العيدروسية)) ص٣٧٦.



فالنثر يمتاز لدى عدد من علـماء وشيوخ تلك المراحل بالـمتانة وقوة العرض واللغة مع السجع والبيان البديعي الواضح مما يشير إلى غزارة في اللغة وعمق التصور البياني، ولكن هذه الصـور والقـوة اللغوية تنعدم في بعض الأحيان، أو تضعف في الشـعر، والإجابـة العادلة عن هذه الظاهرة أن السلف كانوا -برغم قو م البلاغيـة الوضحة في نثرهم وخطبهم- لا يميلون إلى الشعر المتكلـف، ولا يحثون عليه، بل ربما انتقدوا اهتمـام الشـاعر بالبيـان والبـديع وخصوصاً في مجال الشعر الصوفي القائم على الأغراض التعليميـة والدعوية، لأ م يحبون مخاطبة العوام بما يلائم فهمهم، ويؤيد هـذا المنحى ما ذكره شيخنا العلامة الحبيـب أبـوبكر العطـاس ابـن عبداللّه بن علوي الحبشي قال: بلغنا عن الحبيـب الجـامع بـين علـمي الباطن والظاهر عبد اللّه بن حسين بن طاهر أنه لـما سمع قول الشاعر:

علي نحت القوافي من معاد ـا ... وما علي إذا لـم تفهمِ البقـر

قال رضي اللّه عنه:

تركت نحت القوافي من معاد ا ... لأنّ لي مقصداً أن تفهم البقـر

ومدرسة السلف بحضرموت مدرسة متفردة في منـهجيها الأدبي

والفكري، ومخالفة بذلك كثير من المدارس الأدبية والفكرية ؛ لأن غالب شيوخ المراحل اشتغلوا بالدعوة إلى اللّه، ومخاطبة العوام، فقل أن يأتي نشاطهم الأدبي محبوكاً ومنسقاً، وربما كان هذا حظ القليل منهم فقط، حيث لا يخلو زمن ولا عصر من أدباء وشعراء يـتلاءم ذوقهم وتركيبهم البلاغي في أعمالهم الأدبية مع المدارس الشـعرية الراقية.

ولقد استفدت هذا الموقف من خلال دراستي لحياة جملـة مـن علـماء وشيوخ حضرموت عبر ترجمة الجد علوي المطبوعة المسماة «لوامع النور»[1]، فقد حكى الجد علوي قصة عودته إلى حضرموت متزوداً بالعلـم والأدب من مصر، فوجد مدرسة حضرموت على عكس ما جاء به.. فصور حاله بقوله: فوصلت إلى وطني ومسقطِ رأسي، فألفيت البلاغةَ ا لا تعرف، ويهزأ بمن ا يوصف، وفتشت خريطةَ دماغي، فإذا جلّ ما ا لاغي، ووجدت لسانَ الفصـاحةِ علي باغي، معلناً بقوله : بلدك أرض يفِر ا الخِريت وسرد المثالة، فقلت في نفسي بستر الحالة، وتذكرت قول من قال :

---

(١) « لوامع النور » للمؤلف ص١٠١ .

أرض الحراثةِ لـو أتاهـا جـرولٌ نجـلُ الحطيئـةِ لانـثنى حراثـا
تصدى لـا الأذهان بعـد صـقالها وتـرد ذكـران العقـول إناثـا

فبينما أنا أقلب كفي، وأضرب بيدي على كتفي، إذ هتـف داع صرف وجهة القلب ونقلني إلى حالة الجذب قائلاً: رويدك اخلـع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ..

هذا شراب القومِ سـادتنا وقـد أخطا الطريقةَ من يقلْ بخـلافِ

فأفقت فإذا الطريق دلالة وإدلال ومقامات وأحوال وقبول وإقبال، فعرفت أن من الجنون فنون، وأن الحق مع من جال في كـل سـر مصون، فترسمت برسوم سلفي، وتركت كل قاطع فيـه تلفـي، وأقبلت على الدعوة إلى اللّه تعالى، وإرشاد الضال مـن الجهـال، وترغيبه في العمل والأعمال، وسعة رحمة الكبير المتعـال، فتـارة أستدرجه بقصيدة من بحر الحميني المشهور، وتارة بالتوسل والإنشاد بالأشعار الموزونة والسجع المأثور.

نموذج من شعره في الشوق

قال الإمام العدني في شوقه لأهله وأسلافه الصالحين :

عرض بذِكري إن مررت بلَعلَـع   واقْرِي السلام أُهيلَ تلك الأربـع
واشفع وقُـل بتـذَللٍ وتخشـع   يا ساكني وادي النقا والأجـرع
فيكم ضنى جسمي وسالت أدمعي
وبكم لَبِست مِن النوى حلَلَ الضنا   وهجرت فيكم من نأى أو من دنا
وجعلت حبكُم لنفسـي ديـدنا   إن كان مسكَنكُم بوادي المنحنى
حِساً فمثواكم معي في أضـلُعي
يا من أُعِـدهم أعـز دخـائري   شغفي بحبكُم سرى في سـائري
وبدا وفاض على جميع مظـاهري   في خاطري وضمائري وسرائري
في منظري في منطقي في مسمعي[1]

وفي الشوق واللوعة للوطن والأهل يقول :

مسـ ـافرين أبلغـ ـوا عنـ ـا   من في تريم الف والفـ ـي سـ ـلام
مـ ـن قامتـ ـه تشـ ـبه الغصـ ـنا   ومـ ـن جبينـ ـه كبـ ـدر التمـ ـام
مـ ـتمم الحسـ ـن والـ ـمعنى   سويجي الطرف قميري الحمـ ـام
والجسـ ـم مـ ـن فرقتـ ـه مضـ ـنى   ونـ ـاظري مـ ـا ـنـ ـا منـ ـام

---

(١) الديوان، ((ا موعة العيدروسية)) ص٢٦٧ .

قولوا لـمن قـد بـرا حـالي لا يحسـب انـا نسـينا لقـاه
أفديـــه بالحـــال والـــمال ولـيس مقصـودي الا رضـاه
واللّــه أقســم ولا أبــالي ما حـب في الخلائـق سـواه

ويقول في أخرى :

يا سفْح عِيديد يا مأوى الدمى الكُنسِ الساجياتِ العيون الفُتِرِ الـنعسِ
الحالياتِ اللـما الشنب اللُعـسِ يا سفح عِيديد يا وجدِي لِغزلانك
يا سفْح عِيديد يا مأوى المِلاح الحُور الفاتناتِ الورى ألباهياتِ النـور
هل ترحمون البعيد القاصي المهجور سقيا ورعيا لروضاتك ورضوانك[1]

ويقول في شوقه إلى عدن:

هـزني الشـوق إلى عـدن شـد يـا حـادي الركـاب
شـوقنا ازداد والوسـن عن جفـوني نـزح وغـاب
خـاطري قـط مـا سـكن مـذ جـاء منـهم كتـاب
هـل درى وردي الـوجن مـا بقلـبي مـن اضـطراب

(١) « ا موعة العيدروسية » ص٣٨٣ .

لونــه يمســك حــين فــاح   مــا يماثلــه قــد طيــب
أو كمــا البــارد القــراح   أو كمــا المنــدل الرطيــب
لا غـــنى لي ولا ســـراح   عنــك واللّــه يــا حبيــب
وجهــك البــاهي الحســن   شمس مـا دو ـا سـحاب[1]

نموذج من شعره في الوعظ والحكمة

نصــبت لأهــل المناجــاة   في حنــدس الليــل أعــلام
واســتعذبوا الســهد وامســوا   قيامــاً اذ نــام مــن نــام
واســـتقبلهم لطـــائف   جــات فضــل وإكــرام
مـــن لـــذة لا تكيـــف   ولا تصـــور في الاوهـــام
قــد ذاقهــا مــن عناهــا   وهــام فيهــا الــذي هــام
واســتوحش الخلــق وامســا   في الفيـــافي والاكـــام
ولـــم يعـــرج علـــى شـــي   ســـواه لـــو لام مـــن لام
طـــابوا وفـــاز المخفـــون   ونحـــن أربـــاب الاثـــام
نبـنـــي و ـــدم بنانـــا   ومنتـــهى أمرنـــا اهـــدام

(١) الديوان، ((ا موعة العيدروسية)) ص٣٨٧ .

بالسوف والسـوف تسـويف — تمضـ ـي الليـ ـالي والايـ ـام
أيامنـ ـا قـ ـد تقضـ ـت — علـ ـى التمـ ـاني والاوهـ ـام
وكـ ـ ـل آت قريـ ـ ـب — والعافيـ ـة بعـ ـدها اسـ ـقام
والعمـ ـر فـ ـانٍ وإن طـ ـال — لابـ ـد مـ ـن كـ ـرة السـ ـام
والغيـ ـد تمسـ ـي أرامـ ـل — منـ ـا وأطفالنـ ـا ايتـ ـام
ونـ ـذكر ايـ ـام كنـ ـا — كأ ـ ـا اضـ ـغاث أحـ ـلام
ننـ ـدم علـ ـى مـ ـا فعلنـ ـا — ولا يفيـ ـ ـد التنـ ـ ـدام
يـ ـا ذا الكسـ ـل كـ ـم تـ ـؤخر — توبتـ ـك مـ ـن عـ ـام الى عـ ـام
وليسـ ـت تـ ـدري بعـ ـام — يأتيـ ـك مـ ـن نـ ـاقص او تـ ـام
أو هـ ـل تحققـ ـت دنيـ ـا — دامـ ـت لحـ ـد أو لهـ ـا دام
ولـ ـيس تعلـ ـم لخصـ ـمك — أمـ ـراً إذا جـ ـا للالـ ـزام
يا كاشـ ـف الضـ ـر يـ ـا مـ ـن — قضـ ـى بقـ ـدره وأحكـ ـام
احفـ ـظ علينـ ـا جميعـ ـاً — عند انقضـ ـا العمـ ـر الاسـ ـلام
قد جـ ـدت فضـ ـلاً بالاسـ ـلام — وأفضـ ـل الجـ ـود الاتمـ ـام
حاشـ ـاك بعـ ـد التفضـ ـل — تـ ـذيقنا هـ ـول الاضـ ـرام
فـ ـنحن أهـ ـل للاسـ ـوا — وأنـ ـت أهـ ـل للانعـ ـام

تمــت وصــلوا علــى احمــد　　مكــرراً طــول الاعــوام

ويقول أيضاً :

كل مــن لــيس يمنــع نفســه　　عن حضيض الهوى ذاق الهــوان
مــن تــدنى دنــت بــه همتــه　　لــو يكــن عاليــاً بالزبرقــان
واصحب اللطف في كل الأمور　　ما لطف كــل شــي إلا وزان
كــل جــرح علاجــه ممكــن　　ما خلا يا فتى جــرح اللســان
إنمــــا يوقــــع المــــرء الغــــبي　　في جميــع المصــائب خصــلتان
الطمــــع والتعــــدي للــــذي　　ليس يعنيه فاحــذر يــا فــلان
والزم الصــبر في كــل الأمــور　　صاحب الصبر في العقبى معــان
لا تعــادي زمانــك يغلبــك　　كن مســاير يســايرك الزمــان
لا تعرج علــى وطــن وكــن　　أينما كان عــزك هــو مكــان
فــالغنى الغــنى كــل الغــنى　　التقى ما سوى التقــوى ففــان
بالتقى يجتمــع لــك يــا فــتى　　في حياتك وفي الأخرى الأمــان
لا يقنطــك ذنبــك والتــزم　　حسن ظنــك بربــك كــل آن
لا تمــنى علــى اللّــه المحــال　　مطلبك منه للعصمة جنــان [1]

---

(١) الأصل في اللغة : جنون، وقد أثبتها بلهجة العامة.

أنت ما كنت حيـاً في جهـاد   كن قوي اليقين ثبـت الجنـان
وإذا مـا يقينـك صـح بـه   فهو يحفظك ما قد شاه كان [1]
وإذا كنت مـن أهـل الـيقين   صح قدم التصوف لك وبان [2]
يتضح سـر أسـرار الغيـوب   في القلوب والخبر عندك عيـان
والكـلام بعـد ذا لا ينبغـي   قد حسن ها هنا قـبض العنـان
والصلاة والسلام علـى الـنبي   الأتمـ ـ ـان ثم الاكمـ ـ ـلان

نموذج من شعره في محاسبة النفس

وللإمام العدني محاسبة للنفس وإثارة إلى طبيعتها الروحية، يقول في ذلك:

يا عين إن نام الخلي ففي الدجى   لا تهجعي لا تهجعي لا تهجعـي
جن الظلام ففي جنانك فـارتعي   وتمتعـ ـي وتمتعـ ـي وتمتعـ ـي
يا أُذن إن طال العـذول عتابـه   لا تسمعي لا تسمعي لا تسمعي
لا يستميلك عن هـواك مفنـد   منه ارعوي منه ارعوي منه ارعوي

(١) لضرورة الشعر لفظت: شاه، وهي كذلك باللّهجة العامية، والأصل: شاءه.
(٢) في البيت زحف.

يا مهجتي شقي الصفوف وبادري لا ترجعي لا ترجعي لا ترجعـي
وإذا أتاك الموت مـن دون المنـا لا تجزعي لا تجزعي لا تجزعـي
لا تطمعي من دو ـم بسـلامة لا تطمعي لا تطمعي لا تطمعـي
غير الرياض المونقات فـإتركي لا ترتعي لا ترتعـي لا ترتعـي
لا تدعي رِيب الهـوى بجهالـة لا تدعي لا تـدعي لا تـدعي
إن كنت صادقة فلا تخشِي الفنـا فله اكرعي فله أكرعي فله أكرعي
وتجرعي غصص المهالك واصبري وتجرعـي وتجرعـي وتجرعـي
إن صاح ناقوس الهوى آن اللقـا كوني اسرعي كوني اسرعي كوني اسرعي

نموذج من شعر المراسلات والـمساجلات

يزخر ديوان الإمام العدني برسائل شعرية ومسـاجلات نظميـة، وهي كسابقتها من حيث التركيب الشعري، والبناء الفني، إلا أ ا تفصح لنا عن هذا اللون السائد في حياة الشيوخ والعلـماء كغرض من الأغراض المهمة، ومن هذا النمط ما قاله جواباً لقصيدة وصلت إليه من القاضي الأجل شهاب الدين أحمد بن عمر المزجـد سـنة ٩١٠هـ.

أجادت سليمى بالوصال وبالبشر وبالود منها ليس بالصد والهجـر
ولـم تصغ للواشين سمعاً وإ ا لتعلـم ما يجني الوشاة من الوزر
تراها على العهد القديم مع الوفا ولـم تلتفت من قول عمرٍو ولا بكرِ
وشيمتها لـم تستحل عن ودادها وليست تقابل صفوها قط بالـمكرِ
يظن ا نقـض العهـود وإ ـا على كل حال لا تشوبه بالغـدر
ففي قر ا عـز ومجـد ورفعـةٌ إلى الغاية القصوى إلى العالـم الحَبرِ
شهاب العلا غوث الملا هو أحمد وقاضي قضاة الوقت في مدة العصرِ
فيوم له في العلم والفضل والحجى يزيد على أعمار سبع مـن النسـر
وفي العلـم يم لـم يزل متلاطماً يقل عليه مد سبع مـن النـهر
فيا أيها القاضي الذي وصف فضله يجل عن الإحصاء والعد والحصرِ
كتابك أحلى في الفؤاد من المـنى وأطيب من مر النسيم إذا يسري
وإني بصدق الود منك وبالوفـا عليم وكُل قد أحاط به خـبري
وخاطرك المحروس يشـهد أنـني على الصدق والود الأكيد مدى عمري

وكتب إليه جواباً آخر سنة ٩١٣ من الهجرة قال فيه :

سلام كروضٍ عمه وبلُ سـاجمه ففتح من نور الكمـام مباسمـه
سلام يفوق المسك في نشر عطره ويزري بذوق الشهد في فم طاعمه

على السيد الحبر الحليم شـهابنا نواوي العلا مفتي الزمان وحاكمه
له في سلوك الدين أوضح منـهج له في فنون العلـم أوفى مقاسمـه
لكل زمانٍ عالـم يهتـدى بـه وهذا زمانٌ أنت لا شك عالـمه[1]

نموذج من شعر الغزل

الغزل أسلوب صوفي بديع، وغالب الصوفية يميلون إلى التعبير بـه في مناسبات عدة، ولكل مدرسة أسلوب ومنهج، وكثيراً ما يعيب المتأخرون أسلوب الغزل عند الصـوفية، وينسـبو م إلى ا ـون والخلاعة لـما يرد من صريح العبـارات للـ ـمرأة، والكـاس، والخمرة، والدلال، والغنج، والشوق، والعشق، وبالطبع لو نظر المرء إلى ظاهر الألفاظ محكماً فهم الزمان المعاصر وأسلوبه لـ ـما رأى في هذه النماذج الشعرية إلا الخلاعة ووصف النسـاء والفـراش ؛ ولكن بالبديهة يستطيع الباحث المتأمل في أشعار القوم ومراسلا م

(١) للقصيدة بقية في الديوان، ((ا موعة العيدروسية)) ص٣٠٢، وكان إنشاء هـذه القصيدة على قصيدة كتبها الشيخ المزجد وأرسلها للإمام العدني جاء فيها :
سلام كروضٍ باكرته غمائمـه وفتح عن زهر الأقاحي كمائمه

وأحوالهم وأخلاقهم، أن يرى «فناً خصوصياً» لا يرضخ للمقاييس الحكمية المجردة، وإنما يعبر عن شعور راقٍ في الذات الصوفية، جعلت من تلك اللذائذ الحسية مجرد رمز لا علاقة لها بمعانيه السفلية الأغلالية، وإنما يستشف منه التحليق إلى معانٍ تعتلج في ذاتٍ ذوقيةٍ الفهم.. شفافة الأسلوب.. عالية المقصد.

وكأني بالمعاصرين لا يقبلون في هذا المنحى حجة ولا يرتضون تعليلاً، ولسنا بحاجة إلى فرض قناعات الشعر الصوفي عليهم لتصير منهج الحياة، لأن كل إناء بما فيه ينضح، وإنما نضع هنا نماذج من شعر الإمام العدني مشفوعاً بمناسبته التي تجلي لنا صورة القبول لدى أولئك وهم يتبادلون الرسائل على أرفع مستوى اجتماعي بواسطة الغزل، واصطلاحهم الوجداني على المدلول من الألفاظ، وكفى بهذا حجة للمنصف أن يفهم تفرد هؤلاء في فهم المعاني، حيث لا قياس بين فهمنا الحسي المجرد الذي يرغي بنقده المتأخرون وفهم الصدور الأوائل، فعلى سبيل المثال نرى الإمام العدني يمدح السلطان الملك الظافر عامر بن عبدالوهاب[1] بذات الأسلوب الغزلي فيقول :

---

(١) السلطان عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر، ينتسب إلى بني طاهر الذين كانت لهم دولة في اليمن، وقد ألف الحافظ الديبع الشيباني كتاباً سماه «العقد

الباهر في تاريخ دولة بني طاهر»، وقد وقف عليه السلطان المذكور، وفرح به، وأعطى الديبع جائزة ميمونة، وأكرمه، ورفع رتبته العلمية، وصدره في جامع زبيد.

كان السلطان عامر على جانب عظيم من الدين والتقوى والمشي على طاعة اللّه، ملازماً للطهارة والتلاوة والأذكار ؛ كثير الصدقات والمبرات، له مآثر عديدة منها: عمارة جامع مدينة زبيد، وعمارة مدرسة جنوب المسجد بمدينة زبيد، وعمارة مدرسة الشيخ الكبير إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي، وعمارة مدرستين بمدينة تعز، وإجراء العين المائية لها، وبناء الجامع الكبير بالمقرافة، وبناء مدرسة القبة لها، وبناء مدرسة عظيمة برداع، وبناء مسجد بداخل مدينة عدن، وإجراء المياه بظاهر البر منها، وبناء صهريج عظيم بقرية عسيب، وإقامة ما لا يحصى من المساجد والصهاريج والآبار والسدود.

كانت مدة حكمه إلى انقضاء دولته تسعاً وعشرين سنة إلا أياماً أقام فيها صرح العدل ودولة الرخاء، ونال من شعبه ورعاياه جليل الود ووافر الولاء.

كانت بينه وبين آل العيدروس مودة ومحبة أكيدة، فالإمام العدني كان مشرفاً ومعظماً في بلاطه، ومكرماً في سلطانه، وجرت بينهما مساجلات، وأشعار، ومراسلات كثيرة حفظ لنا منها ديوان « محجة السالك وحجة الناسك » نبذةً صالحةً.

كما كانت بينه وبين الشيخ حسين بن عبد اللّه العيدروس مكاتبات ومساجلات شعريةٌ أشار إليها في «النور السافر» ص١٤٩.

ومدحه الشيخ محمد بن أحمد بحرق بقصائد، منها أبيات عجيبة ذكرها «النور السافر» ص١٤٨.

وكانت وفاة السلطان عامر بن عبدالوهاب يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة ٩٢٣ هـ شهيدا، ورثاه عدد من الشعراء منهم الشيخ العلامة الديبع، ومما قاله:

أخِلاّي ضاع الدين من بعدِ عامرٍ وبعد أخيه عادتِ الناس في الناسِ
فمذ فُقدا واللّه واللّه إننا من الأمنِ والسلوان في غاية البأسِ

وله فيه أيضا:

تحطم من ركنِ الصلاحِ مشيده وقُوض مِن بنيانه كل عامِرِ
فما مِن صلاحٍ فيه بعد صلاحِه ولا عامرٍ واللّه من بعدِ عامِرِ

وكان أول رجال دولة بني طاهر علي بن طاهر، وآخرهم عمر بن داود، ذكر ذلك «النور السافر» ص ٢٣٨ .

وكانت لسيدنا أبي بكر العدني مواقف عظيمة إلى جانب السلطان عامر ذكر منها «العقد النبوي» طرفا صالحا منها: أنه لما مات والده الشيخ عبدالوهاب بن داود رمته الناس عن قوس واحد، وتنكروا له، وأجمعوا على خلافه جميع أهل اليمن، حتى أناس من دويراته، وقام معه سيدي أبوبكر مقاما حسنا، وكان في جملة من خالف خاله عبداللّه بن عامر، وخالفت الناس معه، فسعى بينهم الشيخ أبوبكر بالصلح، فأجابوا بذلك، وأخذ منهم المواثيق والعهود، فنكث عبداللّه بن عامر، فأنشأ الشيخ قصيدة يعشو ا عبداللّه بن عامر، أولها قوله:

قولوا لمن نقض العهود يكون غدرك عليك لا لك
لابد نزمك الجنود ولا بقي يا ذاك أملك
فسوف توثقك القيود وينقضي من بعد أجلك

شوقي إلى زينب شـديد شـائق	والقلب إليها لا يـزال خـافق
وأدمعي مـن مقلـتي دوافـق	شوقاً ونومي للجفـون مفـارق
خدود زينـب زينـت بتوريـد	وجيد زينب جيد ظبيـة البيـد
نفسي فدا زينب وذلـك الجيـد	لقد حوت زينب لحسـن فـائق
زينب منى قلبي وكـل قصـدي	زينب لها أرفـع محـل عنـدي
ما حال زينب يا نسـيم بعـدي	أما أنا مشـتاق صـب وامـق
فـإن زينـب قـرة النـواظر	وإن زينـب منيـة الخـواطر
لولا صلاح المكرمـات عـامر	لا طير إليهـا واقطـع العلائـق

وزينب هنا رمز، لا حقيقة، ومن هذا الرمز وعليه يجتمـع فهـم الكاِتب والـمكاتب، وكلاهما يعلـم من صاحبه قـدر العبـارة ومصدرها، ومن هو صاحبها، وما مقدار علـمه، وخلقه، وأدبه.

والذي يؤكد لنا سلامة الذوق لدى هؤلاء الرجال أمام صـريح

فكان أمره كما ذكر الشيخ نفعنا الله بـه. ص١٣٢-١٣٣ مـن ((العقـد النبوي)).

وذكر الطيب بافقيه في ((تاريخ الشحر)) ص١٢٤ أن نسب الشيخ السلطان عامر هو عامر بن عبدالوهاب بن داود بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين العمري القرشي الأموي نسبة إلى أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه.

الغزل والتشبيب أن القصيدة موجهة لحاكم عسكري ربما لا يقبـل أن يتحدث معه كأنثى لو أخذت الأبيات مجردة عن مقصد الشاعر وذوق الممدوح. وربما أيضا تعد إهانة لرجل يعتز برجولته، مما قـد يؤدي في فهم قاموسنا المعاصر إلى القتل أو التنكيل.

ولكن كما سبق التحدث عن هذه المرحلة وما سبقها أ ا ولاشك مرحلة متفردة كان علية القوم وعلـماؤهم وقاد م فيها يـألفون التغزل ويتفننون فيه، حيث لا مكان بينهم لفاسق أو سـيء النيـة والظن لا عملا ولا قولا ولا نية ولهذا تصـدرت هـذه الأشـعار دواوين الفحول من الرجال وخوطب ا الأبطال[1].

إن اصطلاح القوم على الأسلوب الغزلي فن خاص م، وقـد لا يحلو من غيرهم أبداً، ولهذا يعد فنا ذوقياً قد مات بموت أصـحابه، ولا مجال للاقتداء إلا بذات الشروط الوجدانية، تعال معـي انظـر للإمام العدني وهو يمدح والده الإمام العيدروس ـذا الأسـلوب فيقول :

رق السـقيم يا رديني القـد يا داجي الثميم دمعـ ـه رديم

(١) والـملاحظ أن الغزل المنتشر في كثير من القصائد ليس مـن الغـزل الخـاص بالـمطالع وإنما يسيطر على غالب الأبيات ويكون موضوع القصيدة.

فوق وجنة الخد من شادن تريم كم ذا أهـيم مستهام معمد
يا زاهي الـبريم شغبه عظـيم بالفراق والصد يعلـم به العليم
ليت يا خـرود تسمح الليـالي وأفراحنا تعود تطلع السـعود
في سما الوصال تشفي به الكبود تنجلي الصدود والقليب سالي
بـك واظـبي أطلب الرحيم العظيم الاوحد إن يغني العديم
ساجي الكحيل حاني الموشـم ما شابكم بديل ليس لك مثيل
بالطريق الاحوم والـــمنظر ارحم العليـل الكئيب ذا الهم
الواله النحيـل كن به رحـيم يا حبيب تحمد لا زلت في نعيم
عافني الكـرى والقليـــب والجوف فيـه جدد السـرى
حادي الركائب يشـفي بـك عنـدما تـرى أفخر القبـاب
قبر الولي الفرد شيخنا الحلـيم الإمام الاوحد عبدالله الكريم

والأشعار الصوفية في غالبها تتطرق لهذا الأسلوب، وتعبر عـن وجدا ا به، إلا أن الفهم في هذا الوصف الغزلي يجب أن لا يخـرج عن موقعه الأدبي؛ فالرموز الحسية يمكن تأويلها عند ورودهـا في العبارة الشعرية بما يلائم العقل، والنقل، والذوق ؛ ولا مجال هنـا

لوصف الذات الإلهية بشيء من هذا، حيث لا يجوز إطلاق الرموز الحسية ذات الصبغة الغزلية على مثل هذا المقام العالي؛ وإنما تـؤول العبارة الشعرية لتعطي مدلولاً معنوياً في الذات البشـرية نفسـها، وهي تتمثل في المعاني العلوية.

وإلى ذلك أشار الإمام الحداد في كلامه الذي نقله عنه الأحسائي فقال: ولا يجوز تنـزيل الغزل على الحضرة الإلهية، ولا مـا فيـه الخلف على النبوة. بل ما فيه الوفاء والـمدح على الروح، ومـا كان فيه الخلف والجفا والـمطل على النفس؛ لأن هذا طبعها[1].

وقد يأتي الغزل صريحاً واضحاً فلا يحتاج إلى تأويل كما هـو في قول الإمام العدني :

يــا ســاكنين وادي النقــا	مــا بــين عيديــد ودمــون
أدعــو لكــم طــول البقــا	أن لا يــريكم ربنــا هــون
قلــبي لكــم متشــوق	وفي ربــاكم صــار مرهــون
مــتى يكــون الملتقــى	لعــل يســلو كــل محــزون
رعيــا لأيــام مضــت	ما بـين حوطتـها وسـرجيس

(١) « تثبيت الفؤاد من كلام الإمام الحداد » للأحسائي (١: ٣٩٧) .

فكـــم ـــا غيـــد زهـــت كادت تفاخر حسـن بلقـيس
ما البدر ما الشـمس إن بـدت ما ريم رامـه مـا الطـواويس
العاليـ ـ ـــات المرتقـ ـ ـــى فكم ا مـن صـب مفتـون
يـــا أهـــل بيـــت المصـــطفى يا اهل الهدايـة والـ ـمعارف
كـــم فـــيكم صـــوفي صـــفا ومنكم كـم حـبر عـارف[1]

نموذج من شعر المدح

من هذا الفن الشعري يندر أن يجد المتأمل في ديوان الإمام العدني ما يلفت نظر الباحث إلى شخوص الممدوحين، ومكانتهم في قلب الإمام العدني، ويتركز مديحه على شخصيات معينة كان ارتباطه ا

---

(١) وهناك قصائد أخرى قليلة في الديوان مال فيها المؤلـف إلى الغـزل المكشـوف الواصف للـمفاتن الحسية وصفا واضحا، أبرز فيه مقدرته الأدبيـة وقاموسـه الجمالي الحسي، ويبدو أنه يقصد من الوضوح الحسي رمزا معنويا لا يظهـر إلا للخواص، ويظهر ذلك من متابعة الأبيات إلى آخرها، إذ يلاحظ صرف المعنى عن الغزل إلى غاية يصرح ا في السياق، ويلزم القارئ ألا يقف عند صدر القصيدة، بل يتابع الوحدة الموضوعية في الأبيات، وعندها يبرز له المقصود مـن النسـيج الشعري المبطن.

موافقة لقرابة ورحم، أو منة، ومحبة صادقة بادله ا ذو جـاه، أو مقام، أو سلطان ؛ وقد أطنب الإمام العدني كثيراً في مدح السلطان عامر بن عبدالوهاب لـما رأى فيه من ملامح العدل، والصـدق، ومحبة آل البيت النبوي، وخدمتهم، كما رأى فيه مـن العلـم، والأريحية، والبطولة التي تستحق الإكبار، وقد توزعت هذه القصائد في ثنايا الديوان مقرونة في أكثر الأحوال بمناسبا ا، ومنها أبيات من قصيدة أرسلها إلى السلطان عامر بن عبدالوهاب يتفاءل بنصره على بعض أعدائه ص٢٨٨ « ا موعة العيدروسية » :

عنايـات وتيسـير بيسـر ... ولطـفٍ شـاملٍ ودوام نصـر
وتأييـد مـن المـولى تعـالى ... وحفظٌ مانع مـن كـل ضـر
وفتح عـن قريـبٍ في عـلاءٍ ... وعافيـةٍ مؤبـدةٍ وسـتر
لـمولانا الإمام ومـن ترقـى ... على كل الملـوك بكـل فخـر
فأنت على الشريعة لا خـلاف ... لـما قلنـاه في سـر وجهـر

كما امتدح صاحب زيلع ناصر الدين بن عبدالله باحلوان بقوله :

ألا يا ناصـر الـدين المسـمى ... بنصر الـدين أُكفيـت الهمـوم
نصرت على الجميع بنصـر ربي ... وأعطاك المهـيمن مـا تـروم
ولا زالت لـك الأيـام سـعداً ... وأيـام الـذي يشـناك شـوم

فطب نفساً بما قد قلـت حقـاً　　ذا القول قد حكـم الحكـيم

وامتدح ابن عمه الشيخ عبدالرحمن بن علي سنة ٨٩٥هـ فقـال فيها :

سبط النبوة وارث السر الـذي　　يهدي به من لـم يكن بالـمهتدي
جم الفضائل عابد الرحمن مـن　　أنـواره كالكوكـب المتوقـدِ
عيني التي عين الـيقين أرى ـا　　ويدي التي تسطو إذا كلت يدي
وأخي الذي صِدق الإخا أولَيتـه　　وخصصته مني بصدق تـوددي

نموذج من شعره في التواجد والسماع

وقال في التواجد والسماع :

مقام السـماع مقـام شـريف　　بصحب وذكر وموضع نظيـف
لنا فيه يا صاح معـنى لطيـف　　يقيم اللطيف ويفـنى الكثيـف
تظن السماع سمـاع الـدفوف　　أو ان التصوف لباسك صـوف
أو الوجد هو التصديه بالكفوف　　فـلا يعتقـد ذاك إلا سـخيف
سماع الرجال شـهود وحـالْ　　بحـق الـيقين ونفـي المحـالْ
بشوق وتوق لـمعنى الجمـالْ　　وقلب تقـي وجسـم عفيـف

وكل التواجد سـوى ذا حـرام بنص الشيوخ الفحـول الكـرام
كراعي «العوارف» وعالي المقام قشيري «الرسالة» وكم من منيف

وتكاد غالب قصائده ذات المنحى الذوقي تعالج مسائل الوجـد والتواجد وتأنيب المفرطين في التجاوز عن حدود الأدب سـواء في الحركة أو البكاء المصحوب بالأصوات أو التفاعل المخـرج عـن التمكين .

مقام الإمام العدني وآثاره وأعماله الإصلاحية

منذ أن حل الإمام العدني العيدروس بعدن عام ٨٨٩هـ والكـل في فرح واطمئنان، خاصة أهالي تلك المدينة المباركة على مختلـف مراتبهم، فقد كان لهم كالأب الحنون والـمربي الشـفوق، والأخ الناصح، ولـم يقف أحد من الناس موقفاً يلتفت إليه ضـد هـذا الإمام، وكان عليه منذ استقراره بمدينة عدن أن يشرع في مهماتـه التي عاهد اللّٰه عليها.

فأخذ على عاتقه نشر الدعوة إلى اللّٰه بالحكمـة والـموعظة الحسنة، وتصدر للتعليم والإفادة، وبرز لقضاء حوائج المحتـاجين،

ومواساة الفقراء والأيتام من المسلمين، ورتب أيام الأسبوع في ذكر وعلم، ودعوة إلى اللّه وتعليم حتى فرغ من بناء المسجد الميمون وملحقاته، فجعله مركز الدعوة إلى اللّه، ومكان العلم، ومأوى الغرباء والفقراء والمساكين كما سبق ذكره.

وعظم مقام الإمام العدني بعدن، وانتشر صيته في الأصقاع، وأظهر اللّه على يده خارق الكرامات وباهر الآيات، مما أخضع العتاة والعصاة والمتكبرين، وصار أهل الحل والعقد يتقربون إليه، ويطلبون دعاءه، ويرجوه رضاه، وكانت له رحمه اللّه أياد عظيمة في الإصلاح بين الناس وأفعال الخير وخدمة المنقطعين وفقراء البلاد.

وكان من أجل أعماله في عدن إقامة الرباط، والمسجد المعروف إلى اليوم، وإشارته على ذوي السلطان والمال بإقامة السدود للمياه الموسمية، وإصلاح الطرق في عدن وحضرموت وغيرها، قال السيد علوي بن طاهر الحداد في كتابه « الشامل » ص١٩٦ خلال وصفه لحوض المياه المشيد بمدينة قيدون بوادي دوعن : فهو غربيها عمقه نحو ست قامات وسعة أعلاه مائة مطيرة، وسعة أسفله خمسون مطيرة، وهو مطلي بالنورة بإحكام، وقد مضت له مئات السنين على ذلك، وكان العارف باللّه الصالح

الشهير أبوبكر بن عبدالله العيدروس العلوي الحسيني العدني صاحب الشهرة والصيت أشار على عامر بن عبدالوهاب الطاهري الحميري أن يقوم بإصلاحه، فيقال: إنه أنفق عليه حمل ذهب، وليس ذلك ببعيد، فإنه عمل عظيم، وصناعة محكمة.

كما كان له صدقات ومساعدات عظيمة في إصلاح وادي ثبي، وتجديد عمارة مساجد تريم، وغيرها من المصالح العامة، وكان يكل هذه الأعمال وإنجازها ومراقبتها والإنفاق عليها إلى السيد الشريف محمد بن أحمد بن حسن بن أحمد بن محمد بن عبدالله ابن الفقيه أحمد بن عبدالرحمن بن علوي عم الفقيه .

وأجرى في عدن صدقات سنوية ثابتة على طلبة العلم ورواد المقام، واشتروا للمقام أراضٍ واسعة لتغطية نفقات المقام ومناسباته، ويذكر المؤرخون أن مناسبة الزيارة السنوية كانت تعقد خلال حياة الإمام العيدروس بعدن حيث كان يعيد هذه الذكرى ويجري فيها من العادة الحسنة ما يعود بالنفع على المحتاجين والفقراء، ومنها عادة الكسوة، فقد كان يحمل في الموكب أحمال من الكساء، والملابس، ثم يوزعها على الفقراء والمحتاجين، وقد أبدلها المتأخرون بحمل الكسوة المعروفة الآن من الألبسة التي

تكسى ا القبور، ويتنازع عليها الزوار عند باب المسجد كل عام، وفرق كبير بين ما وضعه الإمام العيدروس من الصدقات الجاريـة، وبين العادات المستحدثة التي اخترعتها العوام، وحورب بسببها أهل الإيمان والإسلام.

وقد كان الموكب ذاته موكب علـم وولاية يسير فيـه كـبراء العلـماء والوجهاء، وأهل الحل والعقد وفاءً للإمـام العيـدروس وأعماله الجليلة، إلا أن مرور الأعوام وتغير المراحل حـول بعـض مناسبات الزيارة أدى إلى اختلاط مع النساء، واهتمـام باللبـاس والكساء، وخرجت العادة من مقصودها المؤسس على تقوى، إلى عادة شعبية دخلتها الإضافات، واكتنفتـها في بعـض جوانبـها الشبهات، حتى صارت فيما بين مرحلة الاحتلال حتى اية عصـر النظام الاشتراكي تشتمل على تقاليد إضافية عكسـتها الظـروف المتقلبة، مثل مشاركة فرقة موسيقى الجـيش الرسميـة في مسـيرة الموكب العام يوم الزيارة، وأيا كانت دوافع المشاركة فإن الزيـارة بذلك قد اكتسبت مظهراً يجاً واحتفالاً مرموقاً جذب الناس من كل حدب وصوب، والناس في غالب شؤو م لا يدققون في مسألة صحة هذا المظهر من ناحية الشرع أم لا، ولهذا السبب بدأ بعـض

المنتقدين على هذه المظاهر والزينات الشعبية يشددون النكير، ويفسرون المسألة بما فسرته بعض الآراء الحديثة، وأن في هذا التقديس والتعظيم لوناً من الإفراط و بيئة جو المعصية باسم العلم والعلماء، تحت ظل احترام الأتقياء والأولياء.

ولما جاء عصر الصحوة كما يسمى، وبرزت في ساحة الحياة الاجتماعية مسائل الاختلاف على مظاهر التكريم للأولياء، وبلغ الاندفاع المشين لدى الراغبين في التغيير إلى الهجمة المسلحة، وتحطيم الأضرحة، ونبش القبور، وخرجت المعالجة عن حد الصواب إلى الانفعال، والإهانات، والتجرؤ الوقح على مقامات الصالحين، هيأ اللّه الأسباب من داخل مدرسة الإمام العيدروس والقائمين على مسجده، أن يتخذوا حداً وسطاً بين الإفراط والتفريط، فدعوا إلى إعادة ترتيب المقام والزيارة والمسجد على ثوابتها الأساسية من نشر العلم والعمل، وتربية الأجيال على الفضائل، ونشر الدعوة إلى اللّه تعالى، وتحفيظ القرآن، وخدمة علوم الشريعة المطهرة، وضبط مناسبة الذكرى بمنع أسباب الاختلاط، وترشيد العوام والمتعلقين بالالتزام التام بالأدب الشرعي عند الزيارة وقبلها وبعدها.

وكان لذلك العمل فائدة كبرى على المقام والمسجد، وإعادةً حقيقة لدور الإمام العيدروس في ذكراه، وتوظيفاً لطاقات الشباب والمحبين والمتعلقين، ودرءاً لفتن وهجمات بـاترة لـك الحرث والنسل، وتشيع القلق والعداوة والبغضاء في أمةِ السلام والإسلام.. أمةِ التقوى والإيمان.

مظهر الإمام العدني ومواقف محبيه ومعارضيه

منذ أن برز الإمام العدني على محيط التأثير الروحي والامتحانات والابتلاءات تتوالى عليه، كما يقابلها توجه القلوب السليمة والمحبة إليه، وتلك حكمة اللّه في العباد، ولم تقتصر هذه السلبيات أو الإيجابيات في المواقف على أيام حياته بحضرموت، وإنما اتسعت دائرتها بتوسيع اللّه تعالى دوائر الظهور والجاه للإمام العدني في حضرموت وعدن وغيرها، وفي ثنايا ديوان الإمام مواقف وملامح تشير إلى شيء من هذه الانفعالات البشرية وما يقابلها لدى الإمام العدني من تفاعلات وجدانية تطفح على سطح مقامه فيسجلها شعراً حكمياً أو حميناً، فمن ذلك ما جاء في الديوان ص٥٣ مصدرة:

وقال رضي اللّه عنه في حال أهل زمانه وما صدر منهم، فمن ذلك ما قاله في سلطان بلدة تريم حرسها اللّه وسائر بلاد الإسلام،

وكان حصل منه معارضة حتى يلوذ به من فقرائه، وأقاربه، فوقـع بالوالي المذكور جميع ما تضمنته القصيدة، وذلك في سنة ٨٧٥هـ:

لا ترجفـوني فـإنني لا أجـزع   من رجفكم كلا ولا أتزعـزع
عندي محقق أن كل رجـوفكم   بي لا يضـر وودكـم لا ينفـع
أنتم أقـل أذل مـن أن تجلبـوا   نفعاً ولستم للضـرائر تـدفعوا
النافع الضـار المهـيمن ربنـا   إن شا يـذل عبيـده أو يرفـع
ما أن ذكرت تقرباً منكم مضـى   إلا وكـدت لـذكره أتقطـع
أسفاً على بذر الجميـل ببقعـة   بطحا سِباخاً بـذرها لا يـزرع
والآن قد عاهدت نفسي يا فـتى   عهدا وثيقـاً لا إلـيكم أرجـع
حسبي ببعدي عـنكم لي راحـة   ما شئتم من بعد هذا فاصـنعوا
وإن احتيمت بسيفك الهندي فلي   سيف إلى ضرب المفارق أسـرع
سيفي هو اسم الله الاعظم خصني   إرثا به جدي الشـجاع الأورع
وإن التجأت بحصنك العالي أنـا   حصني أعز لدى الخصام وأمنـع
حسبي هو القرآن والأسما العظـا   م فمن هنا ياذاك حصني أرفـع
وإن اعتزيت لنا بجـد ظالـم   جدي الذي في العالـمين يشفع
الهاشمي المصطفى خـير الـورى   ذخري إذا بالهول شاب الرضـع

وإذا صرخت إلى عساكرك الـتي — لا يبلغنك جمعهـا مـا تطمـع
ناديت كل الصـالحين فـأبرموا — أمراً به تلقى الهـلاك فـأجمعوا
هذا ولو أبغي عنـادك ظـاهراً — والأرض تبقى بعد بعدي بلقـع
لخرجت أسعى نحو أرض غيرهـا — وبقيـت فيهـا بـالنعم أمتـع
لا عار قد جاء الأوائل من قرى — أرض العراق إلى بلادك ينجعـوا
لـم يبق بعد خروج سيد هاشم — من مكة عار علـى مـن يتبـع
يا أكرم الكرماء يا رب السـما — يا كاشفاً ضراء مـن يتضـرع
اهزم جيوش البغي وافلل حـدها — ليطيب بعدهم الربا والـموضع
ويكون فيها بعدهم أحد يـرى — فيه الصلاح لعل تصفوا الأربـع
أو جد وبدلهم صـلاحاً دافعـاً — لفسـادهم فلعلـهم أن يقلعـوا
خذ هذه الأبيات مني كي تـرى — ما كنت تخشى يا شهاب وتفزع
ها نا أقول وأنـتم قـد قلـتم — وغدا يرى من بالحقيقـة يطلـع
كنا نسايركم لنخفي ظلـ ـمكم — فازداد ظلـمكم فـزال البرقـع
فأشعت إنكاري لنصر شـريعة — جاء الرسول بها إلينـا يصـدع
صلى عليه مـع السـلام الهنـا — ما الورق غنت والضيا يتشعشـع
والآل والأصحاب أعلام الهـدى — من فيهم سر المهـيمن مـودع

وقال أيضاً في أناس أخلفوا وعده ولـم يوفوا بما عاهدوا عليه :

أعاتب دهري أم لنفسي أعاتـب ... وثوقي بمن قد لاحقته التجـارب

فكم صاحبٍ أرجوه عند ملـمةٍ ... سدادٍ لها فازددنَ منه المصـائب

فما أكثر الأصحاب حين تعدهم ... وما قِلهم إن حاولتك النوائـب

وكم صاحبٍ أملتـه أن يعيـنني ... فكان كبرقٍ لاح لي وهو خالب

رأيـت سـراباً لاح لي فظننتـه ... شراباً وغرتني الظنون الكـواذب

وكم من فتى أرجو مواهب بـره ... وقد صار بالضد المواهب ناهب

فدعوى بلا صدق ومن بلا عطا ... فخيب آمالي به وهـو خائـب

وقال أيضاً لـما بلغه عن بعض الناس لوم على تحملـه الـدين بسبب الإنفاق وإصلاح ذات البين وإقامـة مصـالح المسلـمين وإيصال رحمه وأقاربه ونيل من قصده من الوافدين وأهل الفاقـات وسد خلل ذوي الحاجات فقال:

سبحان عالـم إعلاني وإسراري ... وشاهدي غائبا أو كنت في داري

وعالـم السر مني حيث أسـتره ... وغيره ماله علـم بأسـراري

بأنني لست أرضى غـيره بـدلا ... آوي إلى عزه من كـل ختـارِ

أشكوا إلى اللّه ممن لام في كرمي | على المقلين من أبناء أعصـاري
أنا الذي لا أرى الإمساك يصلح لي | فلا أفارق جودي خوف إعساري
وطنت نفسي على أشياء أعرفها | عن كابر كلها أفعـال أخيـار
وليس لي مسـلك إلا اتبـاعهم | وسبق لاحقهم في كل مضـمار
فلو بذلت طريق المال عن طرف | مع التليد لـما باليت يا جـاري
أيمسك المالَ خوف الفقر ذو كرمٍ | عرق الندى في مجاري جسمه جاري
ولو تدينت ملء الأرض من ذهب | ما بات عندي منه عشر أعشـار
لـم أكترث من ثقيل الدين أحمله | اللّه يحمل جل الحادث الطـاري
مولاي يقضيه عني فهو ذو جِدةٍ | بحيث يسره مـن غـير إجبـار
يا صاح قل للذي بالدين عـيرني | ماذا علي بذاك العار مـن عـار

وجاء في الديوان(١) إشارة إلى ما جرى من رجل من صوفية أبين على الإمام العدني بسبب معارضة صدرت عنه وإساءة أدب، فقال الإمام العدني أبياتاً متوعداً ذلك المعترض، وقد استجاب اللّه دعاءه في الرجل المذكور، والأبيات هي(٢):

---

(١) «ا موعة العيدروسية » ص٣٧٥ .

(٢) المصدر السابق، وهي مما ينشد في حضرة الإمام العيدروس في مسـجده مسـاء

سـيفي المهنـد مـا كحـده حـد وجـدي أحمـد
أقـد بـه هامـة معانـدي قـد واهـده هـده
وهزلنـا عنـد المبـارزة جـد قـول مؤكـد
من حـد اذا قمنـا ومـن لـه حـد اللّـه يشـهد
وفضـلنا يشـهد بكـل مشـهد الأب عـن جـد
العيـدروس الأب والسـويني كـألف فـارس
وكـم أسـود قائمـة بعـوني ورب حـارس
وسـوف تنظـر أينـا لـه اليـد ومـن يؤيـد
بدر السـعادة قـد قـرب طلوعـه فسـوف يظهـر
إذا بـدا كـل الشـهب تطيعـه ولـو تـأخر
غصـن زكـى أصـله مـع فروعـه وزهـره أثمـر
فيا ابـن شمـس الـدين قـم تأكـد فحربنـا شـد
فسـوف تنـهب يـا فـتى وتبعـد وابنـك يقيـد

آثار الإمام العدني

أبقى الإمام العدني من بعده آثارا علـمية كالرباط والـمسجد

الاثنين من كل أسبوع .

وما فيهما من الدروس والـمقام المبارك الذي صار مكانا للحضرة الشريفة التي هي من أعظم آثار الإمام العدني[1]، وكـذلك تـرك

---

(١) وهي مشتقة من الحضور في الذكر، وهي تقليد من تقاليد مدرسة السلف الصالح، ووظيفتها الترويح الروحي على المحبين والـمتعلقين.

وقد كان الإمام العدني رضي اللّٰه عنه يقيمها في المسجد المبارك يحضرها الجم الغفير من أتباعه ومريديه وبقية الفئات في ا تمع.

وبعد وفاته نقلت إلى داخل القبة بجوار الأضرحة المدفونة هناك، وتبدأ بعـد صلاة العشاء من كل يوم اثنين حيث يكون المنصب أو من ينوب عنه حاضرا في المسجد جالسا بعد ركوع نافلة العشاء تحت نافذة تريم المعروفة، ويرتب التـابع فاتحة بدء الحضرة ويبدؤون بالذكر المعـروف بـذكر العيـدروس أو الطريقـة العيدروسية، وهي مجموعة من الأذكار المأثورة رتبها والـده الإمـام عبداللّٰـه ابن أبي بكر العيدروس.

وقد أشار إليها الإمام العدني في قصيدته:

وذكر العيدروس القطب أجلـى عن القلب الصـدا للصـادقينا

ثم بعد الفراغ من الذكر تنشد النشائد الجماعية وترتب الفاتحة ويدار أثنـاء الحضرة بشيء من البن المحمس، وكان الإمام العدني يستعين به مع الحاضرين على طرد النعاس، وبقي تقليدا في الحضرة إلى اليوم، كما كان يدار الماء في ((طاسـة الإمام)) التي كانت موجودة ضمن آثاره؛ ولكنها فقدت بعد هجمة المتطرفين على المسجد والضريح، وتوزع أثناءها أيضا القهوة والحلوى وغيرها.

وبعد انتهاء الحضرة يقوم الجميع بزيارة الضريح ومن حوله من القبـور، ثم

الإمام العدني من بعده بعض أمتعته التي يتبرك ـا كالـ ـمسبحة والطاسة « إناء الماء » والعصا التي يحملها خطيب الجمعة .

وقد بت هذه الآثار في الهجمة الشرسة على المسـجد والقبـة، و بت أيضا أبواب الضريح، وهي من الساج الفاخر، كما خربت النقوش والقناطر الأثرية، وامتدت الأيدي إلى نافذة مـن نوافـذ المسجد بالذات المسماة بنافذة تريم، وأحرقت مع عظام الموتى الذين

يخرجون لزيارة القبور المدفونة في جناح القبة، وينصرف المنصب، ويجتمع النـاس لفاتحة أخرى بجانب نافذة تريم، ويبدو أن هذه الفاتحة استحدثت قريبا.

والـمعلوم أن نافذة تريم سميت بذلك لأن الكرامة التي يتناقلـها النـاس أن سعدا السويني رمى الإمام العدني على سبيل المزاح بكف من الطين، فدخلت من هذه النافذة، والتحقيق يؤكد أن الشيخ سعد بن علي مذحج –وهو شيخ الإمـام العدني- قد مات والإمام عمره سبع سنوات أو ثـمان، ولعل سعداً السويني غير سعد بن علي مذحج، وهذا هو الأقرب إلى الصواب، خصوصا وأن هذا اللقب أو النسبة « السويني » لـم يرد في كتاب الشيخ علي بن أبي بكر السكران «الـدر المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي »، والذي أفرده لترجمـة الشـيخ سعد بن علي مذحج.

ونعود إلى ما نحن بصدده من أمر الحضرة وأ ا متنفس روحي لكـثير مـن مسلـمي هذه البلاد على مدى الأزمنة والعصور المتلاحقة، ويأتي البعض مـن أماكن بعيدة لحضور الحضرة يوم الاثنين، نفعنا اللّه بأسرار عباده الصالحين.

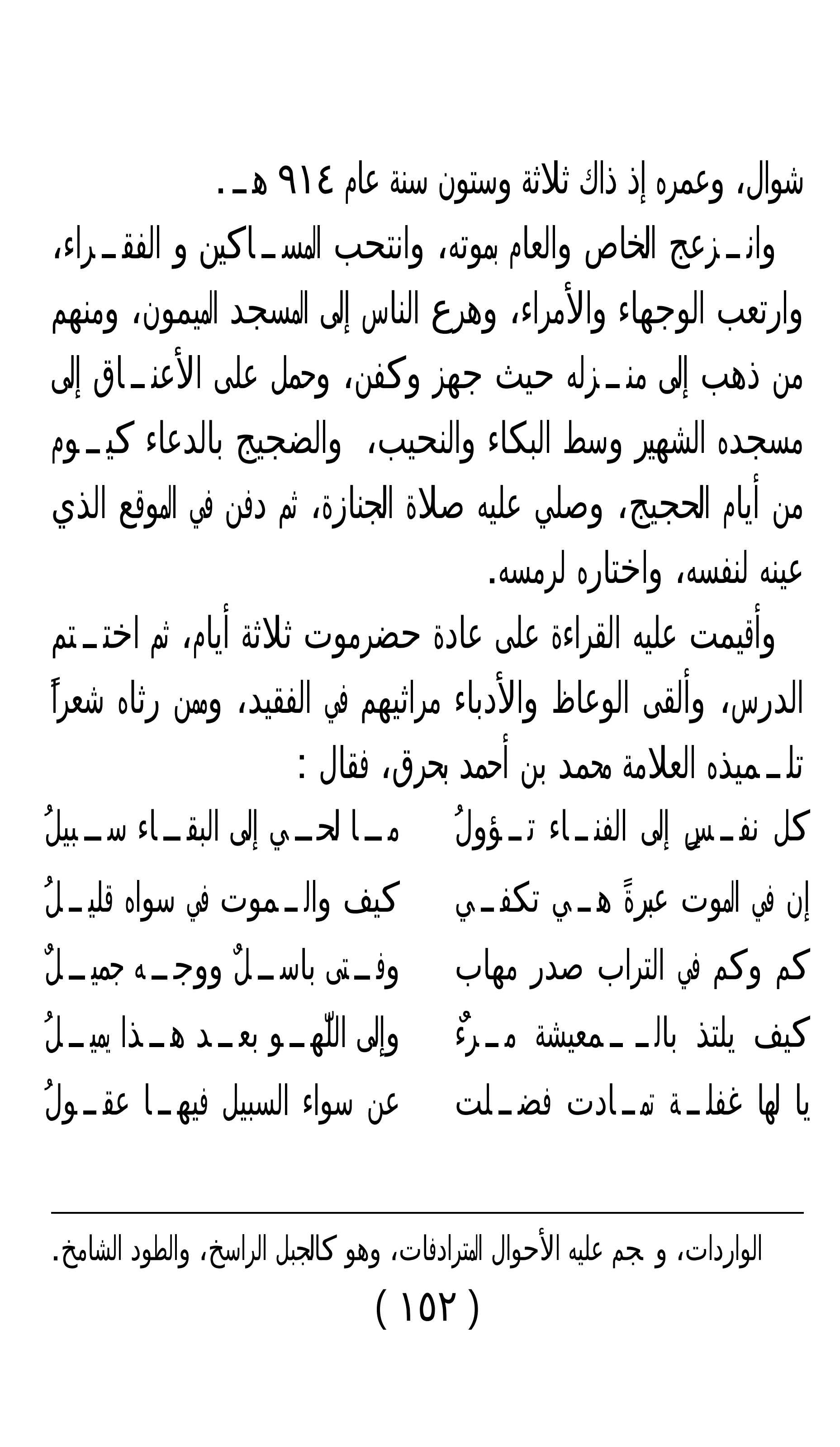
نبشت قبورهم.

وأما المنبر فيعتقد أنه صنع لاحقا مع ترميمات بسيطة، والتي قام ا مناصب المقام، وهو على ما يذكر أنه جيء به من الهند مع بقيـة أخشاب المسجد . وقد جدد المناصب في الفترة القريبة التوابيـت والأبواب وتـم ترميم المسجد من جديد، بما في ذلـك البركـة الخاصة بالإمام العدني المسماة ببركة الشفاء، والتي كان يغتسل ـا ويتوضأ منها. ولا زالت بعض الندوب من آثار الاعتداء بادية على القبة والـمنارة.

وفاة الإمام العدني

أفنى الإمام أبوبكر بن عبدالله العيدروس حياته كلها في خدمة مولاه، وإقامة مظاهر العلـم والدعوة إلى الله، وجـذب النـاس إلى الخـير، والعمل به، ولـم يزل كذلك حتى أخذ به المرض، فصبر على ما كتب الله عليه أياماً [1]، ثم ناداه منادي مولاه ليلة الثلاثاء الرابع عشر من شهر

(١) ورد في « العقد النبوي » (٢: ١٤٥) أن سيدنا الإمام أبابكر العدني احتجب في البيت آخر عمره لـما أراد الله سبحانه وتعالى له الدرجات العلى، ويرفعه مـع أهل الرفيق الأعلى، ويرفع له الحجاب، ويضاعف له الثواب، وكانت ترد عليـه



شوال، وعمره إذ ذاك ثلاثة وستون سنة عام ٩١٤ هـ.

وانـزعج الخاص والعام بموته، وانتحب المساكين و الفقراء، وارتعب الوجهاء والأمراء، وهرع الناس إلى المسجد الميمون، ومنهم من ذهب إلى منـزله حيث جهز وكفن، وحمل على الأعناق إلى مسجده الشهير وسط البكاء والنحيب، والضجيج بالدعاء كيوم من أيام الحجيج، وصلي عليه صلاة الجنازة، ثم دفن في الموقع الذي عينه لنفسه، واختاره لرمسه.

وأقيمت عليه القراءة على عادة حضرموت ثلاثة أيام، ثم اختتم الدرس، وألقى الوعاظ والأدباء مراثيهم في الفقيد، وممن رثاه شعراً تلميذه العلامة محمد بن أحمد بحرق، فقال :

كل نفسٍ إلى الفناء تؤولُ ... ما لحي إلى البقاء سبيلُ

إن في الموت عبرةً هي تكفي ... كيف والموت في سواه قليلُ

كم وكم في التراب صدر مهاب ... وفتى باسلٌ ووجه جميلٌ

كيف يلتذ بالمعيشة مرءٌ ... وإلى اللّهو بعد هذا يميلُ

يا لها غفلة تمادت فضلت ... عن سواء السبيل فيها عقولُ

الواردات، و جم عليه الأحوال المترادفات، وهو كالجبل الراسخ، والطود الشامخ.

لعبت بـالعقول دنيـا غَـرور لـم يفق عن خمارها الا القليـلُ

إلى أن قال:

رمقت عينـه العواقـب فيهـا فشراها لـما اشتراها الجهـولُ

شاد جوداً فساد مجداً فأضـحى في ذرى العز حين ذل البخيـلُ

فهو السيد الشريف الـذي قـد سلسلت فروعـه والأصـولُ[1]

وجدير بالـمجد والفخر غصن أصـله دوحـة نمتـها البتـولُ

قل لـ ـمن رام شـأوه قصـر[1] درك الفخر بالـمنى مسـتحيلُ

ولقبر ثوى به كيـف أضـحى ولبـدر الكمـال فيـه أقـولُ

حرمت حضرموت فخرا حوتـه عدن لـم تحزه تلـك الطلـولُ

صار ذاك اسمها كما كان فيهـا ساكناً فدام فيهـا النـ ـزولُ[1]

فبها العرب والجهـات جميعـاً عمها النـور والبـها والقبـولُ

فابشروا أيها النـزول بعـدن وسلام من ربكـم لا يـزولُ

لا يخف من يحوم حول حماهـا كيف يخشى وقد حمتها الفحولُ

كل من رامها بسوء وإن ظـ ـ ـن نجاحـا فإنـه المخـذولُ

نسأل اللّـه أن يـديم علينـا نعمـــا لا يشـــو ا تحويـــلُ

---

(١) كذا في الأصل.

ويقيم الـولاة بالعـدل فينـا ولأهل الفسـاد عنـا يزيـلُ
وصلاة مع السلام علـى مـن شق بالحجر صـدره جبريـلُ
أحمد الحامد البشير النذير الـ ـفاتح الخاتـم النبي الرسولُ[1]

وبعد وفاة الإمام العدني تصدر المقام بالجدارة وارث سره ولـده الإمام العلامة أحمد المساوى ابن أبي بكر، وكان خير خلف لخـير سلف.

وكان مدة مكث الإمام العدني بعدن من حين توطنه إلى وفاتـه حوالي خمسة وعشرين سنة، وقد خمس الفقيه النسيب اللبيب الشيخ عبداللّه بن أحمد بن فلاح الحضرمي تاريخ عام وفاة الإمام العدني في بيتين والتاريخ في أول البيتين وهو :

٩١٠ ٤ = ٩١٤
« قضى جا » تراه وفِيـاً بعـام وفاةُ الولي القطب صاحب عدنْ
أبي بكـر العيـدروس الـذي به اللّه أعلـى منـار السـنن[2]

---

(١) « مواهب القدوس » ص٢٢، « ا موعة العيدروسية » ص ٢٢.
(٢) « تاريخ الشحر » ص٨٤.

السادة آل العيدروس تحت ظل مقام الإمام العدني

منذ وفاة الإمام أبي بكر العدني ابن عبدالله العيدروس ومقام آل العيدروس يعلو ويرتفع، ويبرز في مرتبة النيابة عن مظهر السادة بني علوي، ولا غرو فقد ورد عن بعض النساء الصالحات، وهي زوجة الإمام الكبير الشيخ عبدالرحمن السقاف[1] قولها : لكل شيء لب، ولب آل باعلوي آل العيدروس.

ومن المعلوم أن مقام آل العيدروس بعدن ظل شامخاً شموخ الجبال على مر القرون، وكان لهذا المقام الدور الفاعل في كافة الأحداث التي شهدها عدن منذ القرن التاسع والعاشر حتى عصرنا الحاضر برغم ما حاول المغرضون والحاسدون والمتعصبون أن يفعلوه من تشويه لحقائق التاريخ، أو يستغلوه من ضعف المراحل وشمول التعمية الإعلامية، وقد لخصنا عدداً من فقرات التاريخ الناصع التي لها الارتباط الوثيق بمقام الإمام العدني ومن وقف على سدة مقامه الأشم.

(١) هي السيدة الشريفة الصالحة علوية بنت عيدروس بن عبد الله بن علي صاحب الوهط، تزوجها الشيخ الكبير عبد الرحمن بن محمد السقاف، وأثرت عنها هذه المقولة . راجع «شرح قصيدة: هات يا حادي» ص٩٤ .

رؤيا منامية لقائد جيش الترك كانت سبباً في دخول عدن

ذكر المؤرخ الأستاذ عبدالله محيرز في كتابه « العقبة » عن دخول الأتراك عدن في عام ٩٧٦ هـ ، وكان فيها الأمير قاسم بن شويع، فذكر المؤلف أن جيوش الترك حاصرت عدن من ناحية ميناء صيرة وباب عدن، وطاردوا سفناً برتغالية جاءت لنصرة قاسم بن شويع، وطال م -أي الأتراك - الحصار، وكان من جملة الطائفين علـى القلاع الرئيس شكر كدخدا المعروف بقبطان اليمن الذي أ كـه التفكير لصعوبة الاقتحام، فأثقل النوم بأجفانه وزاره العيدروس في منامه، ودله على طريقة يدخل ا إلى المدينة، فأخذ بيده إلى قلعـة وقلاع عدن يقال لها شمسان ليس لها نظير في العلو، وأراه مسـلقا، أي مصعدا للقلعة، وقال له: اطلع من ها هنا فاسـتيقظ، وسـلك ذلك السبيل، وفاجأ حامية قاسم بن الشويع، وأخـذ م سـيوف الترك، «وطلع شمس الفتح من شمسان»، ودخل الجيش العثماني من البر والبحر في ٢٨ ذي القعدة ٩٧٦هـ [1].

---

(١) « العقَبة » لعبدالله محيرز ص١٧٨ .

دور آل العيدروس في محاربة البرتغال إلى جانب دولة آل طاهر

ذكر الطيب بافقيه في « تاريخ الشحر »، ونقله حمزة لقمـان في «تاريخ الجزر اليمنية»، وكذلك حسن شهاب في « أضـواء علـى تاريخ اليمن البحري » ما مثاله: في الأيام الأولى من شهر ربيع الثاني ٩٤٢هـ الموافق ١٥٣٥م خرج مركب إفرنجي و ب جماعـة في طريقه، ثم وصل إلى الشحر، ثم توجه من الشحر مع عـدد مـن الإفرنج يقطعوا طريق البحر إلى المشقاص، من السواحل وغيرهـا، وبعد يومين أو ثلاثة جاءت الأخبار بوصولهم إلى قشن، ووجـدوا هنالك عسكراً حشدهم السيد عبدالله بن شيخ العيدروس بالنيابـة عن السلطان عامر بن داود بن طاهر سلطان عدن، وتحصلت الفرقة إلى المراكب، ووقعت المحاذقة بين الفريقين، ثم رمى الإفرنج بالبنادق والـمدافع عليهم، ولـما اقتربوا من الإفرنج رموا علـيهم بـرم باروت فاحترق بعضهم وغرق كثيرون وأغلبهم من البدو المهرة.

مشاركة آل العيدروس بعدن في دئة أحوال فتنة عام ٩٣٣هـ

ذكر الطيب بافقيه في « تاريخ الشحر » : وفي هذه الأيام بعـد ا زام الأتراك هرب الشيخ أحمد بن محمد صاحب عدن في غـراب

في البحر فطلع إليه الشريف عبدالله بن شيخ العيـدروس والفقيـه عبدالله بن محمد بن أحمد بافضل وغيرهم ليردوه إلى بلده لتنـتظم أحوال الناس فرماهم بالبنادق فرجعوا..إلخ [1].

المناصب الأكارم الذين تبوؤوا الاعتناء بمقام العيدروس

منذ وفاة الإمام العدني بعدن في شوال ٩١٣هـ ومقامه معمور، ومسجده، ودروسه، وكافة مصالح المظهر العيدروسي على أفضـل الوجوه والكيفيات.

وقد تبوأ هذا المقام الكبير من بعد الإمام العدني جملة من الأبنـاء والأحفاد، وهم :

١- السيد أحمد المساوى بن أبي بكر العيـدروس ، تـوفي عـام ٩٢٢هـ (١٤٤٧ م).

٢- السيد محمد بن عبدالله بن أبي بكر العيدروس ، توفي بمكة عام ٩٧٨هـ (١٥٠٣ م).

٣- السيد عمر بن عبدالله بن أبي بكر العيدروس ، توفي بعدن عام

---

(١) « تاريخ الشحر » لبافقيه ص١٨٢.

١٠٠٠هـ (١٥٢٥ م).
٤- السيد محمد بن عمر بن عبدالله بن أبي بكر العيدروس ، توفي بعدن.
٥- السيد أحمد بن عمر بن عبدالله العيدروس ، توفي بعدن.
٦- السيد محمد بن أحمد بن عمر بن عبدالله بن أبي بكر العيدروس، توفي بعدن.
٧- السيد علوي بن زين بن محمد العيدروس ، توفي بعدن.
٨- السيد زين بن علوي بن زين بن أبي بكر العيدروس ، توفي بعدن.
٩- السيد علوي بن زين بن علوي بن زين محمد بن زين بن أحمد بن عمر بن عبدالله العيدروس ، توفي بعدن[1].
١٠- السيد زين بن علوي بن زين بن علوي العيدروس، توفي بعدن ١٩٠٢م[1].
١١- السيد عيدروس بن زين بن علوي، من عام ١٩٠٢م حتى وفاته بعدن ١٩٢٧م.

(١) وفي عصر هذين الاثنين كان دخول بريطانيا، إذ كان دخولها عام ١٨٣٩ م.

١٢- السيد شمس العلـماء عبدالله بن عيدروس بن زين العيدروس من عام ١٩٢٧ حتى وفاته بعدن عام ١٩٤٨.

١٣- السيد زين بن حسن بن عيدروس العيدروس ١٩٤٨ حـتى وفاته بعدن ١٩٦٠/٥/٥م.

١٤- السيد أبوبكر بن عبدالله بن عيدروس بن زين بن علوي، من عام ١٩٦٠م إلى عام ١٩٦٦ م .

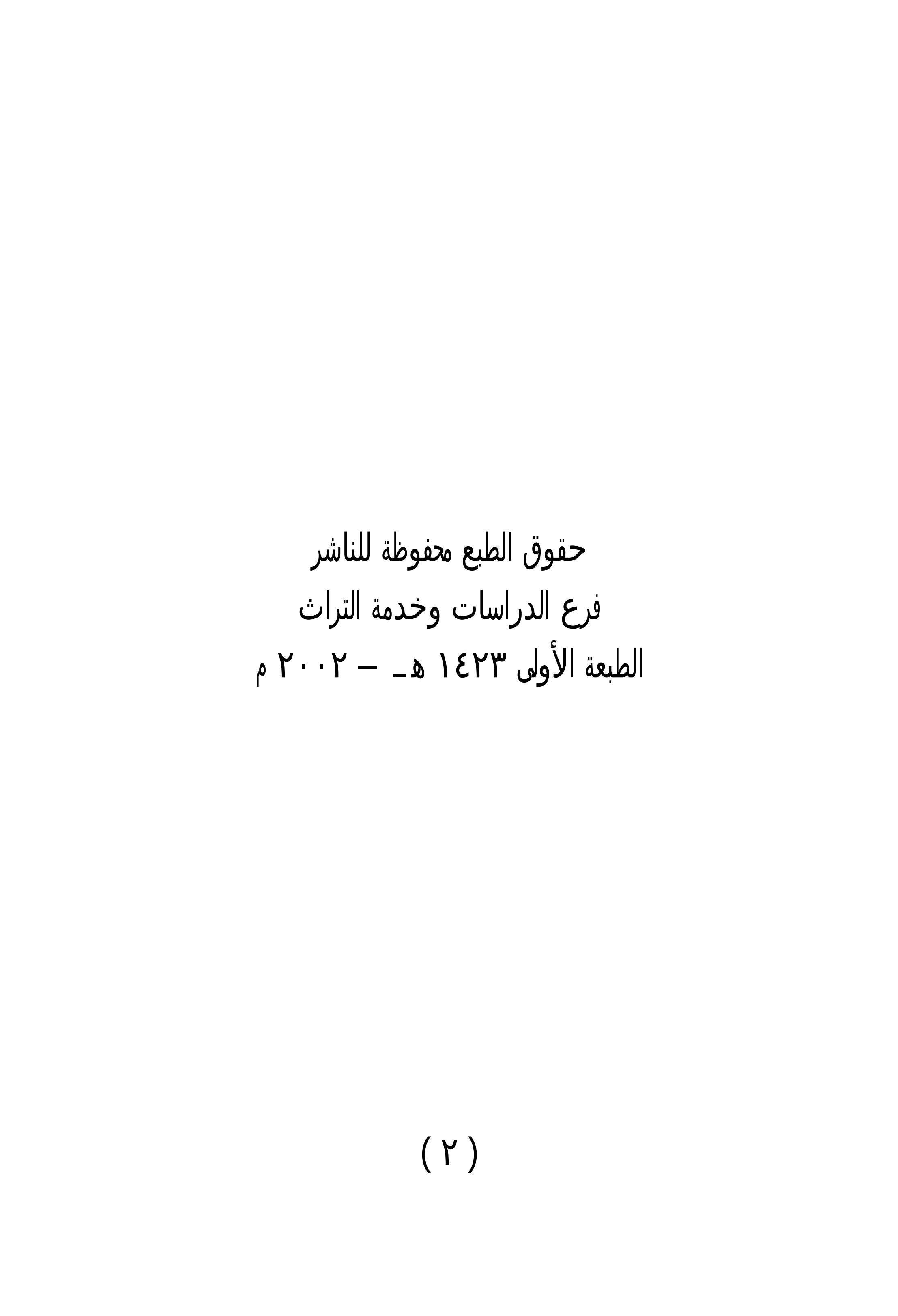
١٥- السيد عبدالله بن عيدروس بن زيـن العيـدروس ١٩٦٦-١٩٧٢.

١٦- السيد مصطفى بن زين بن حسن بن عيدروس بن زين بـن علوي بن زين العيدروس، من عام ١٩٧٢ إلى اليوم.

مشجر مناصب آل العيدروس

الفهرس

الشَّيخ مَعرُوف بَاجَمَّال



فرع الدراسات وخدمة التراث

الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م

سلسلة أعلام حضرموت ١٤

الشيخ معروف باجمال

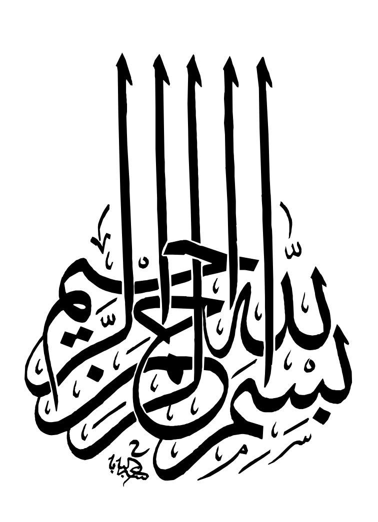
(٨٩٣ - ٩٦٩ هـ)

بقلم خادم السلف

أبي بكر العدني ابن علي المشهور

فرع الدراسات وخدمة التراث

أربطة التربية الإسلامية - عدن


بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني

أَلاَ إِن أولِياءَ اللهِ لا خوف علَيهم ولا هم يحزنونَ . لَهم الْبشرى فِي الحَياةِ الدنيا وفِي الآخِرةِ



(٦)

الإهداء

إلى سلالاتِ الشيخ معروف باجمال..

وإلى أتباعِ مدرسةِ السلفِ الصالح بحضرموت..

وإلى كل محب للاطلاع على سيرةِ الرجال الأفذاذ..

أُقَدم نَموذَجاً من نماذجِ العلمِ والعمل والـدعوةِ إلى الله..

عسى أنْ تتضِح الصورة.. وينجلِي غَبش المراحل عن قلوبنا.. فنعرف الحق لأهلِه..

المؤلف



(٨)

شاهد الحال

((.. واللّه إني لا أجد فرقاً بــين عــدو ولا صديقٍ ، بل لا أُفرق بين رجلينِ دخلا علــي أحدهما ضرب هذا الرأس بالِمعول والآخر قَبلَ هذا القَدم..))

الشيخ معروف باجمال

المقدمة

الحمد لله الذي أحيا قلوب عباده الصالحين بذكره وشكره وحسن عبادته، والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي فتح الله به مغاليق الحكمة فمنحها لصالحي أمته، وعلى آله وأصحابه السالكين على نهجه وسيرته وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم استجابة دعوته.

وبعد فهذا نموذج جديد من نماذج رجال حضرموت الصلحاء ، أضعه بين يدي القارئ بأسلوب زماننا ولسان عصرنا ، لتقوم الحجة على الجميع ، وليقرأ المعاصرون حياة الأوائل مجردة من المسائل المعقدة والعبارات الموهمة، ولا يعني ذلك أن أسلوبنا سيكون أفضل من أساليب الماضين ، لا.. إنما نحن نلاحق عقول الجيل المخدوع الذي استقبح في أساليب الماضين بعض العبارات والإشارات والكرامات ، ووجدنا أن الأسلوب وسيلة ، ولا ينبغي أن نحرم أجيالنا نصيبها من معرفة رجال الإسلام لمجرد عقدة الأسلوب ، أو تشويش المغرضين ، الذين حاكموا الكلمات وجعلوها حجة لهم لطمس حقائق رجال القلوب.

وقد أخذنا كثيرا من مباحث هذه الترجمة من كتاب « مواهب الرب الرؤوف في ترجمة الشيخ معروف » لأحد علماء القرن الحادي عشر الشيخ العلامة محمد بن عبدالرحمن سراج جمال رحمه الله، وإنني أرجو أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وانتصاراً لعباده الصالحين ، في زمن العقوق والتنكر لأولي الطاعة والصراط المستقيم، ولا بلاغ إلا بالله، وفوق كل ذي علم عليم.

النسبة وشرف الأسرة

هو الشيخ الكبير الشهير أبي محمد معروف بن عبدالله بن محمد المؤذن ابن عبدالله بن محمد بن أحمد أبي جمال نسبة إلى القبيلة المعروفة بآل باجمال بحضرموت، وهم أهل بيت علم وصلاح وسنة، وأكثرهم بتلك الجهة علماء أعلام ومشايخ كرام ، وقد سعد م أكثر أهل جهتهم ديناً ودنياً أمواتاً وأحياءً في الباطن والظاهر والزمن الأول والآخر ، وأثر عن الشيخ الولي العارف بالله المحقق شهاب الدين بن عبدالرحمن باعلوي قوله: « إن لآل أبي جمال نسباً في سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه من جهة بعض

نسائه» ، قال: ومن تلك النسبة كانت فـيهم الخاصـية بكثـرة العلـماء من زمن قديم إلى الآن ، وليس ذلك إلا من السر الـذي وقر في صدر الصديق رضي اللّه عنه[1].

ومعلوم أن جد آل أبي جمال هو ثور بن مرتع شـيخ كنـدة ، وكانوا ولاة «بور» فأخذها منهم « آل أبي نجار » فانتقلوا إلى شبام ، وكان لهم بكل مكان ينـزلونه مآثر ومحامد وآبـار وسـقايات ومساجد وغير ذلك مما يعود نفعه على المسلـمين[2].

وذكر صاحب « مواهب الرب الرؤوف » ص55 أيضـاً قولـه: ورأيت في بعض التعاليق المعتمدة أن آل أبي جمال كانوا أهل مروءة ومعاشرة حسنة وفعل معروف وورع وصيانة وعلـم وعبـادة وديانة ، ولـم يخلُ منهم عصر إلى الآن ، وكانوا أكثـر أهـل حضرموت عتقاءَ ومواليَ ، وعد من عتقائهم الكثير.

ولآل أبي جمال مآثر كثيرة كما سبق ذكره ، ومن تلـك المـآثر الحمام المعروف بجانب مسجد الخوقة ، والـمسجد المعـروف بالـمقدس ، وسقايته ، وصدقة راتب شبام.

---

(1) « مواهب الرب الرؤوف » ص51 .

(2) المصدر السابق .

أما في الغرفة فمن مآثرهم المسجد القبلي المسمى بمسجد الفقيه ، والبئر التي عنده ، والـمسجد الذي داخل البلاد ، وبئره ، والبئر البحرية ، وسقايته وحمامه ، والـمسجد الشرقي المسمى مسـجد باصليب ، وبئره وسقايته ، والحمام النجدي بمسـجد باجريـدان وبئره ، والسقاية البحرية عنده، والبئر البحرية العليا ، والسقاية التي بطريق المسلـمين وبئرها على نحو مـن سـهم مـن القريـة ، والـمسجد عندها وسقيفته ، والسقاية التي تحاذيها إلى الجنـوب على طريق المسلـمين إلى الوادي ، وصدقات كافية وآمنة لذلك ، وصدقة راتب الغرفة ، ولهم عدة مساجد متفرقة وعدة كتب صالحة في الفقه والتصوف موقوفة.

ميلاد الشيخ معروف ونشأته

ولد الشيخ معروف بشبام ليلة الجمعة ٢١ رمضان سـنة ٨٩٣ ، ونشأ وتربى في حجر والده على أفضل الوسائل والأحوال ، وعليه آثار السعادة لائحة والبشارات منذ صباه واضحة ، حتى إن بعض المشهورين بالولاية من صالحي بلده قال : « يا بخت مـن حضـر وقتك » .

وقال الشيخ الشواف فيه شعراً:

سعد من قد حضر وقته ومن رأى خياله
فوز من قد لـثم تربـه وقبـل نعالـه
بخت والله مـن عانـه بحالـه ومالـه
أوسقى أهلـه وعالـه أوسـتر عيالـه
ما ارخص المال هو والروح ذايق وصاله
وصلته أشفى من الجنه لـ ـمن هوآلـه

وقال آخر:

ماالجمـ ـال البـ ـديع الا من اللّـه وقـع فيـك
مـن وعـادك رضـيع اللّـه بعينـه يرعيـك

في المكـــان الرفيـــع	اعطوك ماحـد يسـاميك
ماالجنـــاب المنيـــع	إلا بربعــك وناديــك
والعـــذاب الشـــنيع	ينـزل لـمن هو يعاديـك
ســعد مــن بـك هليـع	أيضـاً وياويـل شـانيك
حيـــث كلـــك منيـــع	إحسان ماحـد يجازيـك

علـمه والده القرآن وحفظه في مدة يسيرة ، ثم طلع إلى الشحر في حال صباه ، والتقى هناك بالشيخ العلامة عبدالله بن عبدالرحمن بالحاج بافضل ، فكان الشيخ يتفرس فيه الولاية ، ويقول: ما أعظم نورانية هذا الولد ، وتكررت زياراته إلى الشحر ، وكان من عاداته الخلوة في المساجد ليلاً و اراً صائماً قائماً طاوياً متقشفاً ، ناشـئاً على الصيانة والديانة ، لم تكن له صبوة ، وتجرد منذ صـباه عـن أشغال الدنيا جملة واحدة.

مشايخه ومعلـموه

أخذ الشيخ معروف عن جملة من الشيوخ ، فقرأ العلـم علـى السيد العلامة عمر بن عبدالله بن عمر جمال حتى أتقن ، ثم أقبـل

على السلوك بالجد والاجتهاد حتى فاق أهل عصره مـن العبـاد ، وصحب الشيخ الكبير عبدالرحمن بن عمر باهرمز الأخضر ، وكان يسير إليه كل يوم من بلدة شبام إلى هينن ويعود إلى أهله لـيلاً ، وبقي على ذلك مدة طويلة ، وظهرت علامات فتوحه ونجاحه على يد ابن أخي الشيخ باهرمز إبراهيم بن عبدالله بـاهرمز ، فـأمره بصحبته والإقامة معه في شبام فامتثل أمره ولزمه ولبس منه خرقـة التصوف ولـم يفارقه بعد ذلك ، وكان الشيخ عبدالرحمن باهرمز يحث الشيخ معروف على ملازمة الشيخ إبراهيم وينشـده بيـتين للشيخ أبي إسحاق الشيرازي:

سألت الناس عن خـل وفي   فقالوا ما إلى هـذا سـبيلُ
تمسك إن ظَفِرت بذيل حر   فإنّ الحر في الـدنيا قليـلُ

وقال له: إن إبراهيم من الأحرار عديم المماثل ، تمسك به تظفر إن شاء اللّه تعالى.

ومن مشايخه الشيخ أحمد بن جبير شراحيل ، وكان عظيم الحال . ذُكر أنه لـما تحرك عزم الشيخ معروف للحج وزيارة المصـطفى صلى اللّه عليه وسلـم - وذلك أيام سلوكه مع شيخه إبراهيم - استشاره في ذلك ، فقال: نستشير الشيخ أحمد بن جبير شراحيل ،

فلـما وصلا إليه بدأهما بقوله: قال لي الحق أُريد عبدي معروف في بلادي لصلاح عبادي ولا يسافر[1].

طريق السلوك في بدايات الشيخ معروف

منذ أن لازم الشيخ معروف شيخه الكبير إبراهيم باهرمز وهـو مجتهد في السلوك من عبادة وصيام وتلاوة وذكر وقيام وخلـوة ، حتى سمع عنه أنه قال عن نفسه: في ابتدائي خمسة عشر سنة ما نمت فيها ليلاً أو اراً ، وتمضي الأيام الكثيرة ما أطعم فيها غذاء ، وربما قرأت نصف القرآن وأنا مضطجع مغمض العين أنتظر هل يطرقها النعاس فلـم يلـم ا ، وكثيراً ما أعمل في الليلة من ليلٍ وتسبيحٍ وصلاة على الرسول صلى اللّه عليه وسلـم نحو أربعين ألف[2].

(١) المصدر السابق ص٦٤ ، ويحتمل أن يكون ظهر له الأمر بواسـطة الرؤيـا ، أو لإدراكه حاجة الناس لبقاء الشيخ، وعلـمه بأن ذلك يرضي اللّه تعالى.

(٢) هذه ا اهدات أصل من أصول التربية في منهج السادة الصوفية رضي اللّه عنهم، وقد تناول الكتاب المشار إليه « مواهب الرب الرؤوف » من ص٥٩ وما بعـدها جملةً من ا اهدات المشا ة لـما ذكره الشيخ معـروف ، وأسـهب في نقـل الحكايات ، وهي برمتها تتناسب مع ذلك الواقـع التربـوي الـذي عاصـروه

أوصافه وأخلاقه

كان نفع الله به معتدل القامة ، عظيم الصورة ، صبيح الوجـه ، مدوره، ي المنظر ، أبيض اللون ، مشرباً بحمرة ، وفي عينه رطوبة وغمش ، عظيم الرأس ، كثّ اللحية ، ضخم المنكـبين ، واسـع الصدر ، عظيم البطن جسيماً لا عن كثرة أكل ، وإنما كان غذاؤه مطالعةَ الجَمال ومشاهدةَ أسرار الكمال[1] ، راجح العقل ، فصيح اللسان ، له هيبة تلوح على محياه، وشوارق جة تزهو منها الجباه.

والأسلوب الروحي الذي نشؤوا عليه .

وقد ذكر المؤلف حكاية أخرى ص٦٢ جاء فيها: وقال الشيخ الصالح الـولي ربيع بن عمر الشبوي رحمه الله: كان في بيت والد سيدي الشيخ معروف قدس الله سره ثلاثين درجة مكث الشيخ حسن عشرة سنين يقرأ كل ليلة فيها ختمة في كل درجة جزء من القرآن العظيم .

وكان في أيام صغره يرسله والده إلى شبام في الخريف من الحول إلى الحول فيأتيه به وهو صائم في الهجير ، ويتردد لذلك في يومه مرارا ، وله كل ليلة ثلاثة أرغفة، فيأخذ منها ما يقطع به الوصال ، ويدفعها إلى بعض أصحابه السالكين معه.اهـ المصدر السابق ص٥٩ .

(١) المقصود بغذائه هنا غذاء الروح لا تتغذى إلا بمحاسن الأمور ، ولـما كانـت روح الشيخ شفافة ومرتاضة منذ نشأته فلا يحتاج إلى كثير طعام ولا شـراب ، وهذه مسألة معلومة عند أصحاب الرياضات.

وكان في الجود والسخاء خِضماً زاخراً ، وغيثاً هاطلاً ، وله اليد الطولى في الزهد والورع ، والـمقام الرفيع في الإيثار،قـال فيـه الشيخ الفقيه العارف باللّه عبدالرحمن بن محمد زين جمال:

ياسحاب الكـرم مسـبل علينـا بـالاوداق
ماطر الزهد والتقوى مع حسـن الاخـلاق
وارتوين القلـوب الصـافيه بعـد لعـواق
من صداها تجلـت وانفـتح كـل مغـلاق

وكان رضي اللّه عنه لا يرد سائلاً قط.. سمع مرة سائلاً ولـيس عنده إلا فراشه فدفعه إليه وجلس على الأرض ، وجاء آخر وليس عنده إلا ثوبه فنـزعه ورماه إليه.

وفُتح عليه في بعض الأوقات بخمسين حملاً من التمر جمعه بعـض الفقراء من الجهة ، فأمر بتفريقه في يومه على فقراء البلد ، ولـم يبق لبيته منه شيء[1] ، وجيء له يوماً بعشرة أحمال مـن الطعـام ففرقها من يومه.

(١) « مواهب الرب الرؤوف » ص٦٦.

وكان كثير الشفقة والملاحظة والمراعاة لمن فيه شعبة من شعب الإيمان وإن لم يكن من المتعلقين ، بل وإن كان من المعرضين.

أخبر عنه الفقيه عبدالرحمن بن عبداللّه بن شعيب قال: كنت جالساً عند سيدي الشيخ قدس اللّه سره فدعا تلميذه شراحيل وقال: إن فلاناً -وذكر رجلاً من أهل البلد- قربت وفاته ، وأنه يجب علينا رعايته لمواصلة أرحامه ، فاطْلَع إليه الآن وتداركه ليتوب قبل أن يموت ، فإنه قد وقع منه تخليطٌ ومجالسةٌ لبعض المعترضين ، فطلع إليه شراحيل ، فما أن وقع نظره عليه حتى بكى ذلك الرجل بكاءً شديداً وقال: أنا تائب إلى اللّه تعالى مما قد جرى مني ، وندم على ما مضى ، ومات من ساعته ، وعاد شراحيل في الحال وأخبر سيدي الشيخ[1].

وكان رحمه اللّه حاله الإيثار في الظاهر والباطن ومراعاة الأصحاب والزوار ، لا يقول لهم إلاّ الحق وإن كان مراً ، وكان يعاملهم بما هو الأولى والأحرى.

---

(١) المصدر السابق ص٦٨ .

وكان من كمال أخلاقه مع أصحابه أنه يتأذى بما يتأذون بـه ، ويؤلـمه ما يؤلـمهم ، ويخفف عنهم ما قد يجدونه من ظلـم أو أذى من البداوات أو جهلاء النـاس بلطفـه وإحسـانه ودعائـه ومواساته.

كما كان كثير العفو والصفح والاحتمال لـمن اعترض أو أساء، ويقابلهم بحسن التصرف والدعاء والاعتناء ، ويؤثر عنه قوله: واللّه إني لا أجد فرقاً بين عدو ولا صديق ، بل لا أفرق بين رجلين دخلا علي أحدهما ضرب هذا الرأس بالـمعول -وأشـار إلى رأسـه- والآخر قَبلَ هذا القدم ، وضرب بيده على قدمه.

وهذا من كمال مقام الرضا بعد موت النفس ، بحيث يشهد العبد مولاه في كل شيء ، فلا يحصل عنده انفعال بمدح ولا ذم ، وإنمـا يكِل الأمر لصاحب الأمر ، ويرضى بالحال الذي يبرزه له على أي وجه كان.

ويؤثر عنه أيضاً في مجال العفو والصفح قوله: إن شفقتنا وشفاعتنا للذي حصل منهم الأذى أعظم من غيرهم.

قال المؤلف: قال بعض الحاضرين: فقلت في خاطري: ما لَه؟ أي: ما لهذا الشيخ إلا من يؤذيه؟ قال: فما أتممت الخاطر إلا وقال الشيخ: إنها قد تكون غِيرةً من الحق على من آذى عباده فتحصل العقوبة من غير طلب منهم.

وكان رضي الله عنه حسن الظن بمن حوته دائرة الإسلام ، فكان يقول: ما جلس مسلم بين يدي إلا توسلت به إلى الله تعالى وبالسر الذي وضع فيه في قضاء حوائجي وحوائج المسلمين ، حتى في الجارية -أي: الأمة- حاملةِ القِربة ، أي: سِقاء الماء ، ولهذا مدحه بعضهم فقال:

ومكارم الأخلاق فيه جميعها	تمت وأمست في يديه قيادها
عِلْم لَدني عِلْمه وصفاته	نبويةٌ والله فيه أرادها
نور الولاية والعناية ظاهر	فيه ولكن الحوائل عادها
حالت على من لا بصيرته ترى	والشمس من هو أكمه ما هادها[1]

(١) « مواهب الرب الرؤوف » ص٧٤ .

وكان شفافي الذوق كثير التواجد والحركة مـن كـل نـاطق ومسموع[1] ، ثم تمكن في أخريات حياته ، وعند اكتمال مقامه ، ونـزلت عليه السكينة والوقار ، وأعطي من التمكين والرسوخ ما لـم يعط غيره ، وكان رضي اللّه عنه معظماً لحرمـات الـدين مفخماً لشعائر الشريعة المحمدية محيطاً بظاهرها وخافيهـا جامعـاً لحقائقها .

قال عنه مؤلف « مواهب الرب الرؤوف »: سمعت والدي يقول: سمعت الشيخ يقول: من أراد أن يسألني عن شـيء في المـذاهب الأربعة فليسأل[2] .

كما كان متأدباً مع الأولياء الأكابر ، ويحمل ما جـرى علـى ألسنتهم من شطح وعبارات بكمال الأدب ، حتى أُثر عنه قولـه: وعزة المعبود ما تلجلج لي في خاطري -أي: ما تشوش لي خاطر أو جرى من انتقاد- فيما وقع للشيخ إسماعيل المغربي والشيخ ابن عربي

---

(١) التواجد: ظهور أثر المسموع والـمرئي من أسباب الاعتبار أو آثار الذوق مـن القصائد الصوفية ، أو التأثر بسماع الآيات ، أو الفأل الحسن ، أو غير ذلك.

(٢) المصدر السابق ص٧٥ .

وطائفته ، بل أتبرك بآثار كل منهم ، ونقبل ما قالوه على الـرأس والعين ، ونكل ما فيه إشكال إلى اللّٰه تعالى.

وكان يقول: ما فتح علينا بشيء -أي: من أمر الدنيا- إلا توقفت فيه حتى يظهر لي وجه حِله ، ويفتح الحق في ذلك[1] .

وكان يقول ويقسِم: ما أُصيب مؤمن بمصيبة إلا كأني المصاب ، ولا أوذي أحد بضرب أو غيره حتى الكلب فما دونه إلا وآلـمني، ووجدت له حِساً في جسدي [2] .

ثناء شيوخ العصر على الشيخ معروف

قال الشيخ الفقيه محمد بن عمر جمال في كتابه « الكفاية الوفية في إيضاح بعض كلـمات الصوفية »[3]:

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق ص٧٦ .

(٣) للصوفية رضي اللّٰه عنهم بعض الكلـمات والعبارات التي تعني بالنسبة لهم مغزى ومعنى يريدونه ؛ ولكن ظاهر اللفظة أو العبارة قد يكون فيه إشـكال بالنسـبة للسامع الجاهل بمصطلحهم الذوقي .

واعلم أن مولانا وشيخنا العارف بالله الراسخ أبامحمد معروف بن عبدالله مؤذن جمال نفع الله به قد فاق أهل عصره وقطره ، وانتهت إليه الشهرة بالمعرفة والزهد والتمكين ، وتفرد بحاله ورتبته ، ولم يشاركه فيها أحد[١] .

وكان ذات ليلة يدعو بهذا الدعاء طول ليلته حتى طلع الفجر : اللّهم تمم بإحسانك على معروف في الدارين ، وارزقه الكمال مع السلامة فيهما إذ لا وسيلة له إليك إلا إحسانك، ولا أرحم به منك، يا كثير الخير يا دائم المعروف[٢] .

وقد أشكلت بعض كلمات الصوفية على العلماء في الماضي كما أشكلت في الحاضر ، واختلف الموقف بالنسبة لإصدار الأحكام على الألفاظ وقائليها ، فالأوائل كانوا لا يتعرضون لشيء من الانتقاد ، ويحملون العبارة على مراد القائل بما يفهمه من معان ترد على خاطره أثناء قوله ، ويكلون أمره إلى اللّه.

أما المتأخرون فقد حاكم بعضهم العبارات وأصحابها وكفروهم بما نقل عنهم وأخرجوهم من دائرة التوحيد والعياذ باللّه ، وقد استوفينا الكلام على هذا الموضوع في كتابنا « شروط الاتصاف لمن يقرأ كتب الأسلاف » فليراجع.

(١) المصدر السابق ص٧٧.

(٢) المصدر السابق ص٨٧ ، هو الشيخ سعيد الشواف صاحب « قصعة العسل » ، قال في « مواهب الرب الرؤوف » : ولسعيد المذكور وسيلةٌ عظيمةٌ نحو مجلد

وكان الشيخ أحمد بن سهل يقول: نشهد أن الشـيخ معـروف أفضل وأكبر من مشايخ الرسالة ، أي : « الرسـالة القشـيرية » ، ومثل هذا القول -وإن كان يشير إلى مبالغة القائل في شـيخه- إلاّ أن له وجهاً يبدي صحة مقولته، فالشيوخ يقولون: إن المقصود بهذا اللفظ المعاصرة ، فالشيخ معروف في عين أهل عصره الذين نـالوا بواسطته القرب من اللّه أفضل من أولئك الذين قد توقف نفعهـم على أهل أزمانهم ، فالأفضلية هنا لا تعني الشمول ، وإنمـا تعـني العصر ، كما هو في قول المفسرين في الآية عن بني إسرائيل: وأني فضلتكم على العالـمين ، « فالعالـمين » على الـرأي الـذي ذكرناه يقتصر على عالَـمي أزمنتهم وعصورهم ، وهكذا في كل عبارة يظهر منها المبالغة في وصف الشيوخ على ألسنة معاصريهم.

وفي هذا المضمار امتدح الشيخ الشواف صاحب « قصعة العسل » الشيخ معروف بقصيدة حمينية في نحو من مئة بيت قال فيها :

يتوسل فيها إلى اللّه تعالى بالأولياء العارفين المعروفين والـمجهولين من العـرب والعجم ، ولـم يذكر فيها من أهل الوقت إلا سيدي الشيخ معروف ، والسـيد عبداللّه ابن الفقيه المجذوب علوي ، وقال: إنما ذكرهما لأن همتهما سمت عن التأثر بالـمدح والذم. اهـ ص٨١.

مثل ذا الشيخ معروف المعارف تـنالـه
والنـهايات للسـادة بـدايـة لحالـه
محيي الديـن لأهـل الدين ظاهر بحالـه
الاسم الاعظم في اسمه مندرج في كمالـه
معـدن الصدق بحر النور كلـه جلالـه
مجـمع الكـلّ روح الكل للكـل آلـه
نافـذ الكشف والتصريف في كل حـاله
فاخـر الحـال بالاسلام جـم احتفالـه
قـط ماطيب في الدنيا كما طيب حالـه
زين الخلائق لأهل العلـم واهـل الجهالـه
شيخ لاهل التصوف ليـت روحي فِدالـه
نائـب اهـل الولايـه وأهـل الرسالـه(١)

وكان السيد الولي الشهير الشيخ شهاب الـدين بـن الشـيخ عبدالرحمن بن الشيخ علي بن أبي بكر علوي نفع اللّه بـه يقـول: الشيخ معروف أمةٌ وحده وآية من آيات اللّه ، لو أدركه المشـايخ

---

(١) يستقيم البيت بزيادة: « نائب اهل الولايه نائب اهل الرساله » . المصدر السـابق ص٨٠.

لاعترفوا بتقديمه وسبقه ، وكان يقول أيضـاً: الشـيخ معـروف معروف في السماء ومعروف في الأرض.

ظهور الشيخ معروف في منبر الدعوة والنفع

كتب صاحب « مواهب الرب الرؤوف »: إن الشـيخ الكـبير إبراهيم بن عبدالله باهرمز شيخ الشيخ معروف أَذِنَ لـه في سـنة ٩٢٨ بالتصدر والجلوس لدعوة الخلق إلى الله ، وأطلق عليه مسمى الشيخ(١) ، وكان ذلك في مسجد الخوقة بشبام ، وفقراؤه مجتمعون لراتبهم المعتاد في السابع عشر من رمضان ، وسِنه إذ ذاك خمسـة

(١) استطرد المؤلف في النقل عن مسمى الشيخ ومعناه عند الصوفية ، ونقل العديد من التعاريف المفيدة ، منها قوله: قال الشيخ محمد بن عراق في كتابـه «الوصـية»: الشيخ في الشريعة: من أدبك بظاهر كتاب الله وهذبك بسنة رسوله صلى اللّـه عليه وسلـم ، ورباك بأخلاقه المرضية ، وقمع نفسك الأمـارة بالسـوء مـن مألوفاتها.

والشيخ في الطريقة: من هذبك بباطن كتاب الله والسنة المحمديـة، وعرفـك أوصاف النفس اللوامة ، وأوصلك إلى النفس المطمئنة المرضية ، وخلصك مـن البرية ، وألزمك تعظيم الأحدية.

والشيخ في الحقيقة: من نفى من أعمالك ما هو أعلى لك ، وعن أفعالك ما هو أمضى لك ، وجمع من أحوالك ما هو أفوز لك.

وثلاثون سنة ، فامتثل الشيخ معروف ما أمره به شيخه ، وظهر على منبر الدعوة ، ووعظ أول ليلة وذكر إلى أن بقي من الليل ربعه. اهـ. قال المؤلف: فأتى الشيخ معروف بما يبهر العقول واعترف بفضله الفحول .

وكان الفقيه الكبير عثمان بن محمد العمودي يقول: نجِس في قلوبنا صفاءً وفرحاً من حيث ظهر الشيخ معروف للخلق ، ووجدت في هذه الجهة نفحةً من نفحات الرحمن عطّرت القلوب ، وهذا من آثار القطب[1] .

وقال الشيخ الفقيه علي بن علي بايزيد: لما ظهر الشيخ معروف لدعوة الخلق إلى اللّه تعالى رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم جالساً وعن يمينه ويساره أبوبكر وعمر رضي اللّه عنهما ، والشيخ معروف جالس بين يديه ، والرسول صلى اللّه عليه وسلم يثني عليه ثناءً جميلاً ، ويطنب في صحبته ومدحه ، والصديق رضي اللّه عنه ينشد هذا البيت:

لكل زمانٍ واحد يقتدى به ... وهذا زمانٌ أنت لا شك واحِده

---

(١) المصدر السابق ص١٩٠ .

ويشير بأصبعه السبابة إلى الشيخ معروف ، فتأكد اعتقادي لـه ومحبته[1].

كتب مؤلف « مواهب الرب الرؤوف » ص ١٠٩ : ثـم إن سيدي الشيخ معروف رضي اللّٰه عنه ونفع به قام يدعو الخلـق إلى اللّٰه أتم قيام ، و ض بما لـم ينهض به غيره من السادة الكـرام ، فأجاد وأجاد ، وبنى معاقل الدين ، وشاد وأحيا ما أسسه الرسول عليه الصلاة والسلام ، وواظب على إطعام الطعام وصلة الأرحـام والإحسان إلى الفقراء والأرامل والأيتام ، وشاع ذكره في الآفاق ، وارتحل إليه العلـماء والـمشايخ ، وقصـده أكـابر الرؤسـاء والحكماء ، وتجاذبت إليه المطي ، وعمت دعوته المحسن والـمسي، وقصده الخلق من كل مكان ، وتتلـمذ له خلق كثير، وكان يجتمع عنده لسماع مذاكرته من العلـماء والـمشايخ والـمريدين مـا يزيد على الألف ، وأحيا اللّٰه به الدين، وهدى به المسلـمين ، وعمر به البلاد وقمع به الطغيان والعناد ، وأصلح به ما ظهر ومـا بطن من الفساد، واستطارت في الآفاق برقته، واسـتطالت علـى المسلـمين خرقته ، ولبسها من أهل اليمن والشـام والسـواحل

---

(١) بقية الحكاية في ترجمة بايزيد أحد مريدي الشيخ عند الكلام على التلامذة.

وجازان و امة وصعدة والأراضي القاصبة جمع كثير ، وانتمى إليه خلائق من الفضلاء والأعيان من السادة الأشراف آل أبي علـوي وآل جمال وآل أبي هرمز وآل أبي رجاء وآل أبي كثير وآل أبي قشير وآل أبي فضل وآل أبي شراحيل وآل الفقيه ابن مزروع وغيرهم.

وكان يجمع مريديه وتلامذته في مسجد الخوقة إلى سنة ٩٣٢ ، ثم أمر شيخه بعمارة مسجد المقدسي ، وهو إذ ذاك خراب تجتمع فيه البهائم ، وكان قد بِني قديماً سنة ٦٣٦ وخرب ولـم يبق له أثر ، فعمره سيدي الشيخ معروف عمارة تامة ، وبنى عنـده سـقاية ، فوقف بعض فقرائه عليها صدقة جارية ، وجلس الشيخ يـدعو إلى اللّه في هذا المسجد ، وقام الشيخ المريد الصالح عمر بن محمد باذيب وأخوه المحب المخلص أبوبكر ووقفا المكان المعروف « بـالزاهر » على جابية مسجد المقدسي ، وجعلا النظر للشيخ ثم لـمن انتمى إليه بقرب أو صحبة، ثم بنى فيه غرفة ، ثم وسع الشيخ تلك الغرفة وجعلها دارا كبيرة أقام ا مدة طويلة.

وكان كلامه ومذاكراته مما يقتضيه أحوال سامعيه لا على حكم حاله ومقامه وعلـمه وذوقه ، وكان في حال مذكراته كـالبحر الزاخر ؛ لكن لا يحفظ أحد من كلامه إلا اليسير كما قال الشاعر:

فحفظنا اليســير مــا سمعنــا   ونسينا الكثير مــا حفظنــا

نبذة عن تلاميذ الشيخ معروف ومريديه

كتب مؤلف « مواهب الرب الرؤوف » ص١١٠-١١١ : وكان عنده من أهل السلوك والاجتماع والتعاون من خواص المريــدين اللذين لا يخرجون عن أمره و يه نحو مئة مريد قد خرجوا عن جميع محبوبا م ومألوفا م من أهل ومال وولد.

وكان ترتيب الشيخ معروف في تقسيم تلامذته على ثلاثة أقسام:

الدرجة الأولى من المريدين وظيفتهم العلــم باللّه وكتب الحقائق ومشاهدة الجمال الأسنى والسكر بمحبة المولى والتعــرف بأسمائــه الحسنى وصفاته العليا ، والجلوس على بساط الأنس حتى صــاروا مطالع الأنوار وخزائن الأسرار ونشرت لهم أعلام الولاية.

الدرجة الثانية من المريدين وظيفتهم نشر العلوم الشرعية قــراءةً وإقراءً وتحصيل كتبها ، مع مطالعة كتب الرقائق وسماع مذاكرات الشيخ أحيانا.

الدرجة الثالثة من المريدين -وهي درجة عامتـهم- وظيفتـهم الاعتناء بما يخص أمر دينهم ودنياهم من العبادات والـمعاملات «كبداية الهداية» و«مختصر الفقيه عبدالله بلحاج» و«كنـز المتسبب النقي المتورع» للفقيه محمد بن عمر جمال.

وكان لهؤلاء جميعاً بيت يأوون إليه ، ومعظم أوقا م يعتكفون في مسجدهم لا يخرجون إلا لنفقة أو حاجة ، وكان لبعضهم مجاهدات بالصيام الأيام المتواصلة.

وكان لهم ولعامة الفقراء مجلس كل ليلة بعد صـلاة العصـر إلى غروب الشمس ، لا يتخلف منهم واحد ، وقد رتب لكل واحـد منهم وظيفة بحسب حاله [1] .

قلت: وقد احتوى كتاب « مواهب الرب الرؤوف » على جملـة من تلاميذ ومريدي الشيخ لـم يترجم لهم في الغالب ، وإنما ذكروا أثناء كلام للـمؤلف ينقله عنهم أو خبر يرد إليه منهم ، ومنـهم الشيخ الفقيه علي بن علي بايزيد ، والشيخ حسين بـن عبداللّـه

---

(١) المصدر السابق ص١١٤ – ١١٥ .

فضل، والشيخ أبي بكر بن سالـم باعلوي[1] ، والشيخ عمر بـن محمد باذيب[2] وأخوه أبوبكر ، والشيخ محمد بن عمر باجمـال ، والشيخ عبدالله بن محمد باحنين[3] ، والشيخ سالـم بن محمـود الجازاني[4]، والشيخ علي الهيني الصعدي[5]، والشيخ عمر بن محمد جمال ، والشيخ محمد بن أحمد شـعيب ، والشـيخ أحمـد بـن عبدالرحمن معدان ، والـمحب أحمد مصفر ، وحيدرة بن عمر ، ومحمد باخليل ، ومحمد قعيطي ، وامبارك بن زياد ، وأحمد بن عمر بازياد ، وأحمد باشويه العمودي ، والشيخ العارف بالله الخطيـب

---

(١) ذكر صاحب « مواهب الرب الرؤوف » ص٩٧ قوله: وسمعت سيدي الشـيخ القطب فخر الوجود أبابكر بن سالـم باعلوي نفع الله به آمين يقول: ما زرت سيدنا الشيخ معروف نفع الله به إلا بعد أن أمرني رسول الله صلى اللّـه عليـه وسلـم . اهـ. ترجم للشيخ أبي بكر بن سالـم في «مواهب الرب الرؤوف» ترجمة مستقلة ص٢٥٤.

(٢) ورد ذكره ص١٥٩ يروي حكاية عن الشيخ وكراماته.

(٣) له قصيدة في مدح الإمام معروف ص١١٩.

(٤) له قصيدة في الشيخ ص١٣٦ من « مواهب الرب الرؤوف » ، وقد قدم لزيـارة الشيخ ولبس منه الخرقة وأقام مدة طويلة . انظر ص١٥٢ من المصدر السابق.

(٥) للشيخ علي المذكور قصيدة في مدح الشيخ ، المصدر السابق ص١٤٣ .

عمر بن عبدالرحمن بارجاء[1] ، والشيخ سعد بن عبدالله بارجاء[2]، وعبدالرحمن بن أحمد شعيب ، والشيخ محمد بن أحمد بن سالم جمال ، والشيخ محمد بن عبدالله بحرق ، والشيخ محفوظ بن عمر عباد ، والشيخ أبوبكر بن محمد بصعب الهجراني ، والشيخ محمد بن علي بن عمر ، والشيخ علي بن عمر بن جعفر، والشيخ فضل بن إبراهيم فضل ، والشيخ حسين ابن الفقيه عبدالله بلحاج ، والمحب ربيع الشبوتي ، والشيخ أحمد بن سهل ، والفقيه الصالح فضل بن عمر الهجراني.

نموذج من ترتيبات وظائف المريدين في السلوك

كتب مؤلف « مواهب الرب الرؤوف » ص ١١٥-١١٦: ومن أوامره رضي الله عنه ما رأيته بخط السيد الفقيه محمد بن عمر جمال

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بارجا عمل لضريح الشيخ معروف تابوتاً وسارية ، ذكره «مواهب الرب الرؤوف» ص٢٥٠ .

(٢) الشيخ سعد بارجا له قصيدةٌ قالها في شوقه إلى الشيخ معروف. المصدر السابق ص٢٥٠ .

رحمه اللّه تعالى وصورته: هذا ما حضرني ذكره مما أمر به سيدي الشيخ معروف بن عبداللّه جمال فقراءه ومريديه:

١- أمرهم بلزوم كل أمر ، وترك كل ي ، في الحضر والسفر والخلوة والاجتماع.

٢- التوبة في كل وقت ، وأن يجعل كل واحد لنفسه ساعة بالليل وساعة بالنهار يحاسب نفسه فيها ، ويعد حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله ونياته وهممه ، فإن رأى تقصيراً أو نية غير صالحة تدارك بصدق وإقلاع.

٣- أن لا يلتقي اثنان إلا ويتصافحان ويصليان على النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم.

٤- أن يردوا السلام على من لقوا من المسلمين ، ويصلوا على جنائزهم ويشيعو ا حتى تدفن ، ثم يقرأوا الفاتحة وآية الكرسي وسورة يس ٤١ مرة وألم نشرح أربعا وسورة القدر سبعا ، وإذا جاء نصر اللّه أربعا وألهاكم التكاثر مرة والكافرون أربعا وإذا زلزلت مرتين والإخلاص والمعوذتين ثلاثا ثلاثا وأول البقرة وآخرها ، ويهبون ثواب ذلك للميت ، ولكل من مات من المسلمين . وإن كانت الجنازة لأحد من الفقراء بادروا بتجهيزه

وحضروا غسله إلى وقته ، ويزيد في القراءة سـورة البقـرة وآل عمران ويخرجون اليوم الثاني والثالث كذلك ، ثم يقرؤون الإخلاص إحدى عشر مرة لعامة أهل المقبرة.

٥- دوام الطهارة ، وأن لا يكون لهم خلطة مع غير الفقراء.

٦- أن لا يتكلفوا الكساء ، وأن يلبس كل واحد منهم قلنسـوة وعمامة يخرج لها عذَبة من جهة منكبه الأيسر إلى نحـو القلـب ، ويجعل طولها ثلاث لفات.

٧- يصلون صلاة التسبيح وهيئتها مشهورة.

٨- يقومون آخر الليل على نحو ستة أجزاء ، ويصـلون الـوتر إحدى عشر ركعة ، وإذا طلع الفجر صلوا ركعتين وأتوا بالـدعاء المشهور ، ثم الفريضة ثم الأذكار المـأثورة بعـدها ، ثم حـزب الأسبوع، ثم ركعتي الإشراق ، ثم دعاء الصباح على ما رتبه لهم من الأذكار والدعوات المأثورة ، ثم العقيدة وأكثرها عقيـدة الشـيخ الشريف علي بن أبي بكر علوي ، ثم مدرس في الفقه ، ثم يخرجون إلى بيت سيدي الشيخ ويأتون فيه بمئتين مرة من الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وآله وسلـم ، ثم ثلاثين مرة تحت دار شيخه الشيخ إبراهم ، ثم يعودون إلى المسجد لصلاة الضـحى ، ثم يتفرغـون

لوظائف المطالعة أو القراءة أو النساخة أو من له أوراد يلزمها ، حتى صلاة الظهر جماعة ، ثم مدرس في « الإحياء » ، ثم مئة من « حسبي اللّه لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » .

ثم بعد صلاة العصر يخرجون إلى بيت الشيخ ويأتون بخمس مئـة من الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وآله وسلـم وقت انتظـارهم لظهوره ، فإذا خرج إليهم تفقد أحوالهم وذاكرهم إلى نحو غروب الشمس ، ثم أتوا المسجد وصلوا المغرب وسنته ثم صـلوا الناشـئة «صلاة الأوابين» ، ثم العشاء وراتبهم المعهود.

وفي ليلة الاثنين والخميس ما تيسر من الذكر والنشيد وشيء مـن أقوال المشايخ نفع اللّه م.

أنموذج من وصاياه

واعلـموا وفقكم اللّه أن حسن الظن وصحبة العارفين ومحبتـهم مقام عظيم لا يقع إلا لـمن خص به ، ولا يحصل سلوك ولا تعب أو مشقة في العبادة ، وهو مقام مفرد ، وأهله أهل سلامة الصدور ، وفائدة صحبة المشايخ التخلق بـأخلاقهم والتمسـك بسـير م

وصفا م، بشرط الإيثار وحسن الأخلاق والصبر وعدم المكافـأة ، وترك العوائد ومخالفة الطبع والنفس ، وترك الجدل والتجسـس ، واصطلام القلب بترك ما سوى اللّه مع الذل والـ ـمحو والكـرم والسخاء والإنفاق والسماحة والرجوع إلى اللّه تعـالى ، والرضـا والشكر وترك الكبر والظنون والحظوظ النفسانية ، وذبح النفس ، والتخلق بالأخلاق المحمدية ، والتلذذ بما جاء به القرآن ، ورؤيـة الذهب والفضة والـمدر سواء ، ورؤية الأذى من الأعداء الـذي يقع فيه فقراء الدنيا، والرد إلى القضاء والقدر من الحول والقوة في كل خير وشر .

هذا الذي نطلبه من الأصحاب ، فمن وجد ذلك فقد صلح أرضه ووجب له الغيث والدخول به على الملك ، وهذا شـأن عظـيم ، والصحبة ليست بكثرة ا يء والـمراح مع التوسخ بالآثـام ، ولا تظنوا أن الإثم المعاصي الظاهرة كالقتل والزنا فقط ، بل منها الكبر والحسد والعجب واتباع النفس والأهواء ومخالطة الأضداد ، فمـن صحبهم لشيء من هذه الصفات عاقبه اللّه وابتلاه ، ومن أقبل فهو لنا ، ومن أدبر نحن معه ، وامتثلوا أمر اللّه و يه ، ولازموا تقواه ، واطلبوا الإعانة منا على ما أوضحه رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله

وسلـم ، ومن أعطى الهمة فينا نعطيه ما أراد ، والشيخ النافع من يذكرك عيوبك وينفعك في الآخرة ، وصحبة المـداح خيانـة في الدين، وقد بسطنا الشبكة لأهل لا إله إلا اللّه ، فمن حوته طويناه، ولا نفتشه ، ويتولاه مولاه.

وما أشار العارفون إلا إلى التعلق م ، ولا تنفع نفاعة الصحبة إلا في الآخرة حتى إ م يستعظمون ما يرون من النعيم ، ويقولون: ما عملنا ما نستحق به ذلك ، فيقول الحق: إن هذا مِن قبل تعـرِفهم بصاحب وقتهم ، فيقع الحمد والشكر ، وفي الحديث عنه صلى اللّه عليه وآله وسلـم: «الـمتحابون على منابر من نـور يغـبطهم النبيون والشهداء ، فمن نور اللّه قلبـه ورزقـه التوفيـق وأقبـل بالـمحو والانحطاط ظفر بنا وظفرناه ، وأوصلته النظرةُ إلى أرفـع المراتب وأعظم الأحوال والـمقامات ، فنعم الشفعاء نحن لو أقبل الخلق إلينا[1] .

(١) المصدر السابق ص١٤١ – ١٤٣ .

سند الخرقة عند الشيخ معروف

قال السيد الفقيه التلـميذ الأكبر محمد بن عمر جمال رحمه اللّـه ونفع به: فاعلـم أن المشايخ الذين أحيا اللّه م الـدين في جهـة حضرموت أربعة، ولنذكر سند خرقتهم:

الأول: سند خرقة سيدنا وشيخنا شيخ شيوخ العارفين الشـيخ المربي القطب أبي محمد معروف بن عبداللّه جمال مؤذن الشـبامي ، ذكرته أولا لأنه شيخي ومولاي ، والعبد يزهـو بمـولاه ، وقـد لبسناها بحمد اللّه من يده الكريمة وظهرت علينا بركاته الجسيمة ، وشيخنا صحب وتربى وأخذ علوم طائفة الصوفية من شيخه الشيخ إبراهيم بن عبداللّه هرمز ، وهو أخذها عن عمه عبدالرحمن ، وهو أخذها عن أبي الفتح محمد بن أبي بكر بن الحسين العثماني ، وهـو أخذها عن إسماعيل بن ابراهيم بن عبد الصمد الهـاشمي الجـبرتي ، وهو أخذها عن الشيخ أبي بكر بن محمد الصوفي ، وهو أخذها عن الشيخ أحمد بن محمد بن عبداللّه بن يوسف الأسدي ، وهو أخذها عن الشيخ أبي بكر بن محمد بن علي بن نعيم ، وهو أخذها عن أبي أحمد محمد بن أحمد بن عبداللّه الأسدي ، وهو أخذها عن الشـيخ

الصامت عبدالله بن يوسف بن زربه ، وهو أخذها عن الشيخ أبي محمد عبدالله بن علي بن حسين الأسدي ، وهو أخذها عن الشيخ القطب محيي الدين عبدالقادر الجيلاني الحسيني ، وهو أخذها عن الشيخ أبي سعيد المبارك بن علي المخزومي ، وهو أخذها عن الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد الهكاري، وهو أخذها عن أبي الفرج محمد بن عبدالله الطرطوسي ، وهو أخذها عن أبي الفضل عبدالواحد بن عبد العزيز التميمي ، وهو أخذها عن الأستاذ أبي بكر الشبلي ، وهو أخذها عن سيد الطائفة الجنيد البغدادي ، وهو أخذها عن السري السقَطي ، وهو أخذها عن معروف الكرخي ، وهو أخذها من طريقين: الأولى عن سليمان الطائي ، وهو عن أبي محمد حبيب العجمي ، وهو عن الحسن بن الحسن البصري ، وهو عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

والثانية عن علي بن موسى وداود الطائي ، وعلي بن موسى عن والده موسى الكاظم ، وهو عن جعفر الصادق ، وهو عن علي زين العابدين ، وهو عن الحسين بن علي ، وهو عن أبيه علي بن أبي طالب.. إلخ.

الثاني: سند خرقة الشيخ الكبير محمد بن علي علـوي « الفقيـه المقدم » نفع اللّه به آمين ، ونسبت إلى آل باعلوي في الخرقة إليه.

الثالث: سند خرقة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ، أخذها عن الشيخ عبداللّه بن علي المغربي ، وهو من الشيخ عبدالرحمن المقعد ، وهو من الشيخ أبي مدين ، وهو من الشيخ عبدالقادر الجيلاني نفع اللّه م.

الرابع: سند خرقة الشيخ عبداللّه عباد نفع اللّه م ، لبسها مـن الشيخ أحمد بن أبي الجعد ، وهو من الفقيه سالـم ، وهـو مـن الشيخ علي الأهدل، وهو من الحداد ، وهو من الشيخ عبـدالقادر الجيلاني. اهـ . ولـم يشتهر بحضرموت سـوى هـذه الخـرق الأربع[1] .

(١) المصدر السابق ص١٤٩ .

ما تعرض له الشيخ معروف من إيذاء وصبره عليه

كان رضي اللّه عنه مقيما في مدينة شبام ، و ا نشر الطريقة ودعا إلى مولاه على صفة التجريد ، لا يطلب علـى ذلـك جـزاءً ولا شكوراً ؛ ولكن الأذى لحقه من الناس ، فخرج من شـبام ثـلاث مرات.

كتب مؤلف « المواهب » ص١٥٥: خرج رضي اللّه عنـه ثـلاث مرات ، وفيها من الإيذاء ما حقق له التأسي بنبيه محمد صلى اللّـه عليه وآله وسلـم.

وكان خروجه الأول إلى « السول » وهي قرية بالكسر على نحو مرحلة من شبام ، وذلك سنة ٩٤٥ .

ثم خرج إلى قرية « عندل » بالكسر بنفس العام وعاد منـها إلى شبام بعد سنة.

ثم خرج ثالثا إلى قرية تسمى « بغلة » وهـو مخرجـه الأخـير ، و«بغله» قرية بدوعن على نحو ثلاث مراحل من شبام ، وكان ذلك آخر شعبان سنة ٩٥٩ .

وكان يقول قبل خروجه: أقامني الحق للانتقام من جميع الخلق في هذه الحياة للسلامة في دار الآخرة ، وأول ما انتقمت من رأسي هذا، وأوتيت الجاه كله فطويته كطي البساط حتى لم يبق منه إلا شيء يسير ، فنوديت: أُترك هذا فتركته ، ولابد ما توصل الخلق إلى اللّه ، منهم من هو بالبر والإحسان ، ومنهم بسلاسل الامتحان.

قال مؤلف « مواهب الرب الرؤوف » ص ١٥٧ : وكان سيدي الشيخ قدس اللّه سره كثيرا ما يذكر خروجه الأخير قبل وقوعه بمدة طويلة ، وذلك لما قد أخبره به شيخه عبدالرحمن باهرمز رحمه اللّه تعالى كما أخبرني جمع كثير عن الفقيه العارف باللّه عمر بن عبداللّه بن أحمد مخرمة رحمه اللّه، قال: لما قربت وفاة سيدي الشيخ عبدالرحمن بن عمر باهرمز نفع اللّه به أرسل إلى الشيخ معروف بن عبداللّه مؤذن جمال في أيام سلوكه على الشيخ إبراهيم بن عبداللّه هرمز بشبام قبل ظهوره بالمشيخة ، فلما جاء وجلس بين يديه قال له الشيخ عبدالرحمن: نقول لك شيئاً وتقبل؟ فقال الشيخ معروف: قل ما شئت ، فقال الشيخ عبدالرحمن: نريد نحملك أو السلطان بدر تقوم به وتجعله في عنقك

وهو مسلط عليك ، فقال الشيخ معروف: كان ذلك ، فقال الشيخ عبدالرحمن: وإن أخرجك من بلادك؟ قال: نعم.

ولما أُخرج الشيخ معروف للمرة الثالثة انزعج بعض فقرائه ، فذاكرهم وقال: واعلموا أن الدنيا محل الهموم والأكدار، فلا يتأثر بما وقع فيها إلا سخيف العقل ضعيف اليقين ، ولا ينكره إلا من ليس له علم ، والشكوى من أهلها شكوى من اللّه ، ومن رأى الفاعل هو اللّه تعالى وأن البلوى توصل صاحبها إلى أفضل ما عند اللّه رضِي ا ورضي عمن باشرها، ومن أساء صحبة الرجال خيم على ما فيه.

كنت يوما جالساً عند بعض العارفين فجاء ابنه ورأسه ملطخ بالدم وقال: أنكرت فاحشةً ففُعل بي هذا ، فقال: نرضيك ، ثم التفت إليّ وقال: ما الذي يستحقونه من العقوبة؟ فقلت له: أنت تعرف مقامك وما أنت فيه، فقال: والذي لا إله إلا هو ما أرد توبتهما والعفو عنهما إلا حيث فعل بولدي هذا ، وإن الذي أعلمه بيني وبين اللّه أن هذا اختياري[1] .

(١) المصدر السابق ص١٦٠ .

وجاء رجل إلى سيدي وشيخي إبراهيم فقال: يا سيدي إن فلاناً وفلاناً قطعا نخلك وضربا ولدك ، فقال سيدي: هؤلاء قـوم قـد أدبروا عن اللّه ، وفعلهم ذلك سبب لتوبتهم ، والفاعل هو اللّـه ، وأهل هذا المقام أهل سلامة ولا مكافأة عندهم لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وإذا قضى اللّه على أحدهم المصيبة في هذه الحياة رضـي بخالقها وعفا عن فاعلها ، كما أن مولاه أرادها ويتنعم ويتلذذ ـا حيث اختارها اللّه له ، فلا يشهدون أن المحرك والـمسكن إلا اللّه حتى تحصل العافية من أفعال الخلق وصفا م ، فما تعافى عبد ـذا المشهد، وهل يشهد الكون إلا شاهد المكون .

وليس الخواص كالعوام ، فلو وقع في قلب المريـد خطـرة في مكافأة مسيء بسوءٍ راح رأسه ، بل لو ذكر إساءته نـزع إيمانه ، ويتحقق كل منهم أن المخاطب بالأمر والنهي تثبت له المِنة من اللّه تعالى، وأما أنا فانشراحي وانبساطي في القبض أكثر من البسـط ، وأهل هذا المقام ساكنون مع اللّه ، ما لهم خـاطرة في نفـس ولا علـم ولا عمل ، ولا يرون الحياة وما فيها ، ولا الآخرة ونعيمها ،

إنما مطلبهم مولاهم ، فلما ظفروه نسوا ما سواه.. الكون وما فيه[1].

وصول الشيخ معروف إلى قرية بضة

قال المؤلف ص١٦٣: ثم إن سيدي رضي اللّه عنه سار بمن معه إلى قرية بضة فلقيه الشيخ الجليل عثمان بن أحمد العمودي ، وواجهه بالقبول التام والترحيب والإكرام ، وأنزله بالمحل العالي من التبجيل والإعظام ، واغتبط به وأسكنه ومن معه من الفقراء داراً وآخر لنسائه ، كما كانوا عليه في بلدهم ، وأجرى لهم معلوماً كافياً.

وكان الشيخ عثمان إذ ذاك قليل ذات اليد مشغول القلب من السلطان بدر ، فتضاعفت له الخيرات وتمت له البركات واتسعت له الولاية ، وحسنت له من اللّه الرعاية ، وسخر له الإمدادات الواسعة، ودان له أهل الولايات الشاسعة ، ووالاه السلطان بدر ببركاته نفع اللّه بيده.

---

(١) المصدر السابق ص١٦١ .

قال مؤلف « مواهب الرب الرؤوف » ص ١٦٩ : ومما سمعت منه من لفظه في أول زيارة إلى دوعن سنة ٩٦٧ في مجلسه العام بعد أن ذكر ما ينبغي للعبد من احتمال الأذى والدعاء لـمن ظلمه والشفاعة له فقال: إني في كل ليلة أزور جميع الأموات وأهلل ليلة وأقرأ ختمة من القرآن العظيم وأهب ثواب ذلك لهم، أبدأ بالـمعرِضِين وأهل الإيذاء قبل القرابة والـمحبين.

نموذج من مكاتبات الشيخ معروف

بسم اللّه الرحمن الرحيم . الحمد للّه رب العالـمين . وصلى اللّه على سيدنا محمد رسوله وعبده وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد فيقول العبد الفقير إلى فضل اللّه تعالى خويدم المسلمين معروف بن عبداللّه جمال موذن اللّه يحفظه بما يحفظ به عباد اللّه الصالحين ويعلمه ما علمه عباده المتقين ويؤيده بما أيد به خواصه المقربين سيدنا وحبيبنا في اللّه الفقيه علي بن علي بايزيد زاده اللّه علماً وحلماً وذوقاً وفهماً:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وصل حرفكم وما ذكرتم من الخير الكثير ، والحظ الفائق الخطير ، حسبنا لكم ، وما أنا يا سيدي فإني منطو لكم خصوصا[1] ، ولجملة إخوانكم المسلـمين عموما ، على أفضل المحبة الخالصة والود الصادق والقرب الفائق والشـوق السابق ، وقلبي يشهد لي بما عندكم ، كما قال سـيدي الإمـام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

إن القلــوب تجــازي في محبتــها
فاسـل ضميرك عـني فهـو يكفـيني
لا تسأل الناس عما في ضمائرهم
ما في ضميري لهم عـن ذاك يكفـيني

واعلـم أن الأرواح جنود مجندة ، ما تعـارف منـها في الأزل ائتلف في الدنيا على حول ، ونحن والله نحبكم أحب إلينـا مـن أنفسنا، لأنكم أهل الدين وقادة المسلـمين ، وقلوبنا لكم بالدعاء ذاكرة ، وعقولنا بشهودكم أبدا حاضرة .

---

(١) كذا في الأصل .

وذكرت أهديت إلينا الهدية الهنية والتحفة السنية ، فواللّه إن قلبي مستبشر وأنا واللّه أحب هدية للـمسلـمين أفدي نفسي وروحي ومالي وجهدي في أن يهدي اللّه واحدا فكيف أكثـر ، ولأولاد السادة صحبة أخرى خاصة، والـمنة للّه علي أن جعلني خادمـا. أوحى اللّه إلى داود.. يا داود.. من كان لي طالبا فكن له خادمـا أكتبك جهبذا شهيدا .

واللّه اللّه يا سيدي كن لنا في مثل هذا ، فنعم ما أهديته فجـزاك عنا أفضل الجزاء ، وأنتم شركاء فيما أهديتم، ولا تتركونـا مـن دعواتكم ا ابة ، وأشكو إلى اللّهِ المُدرِك ثم إليكم انعكاس الزمـان وتبدلَ الأديان وإظلام المكان عن ما دينه الديان وشرعه البرهـان ، وقد قال اللّه تعالى: لقد كان لكم في رسول اللّه أسوةٌ حسنةٌ ، وقال الشارع صلى اللّه عليه وسلـم: « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » .

وإنا لنعلـم عما جاءنا من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلـم أنه كان فقيراً عن الدنيا مسكينا محباً للـمساكين ، لا يبيـت وفي منـزله درهم ولا دينار، ونـزع شِراكاً جديداً من نعله ورد فيـه شراكاً خِلقاً وقال: «لا يشغلُني» إيثاراً للبرية ، وتركاً لحظوظ النفس

الزكية ، وتشريعاً لأمته لا تأخذه في اللّه لومة لائم ، لـم يغضب ولـم ينتصف لنفسه ، إنما كان غضبه إذا انتهكت حرمات اللّـه، لباسه الآداب « أدبني ربي فأحسن تأديبـي » وأساسه الأخلاق «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ، قال اللّه تعالى: وإنك لعلى خلُقٍ عظيمٍ ، وقال صلى اللّه عليه وسلـم: «ذهب حسـن الخُلُـق بخيري الدنيا والآخرة» .

ولـم يفتخر بغير الفقر ، وأبوبكر الصديق رضي اللّه عنه لـم يترك لنفسه شيئا من الدنيا ، وجملة أهل الصفة فقراء ، أهل الصفة وغيرهم. وكان يعفو عمن ظلـمه ويصل من قطعه ويحسن إلى من أساء إليه ، وكان أباً للمسلمين ورحمة للعالـمين ، شأنه الصـبر والعفو والحلـم والزهد والسخاءُ والكرم والورع والعفو والصدق والأمانةُ والـمروءةُ والديانةُ واللطف واللين والسـهالةُ والشـفقةُ والنصيحةُ والبذلُ والإيثار والإنصاف والـمواساةُ والوقار والعبادةُ والاجتهاد والشكر.

قال صلى اللّه عليه وسلـم: « قرة عيني في الصلاة » وقام حـتى انتفخت قدماه ، فقيل له:لِـم تفعلُ وقد غفر اللّه لك ما تقدم من

ذنبك وما تأخر؟ فقال: ألا أكون عبداً شكوراً؟ فاختـار الآخـرة الآجلة على الدنيا العاجلة.

عصب على بطنه الحجارةَ من الجوع ما يجد كفّا من دقل فيكتفي به، وفاطمة ابنته رضي اللّه عنها كان عليها كساء إن سترت أعلاها كشف أسفلها وإن سترت أسفلها كشف أعلاهـا ، وتخـدم في طحين الطعام حتى انتفخت يدها رضي اللّه عنها ، وعلي رضي اللّه عنه يستقي لها الماء حتى دمل كتفه ، كل ذلك من العدم ، فطلبا من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلـم خادماً يكفيهما ، فقال عليـه الصلاة والسلام: « لا أعجل لكما الأجر » ، وقال: دارنا الجنـة ، وعلـمهما تسبيحاً ، مع أنه صلى اللّه عليه وسلـم يملك غنـائم الكفار ويعطيها المؤلفة والـمسلـمين ويترك نفسـه وأزواجـه وأقاربه إيثارا للآخرة على الدنيا ، مع أنه -كما قال- لو أراد جبال الحجاز تسير معه ذهبا لفعل اللّه له ذلك .

ثم اقتدى به أصحابه الراشدون ومن بعدهم كالإمام الحق عمر بن عبدالعزيز ، كان وهو في خلافته قيمة كسائه خمسة دراهـم ، ثم

اقتدوا مسلك الموفقون بعدهم[1] ، حتى انتهى الأمر إلينا فـانعكس علينا وثبت لدينا، وانكب الناس على طلب الدنيا ، واشتغلوا ـا عن اللّه، وآثروها على الآخرة ، وتركـوا الأخـلاق ، ونبـذوا الأعمال، وثارت بينهم الخصائم والبغضاء والجدال ، وكفاهم اللّه أمرالرزق، وضمن به ، فلـم يكتفوا بضمانه وطلبوه ، وأمـرهم بالعبادة والإقبال عليه فأعرضوا عنه ، فأين أهل العقل والدين ، قال اللّه تعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .

فأعظم اللّه الأجر في دين اللّه واتباعه والاقتـداء بـه في حسـن شمائله، وتراهم مع ذلك أوقعوا أنفسهم في الورطة الهائلة والخبطـة السافلة، فلـم يجمدوا على عصيا م ، بل تجرؤوا حتى نالوا مـن سلفِ زما م: كان فلانٌ من الصحابة وفلانٌ من التابعين وفلانٌ من السادة أهل الدين كانوا يجمعون الأموال.

جعلوا نفوسهم الدنية وقلو م الخبيثة مثل نفوس أولئك الزكيـة وقلو م الطاهرة ، هل كان جمعهم لها كجمع أولئك وشغلهم ـا

(١) كذا في الأصل.

كشغل من هنالك؟ وقد قال صلى اللّه عليه وسلـم: «الـمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا» .

فاللّه اللّه فيما يطلب منكم يا أولاد ، الفرصة يا أولاد ، العزم هيا بكم إلى اللّه ، فما عليكم إلا توجهوا ونحن نكفيكم الدلجـة ، ولا يخفاك مطلوبنا منك ونحن نلاحظكم ونرعاكم في مكانكم ، فِـروا إلى اللّه ، وألف في اللّه ما أمكن[1] ، فإن الأمر عظـيم والشـأن خطير، ولا تستصعب فما واللّه حائل، وأقبل فلا واللّه تجد عائق ، واستسلـم فما واللّه تجد مشارك ، وافعل المصلحة في هذا الزمان ، وعرف أصحابك ذلك ، زادكم اللّه من فضله العظيم ، وما نحن إلا أنتم ، ما بيننا فارق ولا حجاب ، ولا يمكـن كشـف الحـال ، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته[2] .

(١) كذا في الأصل.

(٢) المصدر السابق ص١٢٩ .

نهاية عمر الشيخ معروف باجمال

ورد في « مواهب الرب الرؤوف » حول انتقال الشيخ معـروف من دار الدنيا الفانية إلى دار البقاء الباقية ما صورته:

اعلـم أنه لـما أحياه اللّه سعيداً كمل له بنية الاقتداء فمـات غريبا شهيدا ، فلـم يفته بذلك شيء من التأسي بالـمصطفى صلى اللّه عليه وسلـم ، وقد ظهر منه بوفاتـه إشـارات وبـدا علامات وأمارات ، منها: أنه أمر أصحابه وخواص مريديه بزيارة سيدنا الشيخ القطب مولانا أبي بكر بن سالـم نفع اللّه بـه ، وفي الجهة جماعة من المشايخ المشهورين في تريم وغيرها ، ولـم يـأمر بزيارة أحد قبل ذلك ، بل ينهاهم عن التوجه إلى غيره، فعرفوا أن قصده بذلك النيابة .اهـ. أي: نيابة الشيخ أبي بكر من بعده.اهـ.

ومنها أنه جمع أصحابه وذاكرهم وقال: إن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلـم لـما علـم أن اللّه قد ملأ أصحابه يقيناً نعى نفسه النفيسة، والـمشايخ ما أحياهم اللّه إلا لانتفاع المنتسب إلـيهم ،

وأنا أعلـم أن أصحابي قد صح تعلقهم باللّه ، وقد ملأهـم اللّـه يقينا[1] .

واعلـموا أن ما أحد انشرح بوفاة السيد إبراهيم لأنه مات وهو راض عني وأنا عنه راض ، وقد رأيت كأن الدنيا كلها مظلـمة ، وأنا أريد الخروج منها ، فلـم أجد لتلـك الظلـ ـمة منتـهى ، فاسترجعت وإذا أنا بامرأة قالت: أَبشِر يا شـيخ فإنـه سـيأتيك الرسول صلى اللّه عليه وسلـم، فالسيد عبدالرحمن بن عمر باهرمز والسيد إبراهيم بن عبداللّه باهرمز، ويخرجونك من هذه الظلـمة، وإذا م قد أقبلوا وأركبوني في فرس مسرجة ملجمة وأخرجوني من الظلـمة وأدخلوني بلدا وقالوا: هذه مصر. وإني أولتها أ ا النقلـة إلى الدار الآخرة .

ومنها: أخبرني الفقير الصالح أحمد بن بازياد قال: قال لي سـيدي الشيخ نفع اللّه به: يا أحمد تقوم القيامة ثالث يومك هذا ، فكانت وفاته رضي اللّه عنه في اليوم الثالث.

---

(١) المصدر السابق ص٢٣٦ .

وصيته لأصحابه يوم وفاته

قال المؤلف ص٢٣٨ : ثم ذاكر أصحابه وأوصى بوصايا نافعـة منها ما حفظ ومنها ما لـم يحفظ ، ومما رأيته بخط مـن حضـر وصيته ووفاته ما هذا صورته:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالـمين ، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآلـه وصحبه وسلـم أجمعين .

هذا ما أوصى ونصح سيدنا ومولانا قطـب الأقطـاب وفـرد الأحباب الوارث للولاية المحمدية الشيخ أبومحمد معروف بن عبداللّه مؤذن باجمال أفاض اللّه علينا وعلى جميع المسلـمين من أسـراره وأنواره آمين ، قال:

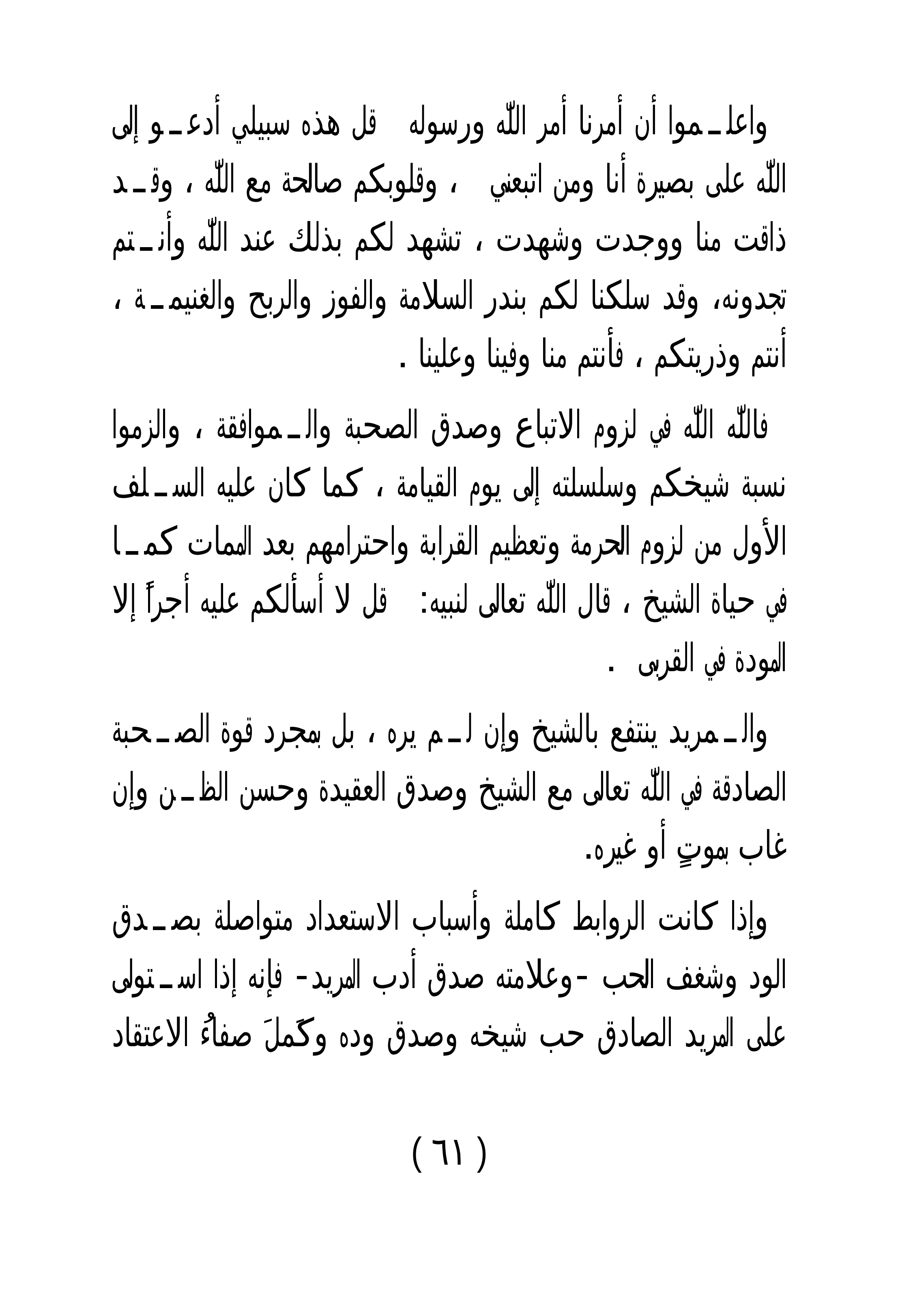
واعلـموا أنه لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له في ملكـه ، وأن محمداً عبده ورسوله صلى اللّه عليه وسلـم ، أوصيكم بتقوى اللّه، وأن اللّه قد اختار لي ولكم النقلة وأنتم رجال ، وقد وفقكم اللّـه للصحبة والإرادة واتباع الأمر ، ومن صلح مع اللّه نفع به الأمة .

انظروا إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه حيث وفقه اللّه ونبهه على الآية الكريمة وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبلـه الرسلُ.. الآية .

وأنتم تمسكوا بما معكم من عهد وميثاق ، ومن معه منكم وظيفة أو أصل يثبت عليه ، ومن سمع منا بشارة له أو لغيره فليصدق ا ، فإ ا حق من اللّه تعالى ، وأنا منتقل إلى الدار الآخرة ، فمن صدق أوصلناه وشملناه ، ومن لحق تلقيناه وأهلناه ، وقد شاهدنا لكم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فلا تنافسـوا على ما وقع للـمتقدمين ، فعندنا لكم أكبر وأغلى ، وأنتم عندي أفضل وأحب من على وجه الأرض ، وأنا راض عنكم.

وأوصيكم بالتخلق بأخلاق اللّه وأخلاق رسول اللّه صلى اللّـه عليه وسلـم ، قال تعالى: وإنك لعلى خلـق عظـيم لكـم ولأهلكم ولأهل «لا إله إلا اللّه» ، والـمرء مع من أحب وإن لـم يعمل بعمله.

والآخرة هي دار القرار ، وأنا لكم بعد الموت أنفع وأظهر ، وإنما هي نقلة من دار إلى دار ، ونحن أحياء أكمل حياة من الحياة الدنيا.



واعلموا أن أمرنا أمر اللّه ورسوله قل هذه سبيلي أدعو إلى اللّه على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وقلوبكم صالحة مع اللّه ، وقد ذاقت منا ووجدت وشهدت ، تشهد لكم بذلك عند اللّه وأنتم تجدونه، وقد سلكنا لكم بندر السلامة والفوز والربح والغنيمة ، أنتم وذريتكم ، فأنتم منا وفينا وعلينا .

فاللّه اللّه في لزوم الاتباع وصدق الصحبة والموافقة ، والزموا نسبة شيخكم وسلسلته إلى يوم القيامة ، كما كان عليه السلف الأول من لزوم الحرمة وتعظيم القرابة واحترامهم بعد الممات كما في حياة الشيخ ، قال اللّه تعالى لنبيه: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى .

والمريد ينتفع بالشيخ وإن لم يره ، بل بمجرد قوة الصحبة الصادقة في اللّه تعالى مع الشيخ وصدق العقيدة وحسن الظن وإن غاب بموتٍ أو غيره.

وإذا كانت الروابط كاملة وأسباب الاستعداد متواصلة بصدق الود وشغف الحب -وعلامته صدق أدب المريد- فإنه إذا استولى على المريد الصادق حب شيخه وصدق وده وكَملَ صفاءُ الاعتقاد

فيه ؛ كان أقرب إلى النفع وأشمل في الرفع ، وأعظم سراية في التفرقة وأجمع .

فعليكم بالسكون والخضوع والتذلل والرضاء بمواقـع القضـاء والتردد فيما بينكم بالـمذاكرة ، مع انعدام الحسد ، ولا تشهدوا إلا اللّه يحصل المدد.

الوفاة

وكانت وفاته رضي اللّه عنه عند طلوع الشمس يـوم السـبت خامس عشر شهر صفر الخير سنة تسع وستين وتسعمئة ٩٦٩ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وعمره نحـو ست وسبعين سنة ، ودفن بمقبرة «ظرفون» ، وبنيت عليه قبة.

ومن عجائب الاتفاق أنّ كافةَ أولاده وزوجته وخواص أصحابه لحقوا به خلال أسبوع واحد إلا بنتاً واحدة بقيت حتى عام ٩٧٥ وكذا بعض أصحابه.

وذكر في « مواهب الرب الرؤوف » ص ٢٤٣ أنه كان يقول في حياته: أول من يلحقني بنتي فاطمة ، فتوفيت بعده في اليوم الذي مات فيه.

وكان لموت الشيخ معروف أثر عظيم على حضرموت ومناطق اليمن وغيرها من الجهات ، ورثاه جملة من الشعراء والخطباء ، ومن جملة مراثيه ما كتبه السلطان محمد بن علي بن عمر بن جعفر فقال :

هاج الفؤاد كواهج النيران ... عند انتقال العارف الصمداني
يبكي عليه العارفون ولم يزل ... وعليه تبكي السبع والثقلان
والأرض تندب والجبال نوائح ... وصوالب الأشجار والأغصان
والريح من كل الجوانب زمزمت ... وتجلجل الأنهار بالجريان
تالله ما دهِم الأنام بمثلها ... في سائر الأحقاب والأزمان
يا سيداً حاز الكمال بأسره ... وعلا بنا الإسلامِ والإيمان
شيخ الحقيقة والطريقة والنهى ... والداعي الهادي إلى الديان
شمس على فلك الولاية لم يزلْ ... متحلياً في العالم الإنساني
أهدى جميع الطالبين إلى الهدى ... وأبان علم غوامض الإحسان

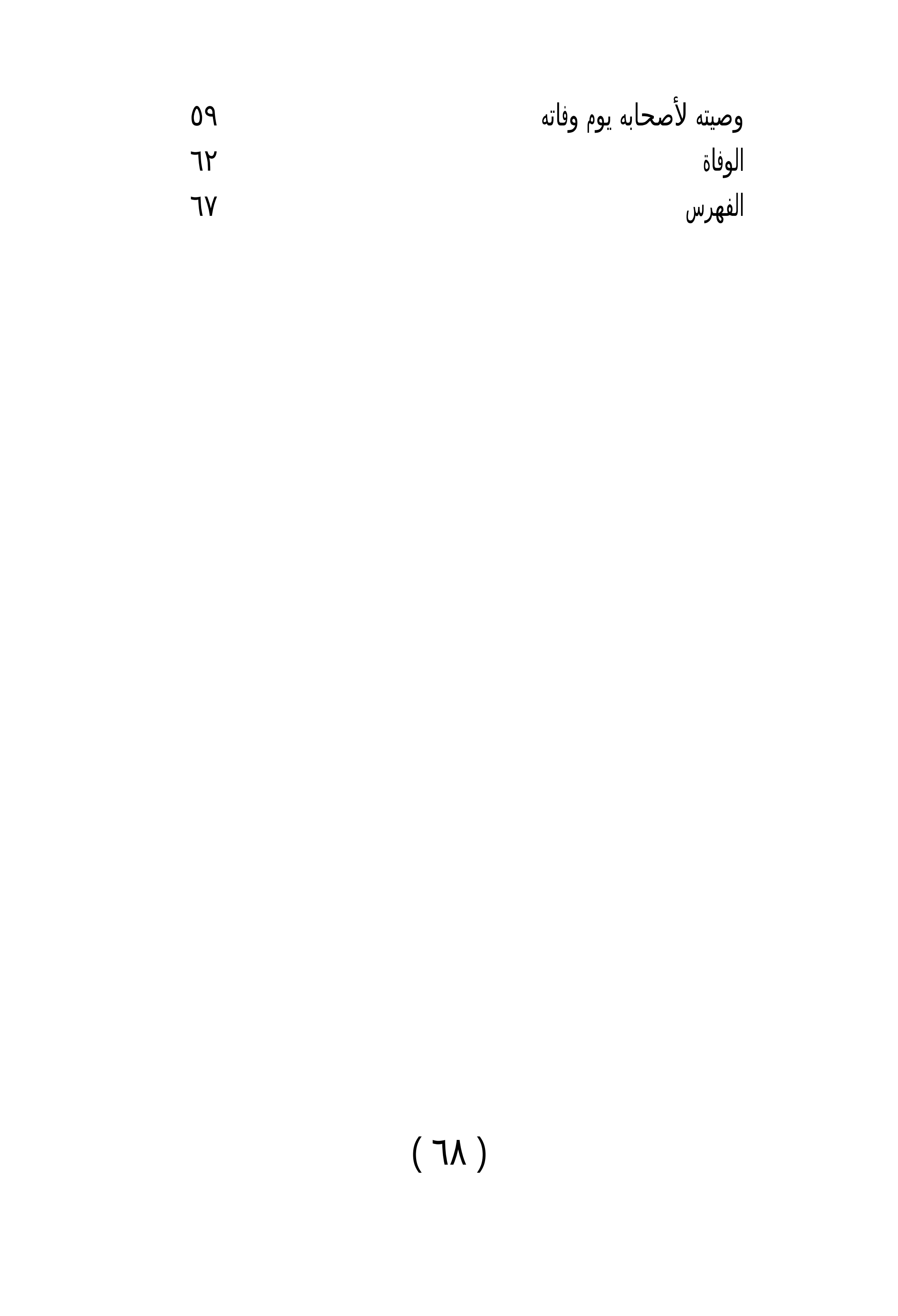
والقصيدة طويلة ومتضمنة على جملة من مناقب الشيخ معروف ، ويمكن مراجعتها في الترجمة المخطوطة[1] .

(١) المصدر السابق ص٢٤٤-٢٤٦ .





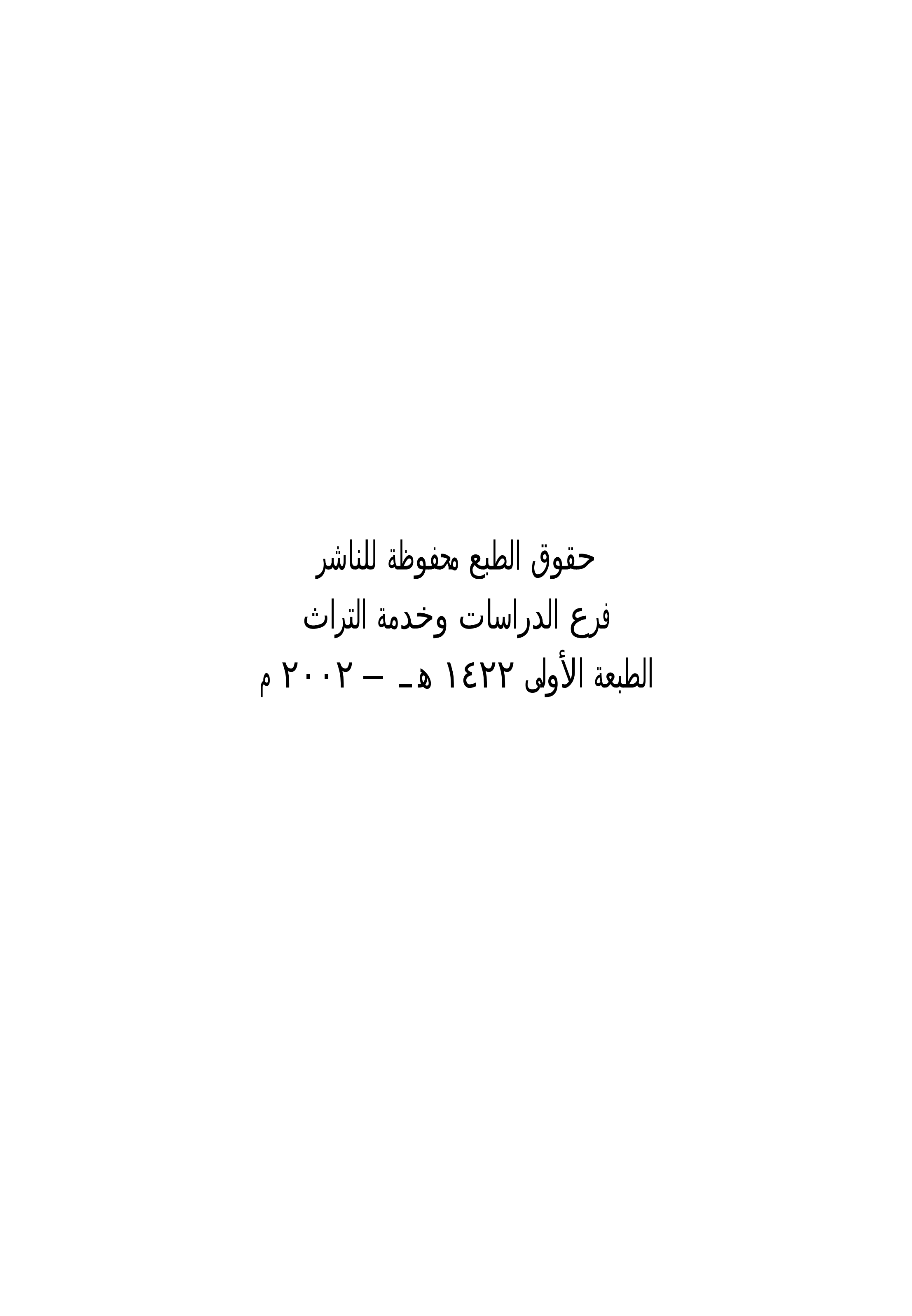
الفهرس





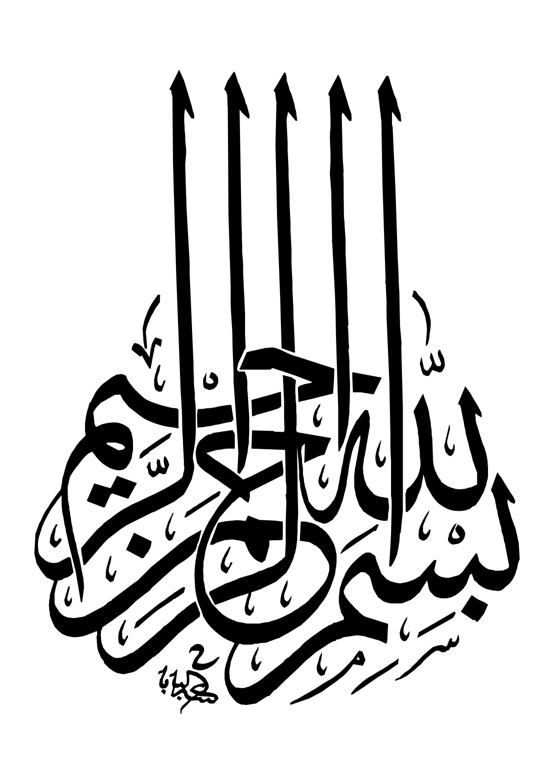
الشيخة سلطانة الزبيدية

(١)



فرع الدراسات وخدمة التراث
الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

الشيخة سلطانة الزبيدية
(ت ٨٤٣ هـ)
الغلاف الداخلي

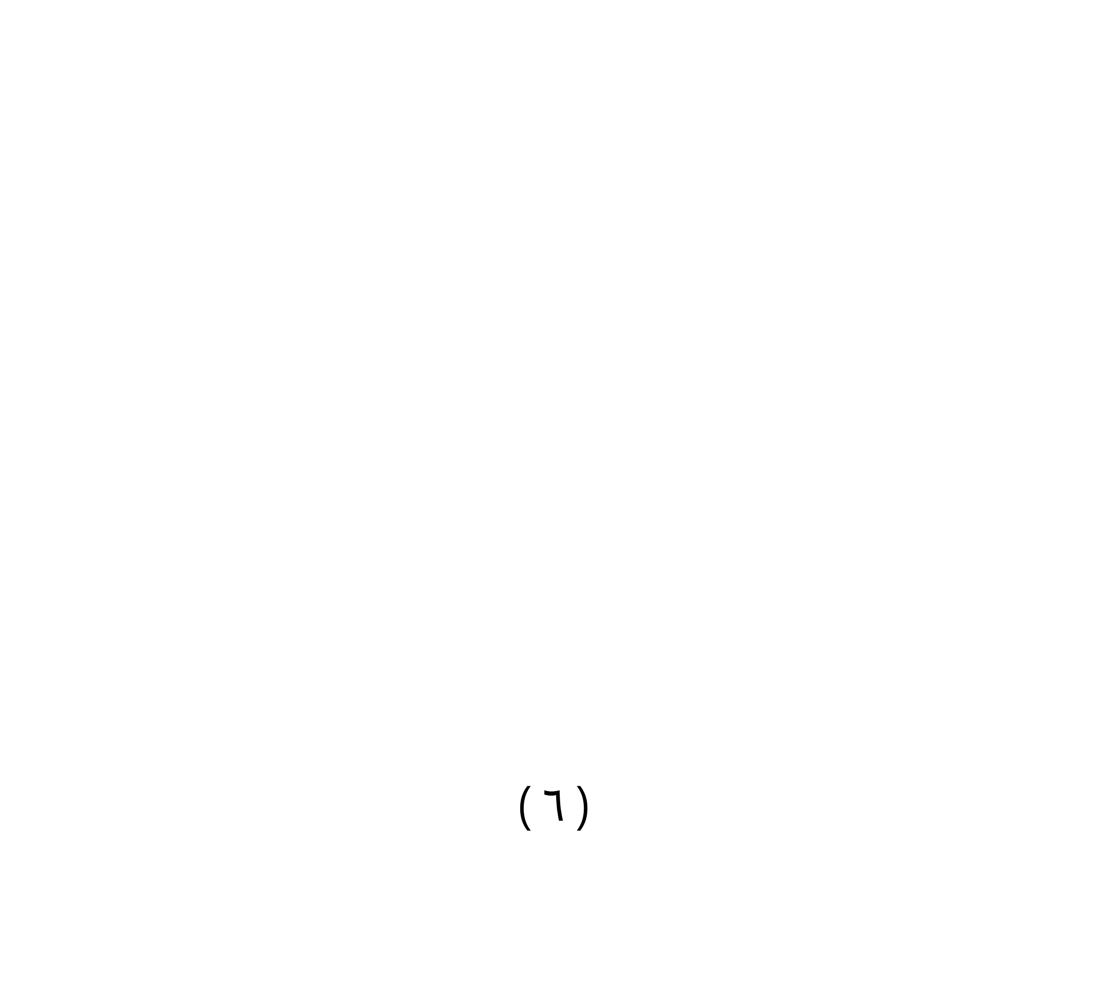

بسم الله الرحمن الرحیم

المطلع القرآني..

إن المُسلِمين والمُسلِماتِ والمُؤمِنين والمُؤمِنـاتِ والقانِتين والقَانِتـاتِ والصـادِقين والصـادِقاتِ والصابِرين والصابِراتِ والخَاشِـعين والخاشِـعاتِ والصادِقين والصادِقاتِ والصائِمين والصـائِماتِ والحافِظين فُروجهم والحافِظـاتِ والـذاكِرين اللهَ كثيراً والذاكراتِ أعد اللهُ لهَـُم مغفِـرةً وأجـراً عظِيماً

[الأحزاب: ٣٥]

(٦)



الإهداء

إلى جيل النساءِ السابحاتِ في يم الغفلةِ العصرية..

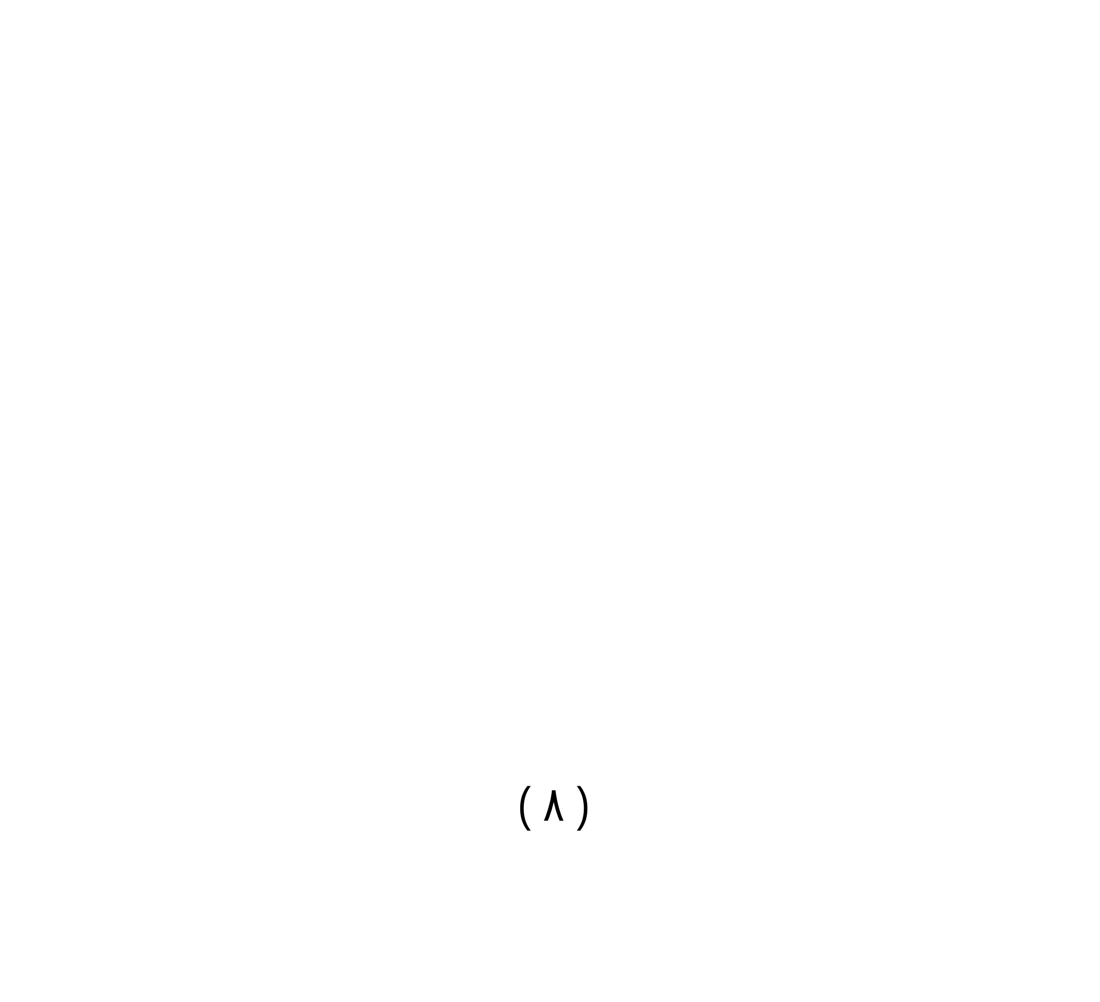
وإلى فَتياتِ الثقافةِ الإعلامية من ضحايا الإداراتِ والوزارات..

وإلى من بقِي مِن أُولاتِ العِفة والصون.. رباتِ البيوتِ القانتاتِ العابداتِ..

هاكُم أحد الأمثلةِ الناصعةِ في حياةِ أسلافكم..

وشتان ما بين الحياتين..

المُؤلف



(٨)

لسان الحال

سلْطانةٌ هِي كاسِها سـلطانةْ

خصت بتوفيقٍ وجذْبٍ إعانـةْ

مِن ربها سبحانه قد خصـها

بخصائصٍ وأظَلهـا إحسـانه

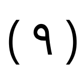
وبرؤيةِ الهادي مناقبها سمـت

ولقد سمت بعفافـةٍ وصِـيانةْ

ميمونةٌ في دهرِهـا نشـوانةٌ

مِن حب مولاها ترى سكرانةْ

لصاحب الحمراء الشيخ عمر بن محمد باعلوي



((الترياق الشاف)) ص٤٩



المقدمة

الحمد للّهِ رب الكون.. ومنه نستمد المدد والعـون.. ونصـلي ونسلم على سيد هذه الأمةِ.. الذي كشف اللّه به الغمة.. رسـول اللّهِ إلى الكافة محمدٍ بنِ عبد اللّه.. صلى اللّه عليه وآله وأصـحابه الأئمة الكرام.. وعلى التابعين لهم بإحسانٍ وصدقٍ واتباعٍ إلى يوم اجتماعِ الأنام.. بأمر الملك العلاّم.

وبعد فيقول العبد الفقير إلى عفو مولاه أبو بكر العدني ابن علي المشهور: إنّ من نعمة اللّه التي يجب التحدثُ ا وتعميم خبرها بين الخاص والعام.. ما حرك اللّه به العزم لخدمة أسـلافنا الصـالحين بحضرموت، وإعادة صياغة تراجم حيا م رجالاً صالحين ونسـاءً صالحاتٍ ، ليقرأها جيلُ عصرِنا بلسان الحاضر من جهـة، وسـد ثغراتٍ معينةٍ أراد المُغرِضون الدخول منـها إلى الطعـن المقصـود والمبيت في عقائد رجالٍ ونساءٍ صدقوا ما عاهـدوا اللّـه عليـه ؛ ليوهموا جيلَ الإعلام والأزلام أن السلف الصالح عبدوا اللّه على غير بصيرة.. وشغلوا الجيل ذه التهم المُرجِفة عن معرفة الحق وأهلـه ،

وعزلوا بينهم وبين التاريخ الناصع.. ووجهوا أنظارهم إلى عيـوب الماضي مع إهمال الواقع.

وفي هذه الـترجمـة أخـذنا طـرفـاً مـن حياةِ امرأةٍ تقيةٍ صالحةٍ عاشت في وادي حضرموت ، وبرزت في ميدان «التصوف» علماً من الأعلام حتى أطلـق عليهـا علمـاءُ التـاريخ «رابعـة حضرموت».

امرأةٌ من قبائل كِندة.. انطوت في مدرسة آل البيـت النبـوي وتأثرت ا.. وأثبتت للعالم والتاريخ أن هذه الطريـق ومقاماتِهـا ليست حكْراً على أسرةٍ ولا سلالةٍ ولا جماعـةٍ ولا تيـار.. وأن الاحتكار صفةُ التجار الفجار في آخر الزمان يـوم يصـير العلـم مقبوضا.. والحكم عضوضا..

فاقرؤوا معي هذه الترجمةَ لتتضِح لكم معالم الطريـق.. وباللّـه التوفيق .

المُؤلّف

من هي الشيخة سلطانة ؟

هي سلطانة بنت علي الزبيدية نسبة إلى آل الزبيدي، وهم مـن قبيلة بني حارثة الكِندِية ، وقيل: من مذْحِج[1].

ولدت الشيخة سلطانة ببادية العر ، وهي العراء الممتد شـرقي قرية «مريمة» إلى اية الحوطة المعروفة اليوم بحوطة سلطانة ، وتبعد عن مدينة سيئون بنحو ثلاثة أميال[2] ، وهي البادية التي كانـت تسكنها قبيلة «آل الزبيدي» وهم من القبائل الكِندِية المسلحة التي أُثر عنها مثل غيرها من القبائل الشدة والبأس.

نشأت سلطانة في أسرةٍ بدويةٍ تعنى بأمور الرعي والماء والكـلأ وشرف الذات والنـزعات وما شا ها في حياة البداوات.. إلا أن نفسية هذه الفتاة كانت على غير ما يعهد في سائر الفتيات.. حيث

---

(١) «أدوار التاريخ الحضرمي» للشاطري ص٣١٠ بتصرف .

(٢) يؤيد هذا المَنحى أ ـم من مذحج ما قاله ابن شهاب في «ديوانه» يمدح به أبابكر الزبيدي ص١٨٤ :

مِن سِر سادة مـذحِجٍ مِـن آل قَحـ ـ

ـ ـطانٍ وقَحطـانُ الكِـرام السـبق

كانت تميل إلى الهدوء والعزلة عن مثيلا ا المستغرقات في فجاجـة الصبيان وا ماكهم فيما يبدو حـولهم مـن الظـواهر والمظـاهر السطحيات ، وما أن كبرت قليلا حتى بدأت تشـعر باسـتقباح سلوك البداوة من ظلمٍ وبطشٍ وأذى ، وتتطلع إلى نـداء الفطـرة العميق الذي كان يجذ ا إلى نور الإيمان.. ويهـديها إلى أسـباب الاطمئنان.. وكان أفضل ما يساعدها على هذا النـداء الفطـري سكون الليل وهدوء العراء الفسيح ، وسمـاع أخبـار الصـالحين وأحوالهم في أمسيات القبيلة وأحاديثهم.

وتعمق هذا الاتجاه الفطري في نفس الفتاة ونمَا مع نمُوها العمرِي وهي ترى في ((الواقع الحضرمي)) وتسمع عن عبادٍ وزهاد وعلماء أتقياء صلحاء يتناقل البدو أخبار كراما م ، ويخشى حملَةُ السـلاحِ قوتهم الروحية وإيمانهم المتين ، ويها م الخاص والعام ، بل ويبلـغ من قوة آثارهم النورانية قدر م الخارقة على فَـض النـزاعات وإيقاف الحروب الطاحنة بين القبائل دون الحاجة إلى سلاح أو عتاد ولا جيوش مقاتلة.

أخذت هذه الفتاة النيرة تتابع أخبار هؤلاء الصلحاء وتتقصى أنباء نشاطهم وحركتهم في الوادي ، وتسعى بقدميها إلى أقرب المساجد تنظر إلى طلعة النور المتجلي على رجالهم ودعا م كلما ترددوا على البادية وما جاورها ، ينشرون الدعوة إلى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكان لها ذه النظر والمتابعة إضافةٌ وإضافة تبني في داخل نفسيتها الغضة بيتاً من التصوف في أسمى صوره الفطرية وعطاءاته الأولية.

لقد انتقش في قلب الفتاة الخيرة كثير من المواعظ والمذاكرات التي سمعتها، وانتعش روحها وروحها بممارسة الكثير من أعمال الطاعات صلاةً وصوماً وأذكاراً وانشغالاً تاماً ا وبما شاكلها من أفعال الصالحين.. تلك الأفعال التي استحوذت على كل همها وهِمتها حتى كادت أن تأخذ عليها جل وقتها وهي لم تزل بعد في سن اليفاع .

رابعة حضرموت

هكذا أطلق عليها المؤرخون الاسم ، وكـان مناسـباً لحالهـا ومقامها، فالشيخة سلطانة قد أخذت منذ نعومةِ أظفارها بطريـق التصوف سلوكاً وحالاً، وتفوقت ذا على رابعة العدوية في التاريخ الإسلامي ، وفي هذا المضمار كتب المؤرخ السيد محمد بن أحمـد الشاطري في ((الأدوار)) :

((وتختلف عن رابعةَ في كونِها مِن حينِ نشأتِها وهي متدرجةٌ في أحوالِ ومقاماتِ الصوفية)) [1].

لقد يأ للشيخة سلطانة الأخذُ بطريق التصوف في سن مبكـرةٍ ووجدت الطريق ممهداً لها في كل موقع من مواقع الوادي ، وبرغم أ ا كانت تسكن بادية العر حيث يسكُن أهلُهـا وقبيلتهـا إلا أن العديد من علماء تريم ودعاة الوادي في سيؤون والغرفـة وشـبام وغيرها كانوا يترددون على تلك الناحية خلال أيـام الأسـبوع ، ويمرون بتلك البادية ويشنفون الأسماع بالحكمة والموعظة الحسـنة ويستجذبون حملة السلاح إلى أدب الإسلام ومعرفة حقوق أهله.

---

(١) ((الأدوار)) ص٣٠٨ .

وكان وضع البادية وأسلوب حيا م يساعد الشيخة سلطانة على البروز باحتشام في أخريات المساجد. وفي أطراف حلقات العلـم والدعوة إلى اللّه وحضرات الذكر لتنعم بسماع المذكرات وليهـدأ بالها ويحيا وجدا ا الفطري بأناشيد الصلحاء وأنغام المواجيد المألوفة آنذاك ، وصارت الشيخة سلطانة مألوفة لدى الخاص والعام في تلك الناحية ذا التفرد الغريب والتوجه العجيب.

والغرابةُ والعجب فيه أنْ واقع قبيلتها البدوي وبيئتها القبليـة لا تألف مثل هذه الأحوال ، فالقبائل البدوية بحضـرموت تـوالي آل البيت وتحبهم وتميل إلى المشايخ ورجال العلم وتحترمهم وتكرم من جاء منهم لنشر العلم وبث الدعوة إلى اللّه ؛ لكنهم لا يجـدون في أنفسهم أي استعداد لقَبول فكرة التصوف الداعي إلى ترك السلاح الظاهر والاهتمام بالسلاح الباطن وهو العلـم والعمـل هـذا في الرجال، وكذلك نساؤهم فهم يألفون حياةً خاصةً لا علاقـة لهـا بالمواجيد والوعظ وحلقات الذكر والاستغراق في مفاهيم الأحوال ومراتب الرجال .

لكن رابعة حضرموت « سلطانة بنت علي » كانت ذات عـزمٍ وتصميمٍ وقوةٍ إرادةٍ استطاعت ا أن تنتزع الإعجاب الطوعِي من

قبيلتها أولاً ثم تجد من شيوخ عصرها غاية العنايـة والاحتضـان والرعاية . وكانت إشارات القبول وعلامات الإقبال باديةً عليهـا وملِحةً على جوارحها مرحلةً بعد مرحلةً، حتى اشـتهر صـيتها وخبرها في الوادي .

والوادي كله قائم في علاقاتِ رجاله وعلمائه وصلحائه علـى حسن الظن بالعباد الصالحين، ومقياس الجميع في هذه القاعدة هـو ((الاستقامة وملازمة مواقعها والجلوس مع رجالهـا وشـيوخها))، وهكذا كانت رابعة حضرموت.

لقد أثبتت الشيخة سلطانة منذ صباها أ ا خير من يقوم بـأهم أعمال الأسرة في الحياة اليومية، فهي ((تقوم بالغزل والنسيج وتربية بعض الدواجن وإعداد الطعام وطبخه للأسرة وغير ذلك))[1] كما أ ا في ذات الوقت ((تقيةٌ صبورةٌ متصوفةٌ واعظةٌ مرشدةٌ لهـم)) ، وهي أيضا مثال العفة والطهر والنـزاهة والشرف ، ترعرعـت في جو مفعم بالكرامة والأخلاق المتوارثة عن القبيلة، وزادها الأخـذُ بالتصوفِ سمواً وعفةً والتزاماً أرقى.. وصدقاً وإيمانا أنقى وأبقى.

---

(١) المصدر السابق .

كيف اقتنعت قبيلة سلطانة بمنهجها الصوفي ؟

شاءتِ الأقدار خلال ظهورِ الشيخة سلطانة في باديتها أن يظفر بعض أفراد أسرتها وهم ((حملَة السلاح)) بـبعيرٍ تائـهٍ في بعـض الطريق، فأخذوه غنيمة لهم ، وكان هذا البعير مِلكاً للشيخ الصالح ((محمد بن حكم باقشير))، فلما بلغه الخبر دعا اللّه سبحانه وتعـالى أمام الملأ أن يهديهم إلى سبيل الرشد إن كـان دافعهـم الحاجـة والفاقة.. أو أن ينتقم منهم إن كان واقعهم البطر والظلم.

ولما كان تركيب هذه البداوة هو الفطرة التي فطر اللّـه النـاس عليها برغم ما شابها من سورة النفس والشيطان إلى الظلم والنهب، فإن أسلوب المعاملة التي بلغتهم من الشيخ باقشير وعـدم غضـبه عليهم أو رفعهم إلى الحكام مستعيضاً عن ذلك بالدعاء لهم حرك في نفوس هؤلاء البداوة ما قد حركته في أنفسهم أختهم الصالحةُ التقية من الفطرةِ النقيةِ والتوبة الخلصاء ، فأنبتهم أنفسهم وتابوا وأنابوا.

وكانت هذه الحادثة عاملاً مساعداً وسبباً مسانداً لأختِهم على استمرار دعوتها وعوناً على استمرارها في أسلوب حياتها الروحية. ولم يقف أثر الهداية عند هذا الحد بل تروي بعـض المصـادر أن

أخويها عمر ومحمد تأثّرا بدعو ا وموقفها الثابت ، ومن ثم تحَكموا معها للشيخ محمد بن عبدالله القديم باعباد ، كما امتد أخذهم مثلها بعد ذلك عن بقية شيوخ الوادي وأكابرهم [1] .

شيوخ الأخذ للشيخة سلطانة

نضجت المفاهيم الفطرية التي اكتسبتها الشيخة سلطانة من داخل هذا الواقع البسيط، وبدأ مفهوم الأخذ والارتباط بأئمة الطريق يِلح على قلبها ويزعجها في مسيرة الإيمان ، ونداء الذوق المتنامي يحدوها إلى أخذ العهد والتحكيم طريقةً وسلوكاً لتصبح في واقـع الحيـاة عنصراً مسؤولاً ومتدرجاً ضمن مدرسة ذات أبعاد .

وكان أول من وضعت عليه حملَ الأخذ وسند الاتصال ـذه الطريق هو الشيخ العلامة الناسك محمد ابن عبد الله القديم باعباد ، وكان مقيما بالغرفة قريباً من بادية الشيخة سلطانة ومسكن قبيلتها. ومن هذا الباب الصوفي انفتح لها تسلْسلُ المَنحِ والعطاءِ الكسـبي ثم

---

(١) المصدر السابق ص٣٠٩ ، و« الجوهر الشفاف » (٢: ١٤) .

الوهبي زيادةً على ما نالته بجِدها وصبرها ، وقد كانت من أهم ميزاتها أنها عاشت متبتلةً عازبةً لم ترض بالزواج ولم تستشعره كمطلب، بل استعاضت عنه بالاتجاه الأوسع وهو استجابة مطلب الروح، المطلب الذي تغذت به جوارحها منذ صباها. هذه الجوارح التي تنامى فيها أثر الطاعات وملءُ شواغر الأوقات عبر حياة الصبا واليفاع ، ما بين رياضاتٍ نفسية وتوجهاتٍ قلبية إلى المولى سبحانه وتعالى .

حتى سمت هذه الرغبات الروحية فوق كل شيء وأثمرت في سلطان الجوارح « القلب » ثوابت أخلاقيةٌ وضوابطُ نفسيةٌ وهمةٌ روحيةٌ يصغر تجُاهها كل مطلب جسدي وشهوة ولو كانت من حلال.

ومن هذا المنطلق السلوكي العالي صارت روح هذه المرأة الصالحة فَياضةً بالشفافية الإنسانية المهذبة بالطاعات ، بل صار من ثمرات شفافية الروح نمو الذوق من جهة ، وسهولة الأعمال الصالحة على جوارحها من جهة أخرى، حتى أثر عنها كثرةُ مرائيها للنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم.

وهكذا اتجهت حاملةً هذا المَطْمح نحو شيوخ العصر والمصر تزورهم في بيوتهم وتغشى أطراف مساجدهم وتجلس في محاضر ذكرهم ومواجيدهم ، وقد بلغ إلى مسامعهم خبرها ووصل إليهم تفردها عن جملةٍ ما حولها ، وما ترسخ في قبيلتها وقومها من قوةِ تأثيرها وأثرها . فكان لها بهذا الاتصال أعظم الشرف جملةً وتفصيلاً، وارتقى عندها مفهوم الاتصال إلى كونه سبباً للاتصال بدوحة المصطفى صلى اللّه عليه وآله وسلم ممثلاً بأبنائه من أهل بيته.

ولهذا أدركت حقيقة المسؤولية الشرعية تجاه هذه الذرية ، فكانت تقول لبعض شيوخها من آل باعلوي: « وعِزةِ المعبود لو في لَحمِي لك مصلحةٌ لَبريته » ، وتقول في مذكراتها للناس: « إني أرى لآل باعلوي أشياء فوق الناس » ، تعني منازل ومواهب فوق منازل ومواهب من سواهم من المشايخ والأولياء [1].

وكان أكثر اتصالها وارتباطها بالشيخ عبد الرحمن السقاف وأولاده ، ولها فيهم العديد من المقالات والعبارات التي تدل على

---

(١) « الترياق الشافي » ص٤٩ .

مدى إكبارها وإجلالها لآل البيت النبوي عن حرارةِ صدقٍ وإيمان تجربةٍ وفراسةِ إيمانٍ ، لا مجاملةً أو تزلفاً أو تكلفاً .

فالشيخ عبد الرحمن السقاف كان آنذاك رجلَ العصر وإمامه ، وكان كثير السفر إلى نواحي تريم داعياً ومعلماً وهاديا . وكانت بادية العر حيث تقيم «الشيخة سلطانة» إحدى لهذه النواحي التي يتردد عليها بين الحين والحين. وزاد تردده على تلك الناحية بعد أن تزوج ا على امرأة من تلك القرية [1]، وفي كل مرة يأتي إلى هذه القرية يجلس في مسجدها لنشر العلم والدعوة إلى اللّه وعقد محاضرات الذكر [2] ، وفيها يجتمع عليه الناس زرافاتٍ ووحداناً يأخذون عنه ويستمدون منه وتبتهج الناس به أيما ابتهاج .

ولأجل هذا الحال ولحقيقة ما يشهده الصالحون كانت الشيخة سلطانة تقول: إذا أراد الشيخ عبد الرحمن رضي اللّه عنه أن يجيء

---

(١) ذكر ذلك صاحب «الجوهر الشفاف » في حكاية رواها الشيخ محمد بن علي الزبيدي أخو الشيخة سلطانة (٢: ١٤) ، وذكرها مرة أخرى في حكاية عن الشيخ عمر بن عبد الحق بن بخيت (٢: ٣٠) من «الجوهر» .

(٢) ورد ذلك في « الجوهر الشفاف » خلال حكاية ذكرها المؤلف عن عبد الرحيم الخطيب (٢: ٦٦) .

عندنا أرى قبلَ قدومه بقليلٍ مكاننا وما حوله متعشباً كعشب الغيث الغزير ، ثم أسمع بعد ذلك منادياً يقول : جاءكم السلطان ابن السلطان [1] .

وهذه السلطنة التي تتحدث عنها هذه المرأة الصالحة إنما هي السلطنة الروحية ، وكانت حقيقةً تمثلُ مقام سلطنةٍ ومملكة تحقيقاً لقول الشاعر :

ملُوك على التحقيقِ ليس لغيرهِم
مِن المُلْكِ إلا إسمه وعِقابه

وفيهم يقول الشيخ أبومدين :

ما لّذةُ العيشِ إلا صحبةُ الفُقَرا
هم السلاطِين والسادات والأُمرا

وقد امتلأت جوانح الشيخة سلطانة بالشيخ عبد الرحمن حتى صارت تشهده في غالب أحاِيينها لِما طَرأ عليها من قوة التعلق وصدق الوجهة ، فها هي تميز هذه الخواطر الواردة عليها عند ذكر الأولياء والصلحاء والشيوخ الذين ارتبطت م في سلوك الطريق .

---

(١) « الجوهر الشفاف » (٢: ٧٥) .

« كل من جاء عندي من الأولياء عِلِمت به قبل وصوله ، فـإذا وصل دخلَ علي الباب إلا الشيخ عبد الرحمن فإني لم أشعر بـه إلا وهو قائم عندي» .

وتفسير هذه العبارات لا يرضخ لمفهوم الظاهر بل ربما هو لمـا يطرأ عليها في سرها من ورود مدد الأولياء وأثرهم على الـروح . وللأولياء سِر يميزون به الأمور.. بل وقد ينكشف لهم بنـور اللّـه بعض ما يدور.. وجاء في الأثر « اتقُوا فراسةَ المؤمن فإنه ينظر بنور اللّه » ، ومن هذا المطلع النوراني تقول الشيخة سلطانة : « كُل ولي للّه تعالى قد عرفْته جماً أو قليلاً » . قالت : «ومنهم من عرفـت حاله إلا الشيخ عبد الرحمن» .

أما علاقتها الروحية بالشيخ أبي بكر السـكران ابـن الشـيخ عبدالرحمن السقاف فكانت لا تِقِل عن علاقتها وارتباطها بأبيـه ، وكان الشيخ أبوبكر السكران كثيراً ما يتردد على قريتها على أثَـر والده في نشر العلم والدعوة إلى اللّه . وإلى هذا أشـار صـاحب «الجوهر الشفاف» بقوله:

وكان الشيخ أبوبكر رضي اللّه تعالى عنه كثيراً ما يزور سلطانة المذكورة ، وبينه وبينها صحبةٌ ومحبةٌ عظيمة، وإذا أراد القدوم عليها

تقول لأهل بلدها قبل قدومه إليهم بيومين أو ثـلاث : ((رحبـوا بالسلطان ابن السلطان ، إني سمعت الشاووش [1] ينادي بقدومه ، وأرى الغاشيةَ على رأسه ، والملائكةَ تشيعه أمامه وخلفه)). وتقول: ((إني أسمع النوبة دائماً تضـرب في السـماء بالمشـيخة للشـيخ أبي بكر)) [2] .

(١) الشاووش كلمة أعجمية - وأظنها تركية - تعني قائد الحرس أو زعيم الفريق ، وتقصد هنا هواتف البشارات .

(٢) وكان من أسباب تردده على قرية العر تزوجه ا كوالده ، ذكر ذلك صاحب ((العقـد النبوي)) ص٨٣ وكان زواجه ا على الشيخة فاطمة بنت فاضل الزبيدي ، وأخـذها إلى تريم ومكثت معه عشر سنوات ولم تنجب له ففارقها ثم تزوجها من بعده الشـيخ عمر المحضار وحملت له ببنتٍ سماها مريم ، وقد ذُكر ذلك في سياق حكاية تشـير إلى علاقة آل الزبيدي بآل عبد الرحمن السقاف .

وقولها : ((إني أسمع النوبة)) حكايةٌ عن واقع الحال لما يجري في مكنون القضاء بتقديم الشيخ أبي بكر على الجميع، ويطلق أيضا لدى الصوفية اسم ((النوبـة)) على مجمع أرواح الصالحين في عالم البرزخ، وأما الغاشية على رأسه فالمقصـود إكليلُ مظهر الولايةِ وأنوار الجاه والمظهر النوراني لطلعته السنِية ، وأمـا تشـييع الملائكة فهو محقوق به، وقد ورد : ((إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلـم رِضى بما يصنع)) فكيف بناشر العلم وحامل رايته ؟

وقد منح اللّه الشيخة سلطانة البركة في العمر حتى أدركت عقب الشيخ أبي بكر السكران ، فكانت تعامل الحفيد معاملتـها لـلأب والجد .

فكما كانت تعظم الشيخ أبابكر السكران في حياته فقد كانت تقول فيه بعد مماته : « لما مات الشيخ أبوبكر رضي اللّه عنه وهبه اللّه تعالى مواهب عظيمةً لا أعرف أحداً من الأولياء أُعطي مثلـها إلا أن يكون أهلُه المتقدمون»[1] .

وكذلك كانت مع بقية أبناء الشـيخ عبـدالرحمن السـقاف كالمحضار [2] والشيخ حسن وسيأتي في حديثنا عن الأدب الصـوفي للشيخة سلطانة نموذج من أشعارها الذي كان بسبب حوار جرى بينها وبين الشيخ حسن بن عبدالرحمن السقاف في مجلس والده .

---

(١) « الجوهر الشفاف » ص١٣٤.

(٢) ورد في ((العقد النبوي)) (٢: ١٢١) أن الشيخة سلطانة رضي اللّه عنها قالت: ((رأيت الشيخ عمر بن عبد الرحمن ـ رضي اللّه عنه ونفع به ـ في قبة من نور مرتفعة في السماء وجميع الأولياء تحتها وهي فوقهم مثل النجم)) .

أما محبتها وإجلالها للسيد عبد اللّه العيدروس ابن أبي السـكران فقد أشار ((الجوهر الشفاف)) إلى ذلك برغم أن العيدروس في ذلك العصر لازال صغيراً .

جاء في قسم الحكايات ص١٤٦ قوله : ومنها ما جاء عن الرجل الصالح معروف بن أبي عباد وسلطانة بنت علي الزبيدي كثيراً مـا يعظمون الشيخ عبد اللّه ويجلونه ويستعظمون ما وهبه اللّه تعـالى. وقال بعض الثقات: أتيت يوماً عند العارفة باللّه سلطانة بنت علي الزبيدي فجعلت تمدح الشيخ عبد اللّه بن أبي بكر وتعظمه وتذكر في صفاته ، ثم قالت لي بعد ذلك : ((عليك أمانةٌ إنك إذا وصـلت تريم تقبل على رأسه)) ، فلما دخلت تريم وجدته يلعب مع الصبيان ففعلت ما أمرتني به وفي ذلك يقول مؤلف ((الجوهر الشـفاف)) شعراً :

وبنت الزبيدي كـم أشـاروا وأفصـحوا
بتعظيمِـــه شــاباً لجَــزل عطِيــةِ

أي : بتعظيم الشيخ عبد اللّه العيدروس وهو في سن شبابه لمـا وهبه اللّه من جزيل العطيات والمواهب.

الشيخة سلطانة والأدب الصوفي

أثمرت شفافِيةُ الطاعة واستمراريةُ الذكر والفكر اطمئناناً في قلب الشيخة سلطانة ، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ وصار كل شيء في الحياة يحرك وجدان المرأة التقية إلى معرفة الإله سبحانه.

وفي كل شيءٍ له آيـةٌ

تدل على أنه واحِـد

ومن هذا المنطلق كانت حضرات الذكر إحدى وسائل شـحذ الذوق وإحدى وسائل قراءة النصوص الأدبية بمفهومٍ صوفي راقٍ.. لا تمت إلى فهم الناس الآخرين أمام المحسوسات بصلة .. إلا مـن أهل هذا القاموس ومن أهل ذوقه.

ومن ذات المنطلق أيضا كانت الشيخة سلطانة تعـبر بالشـعر الصوفي غير المتكلف عن أصدق أحاسيسها وحـرارة وجـدا ا . وكان غالب أشعارها في المحبة الإلهية والأنس باللّه وطاعته ، ومنـه جزء آخر في مدح شيوخها وتعظيم أحوالهم ومقاما م [1] ، ويتميز

---

(١) منها ما دونَ في ((ديوان الحضرة)) ص١٨-١٩ وتقولها في الشيخ عبـدالرحمن

شعر الشيخة سلطانة بميله إلى الأسلوب الشعبي الـدارج والشـعر الإنشادي الغنائي ، وكثير منه ما ينشد إلى اليـوم في ((حضـرة الشيخ السقاف)) بتريم [1] .

وذكرت كتب التراجم أن الشيخة سلطانة كانت تأتي إلى تـريم وتجلس في أخريات ((مجالس الشيخ عبد الرحمن السقاف)) تستمع للدروس العلمية والأناشيد الصوفية وتتبادل مع المشايخ الحديث في مسائل العلم وغوامضه وقد تلقي على الحاضرين بعـض الأشـعار الصوفية لها ولغيرها.

السقاف :

ألا يــا مرحبــاً بالمُقَيِلينــا   وبالشيخ الذي فيهم يضِـينا
سراج عند ظُلْمـاتِ الليـالي   يسلّي كل من قلبه حزينـا
لأنه خـاض في بحـر المحبـةْ   وحافظ سادته عهداً مكينـا
ألا يـا رب فانفعنـا بجاهِـه   نعم يا رب إنـا مـذنبينا
ونختم بالصلاةِ علـى محمـد   صلاةً دائمةْ في كـل حينـا

(١) أسس هذه الحضرة المباركة الإمام الشيخ عبدالرحمن السقاف المتوفى عام ٨١٩ من الهجرة .

وفي أحد هذه ا الس دار حديث عن سبيل المباسطة بينها وبين الشيخ حسن عبد الرحمن السقاف بحضرة أبيه ، ومفاد الحديث أنه لا يليق أن تكون « أنثى الجِمال » تسابق وتضارع الذكور ، وقال في ذلك شعرا :

يا ما اسفَهش ما بدا بكْـره ِتمـاري جمـالْ

فاستأذنت « سلطانة » الشيخ عبد الرحمن أن تجيب على ولـده فأذن لها فقالت بدون إبطاء :

الحمـلْ بالحمـلْ والزايـد لـبن والعيـال

وتشير في هذا الشطر أ ا أنثى ولكنها حملت حملَ الرجال مـن مقاماتٍ وأحوالٍ، وزادت على ذلك بالنفع الذي يعرف في الأنثـى باللبن إشارة إلى التربية ، والعيال إشارة إلى حفظ النوع بالسلالة ، وهذا ما لا يستطيع الرجل حمله والقيام به ، فسر الشيخ عبد الرحمن بسرعة بديهتها وحسن جوا ا [1] .

---

(١) « أدوار التاريخ الحضرمي » ص٣٠٩ .

الشيخة سلطانة ودورها في نشر العلم

تميزت المدرسة الصوفية بحضرموت باهتمام شيوخها وعلمائهـا وتلامذ ا بنشر الدعوة إلى اللّه تعالى وتعليم الجهال والبداوات وبذل غاية ا هود في ذلك بأبسط المقومات والوسائل.

والعجيب في هذا التضافر أن الدعوة إلى اللّه تنشر علـى هـذا النمط إلى اليوم ، وربما كانت في بعض الأحوال على أيدي التلامذة والمريدين في أول سلوكهم وطلبهم للعلم. وذلك لما يخالط قلـو م من بشاشة الإيمان وحرارته وتشجيع الشيوخ علـى ربـط العلـم بالعمل ، وربطُهما معا بالإبلاغ.

وعلى هذا الحال نشأت الشيخة سلطانة ونمت وترعرعت ، بل وتفتحت مواهبها على سماع الدعوة إلى اللّه ومجالسة أهـل العلـم والذكر، وبدأت منذ ذلك الحين تقوم بنشر ما اعتلج في صـدرها وتدعو إليه أقار ا وقبيلتها .

وأما في مرحلة ظهور مقام السلطانة وتعرفها على أساليب نشر الدعوة إلى اللّه في سائر بلاد حضرموت ، وترددها على تريم ومـا جاورها من مواطن المشايخ الأكابر، فقد رأت أن للعلم وللتعلـيم مواقع وأبنيةٌ تهتم بالناشئة وتعتني بالفقراء وتأوي المحتاجين وأهـل

الفاقة والعوز ، فلم تألُ جهداً في بذل المزيد من الوقت للدعوة إلى بناءِ رباطٍ متكاملٍ في نواحي بادية قبيلتها ، يكون لها الإشراف عليه ونفقته ، فتم لها ذلك في أقربِ وقتٍ وزمان، حيث ذكرت كتب التراجم أنها بنت رباطًها في قريتها ولكنهم اختلفوا في ماهيته ووظيفتِه ، فبعضهم وصفوه بأنه رباطُ علمٍ وطلبٍ وإيواءٍ للدارسين، ومنهم من وصفه بأنه « رباط الفقراء » لإنزال الضيوف والغرباء وإعانة المحتاجين .

وأياً كان المقصد فالهدف سامٍ والمقام ملائم لكِلا الحالين ، والمرحلةُ ذاتها كانت تحتاج لأربطة للفقراء كما تحتاج لأربطة العلم، والفقراء الصوفية لا يجمعهم في الأربطة غير الذكر ومجالس الحضرات والعلم ، وكان شيوخ الزمان يميلون إلى التردد على هذه الأربطة لجمع الفقراء وتعليمهم وعقد حلقات الذكر معهم ، وقد بقي هذا الرباطُ المذكور بعد وفاة الشيخة سلطانة مدةً من الزمان . وهو جزءٌ لا يتجزأ من حوطِتها المعروفة باسمها إلى اليوم . تلك الحوطة التي ظَلت ردحاً من الزمن ولها من الاحترام ونشر الأمن وحفظ الوارد والصادر ما يجعلها في مصف العديد من الحُوطِ الآمنةِ في أشد حالات الخوف والحرب والفتنة ، وكان ذلك كله يعود إلى

الجاه الواسع والمقام الكبير والصيت الذائع الذي بلغتـه الشـيخة سلطانة في حيا ا .

وقد ظل هذا الجاه والوجاهة من بعدها في العديد مـن أقار ـا وإخو ا من المشايخ « آل الزبيدي » الذين ظلوا في كل الأحـوال مرتبطين حِساً ومعنى بمدرسة وبأشياخ آل البيت في تريم وسـيؤون وغيرها ، يأتمرون بالمعروف ويوالُونهم في البأساء والضراء ويبرهنون على تلك المحبة الخالصة بالقول والفعل.

نهاية المطاف في حياة الشيخة سلطانة

عاشت الشيخةُ سلطانة كل حياِتها مضـرب المَثـل للمـرأةِ الحضرميةِ الصالحةِ التقيةِ النقية ، جامعةً بين العلم والعمـل وبـذل ا هود في الحياة الاجتماعية المستقيمة، مؤديةً كافة الحقوق لقبيلتها ولشيوخها ، وقبلَ كل هذا قائمةً بحق ر ـا في أصـدق الصـور وأخلص النماذج والأمثلة.

ومع هذه الشهرةِ الواسعة والجاهِ العريض في الأوساط الحضرمية فإن التراثَ لم يحفظ لنا عنها ترجمةً شافيةً ووافيةً ، وإنمـا بقيـت

شذَرات قليلةٌ متفرقةٌ في كتبٍ شتى.. وحسبنا منها ما عبـر بـه الأستاذُ الشاطري في ((الأدوار)) : أ ا قامت بدورٍ إصلاحي رفعت به شأنَ قومِها وبلدها .

ولـو كـانَ النسـاءُ كمـن ذَكَرنـا

لَفُضـلَتِ النسـاءُ علـى الرجـالِ

وزيادةً على هذا فإ ا أثبتت بالملموس أن طريق التصـوف في حضرموت لم تكن دعوةَ انعِزالٍ وخمُولٍ ورهبنةٍ قاطِعةٍ عن المشاركة في الحياة ، وإنما هي دعوةُ شرفٍ وعفةٍ ومشاركةٍ نـزيهةٍ وواعيـةٍ في كل ما يبعث على نشر محاسن الإسلام وإقامة حدوده في الذات والقبيلة والحياة ، ليس في عالم الرجال وحدهم ، وإنما للنسـاء في هذا ا ال باع واسع ومجد أَثيل ، حيث عرف الواقع الحضرمي من النساء الصالحاتِ عدداً كبيراً، نرجو اللّه تعالى أنْ يوفقنا لإبرازِ مـا تيسر لنا من تراجمهم وأخبارهم ليقرأ الجيلُ عنهم حقـائق تشـفي غليلَ الصدور،وتشهد للسلف الصالح بالعمل المبرور.

وقد كانت وفاة الشيخة سلطانة بمنـزلها الكائن في حوطتـها ، ودفنت هناك بعد أن شيعتها حضرموت في موكبٍ مهيبٍ من عام ٨٤٣ هـ رحمها اللّه رحمة الأبرار .

الخاتمـة

كان هذا واحداً من الأمثلة النسوية ذاتِ الارتباط بثقافةٍ مرحلـةٍ ، ونموذجاً من النماذج السليمة في عالم التصوف.. تلك المدرسة الجامعـة بين العلم والعمل ، وبين الإيمان باللّه والتوكل عليـه ، وبـين الأخـذ بالأسباب .

وللنساء في مدرسة السلف الصالح مكانٌ ومقام ، وقد تحدثت ـذا الحال والمقام هذه المرأة المسلمة التي ولدت في حيـاة البـدو وتـأثرت بمدرسة آل البيت ، وبرزت في الواقع الحضرمي إحدى نماذجِه الراقيةِ ، والنموذج الراقي في حياةِ المرأة الصالحة قديماً هـو التقـوى والقيـام بالواجبات دِيناً ودنيا، حيث لا مجالَ عندهم للخمول السلبي ولا عزلـةَ إلا عن الشر وأهله ، وقد صنعوا ذه القاعدة مجتمعاً صالحا.. ومجـداً باذخا.. رحِمَـهم اللّه رحمةَ الأبرار .





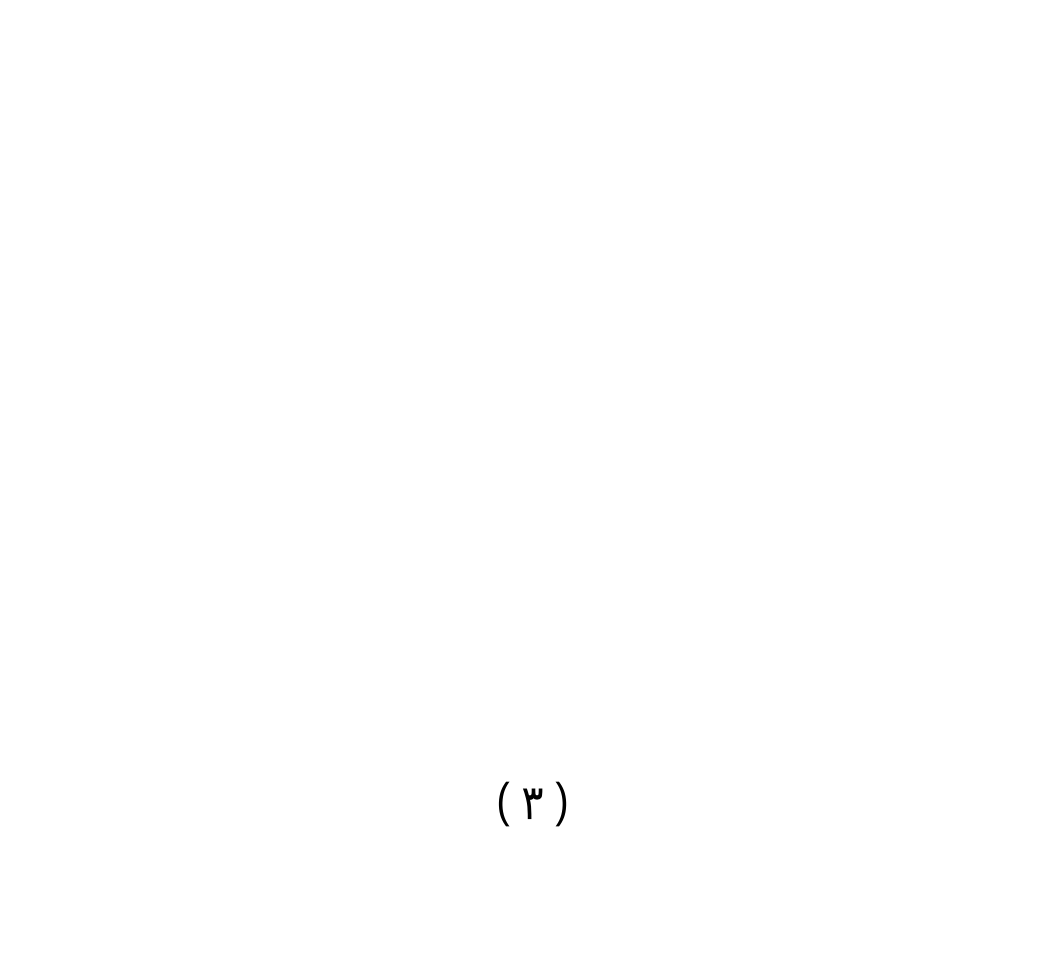
الفهرس

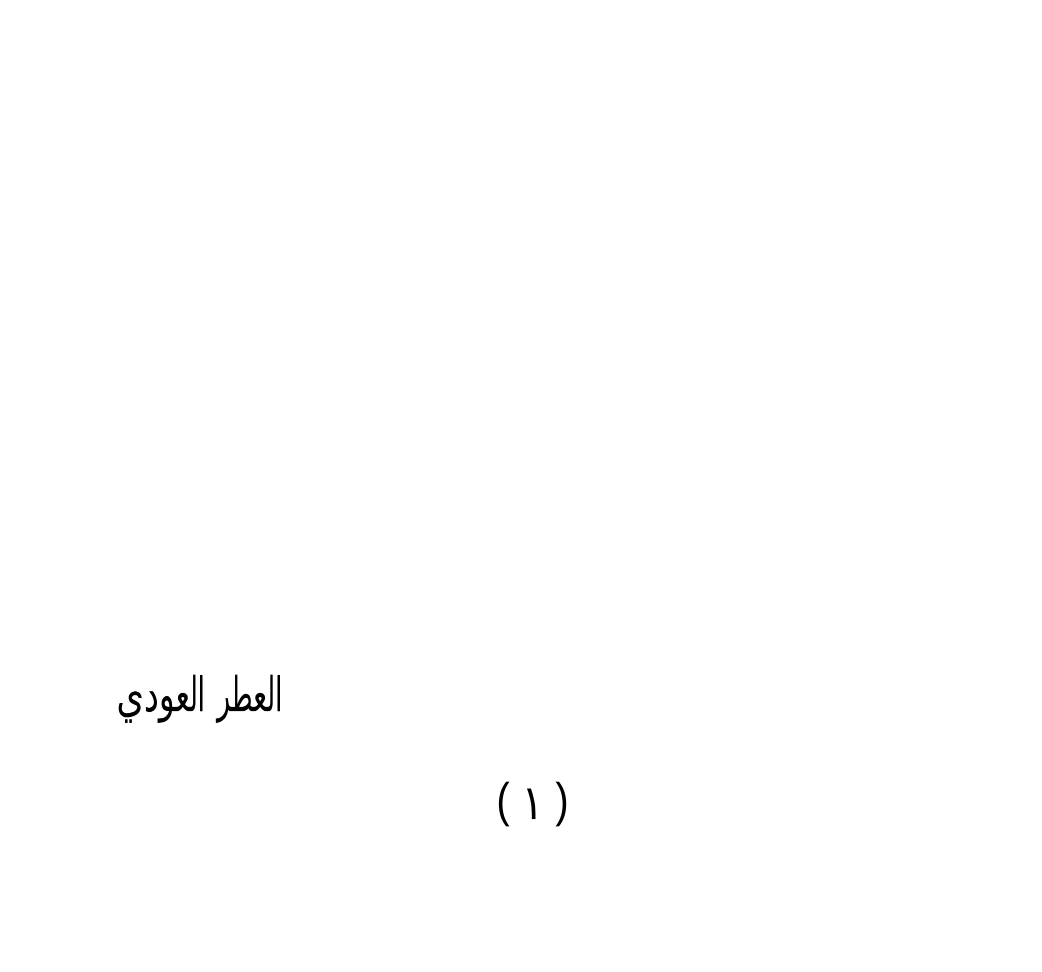
العطر العودي

في ترجمة

الشيخ سعيد بن عيسى العمودي

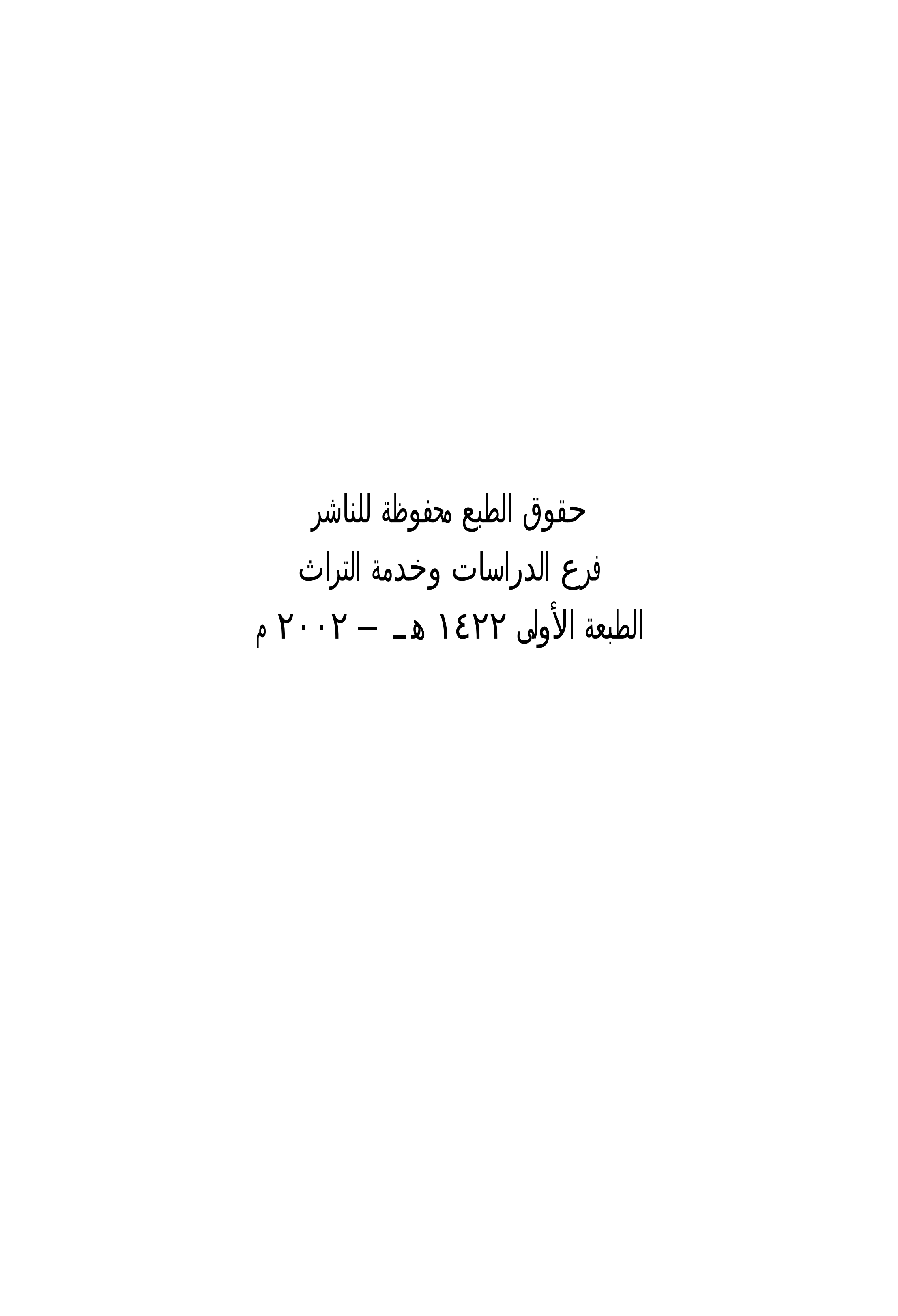
غلاف داخلي



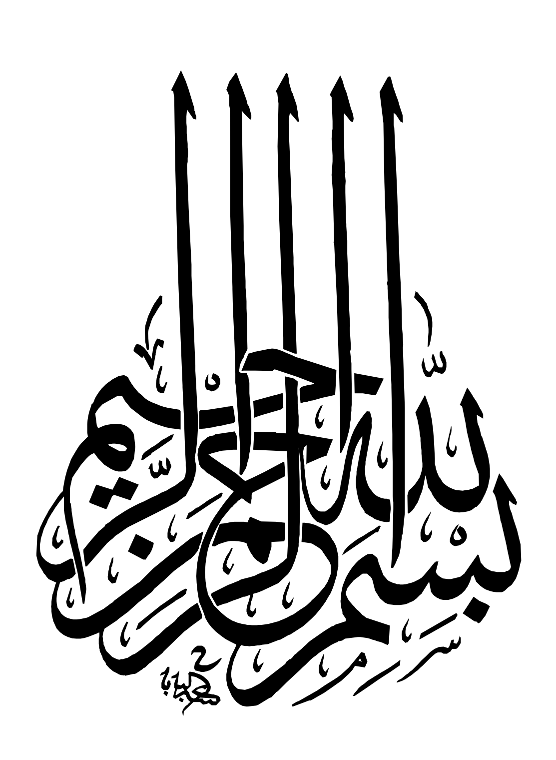


العطر العودي

(١)



الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م

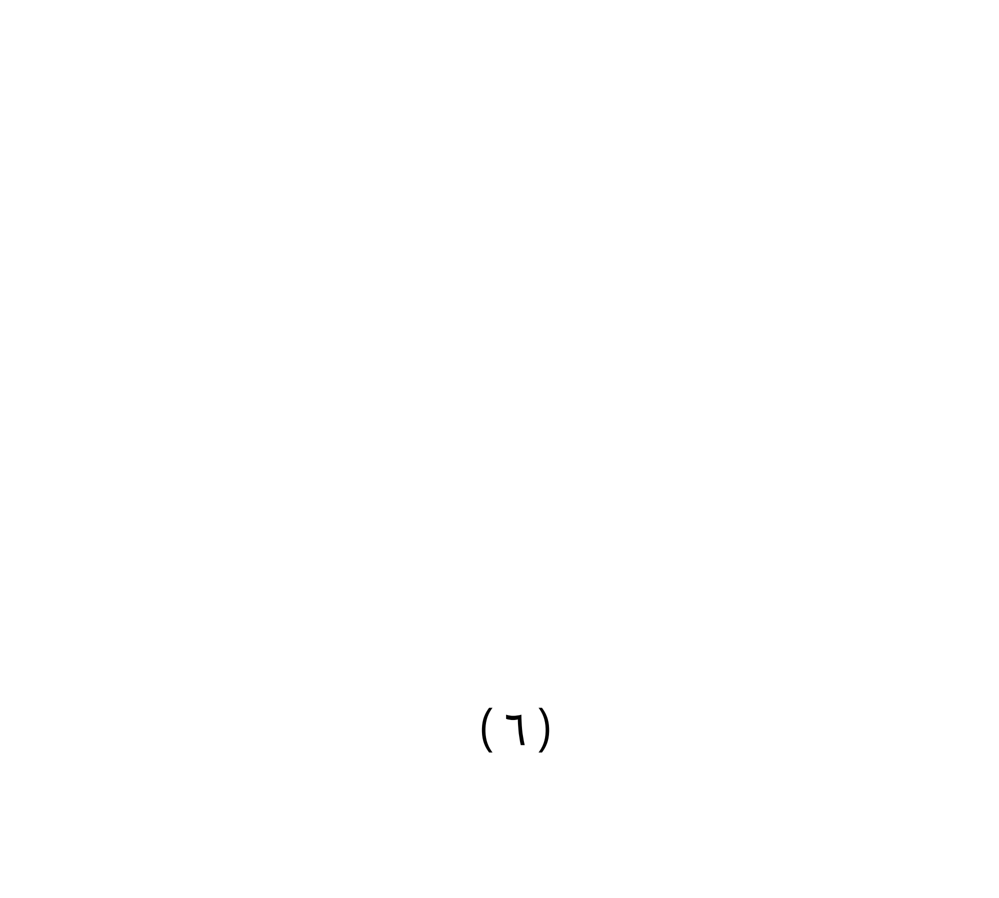

بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني

أمن هو قانت آناءَ الليل ساجِداً وقائماً يحذَر الآخِرةَ ويرجو رحمةَ ربهِ قُلْ هلْ يستوي الذِين يعلَمونَ والذِين لا يعلَمونَ . إنّما يتذَكر أُولو الألباب . قُلْ يا عِبادِ الذين آمنوا اتقُوا ربكُم لِلذِين أَحسنوا في هذِهِ الدنيا حسنةٌ وأرض اللّه واسِعةٌ إنّما يوفى الصابِرونَ أجرهم بِغيرِ حِسابٍ .

[الزمر: ٩-١٠]

(٦)



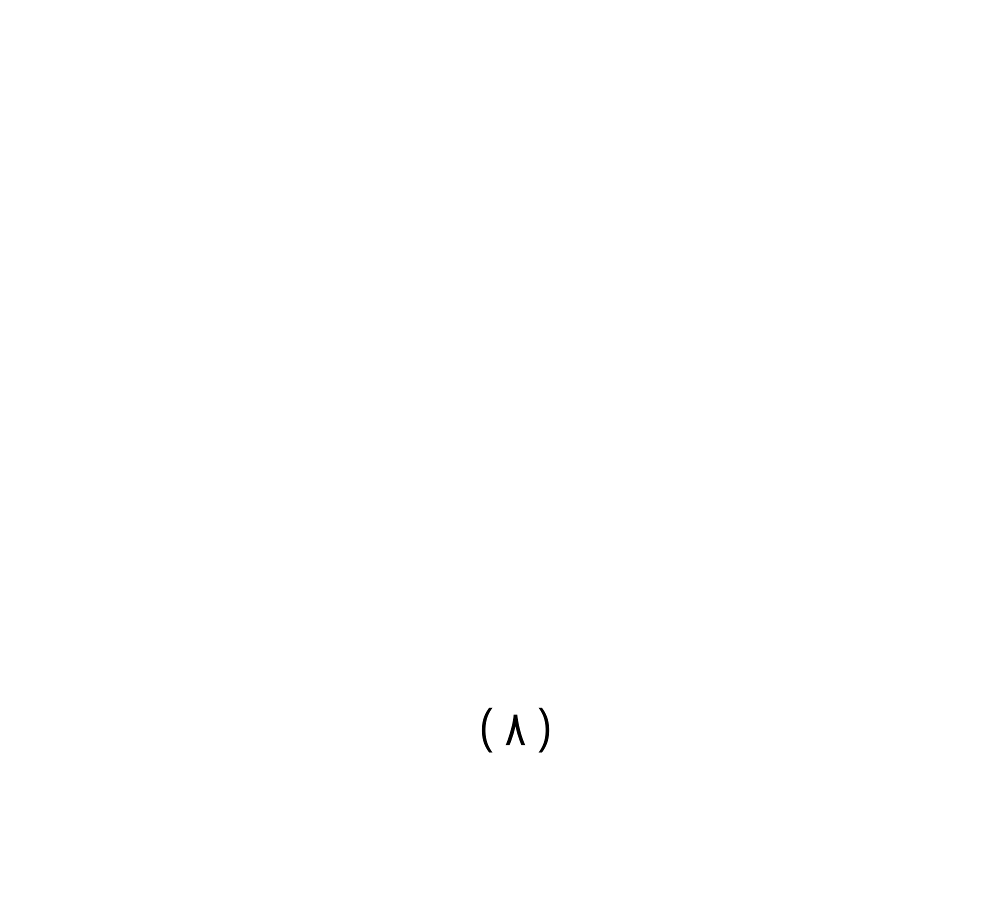
لسان الحال..

يا إخوان.. من جد وجد ، ومـن جاهـد شهد، ومن اتقَى ارتقَى، ومن زرع حصـد ، واللّه قَرِيب مجيب .

الشيخ سعيد بن عيسى العمودي

((عرائس الوجود)) ص٥٢

(٨)



الإهداء

إلى سلالاتِ الشيخِ سعِيدِ بنِ عِيسى العمودِي..

وإلى المُتطَلِعِين حقّاً إلى نماذِجِ السلَفِ الصــالح ، غير مغالِين ولا مكَذبين..

أُهدِي هذه الترجمة..

وأهيب بالسلالة، ممن اطلَع على هذِهِ الأمثلِة، أنْ يتقِي اللّه في لحُومِ الصــلَحاء.. أئمــةِ الطريــق.. وشيوخ الفَرِيق.. وهلْ يكُب الناس في النارِ علــى مناخِرِهِم إلا حصاِئد ألْسِنتِهم ؟

المُؤلّف



المدخل

الحَمد للّه غايةَ الحَمد، وله المِنةُ والفضلُ الـذي لا ينقطـع، والصلاةُ والسلام على النبي الأمي القائلِ: ((من حمى مؤمِناً من منافقٍ - أراه قال - بعثَ اللّه لَه ملَكاً يحمِي لحَمه يوم القيامـة مِن نارِ جهنم، ومن رمى مسلِماً بشيءٍ يرِيد به شينةً حبسه اللّه عز وجل على جِسرِ جهنم حتى يخَرج ما رماه))، وعلـى آلِـه الأطهار، وصحابِته الأخيارِ، وعلى التابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم القرار .

النسبة المباركة

هو الشيخ سعيد بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن شـعبان بـن عيسى بن داود بن محمد بن أبي بكر بن طلحة بن عبد اللّـه بـن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق خليفة رسول اللّه صلى اللّه عليـه وآله وسلم[1] .

---

(١) أشارت بعض كتب التاريخ والتراجم إلى نسبة المشايخ ((آل العمودي)) وصلتهم العرقية بالخليفة الصديق، وكما جاء في الأثر : ((الناس مؤتمنون على أنسا م))،

لقب بالعمودي لما كان رحمه اللّه مكثراً للصلاة والقيام ومحافظاً عليها، إذ هي عماد الدين، وأفضلُ قُربِ العبدِ في حالةِ المُناجاةِ، بل

وسلفنا الصالح حسب ما اجتمع لديهم من أدلة يقولون بهذا، فقد صرح الإمـام الحداد رضي اللّه عنه في نبذَةٍ كتبها عنه أحد تلامذته بعد زيارته لدوعن، ومنها مدينة «بضة» قال فيها : وطلعنا بضة واجتمعنا فيها بكثير من أهل الفضل من آل العمودي وغيرهم، إلى أن قال في وصف من لقيهم - ومنهم المنصب المعروف بـ« بوسِت » - قال : وهو والي منصب آل العمودي، وسمي «بوسِت» لأن له في كل يد ست أصابع، لأنه شبيه بعبد اللّه بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصـديق رضي اللّه عنهم ؛ لأنه جدهم، وينتسبون إليه على ما ذكره بعض سـاداتنا آل باعلوي نفع اللّه بهم، وقد حقق هذا القول المنسوب للإمـام الحـداد السـيد علوي بن طاهر الحداد في كتابه « الشامل »، فقال : وأول ما ذكـره الشـيخ محمد بن يس عن الحبيب عبد اللّه الحداد عند ذكر الشيخ عبداللّه بن عبدالرحمن بوسِت، وانتساب آل العمودي إلى سيدنا أبي بكر الصديق.

وقوله : « على ما ذكره بعض ساداتنا آل أبي علوي » فمراده بالبعض السيد الشريف عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر السكران ابن عبد الرحمن السقاف، له كتاب فيه الوقائع التي وقعت له في اليقظة والمنام، وما بينهما مـن اطلاعـاتٍ روحية، ذكر منها أنه اجتمع بروح الشيخ الكبير سعيد بن عيسـى العمـودي، وسأله عن نسبه، فذكر له سلسلة نسبه إلى أبي بكر الصديق، والقصة أطول ممـا ذكرنا، وقد رأيناها بقلم بعض أشياخ آل العمودي . انتهى مـن « الشـامل » ص١٦٦ .

ورد في الحديث، كـ «رأس الأمرِ الإسلام، وعمـوده الصـلاةُ» فسمي الشيخ سعيد لذلك «عمود الدين» مِن حيثُ اصطلاح أهلِ جِهته بنقلِ «العماد» إلى «العمودي».

ميلاده ونشأته

ولد الشيخ سعيد بن عيسى بوادي دوعن[1]، ونشأ تحت رعاية أبويه على شظَفٍ من العيش، وزهدٍ في مظاهر الحياة، مع حسـنِ عنايةٍ بالتربية الدينية وأعمال الخير، وكانت التربيةُ الروحيةُ في حياةِ الشيخِ سعيدٍ محصورةً في التلقي والمجالسة، إذ روي أنـه لم يـتعلم القراءة والكتابة منذ الصبا ؛ إلا أن مصاحبةَ الشيوخ ومجالستهم لم تفُته ولم يتخلف عنها قَدر جهدِه وإمكانه، مما صـقَلَ فطرتـه.. وأشعلَ فِكرته.. وقَدح صافيَ مِشكاتِه.. كما جعلَ لـه في قلـوب العباد الصالحين مكاناً.. أحيا في جوانحِه ببركةِ القرب منهم وكثرةِ

(١) « دوعن » من لفظ « إيدعان »، وهو اسم جد قبيلة الصدف، ولما تكرر علـى الألسنة تصرفُوا فيها بالزيادة والحذف، وينقسم الوادي إلى قسمين : الأيمن مدينة الخريبة وما بعدها، والأيسر مدينة الدوفة . انتهى من « الشامل » ص١٣٥.

دعائهم ونظرهم مشاتلَ الفكر والذكر والمعرفة بالله .

فهو الناشئُ المستقيم الذي نبت عوده بين مساجد القرية ومجالِسِ صالحِيها، في عصر الزهد والتقلل من قليل الحياة المتاحة في ذلك الوادي الوعر.. الوادي الذي كان في أساسه منأى المتفرغين للطاعات، المبتعدين عن مظاهر الحياة .

وكم انفرد الشيخ سعيد بن عيسى في سفوح تلك الجبال الجرداء، يلاحق أغنامه بين حسك الشجر.. ونتوءات الحجر.. ناظراً لجلال القدرة الإلهية في طبيعة المخلوقات، ومستجيباً لنداء الفطرة الإيمانية فيما يقْرؤه بعينِه وينظره بقلبه من أسرار هذه المكنونات، وهكذا تفجرت ينابيع الحكمة، وانطلقت قيود الهمة، ترفع الإرادةَ البشريةَ إلى مقتضى الأخذ بالمجاهدة والمكابدة، وإطلاق اللسان بالذّكر، والجَنان بالشكر.. حتى صار الناس يسمعون من لسانه حلْو الكلام.. وطِيب السلام.. ويجِدونَ عنده بلْسماً شافياً لجِراحِ القلوب.. وألَمِ الذنوب، بل كان يسمِعهم مِن لَطِيفِ إشاراتِ الفهم.. ومدلولاتِ رمزِ الاسمِ والرسم.. ما لا يعهدونه في الأشباه والأمثال.. وفوق هذا صار له نور يتجلى على الجبين.. ينكسر به عنق المتكبرين.. ويضعف أمامه طُغيان المتجبرين..

ويهتدي بسِر ظهورِه منِ استظل بفيئه من الحائرين.. واشتهر أمره بين الناس.. وصار حديثَ المُتحدِثين والجُلاّس .

وذكرتِ الرواةُ أن الشيخ سعيداً تزوج بنت الشيخ سعيد بن أحمد بلوعار بلعفيف[1]، ويذكر أنه لما تزوجها وزفت إليه رأت منه فترةً عن قيام الليل خلافاً لما سمعته عنه، ولما يذْكُره به والدها عن حال الشيخ سعيد، وكذلك خلافاً لما عهدت عليه والدها العابد الزاهد، فما كان منها إلا أن رجعت إلى أبيها من الغد وقالت : كيف أعيش مع رجلٍ ما له قيام في ليله؟ فقال لها والدها : اِرجِعي وانظُري ماذا يفعلُه في ليله من الأعمال والأقوال.

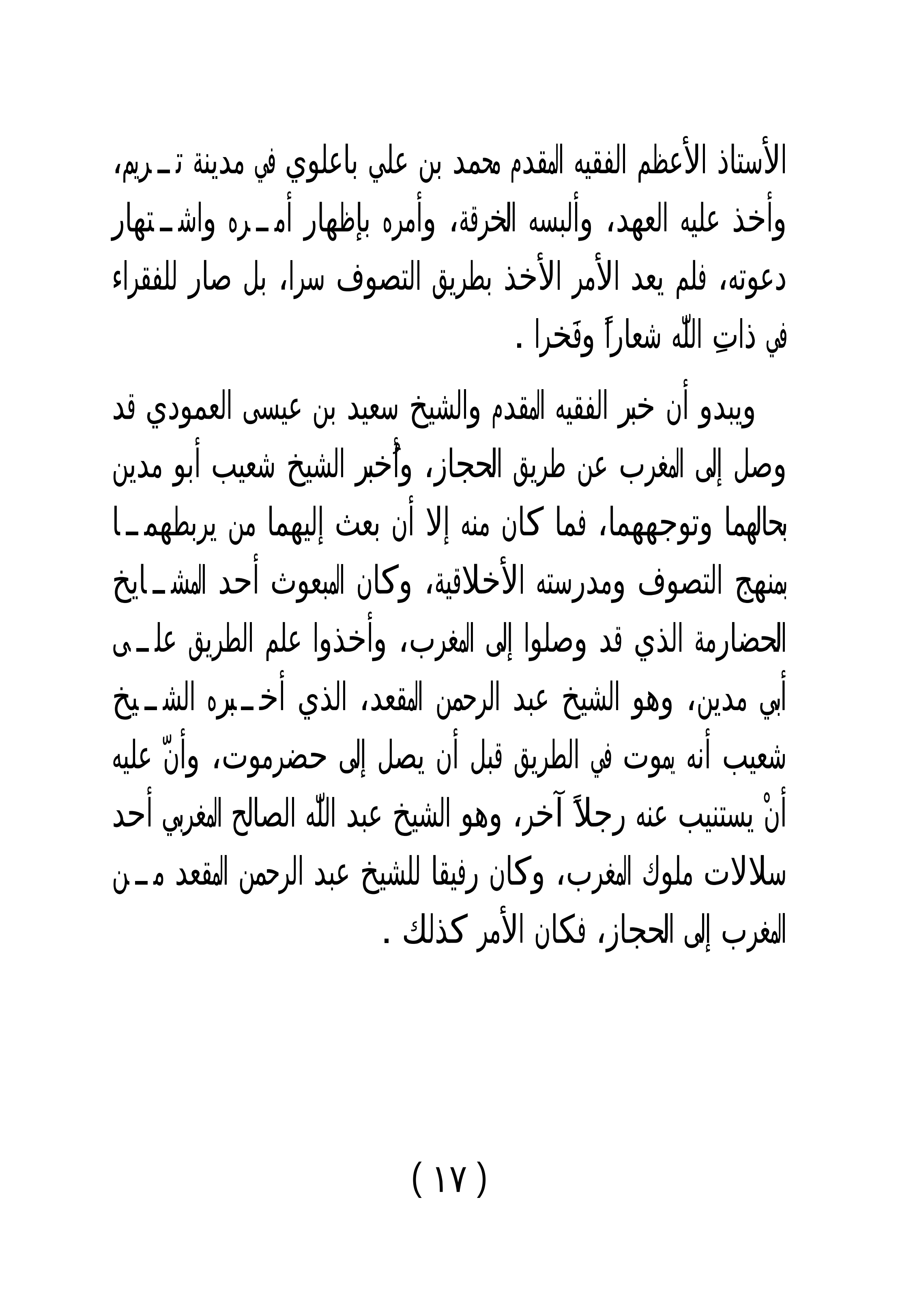
فعادت إليه ومعها من أهلها من يحمل خبرها إلى والدها إذا لزمها الجلوس، فلما كان الليل راقبته حتى طلع الفجر، فأرسلت إلى

(١) الشيخ سعيد بن أحمد بلوعار بلعفيف من كبار رجال القرن السابع الهجري بحضرموت ومن أشهر صلحائها، عاصر جملةً من أكابر الوادي وأخذ عنهم، وفي مقدمتهم السيد سالم بن بصري، وعاش بالهجرين في وادي دوعن، و ا توفي ليلة الخميس الخامس من شهر جماد الثاني ٦٣٢ ودفن بتربتها، ويطلق عليه ((مقدم التربة)) كما هو حال الفقيه المقدم في تربة تريم، ولم يحفظ لنا الزمان من آثار هذا الشيخ سوى الدعاء المنسوب إليه وهو متداول في حضرموت، ويقرأ بعد ختم القرآن .

والدها من يخبره بخبرِ ما رأت منه، فقالت: إنه إذا قَرب الفجر يقوم يصلي فيقول : أنا.. أنا.. أنا.. فلما وصل الخبر إلى الشيخ سـعيد بلوعار أرسل إليها يقول : هذا المقام الذي ما وصلنا إليه، إشارةً إل أن مقام الشيخ سعيد بن عيسى العمودي مقام الرد على المنادي : «ألاَ هل مِن تائبٍ ؟ ألا هل من طالبٍ حاجةٍ ؟» .

وحنت روحه إلى علمِ الذوق والشوق، وكانت أخبار رجاله في ذلك العصر تأتي ا الرياح، وتتحدثُ عن مشايخ الطريق في الشام وجهات اليمن والحجاز والمغرب والعراق مع كل غُـدو ورواح، فكان الشيخ سعيد يسأل اللّه أن يجمعه بأثبات علم الباطن والظاهر، كي يستمد من فيض مشر م الزاخر، وظهر النور في أشد أوقـات الحرج.

وفي ضحى أحد الأيام المباركة عام ٥٩٠ بدأ النسيم يحمـل إلى الشيخ سعيد ما حملته الرياح إلى يعقوب، يوم حكى اللّه خبـره في الكتاب العزيز : ولمـا فَصلَتِ العِيرُ قال أبوهم إني لأَجِد رِيـح يوسف حيث كان الشيخ عبد اللّه الصالح المغربي متجهـاً مـن وادي حضرموت إلى وادي دوعن يحمل رسالته الثانية إلى الشـيخ سعيد بن عيسى العمودي، حيث كان قد أبلغ رسـالته الأولى إلى


الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي في مدينة تريم، وأخذ عليه العهد، وألبسه الخرقة، وأمره بإظهار أمره واشتهار دعوته، فلم يعد الأمر الأخذ بطريق التصوف سرا، بل صار للفقراء في ذاتِ اللّه شعاراً وفَخرا .

ويبدو أن خبر الفقيه المقدم والشيخ سعيد بن عيسى العمودي قد وصل إلى المغرب عن طريق الحجاز، وأُخبر الشيخ شعيب أبو مدين بحالهما وتوجههما، فما كان منه إلا أن بعث إليهما من يربطهما بمنهج التصوف ومدرسته الأخلاقية، وكان المبعوث أحد المشايخ الحضارمة الذي قد وصلوا إلى المغرب، وأخذوا علم الطريق على أبي مدين، وهو الشيخ عبد الرحمن المقعد، الذي أخبره الشيخ شعيب أنه يموت في الطريق قبل أن يصل إلى حضرموت، وأنّ عليه أنْ يستنيب عنه رجلاً آخر، وهو الشيخ عبد اللّه الصالح المغربي أحد سلالات ملوك المغرب، وكان رفيقا للشيخ عبد الرحمن المقعد من المغرب إلى الحجاز، فكان الأمر كذلك .

مبعوث الشيخ أبي مدين في وادي دوعن

وصل مبعوث الشيخ أبي مدين إلى تريم وأدى مهمته كما يجب، وخرج لتوه متوجهاً إلى دوعن ليلتقي بالشيخ سعيد بن عيسى العمودي، وأخذ يسأل عنه حتى دل عليه بناحية قيدون في واديها الميمون يرعى الغنم، فذهب إليه واجتمع به، وقد ناهز الشيخ سعيد الثمانين من عمره[1]، وألبسه الخرقة[2]، وأخذ العهد عليه، ودعاه إلى إظهار أمره، ونشر الصوفية بالوادي، وقد كان الشيخ سعيد من قبل لا يظهر التصوف كدعوة وطريقة، وإنما كان يتخلق به سلوكاً وأدباً، وأخبره الشيخ المغربي عن أخذ العهد على الفقيه المقدم.. وإلباسه الخرقة الشريفة.. وأنه قد أبرز نفسه في تريم.. وانطلقت لسانه بالدعوة إلى طريقة الفقر الكامل لله تعالى.. وترك الرياسات.. وعدم التطلع إلى الفانيات.. كما هو حال المتجردين

(١) ذكره السيد علوي بن طاهر في «الشامل» ص٢٢٩ .

(٢) يعني بالخرقة : خرقةَ التصوف، وهي لباس يوضع على المريد، ويرمز إلى ترسم الحامل له بزي الصوفية والدخول في دائرتهم، وغرضها حصولُ البركة وأخذ العهد بالسند المتصل للخِرقة ظاهراً وباطناً .

وقد استوفينا النقل على الخرقة في ترجمة الفقيه المقدم ضمن هذه السلسلة.

عن الحياة الدنيوية الزاهدين .

وكان الشيخ سعيد على غاية من التواضع والخمول والزهد، لما نشأ عليه من حب الآخرة، وصدق في التجرد لمولاه، فكان هـذا العهد والإلباس بمثابة التاج الموضوع على المرء المتـهيئ للمراتـب العالية، فأخذها الشيخ بقوة، ولسان حاله يقول :

لا يدرك الذوق إلا من لَه حالُ ولا المَقام سِوى من فِيهِ إقبـالُ
الذوق نور مِن العِرفانِ يقْذِفُه الر حمن في قَلْبٍ صب فيه إجـلالُ
إلى الحضائرِ في الأوقاتِ منجذِب بحالِه و ا منه صـفا البـالُ[1]

وبرز الشيخ سعيد منذ تلك اللحظة في ثـوب أهـل الـذوق والشوق.. واحتفل الوادي بقدوم الشيخ عبد اللّه الصالح المغـربي، وأظهر الناس الفرح به والسرور بمقْدمِه، حتى إن المقام طاب له في الوادي مدةً من الزمن، ثم انتقل إلى وادي ميفعة، وقيل : أقام بقرية «أصبعون »وتزوج ا، وخلف بعد وفاِته بناتاً، صار أمرهن مـن بعده للشيخ سعيد بن عيسى العمودي حسب وصيته[2] .

(1) ديوان « شراب الكأس » للشيخ عبد المحمود نور الدائم .
(2) ذكره كتاب « عرائس الوجود » ص٢٠ .

ومن عجائب أمر الشيخ المغربي أنه عندما حضرته الوفاة بعث إلى كبار الآخذين عنه، وهم الفقيه المقدم، والشيخ سعيد بن عيسى العمودي، والشيخ باحمران، وطلب منه الثلاثة أن يستخلف من بعدهم شيخاً يرجعون إليه، فسكت المغربي طويلا ثم قال: «شيخكم من بعدي صاحب السبحة»، وقد جعلت ميراثي بينكم أرباعاً، وكان ميراثه : سبحةً، وعكازاً، وقِدراً، ومشعلاً، وحبوةً، وبسطةً، ودلقاناً .

ولما توفي الشيخ وقسمت وصيته جاءت القسمة على النحو التالي :

العكاز والسبحة للفقيه المقدم، القدر والمشعل للشيخ سعيد بن عيسى العمودي، الحبوة والبسطة للشيخ باحمران، الدلق للشيخ باعمر .

ورمزت الوصية التي أوصى ا الشيخ إلى تعيين صاحب السبحة على الجميع فكان الفقيه المقدم، وكان الأمر كذلك، فقد انطوى كبار شيوخ التصوف المذكورين تحت لواء الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم، وحصل الائتلاف بين أقطاب الدعوة الصوفية، وحملوا على عواتقهم نشر الطريقة .

الشيخ سعيد العمودي خزانة آل باعلوي

اشتهر بين الناس إطلاق اسمِ «خزانةِ آلِ باعلوي» على «آل العمودي» منذ أن تم الاتحاد الروحي بين العلَمين الشهيرين، حاملَي لواء المدرسة الصوفية بحضرموت، الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم والشيخ سعيد بن عيسى العمودي، و بهذه الألفة الروحية والتحابب الذوقي صار الشيخ رافداً وسنداً لقرارات ومواقف الفقيه المقدم، بل كان القاعدةَ الحِسيةَ والمعنويةَ لتنفيذِ الفقيه قراره بكسر السيف، كرمزٍ للتحول من مظاهر الحياة الاجتماعية السائدة في ذلك العهد، إلى طريقة الخمول وترك الرياسات، والاعتناء بديلاً عن السيف بالعلم والعمل، كأساس للفكرة الجديدة، الذي اصطبغ بها توجهه الروحي .

ويعود أساس التسمية - كما ذكرها «الشامل» - لما صار إليه من تراثِ الفقيه وسِره، وما حازه ببركة صحبته، حتى قال الحبيب جعفر بن أحمد الحبشي في قصيدة مدح بها الشيخ العمودي :

فيه مكْنونُ سِرنا آلِ علْوي أخبرتنا بذا الثقات شِفاها[1]

---

(١) «الشامل» ص٢٣٢، وهي آخر صفحة فيما بقي من «الشامل» بين أيدي الناس الآن .

ولا يعني أن الفقيه المقدم قد نـزع بالعلويين إلى الجهل والضعة عندما أخذ ذا الطريق كما يظُن بعض الأحفاد الجهلاء، وإنما كان للفقيه هدفان أساسيان : أحدهما سياسي والثاني ديني واجتماعي .

فالهدف السياسي لَخصه لنا المؤرخ السيد محمـد بـن أحمـد الشاطري في «أدوار التاريخ الحضرمي» فقـال : كـان الحُكّـام السياسيون بحضرموت في عصره، وفيما قبله ينظرون إلى العلـويين نظرةً ينفسون فيها عليهم المكانةَ التي يحتلو ا في القلوب، ويخشون من شعبيتهم على ملكهم، فيحيطو م بسياج من الرقابة، ويضيقون عليهم الخناق، نفس ما جرى وما يجري من قبـل مـع آبـائهم وإخوا م العلويين، من بني أمية وبني العباس والحكام الآخرين، وقد عرف الفقيه المقدم بنفسه كل ذلك في أسرته، فقد اضـطُر جـده صاحب مرباطٍ إلى الهجرة نتيجةً لتلك المضايقة، كما شاهد بنفسه ما لاقاه عمه علوي شقيق أبيه من آلامِ السم الذي دسه له حـاكم تريمٍ القحطاني، ولهذا فإن تقَلد السلاحِ معناه آنذاك في نظر الآخرين المسالمين الاستعداد لهم والمقابلة، ولابد من الاصطدام يوماً ما بـين القِرنِ وقِرنه، ثم بين الأبناء، كما بين الآباء حول وعداوات متوارثة وأخذ بالثأر مستمر، كما هو الواقع بين القبائل، فرأى الفقيه المقدم

البعيد النظر القضاءَ على الشر من جـذوره.. واختيـار طريقـة التصوف المعتدل، وحمل بيده العكاز الذي يرمز إلى التصوف، بدلاً عن السيف الذي يرمز وقتئذ إلى النهب والسلب والإجرام وطلب الحكم والثأر والانتقام[1] .

وأما **الهدف الديني والاجتماعي** فهو كما بينه أيضا الشاطري في «الأدوار» بقوله : مما اجتمعت عليه المصادر أن الفقيه المقدم نـزع السلاح بل وكسر سيفه، دعا قولاً وفعلاً إلى نـزعه، ليقضي على العقيدة القبلية، وبرهن فعلاً على وجوب التعايش السلمي، والأخوة الإسلامية والمذهبية والوطنية بين قبائل الشعب وقطاعاته، وعلى أن سلاح العلم والإيمان هو أقوى الأسلحة في المجتمع، وأمضـاها في قيادة الأمة، وتوجهها إلى حياة السعادة والخير والتقدم[2] .

ومن هذا المضمار الحيوي كان موقف الفقيه المقدم موقفاً شجاعاً وهاماً، وكان أيضا موقف الشيخ سعيد بن عيسى في مساندة هـذا القرار لا يقل شجاعةً وأهميةً عن صاحب القرار ذاته . وتشير كتب

---

(١) راجع « أدوار التاريخ » (٢: ٣٠٤-٣٠٥) .
(٢) المصدر السابق (٢: ٣٠٤) .

التاريخ أن أجزاء السيف المذكور كانت محفوظة لدى «آل العمودي» مع بعض آثار الفقيه الأخرى، وقد آلت إليه بوصية من الفقيه المقدم، كما هي عادة الصوفية إعطاء المريد المرشح للمشيخة شيئاً من اللباس أو غيره، كما فعل الشيخ الصالح المغربي، عندما أوصى بتقسيم تركته على كبار الآخذين عنه طريق التصوف، ولازالت هذه البقايا محفوظةً في قيدون إلى اليوم، تحت رعية القائمين على زاوية ومقام الشيخ سعيد بن عيسى العمودي.. كمثالٍ ورمزٍ للاتصال الروحي بين الإمامين العلمين، هذا الاتصال المعبر عنه بالاتحادِ الكُلي «طريقةً وعلماً وعملاً ومصاهرةً».

كما بينه السيد علوي بن طاهر بقوله: وقد كان آل العمودي وساداتنا آل باعلوي متحدِين من سابق الزمان ببركات اتصال سيدنا القطب الغوث الفقيه المقدم جمال الدين محمد بن علي باعلوي والشيخ الكبير العارف بالله سعيد بن عيسى العمودي، وحصل لآل العمودي خيرات كثيرةٌ مباركةٌ ظاهرةٌ وباطنةٌ، وحصل لهم حسن عقيدةٍ أكيدةٍ، ومصاهرةٌ مؤبدةٌ لا تنقطع، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «كُل نسبٍ وصِهرٍ ينقَطِع يوم القيامةِ إلا نسبي وصِهري .. الحديث» بمعناه، وحصلت لهم اقتباسات من علومه،

واستمدادات من أسراره وفهومه، وأخذ عنه العلم الظاهر والباطن شريعةً وطريقةً وحقيقةً وسلوكاً غالب مشايخهم وصلحائهم وصوفيتهم ودولتهم .

وجاء في كتاب «عرائس الوجود »: وأما ما حازه الشيخ سعيد من الاتحاد مع سيدنا الفقيه المقدم في الذرية والأولاد، فمن جملة ذلك ما حكاه الشيخ العلامة باسودان في «فيض الأسرار » مع ما شهدت به الأولياء الأبرار، فهو ما استودعه من السر النبوي، بحيث صار «خزانة بني علوي»، فناهيك بذلك مقاماً واحتراماً، ولعمري إنما لتكفيه تلك المقامات العلية، والنفحات العلوية، إذ اتصالها بالأخلاق المحمدية، كما يقال له «خزانة آل باعلوي »وهو حري بذلك، وحقيق بسر ما هنالك .

الطريقة العمودية

يمكن تحديثُ لفظ «الطريقة »لتتلائم مع فهم جيلنا المعاصر فنسميها «المدرسة»[1] ، وإذا كان جيلنا الإعلامي يدرس في كافة

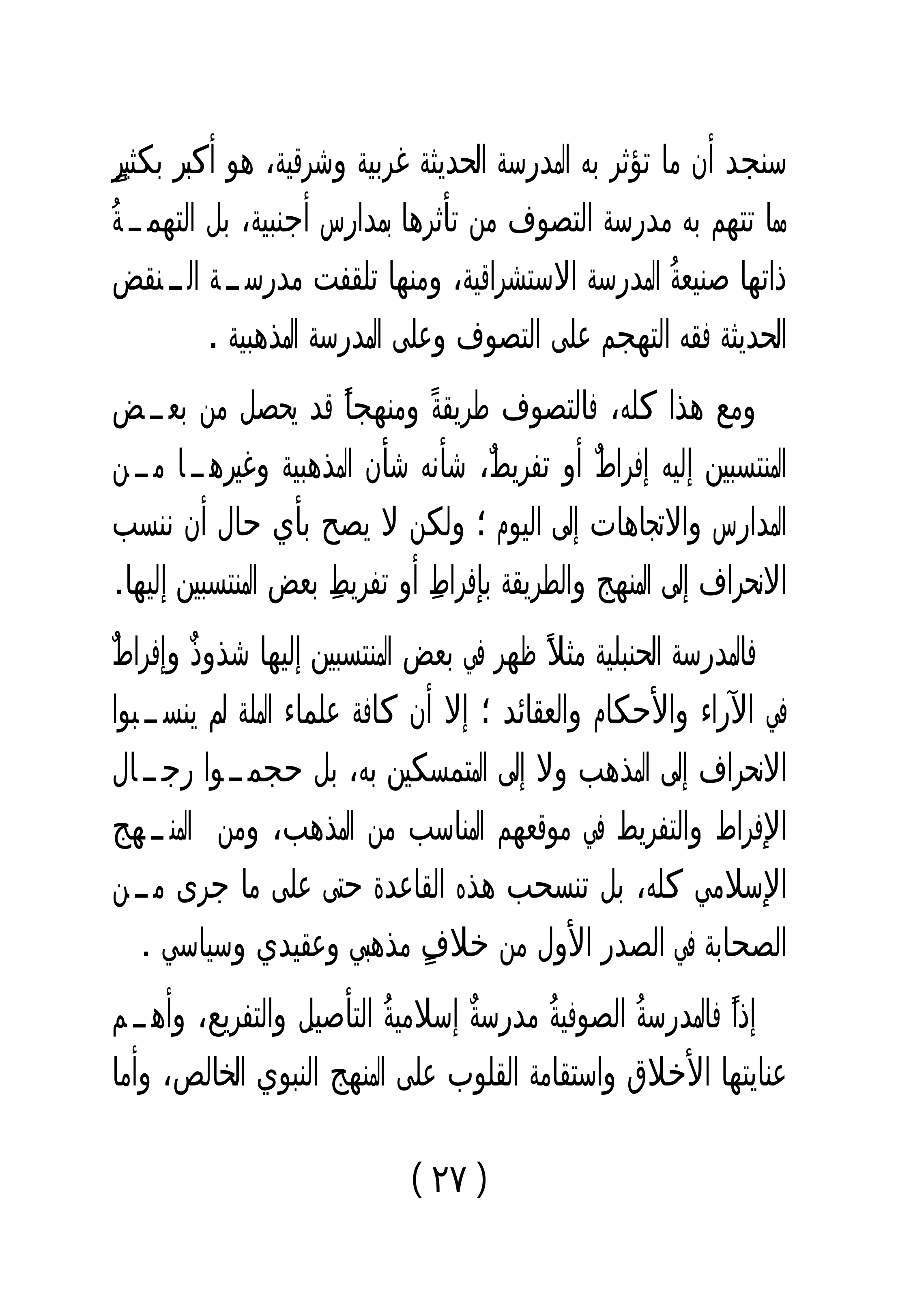
---

(١) المقصود بالطريقة هنا هو الأسلوب والكيفية المتبعة لدى الشيخ المذكور وأمثاله في

مراتب دراسات الهيكل التعليمي العـالي منـهاج عِلْـمِ الـنفْسِ والاجتماع والاقتصاد والفلسفة وهلُم جرا، ويتأثر بنظريات المدرسة الديكارتية والبافلوفية، وآراء روث وجان جاك روسو، ومن نحـا نحوهم من شيوخ المعارف المؤثرة على المدرسة الحديثة.. المدرسـة التي يتخرج منها حملَةُ الشهادات بأنواعها.. إذا كان الأمر كذلك فإننا لابد أن نعلم أننا عند دراستنا للتصوف بواقعيةٍ وإنصـافٍ ؛

تسليك المريدين، وترتيب وظائف عادا م وعبادا م حتى يتخرجون على يديـه، وكثير من المغرضين يحللون ألفاظ الصوفية بأسلوبٍ يتسم بالتمويه والتعتيم، لما في نفوسهم من آثارها، وإلا فالأمر واضح كل الوضوح لمن أراد معرفة الحق وأهله، فترى كثيراً اليوم ممن يعيب على الصوفية تقسيم المراتب الإسلامية إلى شـريعة وطريقة وحقيقة، ويذهب المتنطعون بألفاظهم وفهومهم في هذا التقسـيم كـل مذهب، ويرهقون أذها م في ابتكار التهم المحرجة لهم أمام اللّه، والتهم المحرجـة لعباده، ولو كانوا يبحثون عن الحق لكفاهم استدلال العلماء في هذا التقسيم بما وصفه المقارنة بين هذه المراتب الثلاث وبين أركان الدين .

فالشريعة مرتبة الإسلام، والطريقة مرتبة الإيمان، والحقيقة مرتبة الإحسـان، وهذه المراتب الثلاث لابد من تحقيقها في سريان الإحسان.. أن تعبد اللّه كأنـك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.. والاعتقاد : أن المنصـفين في دوائـر المعرفـة سيدركون هذا التقسيم الشرعي ؛ لأنه تقسيم ملائم لمفهوم المعنى المراد في أركان الدين .



سنجد أن ما تؤثر به المدرسة الحديثة غربية وشرقية، هو أكبر بكثيرٍ مما تتهم به مدرسة التصوف من تأثرها بمدارس أجنبية، بل التهمةُ ذاتها صنيعةُ المدرسة الاستشراقية، ومنها تلقفت مدرسة النقض الحديثة فقه التهجم على التصوف وعلى المدرسة المذهبية .

ومع هذا كله، فالتصوف طريقةً ومنهجاً قد يحصل من بعض المنتسبين إليه إفراطٌ أو تفريطٌ، شأنه شأن المذهبية وغيرها من المدارس والاتجاهات إلى اليوم ؛ ولكن لا يصح بأي حال أن ننسب الانحراف إلى المنهج والطريقة بإفراطِ أو تفريطِ بعض المنتسبين إليها.

فالمدرسة الحنبلية مثلاً ظهر في بعض المنتسبين إليها شذوذٌ وإفراطٌ في الآراء والأحكام والعقائد ؛ إلا أن كافة علماء الملة لم ينسبوا الانحراف إلى المذهب ولا إلى المتمسكين به، بل حجموا رجال الإفراط والتفريط في موقعهم المناسب من المذهب، ومن المنهج الإسلامي كله، بل تنسحب هذه القاعدة حتى على ما جرى من الصحابة في الصدر الأول من خلافٍ مذهبي وعقيدي وسياسي .

إذاً فالمدرسةُ الصوفيةُ مدرسةٌ إسلاميةُ التأصيل والتفريع، وأهم عنايتها الأخلاق واستقامة القلوب على المنهج النبوي الخالص، وأما

علاقتها بالشريعة فهي منطويةٌ تحت آراء المذهبية، مندرجةٌ ضمن أصولها وفروعها، وأهمها في دراستنا هذه مدرسة التصوف بحضرموت، وحضرموت لم تعرف التصوف منهجاً وطريقةً إلا في القرن السابع الهجري كما أسلفنا القول، بينما عرفت أرجاء اليمن الأخرى الطريقة القادرية، وأخذت ا من قبل ذلك بسنوات كثيرة.

وكما انتشرت الطريقة القادرية في أرجاء اليمن، فقد انتشرت الطريقة الشعيبية في حضرموت منذ القرن السابع، ومن هاتين الطريقتين أو المدرستين ظهرت بقية الطرق، وتفرعت مدارس الذوق الصوفي، وكانت في ذلك العصر تمثل عنفوان المنهج ومنطلق القبول ؛ لما تحمله في مقوما ا الفكرية من حل لكثير من معضلات العصر الضاربة على الأذهان .

ولهذا نجد رجلاً مجتهداً في الأصول والحديث كالفقيه المقدم، يتحول من مرتبة ا تهد الأصولي إلى الصوفي الخمولي.. ويرضى أن يسلك بأبنائه وأتباعه من «آل البيت النبوي» ومحبيهم ومشايخ العلم طريق الفقر والتأدب بأدب الصوفية، فالمسألة تعتبر ضرورةً اجتماعيةً، والأخذ ذا المنهج إلحاح زمني ملائم لموقف الساعة

آنذاك، ولما كان الأمر ضرورةً مِلحةً وكان مطلب الحياة لا يمكن أن يستمر إلا بمثل هذا التصرف ؛ فقد كان الشيخ سعيد بن عيسى العمودي مستجيباً لهذا الظرف ومندفعاً إليه، منطوياً تحت راية المجتهد الأصولي - الفقيه المقدم - من حيث موافقةُ الاختيار والأخذ به، وأما تعبير المؤرخين بلفظ « الطريقة العمودية » فالمقصود بها سلسلةُ الأخذ التي اتصلت إلى الشيخ وصار المريدون والتلامذة ينتمون إليها.. ثم يأخذون على من جاء من بعدهم العهد والتحكيم.. ولهذا عبر الإمام العلامة الوجيه عبدالرحمن بن عبداللّه بلفقيه في كتابه « رفع الستار » بقوله : إن الطريقة العمودية أحد الطرق المشهورة المرضية، معدودةٌ من نحو ثلاث وعشرين طريقة، وكلها ترجع إلى طريقة واحدة، وهي طريقة الشيخ شعيب أبي مدين[1] .

الشيخ أبومدين شعيب

الشيخ عبدالرحمن المقعد

الشيخ عبداللّه الصالح المغربي

الفقيه المقدم	الشيخ سعيد العمودي	الشيخ باحمران

فروع الطريقة العمودية عن طريق أبناء الشيخ وتلامذته ومريديه

(١) « عرائس الوجود » ص٣٤ .



الشيخ سعيد والآخذون عنه

من وظائف الشيخ الصالح والمربي الناصح أن يتخرج على يديـه رجال وأتباع، يأخذون عنه ثمرات العلم والعمل وصافي السـلوك، ويجسدون حقيقةَ المعاني التي تتمثل في صدر الشيخ ومكنون وعيِـه مما اكتسبه في حياته العلمية والعملية، ومما فتح اللّه به عليه من طول طاعاته ومجاهداته، وصدق توجهه إلى مولاه .

والشيخ سعيد كان من أرقى شيوخ التربية والتسليك في عصره، خاصة وأنه عاش ردحاً من الزمن وهو محتك بالشيخ عبـد اللّـه الصالح المغربي، وصار من بعده مسلكاً مربياً للنفوس والأرواح، وقد تحدث عن نفسه بنفسه فقال : قَدمت بيدي سبعةَ عشـر شـيخاً، منهم من قدمته سراً، ومنهم من قدمته جهـراً، والتقـديم معنـاه التخريج والتهيئة للصدارة والتدريس والقدوة الحسنة .

وقد نقل الآخذون طريق التصوف عن الشيخ سعيد طريقته إلى الآفاق، وكان من أبرزهم وأجلهم قدرا وعلما وعملا جماعة مـن الشيوخ، ومنهم :

(١) الشيخ محمد بن محمد بامعبد الدوعني، وكان من أخـص

التلامذة المقربين إلى الشيخ سعيد، وأخذ عنه أخذاً تاماً، وانطوى فيه وتخرج به، ونال من شيخه الرضا له بالجدارة والصدارة، وتشير التراجم أن بعض تلامذة الشيخ سعيد حصل في نفسه شيءٌ من تقديم الشيخ معبدٍ على أقرانه، فلما شعر الشيخ سعيد بذلك قال لمريديه: لا يداخلكم مني شيءٌ، فإن الشيخ محمد بامعبد من البزل الكُهل، وأنتم قعدان[1] ما تطيقون على حمل ما يحملُه.

وتزوج الشيخ بامعبد امرأة من آل العمودي، وأنجبت له أولاداً: الغزالي وأم محمود وأم أبي القاسم وأم رقية . وذكر ذلك صاحب «أنس السالكين» ضمن ذكره لكرامةٍ من كرامات الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، وعاش الشيخ بامعبد بقرية « رضوم » من بلاد الواحدي، ومات ا، وضريحه معروف هناك، وله ذريةٌ لا زال منها بقيةٌ إلى اليوم يعرفون بآل معبد .

(٢) الشيخ محمد بن سالم باوزير .

(٣) الشيخ ناجة بن أمتع .

---

(١) البزل الكُهل من الجمال : الكبيرةُ التي عركتها التجربة وتعودت على حمل الأثقال، كنايةٌ على حمل السر والصبر، والقعدان جمع قُعود، وهو الجمل الصغير الذي لا يزال تحت التدريب .

(٤) الشيخ باعمر صاحب بلدة عورة[1] .

(٥) الشيخ بايزيد صاحب بلدة الخميلة .

(٦) الشيخ بابليل .

(٧) الشيخ باعشن صاحب الرباط المعروف بوادي دوعن .

(٨) الشيخ باحاج صاحب بلدة ريمة وادي عماقين .

(٩) الشيخ سليمان بامنيع صاحب بلدة الخريبة .

(١٠) الشيخ حسن بلخير صاحب بلدة حجر .

(١١) الشيخ علي والشيخ أفلح .

(١٢) المشايخ آل باحِميش .

كما انتفع به وأخذ عنه ولداه الإمامان الشيخان العلَمان : جمال الدين محمد بن سعيد وعلي بن سعيد، وعنهما أخذ الطريق جملة من الأحفاد والأقارب، كمولى شعب خضم الشيخ عمر بن محمد، والشيخ عثمان بن عمر بن محمد، والشيخ محمد بن عثمان، والشيخ

(١) ((عورة)) قرية بوادي دوعن بأعلا ((قارة))، وهي ملك آل باصرة، وكانت قبلُ بيد المشايخ آل باجعيفر، ثم صارت لقثم، ثم بعد استيلاء القعيطي على الوادي وهبها لولد باصرة الذي سماه عوض باسم السلطان . انتهى عن ((الشامل)) ص٤٦.

عبد الله بن محمد بن عثمان «صاحب ذمار»[1] ، والشيخ عثمان بن عبد الله، والشيخ أحمد بن محمد الملقب بالقديم، والشيخ عثمان بن أحمد، والشيخ عمر بن أحمد الملقب بالطيار، والشيخ عبد الله بن عمر صاحب العرض، والشيخ عمر بن أحمد بن عبد الله، والشيخ عبد الرحمن بن عمر، ترجم له في «النور السافر»، والشيخ عثمان بن محمد المذكور في « تاريخ بامخرمة »، والشيخ أحمد عبد الرحمن الآخذ عن الهيتمي والرملي، والشيخ عمر بن عبدالقادر الآخذ عن الإمام الحداد، والشيخ عبد الله بن عثمان صاحب الدوفة، والشيخ عثمان بن سعيد المقبور برباط باعشن، والشيخ عثمان بن عبدالقادر

---

(١) ذكر المؤرخ السيد علوي بن طاهر في « الشامل » ص١٦١ عن الشيخ صاحب ذمار ما مثاله : كان الشيخ عبد الله بن محمد من العلماء العاملين، ورجال الإصلاح والهمة في سبيل نصر الشريعة المحمدية، حتى إنه حمل السلاح في سبيل ذلك خلال القرن التاسع، واستولى على وادي دوعن سنة ٨٣٦، وسكن الخريبة، وأقام الشريعة وأحيا السنة وأطفأ البدعة ؛ لكن لم يوافق ذلك هوى القبائل وبعض المشايخ فحاربوه وأخرجوه، فانتقل إلى ذمار وتوفي بها سنة ٨٤٠، وكانت مدةُ حكمه كلها عدلٌ واستقامةٌ، حتى إنه أخذ الزكاة الشرعية من الأغنياء ؛ ولكن الشيخ فارس بن سليمان وأحلافه جهزوا عليه جيشاً وهاجموه سنة ٨٣٨، وحاربوا أنصاره حتى تفرقوا وانكسروا، وحاصروه في داره حتى أُخرج بأمانٍ وأُحرقت جميع كتبه . انتهى بتصرف من «الشامل» ص١٦١ .

بوادي «يبعث»، والشيخ محمد بن عبد الله المقبور ببلـدة قيـدون، والشيخ عثمان بن أحمد، ويعرف بأحمد الصغير للتمييز بينه وبـين جده محمد بن عثمان بن أحمد القديم، وهو - أي: الشيخ عثمان - أول من نقل «زاوية العمودي» من قيدون إلى « بضة »، وكانت قبل ذلك بقيدون، وكان على ولايتها الشيخ عمر بن أحمد، ثم جـرت أمور ألجأتِ الشيخ عمر إلى التخلي عنها ووليهـا بعـد أخـوه عثمان[1].

صفات الشيخ سعيد وأخلاقه

كان رجلاً جسيماً كبيراً، أسمر اللون، كَث اللحية، يغشاه نـور الذكْرِ والعبادة، لا متكبراً ولا متجبراً، شعاره التواضع والانكسار، ملازماً للعبودية والافتقار، يركب دابته بغير بساط، ويلبس ما يجده من الثياب من غير إسرافٍ ولا مخيلة، كان كريماً جواداً سـخياً، ينفق ما يدخل عليه من الأموال على المستحقين، ويطعم الفقـراء والمساكين، ويكرم الأضياف والقاصدين، كما كان ينفـق علـى

---

(١) « الشامل » ص٦٠.

مريديه وتلامذته مما يفيض اللّه عليه غير بخيلٍ ولا مقَترٍ، كما كـان كثير ا اهدة في ذات اللّه تعالى، كثير الذكر، طويلَ الفكر، سريع التأثر عند سماع آيات القرآن، مكثراً من زيارة الأولياء والصالحين، قائماً بحق الأقارب والجيران والأهلين .

أجرى اللّه على يديه من النفع العام والخاص مـا لا يعـد ولا يحصى، كما كانت أصابعه المباركـة بلسـماً لجـراح المرضـى والمصابين، يشفي اللّه بدعائه المكروبين والمصابين، كما ظهرت له من الكرامات والخوارق الشيء الكثير، وهي من أدل الدلالاتِ على مقام الشيخ وعظم حاله، وصدق افتقاره إلى من يجيب المضـطر إذا دعاه ويكشف السوء .

وقد كتب بعض المؤلفين صفحاتٍ عديدةً في شرح كراماته التي أجراها اللّه على يديه، وقد تجاوزنا ذكرها في هذه الترجمة لأ ا ثمرةٌ من ثمرات الأعمال وتحقق الصلة بين العبد وربه، وجعلنا جل همنا إبراز الأعمالِ ذاتِها، وما أقامه اللّه فيه من مظهرٍ ومقام، لأ ا أساس التنافس، ومرتكز الاختيار، وسبب القَبول عند اللّه تعالى، كما أن جيلنا المعاصر أُصيب بلَوثَةِ الإنكارِ لكل ما خالف العقل، وذلك من كثرة ما دخل عليه من السموم والتأثيرات المتنوعة، فالعقلُ ملَكـةٌ

محدودةُ الأثر، قاصرةُ الاستيعاب والتحمل لو أراد المرء أن يجعلـها حاكماً لكل شيء في الحياة الدينية والدنيوية، وإنما جعلـت هـذه الأداة بالنسبة لوجهة نظر الإسلام - التي هي مراد الخالق سبحانه - كي تؤدي وظيفتها التي خِلِقَت من أجلها، ومجالهـا المحسوسـات والفهوم والاستنباطات وإعمال القوى الذهنية في معرفة مـا وراء المكنونات والكائنات، أما أن يتحكم العقل في الغيـب، ويجعـل الأشياء الغائبة عن ملَكَتِهِ ووعيه محالاً فذاك تطاولٌ وزيادةُ إشكالٍ .

والذي ينبغي أن يعيه جيلنا المعاصر أن الكرامةَ انفعالُ الظواهر بأمر اللّه على يد عبدٍ من عباده الصالحين، والسحر والشعوذة أيضا انفعالُ الظواهر بأمر اللّه على يد عبدٍ من عباده المسـتدرجين، وأن المعجـزة انفعالٌ للظواهر بأمر اللّه تعالى على يد أنبيائه ورسله المكرمين، كـل مرتبةٍ لها ضوابطها ودلائلها[1] ، ومن نسب شيئاً من هذه الانفعالات إلى من لا يستحقها فقد خرج عن مراد اللّه في عباده، وحكم عقلْـه وهواه فيما جاء عن اللّه وعن رسول اللّه، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنةٌ أو يصيبهم عذاب أليم .

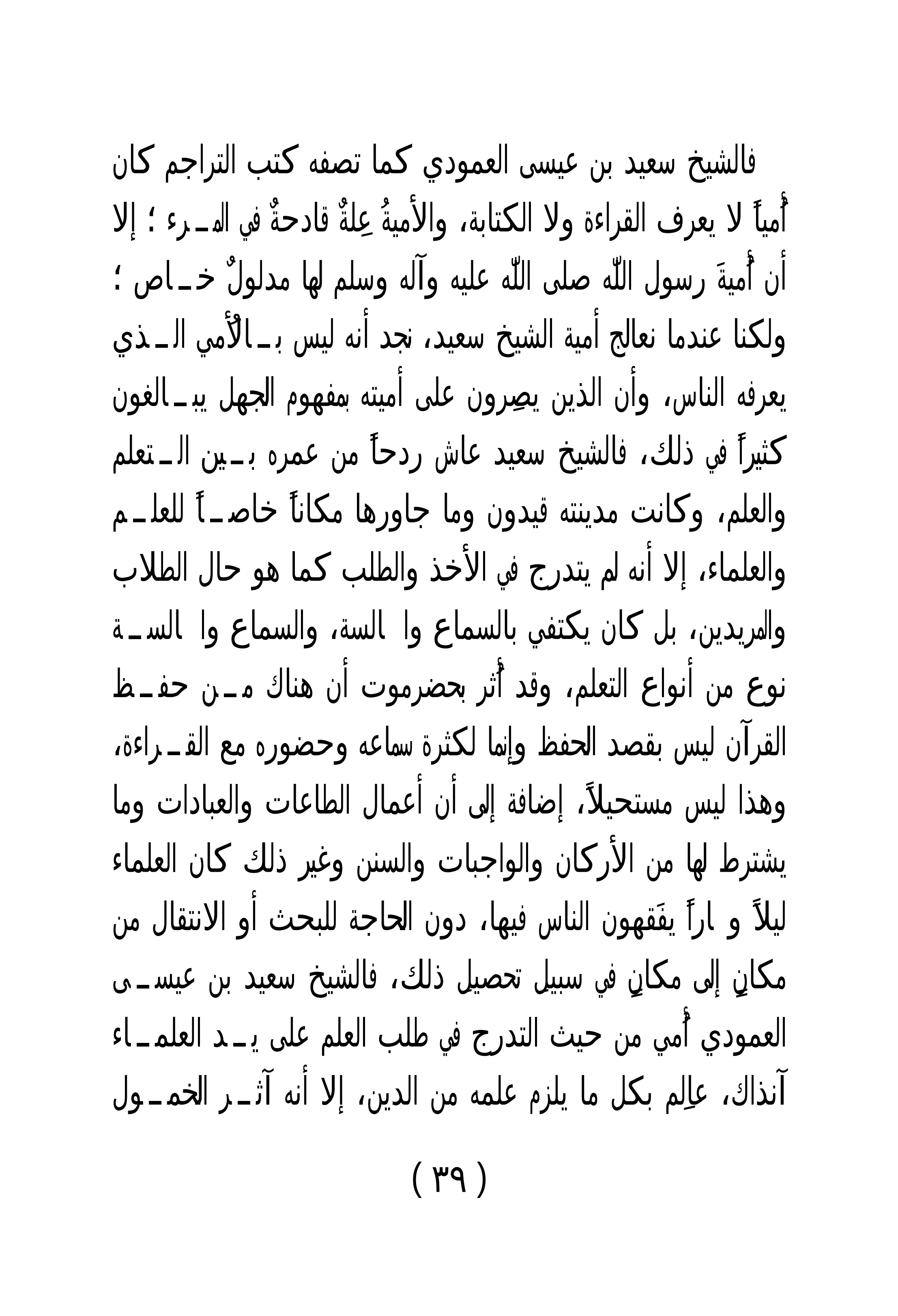
---

(١) راجع « شروط الاتصاف لمن يقرأ في تراجم الأسلاف » للمؤلف، مطبوع .

الشيخ سعيد والعلوم الدينية

درج العلماء الأثبات على تقسيم العلم إلى قسمين : علمٍ كسبي وعلمٍ وهبي، **فالعلم الكسبي** هو ما حصله المرء بجهدٍ ذاتي وإعمالٍ تام للجوارح خلال مراحل طلبه ومجالسته للعلماء والشيوخ، وقراءاته ومطالعاته، ومجموع تجربته الواعية في الحياة .

وأما **العلم الوهبي** فهو كل ما يمنحه اللّه للعبد من مفهوم الحكمة خلال ترقيه في طلب العلم، أو خلال سيره إلى ربه متدرجاً في الطاعات والأعمال الصالحات، حيث إنّ لكل طاعةٍ ثمرةٌ، ولكل ثمرةٍ ذوق، وأكثر ما يفسد ثمرات الطاعات المعاصي، وإذا فسدت الثمرةُ فَسد الذوق، وبقيت الطاعة كشجرةٍ بلا ثمرة، والذين صدقوا في الطاعة للّه منحهم اللّه الثمرة، ونوع لهم ذوقَها، ووجدوا من الذوق مقاماً إيمانياً، فيقول : « ذاق طعم الإيمان من رضي باللّه رباً، وبالإسلامِ ديناً، وبمحمد صلى اللّه عليه وآله وسلم نبياً ورسولا » . ومن ذاق طعم الإيمان أجرى اللّه على لسانه آثار هذا الطعم حكمةً وعلماً، قال اللّه تعالى : واتقُوا اللّه ويعلمكُم اللّه ، وهذا هو مجال حديثنا عن الشيخ سعيد رحمه اللّه .



فالشيخ سعيد بن عيسى العمودي كما تصفه كتب التراجم كان أُمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، والأميةُ عِلةٌ قادحةٌ في المرء؛ إلا أن أُميةَ رسولِ اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم لها مدلولٌ خاص؛ ولكنا عندما نعالج أمية الشيخ سعيد، نجد أنه ليس بالأمي الذي يعرفه الناس، وأن الذين يصِرون على أميته بمفهوم الجهل يبالغون كثيراً في ذلك، فالشيخ سعيد عاش ردحاً من عمره بين التعلم والعلم، وكانت مدينته قيدون وما جاورها مكاناً خاصاً للعلم والعلماء، إلا أنه لم يتدرج في الأخذ والطلب كما هو حال الطلاب والمريدين، بل كان يكتفي بالسماع والمجالسة، والسماع والمجالسة نوع من أنواع التعلم، وقد أُثر بحضرموت أن هناك من حفظ القرآن ليس بقصد الحفظ وإنما لكثرة سماعه وحضوره مع القراءة، وهذا ليس مستحيلاً، إضافة إلى أن أعمال الطاعات والعبادات وما يشترط لها من الأركان والواجبات والسنن وغير ذلك كان العلماء ليلاً ونهاراً يفَقهون الناس فيها، دون الحاجة للبحث أو الانتقال من مكانٍ إلى مكانٍ في سبيلِ تحصيلِ ذلك، فالشيخ سعيد بن عيسى العمودي أُمي من حيث التدرج في طلب العلم على يد العلماء آنذاك، عالِم بكل ما يلزم علمه من الدين، إلا أنه آثر الخمول

والعزلة والبعد عن نشاط الحياة الفكرية، ومن خلال هذا الخمـول كان يتعلم ويستفيد ويزداد نوراً على نورٍ، وقد برز هذا النور جلِياً عندما قدح علم التصوف في ذهنه قوادح الحكمة، وبـرز إمامـاً وشيخاً، ومسلكاً ومربياً، وصدرت عن لسانه عبـارات الـذوق والحكمة وهو يطوي تلاميذه على طريق العلم والعمل، فاقرأ مـا يقول :

ليس لأحد من المشايخ فضلٌ إذا أحب أن يحمد بما يفعلـه مـن المعروف إلى فقرائه، إن فقراءه كأولاده، فليس يحمد من فعلـه في الأباعد من الناس. ويقول رحمه اللّه : لا يصحبن أحدكم المشؤوم وإن أركبه .

ويقول في مجال الحديث عن البركة بالعلم والعمل : الثمر كـثير والحصاد قليلٌ . ولما سئل عن شروط الشيخ المربي أجاب بقوله : أن يكون جوالَ الفِكر، جوهري الذكر، قليلَ المنازعة، كريم المراجعة، عظيماً حِلْمه، كثيراً عِلمه، أوسع الناسِ صدراً، وأذلهـم نفْسـاً، ضحِكُه تبسما، واستفهامه تعلما، مذكراً للغافل، معلماً للجاهل، لا يشمت بمصيبة، لا يجهلُ بمن جهلَ عليه، مسروراً بمن أتى إليه، آنِساً للغريب، عوناً للمسلمين في كل أمرٍ تعِيب، أباً لليتـيم، ومعينـاً

للضعفاء والمساكين، حزنه في قلبه، مسروراً بربه، مستوحشاً من أهل الدنيا، لا يبخل ولا يعجل، ولا يضحك لما ينتصر، ولا يغتاظ على من يؤذيه، بل يعفو ويصفح، ولا يخوض فيما لا يعنيه، وإن شتِم لا يشتم، وإن سِئلَ لا يمنع، وإن مِنع لا يغضب، ألْين من الزبد، وأحلى من الشهد، قريباً من الخير وأهله، بعيداً عن الشر وأهله، غَضبه بحكْمِ عدِله .

ويقول أيضاً : لا يكون الشيخ شيخاً حتى يكون عالماً بأصول الدين وفروعه، فالأصولُ سبعةٌ والفروع سبعون .

ولما سأله الشيخ أحمد ابن أبي الجَعدِ عن طريق الصوفية أجاب بقوله : طريق الصوفية طريق محققين، وطريق مجتهدين ؛ فأما **طريق المحققين** فهجر الخلائق، وقَطْع العلائق، والاجتهاد في خدمة المَلِكِ الخالق . وأما **طريق المجتهدين** فالصيام والقيام وترك الآثام(١) .

وأجاب أيضاً على سؤالٍ آخر لابن أبي الجَعد، عندما سأله عن صفات الفقير الصابر، فقال : أن يلبس مدرعة من البلاء، ودلقا من

---

(١) قال مؤلف « عرائس الوجود » : وقد شرح هذه المقالة الفقيه الإمام عبداللّه بازرعة في رسالة وبين شيئاً من معناها .

العزة، ورداءً من الخشوع، وسراويل من العفاف، ولحافاً من الحياء، وجبةً من المراقبة، وعكازاً من التوكل، ومشعلاً من الإيثار، ونعـلاً من الصبر، وسواكاً من القناعة، ولْيتخِذْ زاويةً من العلم، وشراباً من المعرفة، فإذا وقف بباب المعرفة ووقف بباب المَلِكِ القُدوس انتهى، فإذا انتهى أُعطِي صفاتٍ غريبةً يعرف ا، فإذا عرِف ا كان أرق من الماء، وأعلى من السماء، فيكون جانبه أخصب وهِمته أقطع من السيف، وكلامه مجانباً للحيف، مثَلُه مثَلُ البحر يغسِلُ فيه الغاسل، ويأكل من سمكه الآكِل، الداخلُ فيه مستريح من تعـب المسـافة، وينجيه من المخافة، إن قال صدق، وإن قيل له صدق، وينصف من نفسه، ولا ينتصف لها، أي شيءٍ رزقَه اللّه رضِي به واكتفـى، لا يظلم أحداً من خلق اللّه تعالى، وإن ظَلَم صبر وعفى، أولئك الذين هداهم اللّه وأولئك هم المفلحون . انتهى[1] .

(١) المصدر السابق ٢٥٠-٢٥١ .

آثار الشيخ سعيد العمودي

ترك الشيخ سعيد بن عيسى العمودي آثاراً علميةً واضـحةً في كثيرٍ من بلاد حضرموت وبقية مناطق الـيمن وشـرق إفريقيـا وإندونيسيا وغيرها من البلاد، مثَلُه كمثَل آثار السادة بني علـوي، حيث كانت طريقة الفقيه المقدم والشيخ سعيد بن عيسى طريقـاً ذات هدفٍ وغايةٍ واحدةٍ، ولذلك انتشرت آثارهما في وقتٍ واحدٍ تقريباً وتوزع تلامذتهما وأتباعهما سوياً في أنحاء المعمورة، فما مِن مظهرٍ من المظاهر الروحية للسادة بني علوي إلا وتجد لـه رافـداً وسنداً من مظاهر الشيخ آل العمودي، وقد يزداد نفوذ المشايخ آل العمودي في بعض المناطق ويبرز متفرداً في نشر الـدعوة والعلـم وإصلاح ذات البين .

فعلى سبيل المثال - لا الحصر - نجد نفوذ آل العمودي في وداي دوعن منذ حياة الشيخ سعيد ثم في حياة أولاده وأحفاده قوياً هيـأ لهم في بعض المراحل إقامة الدولة والسلطة الدينية والدنيوية .

كما أن للشيخ سعيد في وادي حجر وما حولها من القرى المآثر الكبيرةَ، وأهمها بناء المساجد، فما من مسجدٍ بتلك الأصـقاع إلا

ونسِب للعمودي وأبنائه، وللشيخ سعيد أيضـا في وادي حجـر عائدات وصدقات جرت ا العادة منذ القرون القديمة، وذلك لَما شكى إليه أهل تلك النواحي عبثَ الجان بنخلهم وثمرهم، فدعا لهم بالحفظ وألْزمهم إخراج صدقاتٍ من نخلهم للفقـراء والمسـاكين، فبقيت هذه العادة مستمرةً في وادي حجر حتى حصول التحولات الاجتماعية خلال مرحلة الثورة.

وفي بلاد العوالق السفلى توجد آثار كثيرةٌ للشيخ سعيد العمودي وأولاده، فهناك عدد من المساجد منها مسجد المساني ومسجد لكح ومسجد الشيخ سعيد بأحور، كلها تنسب للشيخ سعيد عندما زار أحور في القرن السابع الهجري، ويذكر الرواة أن أحد أحفاد الشيخ سعيد بن عيسى زار أحور ورأى انتشار القطيـب والجـذري في الأهالي حتى فتك بالكثير من الناس، فدعاهم إلى جمـع أولادهـم وبنا م والخروج م في المدينة يدورون في شوارعها قائلين : «شي للّه شي للّه شوي للّه يالعمودي»، ودعا الناس أن يتصدق بعضـهم على بعض بما تيسر، فصارت عادةً في أحور تقام في النصف مـن شعبان، وبرزت مظهراً من مظاهر البلاد وشابتها فيما بعد شوائب سيئةٌ منها اختلاطُ الرجال بالنساء في المنازل والطرقات، ولـذلك

شدد النكير عليها سيدي الوالد علي بن أبي بكر المشهور عام حلوله بأحور ١٣٦٢، وطلب من السلطان عيدروس بن علـي العـولقي إيقافها فأوقفت عاماً أو عامين ؛ ولكن الأمراض الفتاكة عادت إلى البلاد من جديد فأجاز لهما الوالد عليه إعادا بشرط أن تقتصـر على الصغار والبنين والبنات فقط، واستمرت هذه العادة إلى اليوم وتعرف «بالشويلاّه»[1] .

كما أن من آثار الشيخ سعيد بن عيسى العمودي بالعوالق انتشـار بعوثٍ عديدةٍ من ذريته، ولا زال منهم الكثير في القرى الساحلية من أحور كالبندر والمساني وحناذ وأحور وغيرها، وكانت لهم عـادات ومقامات وترتيب عباداتٍ تشبه نظام قيدون وبضة وبقية حضرموت ؛ ولكنها زالت بزوال رجالها ومشايخها وتأثرِ الأبناء بعجلـة الزمـان والتعليم . ومن آل العمودي من ضرب في أكناف الأرض باحثاً عـن الرزق، فسافر العديد منهم إلى الحجاز وإندونيسيا وإفريقيـا والهنـد وغيرها، وظهر منهم التجار والأثرياء الذين ساهموا في حركة التجارة

---

(١) تحدثنا عن أصل هذه العادة في فصل خاص من كتاب « الطرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور »، وهو تحت الطباعة، وكذلك في كتاب «قبسات النور في ترجمة سيدي الوالد علي بن أبي بكر المشهور »، مطبوع، وكلاهما لكاتب الترجمة .

والمال في تلك البلدان، ومنهم من عمر بعض المنازل في بلاده وساهموا في إعمار مسجد جدهم الشيخ سعيد بن عيسى العمودي .

ولا تزال الآثار الكتابيةُ مفقودةً أو مودعةً في منازل المشايخ آل العمودي الذين ضربوا في أكناف الأرض وتركوا خزائن كتبهم في منازلهم القديمة بدوعن، وقد شاهدت العديد من المكتبات في دوعن الأيمن والأيسر مغلقةً منذ عشرات السنين، ولا يعلم حالُ محتويا ـا الكتابية وكنوزها المعرفية إلى اليوم، والخشية كل الخشية من ذهاب هذه الآثار إما بالتلَفِ والِبِلَى أو بتغير أحـوال الأحفـاد وتبـدل مفاهيمهم العلمية، بحيث يضطَر بعضهم إلى أن يتخلص من كتـب أهله بالإحراق والإبادة كما هو حال البعض اليوم، ولا حـول ولا قوة إلا باللّٰه .

انتقاله رحمه اللّٰه إلى الدار الآخرة

عاش الشيخ سعيد حياةً مليئةً بالنفع والإفادة والإصـلاح بـين الناس، مرشداً للحاضر والباد، سالكاً م مسلك الرشاد، مع طول

تفَكرٍ وتعبدٍ للّه، وتذَوقٍ وتشوقٍ ومحبةٍ لمولاه، وكان كـثيراً مـا يستشهد في أخريات حياته بأبياتِ رابعة العدوية :

يا قريبـاً مِـن الفـؤاد   يا بعيـداً عـن النظَـر
أنت عـذبت مهجـتي   أنـت كلّفْـتني السـهر
هكـــذا يـــا معـــذبي   من بلي بـالهوى صـبر
ليس من يكْـتم الهَـوى   مِثْلُ من بـاح واشـتهر

وكانت وفاته رحمه اللّه سنة ٦٧١ هـ ، ودفن بمدينة قيـدون، وقبره ا مشهور، ومسجده هناك إلى اليوم معمور، رحمه اللّه رحمة الأبرار، ونفعنا بعلومه في الدارين، آمين .

حفظ بني علوي الود لآل العمودي

حفظ السادةُ بنو علوي وذراريهم للشيخ سعيد بـن عيسـى العمودي ذلك الود الذي نشأ على عصر الفقيه المقدم، ويمثلُ هـذا الحفظُ المتسلسلُ في الأحفاد والأسباط في زيـار م المتكـررة إلى قيدون لنشر العلم، ولزيارة الشيخ سعيد، ولتمكين هذه العلاقة بين

آل البيت والمشايخ الكرام، وكذلك ظهر حفاظ هذا الود، فمـن ذلك قول الشيخ عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر :

والشيخ سعيد قد أسقي عند النبي هود   وتسمى بالعمود

ولما زار السيد جعفر بن أحمد زين الحبشي المذكور مدينة قيدون ومشاهدها وزار قبر الشيخ سعيد ألقى قصيدته الشعرية التي جـاء فيها :

فإذا ما بدت لـك اعـلام وادٍ   يدع قيـدون فـأنِخ بفناهـا
زر لعالي العلى سعيدِ بنِ عيسى   فهناك القلوب تعطَـى مناهـا
الإمام الهُمام من قـد تسـامى   في ذُرى المجدِ وارتقى لعلاهـا
فيه مخزونُ سِـرنا آلِ علْـوي   أخبرتنا بذا الثقـات شِـفاها

إلى آخر القصيدة التي وصف بها الشيخ سعيد وتوسل به .

ولا زال العلماء والصلحاء من آل البيت ومن المشايخ والمحـبين من كافة القبائل والفئات الاجتماعية يذكرون هذه الصلة الروحية العميقة، ويجدون نفَسها في ما بقي من الآثار والمشاهد والصلات .

ونختتم هذه الترجمة بقول الشيخ سعيد بن سـالم الشـواف في الشيخ سعيد ضمن قصيدته الطويلة المعروفة بـ «قصعة العسـل في

مدح أهل اللّه عز وجل» حيث وصفه بقوله :

فــأولهم الســيد الهــول	بالحــال أيضــا وبــالقول
مالــه مثــل في الســادات	آياتـــه اعظـــم آيـــات
سيدي بــن عيســى يــذكر	في البحــر أيضــا والــبر
ذاك العمـــودي المشـــهار	حـــتى الفـــرنج الكفـــار
الشـــيخ مـــولى قيـــدون	للخلـــق مـــره يـــردون
وآل العمــ ــودي مــ ــره	وأهــل العــلا والفخــره
سيدي العمــودي بــالطول	غــوث المــلا شــي للّــه
لـــه في الســـما رايـــات	يفــرق لهــا امــلاك اللّــه
لــه شــأن عــالي يشــهر	مشـــهور شـــاهره اللّـــه
يعرفـــه مـــن في الأقطـــار	تخضـــع لـــه شـــي للّـــه
بحــر الفــرات وســيحون	فائض علــى خلــق اللّــه
سادة مــن اهــل الشــهرة	أصـــلحهم الـــرب اللّـــه

وكذلك يقول الشيخ عبد اللّه باسودان رحمه اللّه :

كــالعمودِي الــذي غَــدا	ســـعده في المـــلا بـــدر
لاحظتـــه عنايـــةُ اللـــ ـ	ـ ــهِ في حالَــةِ الصــغر
وترقـ ـــى إلى العـ ـــلا	لمقـ ـــامٍ بـ ـــهِ افتخـ ـــر

ولـ ـه حضـ ـرةٌ ـ ـا نـ ـوره ضـ ـاءَ كـ ـالقمر
وعليهـ ـ ـا جلالـ ـ ـةٌ تلْبس الحـ ـالَ مـ ـن حضـ ـر

سلالات آل العمودي وتفرقهم في البلدان

ظهرت منذ القرن السابع الهجري لأسرة المشايخ آل العمـ ـودي مكانةٌ اجتماعيةٌ وصولةٌ وسلطنةٌ في وادي حضرموت وما جاورها من الأودية والبلدان، وكان أساس هذا النفوذ وقاعدته مظهر الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، المظهر الذي رسخه الشيخ سعيد مجاوراً ومساعداً ومسانداً لمظهر وأثر الفقيه المقدم، و ذا النفوذ الروحـ ـي والموقف الاجتماعي الديني انتشر المنهج الصوفي المتميز، وظهـ ـرت المدرسة العلوية، والطريقة العمودية، في كافة المـ ـدارس والزوايـ ـا والمساجد، متمثلةً في أساليبها الخاصة، ووسائلها المألوفة، ومنها:

(١) نظام الحلقات العلمية لدراسة المذهب الشافعي وقراءة كتب الذوق.

(٢) إقامة الحضرات والأذكار والموالد .

(٣) الاهتمام با اهدة للنفس من خلال الأخـ ـذ بـ ـالعزائم في الشرع .

(٤) تصفية النفس عن كدورا ا بالآداب والأخلاق والتواضع .

(٥) إشاعة مبدأ حسن الظن في الجميع .

(٦) إشاعة مبدأ التنافس في أعمال الخير والطاعات .

ومن خلال هذه المبادئ والأعمال الصالحة سرى أَثَر الطريق إلى كافة الفئات الاجتماعية، وبلغ إلى مستوى التأثير على حملة السلاح والحكام والظلمة، ومن أسرار هذا المبدأ أيضا تمكن شيوخ الطريق في حضرموت ونواحيها من بسط نفوذِهم الروحي على القبائل، مما ساهم في حفظ كرامة المسافرين من السلب والنهب، وأسهم أيضا في إقامة وتشييد « الحُوط » الآمنة التي يحرم فيها الاعتداء على الآمنين فيها ولو كانوا من الأعداء الألِداء، وأسهم هذا في تحريك الأسواق وانتشار التجارة، و يئة مصالح الناس دون خوف ولا فزع.

وقام الشيوخ أيضا بأخذ العهود على القبائل من جهة، وعلى الحكام من جهة أخرى، لما فيه من مصلحة الجميع من الرعايا، مثل تأمين المسالك وفض النزاعات، وحفظ الأموال وحراسة الممتلكات، وسرى سِر هذا القانون الروحي في كثيرٍ من بلاد اليمن، و يأ ذا القانون تنقلُ المسافرين، وتحول العلماء والمشايخ والدعاة من بلد إلى بلد دون خوف، بل صار لآل العمودي في

وادي دوعن ووادي حجر وبلاد العوالق وغيرها من الـبلاد الـتي نـزلوا ا مقام اجتماعي مرموق، وصاروا يؤدون وظيفةَ العلـم، وحفظَ الأمن، مثل إخوا م في طريق السادة بن علوي، متـوارثين هذه المقامات والمراتب، جيلاً بعد جيلٍ، حـتى ظهـور العصـر الحديث، ودخول البلاد ضمن معاهدات الحماية، و ا بـدأ العـد التنازلي لأثر هذه المقامات الروحية شيئاً فشيئاً إلى اليوم .

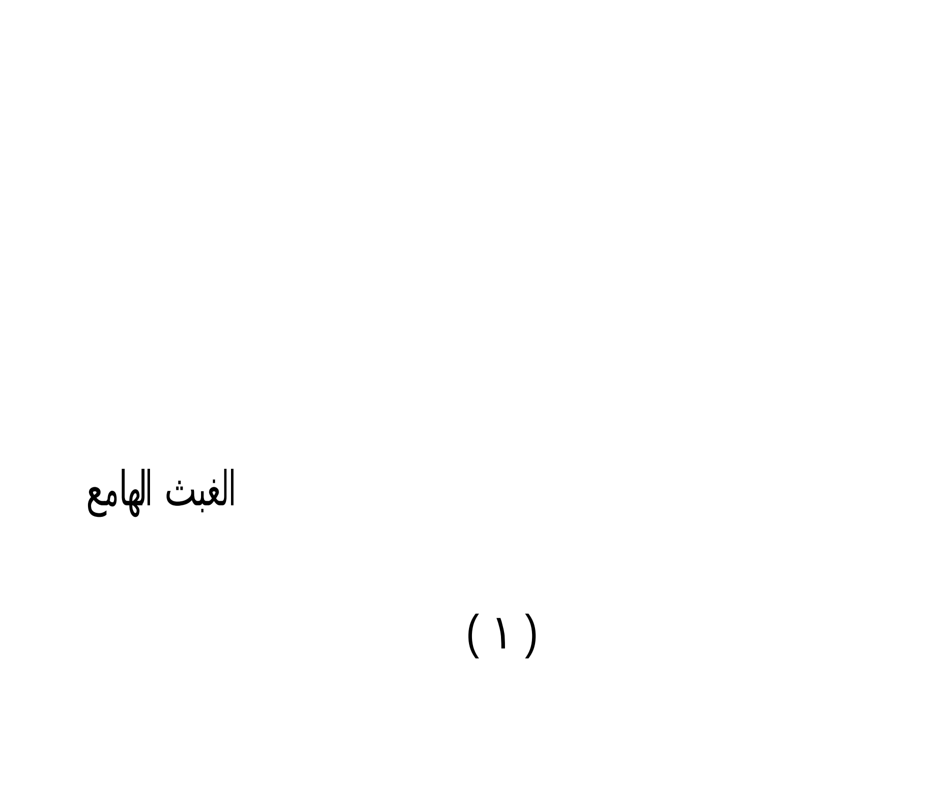
الخاتمة

إن إهمالنا لتاريخنا الذاتي، والاستعاضةَ عنه بتقـديس الواقـع، والتغني بشخوصه وطقوسه ؛ قد أورثَنا الذل والوهن، وجعل منـا - ونحن أمةُ تاريخٍ وسلالةُ فضلٍ وعلمٍ - جعل منا دمى ترقُـد في ميدان العرض والطلب، ننفذُ مصالح الحاقدين على كُـل سـلالةٍ صالحة، ونرضى بذَر الرماد على عيوننا، وقد ذُر الرماد على العيون حتى بلغ أثره القلوب، وانتقل أجيالُ هذه السلالات من مسـتوى الاهتمام بتاريخهم إلى محاكمته ونقدِه والطعنِ في الآباء الصـالحين والأجداد المتقين .

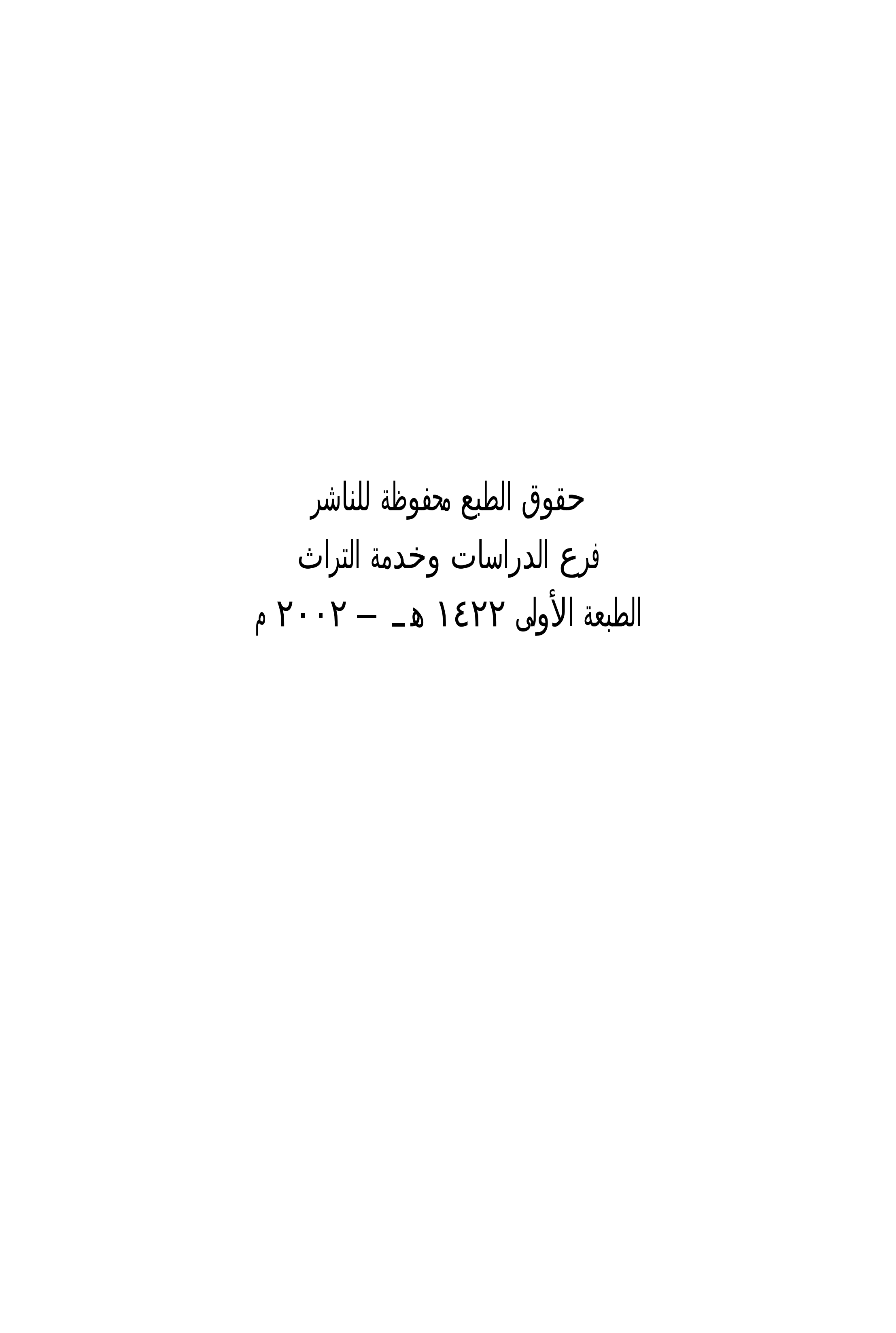
وكثير منهم لا يدري لمصلحة من هذه الأفاعيل، ولا يفرق بين الحق المطموس وبين واقع الأضاليل؛ لكن إلى متى يا قـوم ؟ مـتى نعرف المستثمر الحقيقي لترهات النقض والقبض ؟ ومتى نفهم المعنى من المثل القائل : « رحِم اللّه امرءً عرف قَدر نفْسِه » .



الفهرس



الغبث الهامع



فرع الدراسات وخدمة التراث
الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م

الغيث الهامع والمزن الدامع

في ترجمة

الشيخ عبيد بن عبدالملك بانافع

(ت ١٠٠٦ هـ)

الغلاف الداخلي

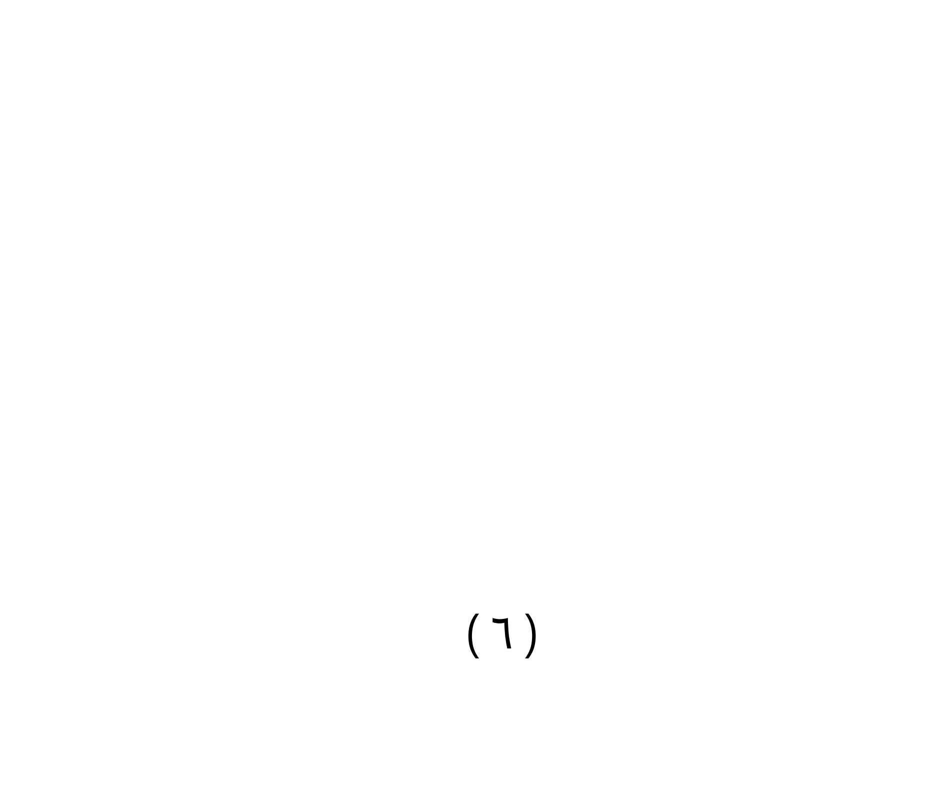

بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني

أمن هو قانِت آناءَ الليلِ ساجِداً وقائماً يحذَر الآخِرةَ ويرجو رحمةَ ربهِ قُلْ هلْ يسـتوِي الـذِين يعلَمونَ والذِين لا يعلَمونَ . إنمّـا يتـذَكر أُولـو الألباب . قُلْ يا عِبادِ الذين آمنوا اتقُوا ربكُم ِللذِين أحسنوا في هذِهِ الدنيا حسنةٌ وأرض اللّه واسِعةٌ ِإنمّا يوفى الصابِرونَ أجرهم ِبغير حِسابٍ .

[الزمر: ٩- ١٠]

(٦)



الإهداء

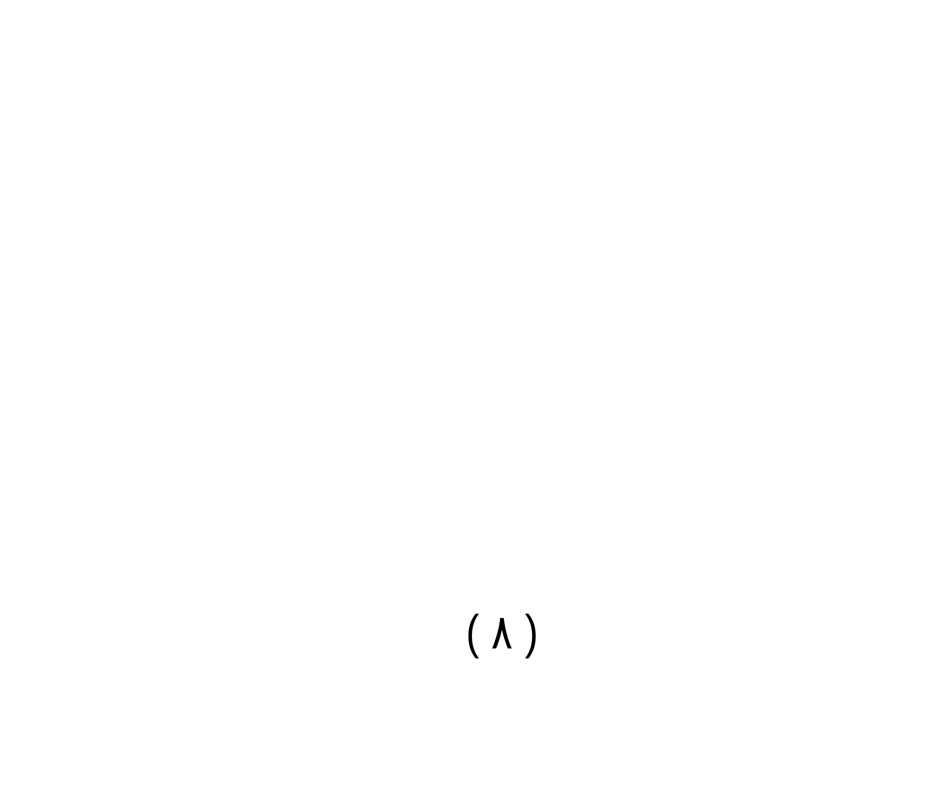
إلى سلالاتِ الشيخ عبيدِ بنِ عبدِالملك بانافع..

وإلى المُتطَلِعين حقّاً إلى نماذِجِ السلَفِ الصـالح ، غير مغالِين ولا مكّذبين..

أُهدِي هذه الترجمة..

وأهيب بالسلالة، ممنِ اطلَع على هذِهِ الأمثلةِ، أنْ يتقِي اللّه في لحُومِ الصـلَحاء.. أئمـةِ الطريـق.. وشيوخ الفَرِيق.. وهلْ يكُب الناس في النارِ علـى مناخِرِهِم إلا حصائِد ألْسِنتِهم ؟

المؤلف



شاهد الحال

عاش معرضاً كل الإعراض عن الحياة الفانية، زاهداً في حطامها، غير ناظرٍ للناس في ذوا م فضلاً عما في أيديهم إلا من كان من عباد اللّه الصالحين أو من أهل البيت النبوي، فله معهم تـمام الأدب والانطواء، مظهراً لهم صـدق المحبة، منـزلاً لهم من قلبه وعملـه المكانـةَ الرفيعةَ طمعاً فيما عند اللّه من الثواب المترتب على إقامة الأسباب.

المؤرخ أحمد بن محمد بانافع أبونجمة

((ترجمة الشيخ عبيد)) ص١١

المقدمة

نحمد اللّه الذي هيأ الأسباب، لحفظ تراثِ الشيوخِ الأحبـاب، ونشكُره على نعمة الإسلامِ وحب الصـالحين وإن لـم نعمـلْ بعملهم، سائلين المولى أن يكتبنا معهم ومنهم وفي بركَتِهم، لقولـه صلى اللّه عليه وآله وسلـم : « المرءُ مع من أحب »، والصـلاة والسلام على الحبيبِ المحب، سيدِنا محمدٍ العبدِ المحَـضِ المقـرب، وعلى آلِه الكرام، وصحابته الأعلام، وعلى منِ انتـهج منـهجهم وسلك سبيلَهم طلباً لرضاء رب الأنام، مِن يومنا هـذا إلى يـوم الدين.

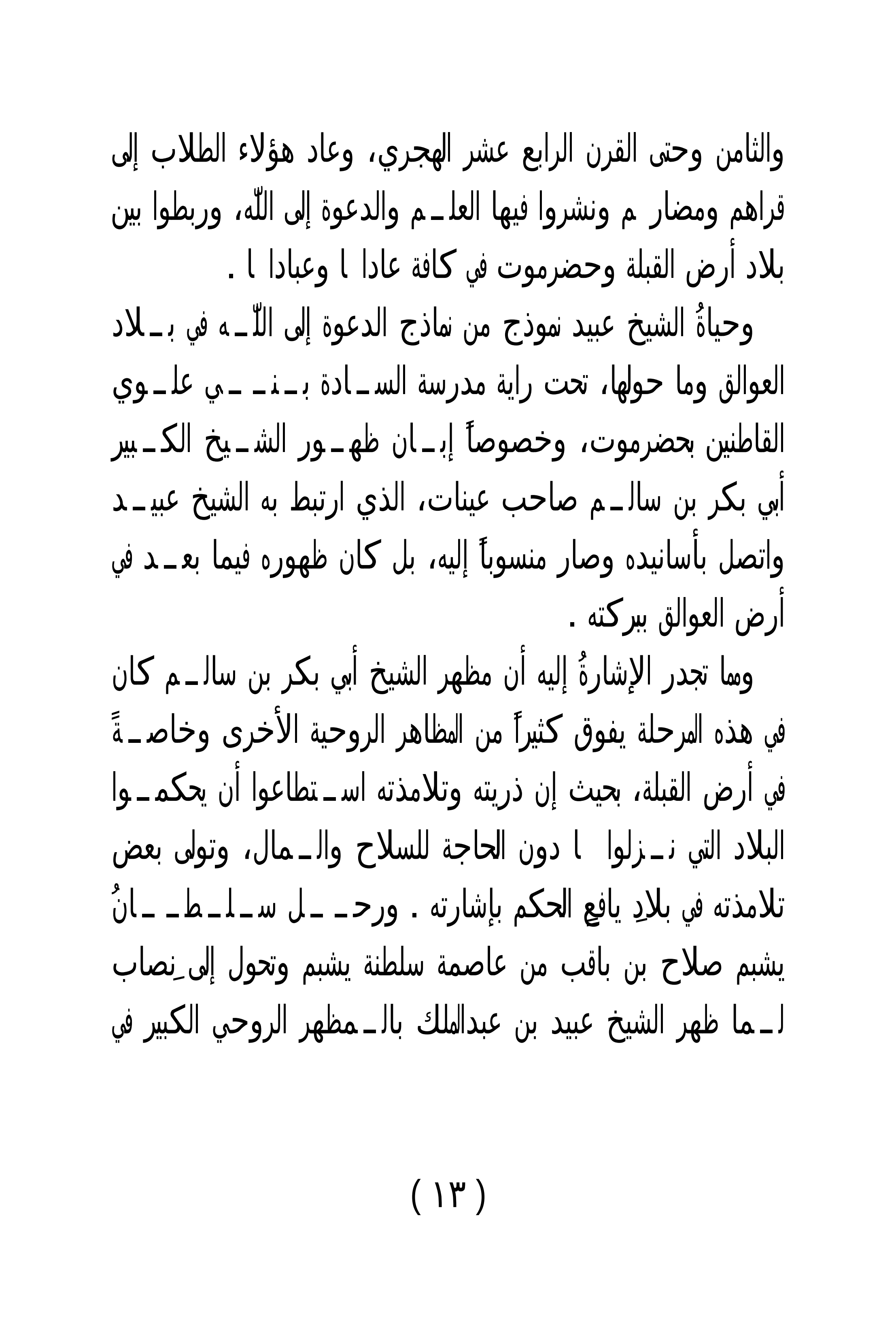
وبعد فهذه ترجمةٌ موجزةٌ لأحدِ رجالِ القـرن العاشـر الـذين عطرت أخبارهم وأحوالهُم البلاد، وانتفع م العباد، نقلتها بتصرفٍ من مخطوطٍ قديمٍ كتبه الشيخ أحمد بن محمد بانافع المعروف بـأبي نجمة، وقد أشار رحمه اللّه أنه التقطه من وريقاتٍ كانت للشـيخ الحَسن بلحاج باجفير تلميذ المترجم له الشيخ عبيد ، وهي معروضةٌ بأسلوب ذلك العصر وعباراته ؛ ولكني حاولت قَـدر اسـتطاعتي تقريب المفهوم لجيلنا المعاصر كي يقرأ عن حقيقة رجال الإسلام.. وأئمة التصوف الأعلام.. بلسان الزمان .

وسيجد القارئ في هذه الترجمةِ أعاجيب الأحداث والأخبـار، ونماذج الخير والأخيار وبعض الكرامات[1] ، من رجالٍ صدقوا مـا عاهدوا اللّه عليه، وخاصةً أن الشيخ عبيداً من بلادٍ قَلت إشـارات المؤرخين المعاصرين أن يذكروها أو يعتنوا برجالها وأعلامها، إذ إن غالب كتب التاريخ والتراجم اهتـمت بحضرموت وببعض أعلام عواصم اليمن كصنعاء وزبيد وعدن وأبين، وغفلت عن المنـاطق الوسطى، وهي ما بين عدن إلى حضرموت، وتشمل بـلاد دثينـةَ والعوالقِ والعواذلِ وأرض الواحدي وبيحان وحجر وما حولها من البلاد .

وهذه المناطق كانت تسمى عند المؤرخين بحضـرموت « أرض القبلة »، ومنها سافر العديد من طلبة العلـم إلى تـريم وسـيؤون وعينات في سبيل التعلـم والأخذ والتلقي ما بين القـرن السـابع

---

(١) اعتمدنا نقل بعض كرامات الشيخ عبيد في هذا المؤلف خلافاً لما اعتدنا عليـه في بقية التراجم من هذه السلسلة ، وذاك لأن كثيرا من وقائع هذه الكرامـات ذات صلة بورود أسماء بعض المناطق والشخصيات المطمورة في التاريخ، فأثبتنا هـذه الكرامات لتوثيقٍ تاريخي يتلاءم مع عصر المترجم له، وسيجد الراغب في التعرف على موقفنا من إيراد هذه المادة وتجاوزها في كتابنا « شروط الاتصاف » مطلوبه، كما أننا خصصنا لها فصولا في ترجمة « الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم » ضمن هذه السلسلة، وكذا في ترجمة الشيخ عبدالرحمن السقاف والشيخ عبدالله باعلوي.



والثامن وحتى القرن الرابع عشر الهجري، وعاد هؤلاء الطلاب إلى قراهم ومضار م ونشروا فيها العلـم والدعوة إلى اللّه، وربطوا بين بلاد أرض القبلة وحضرموت في كافة عادا ا وعبادا ا .

وحياةُ الشيخ عبيد نموذج من نماذج الدعوة إلى اللّـه في بـلاد العوالق وما حولها، تحت راية مدرسة السـادة بـنـ ـي علـوي القاطنين بحضرموت، وخصوصاً إبـان ظهـور الشـيخ الكـبير أبي بكر بن سالـم صاحب عينات، الذي ارتبط به الشيخ عبيـد واتصل بأسانيده وصار منسوباً إليه، بل كان ظهوره فيما بعـد في أرض العوالق ببركته .

ومما تجدر الإشارةُ إليه أن مظهر الشيخ أبي بكر بن سالـم كان في هذه المرحلة يفوق كثيراً من المظاهر الروحية الأخرى وخاصـةً في أرض القبلة، بحيث إن ذريته وتلامذته اسـتطاعوا أن يحكمـوا البلاد التي نـزلوا ا دون الحاجة للسلاح والـمال، وتولى بعض تلامذته في بلادِ يافعٍ الحكم بإشارته . ورحـ ـل سـلـطـ ـانُ يشبم صلاح بن باقب من عاصمة سلطنة يشبم وتحول إلى نصاب لـما ظهر الشيخ عبيد بن عبدالملك بالـمظهر الروحي الكبير في

بلاد العوالق، وأُثر عن السلطان مقالته للشيخ عبيد معترفاً بحال الشيخ ومقامه ونفوذه : « لا يجتمع سيفانِ في جِفير » .

وتوطد الكثير من أرض القبلة لأتباع الشيخ أبي بكر وذريته ما بين مقامِ سلطةٍ حكوميةٍ أو سلطةِ مناصبٍ روحيةٍ نافذةٍ على القبائل والدول .

وأرسى الشيخ عبيد في بلاد العوالق مدرسةَ وطريقةَ آلِ باعلوي مع غاية من المظهر الروحي النافذ، ووجه العشراتِ من أهل تلك البلاد ومن قبيلته أيضا آل بانافع لطلب العلم بحضرموت، فتمكن بذلك سير الطريقة وتخرج الكثير من أولئك المشايخ من تريم وعينات وسيؤون والغرفة والمسيلة، وعادوا بالخير الوفير والمدد الكبير، وانتشروا في يشبم والصعيد ونصابٍ وأحور والمحفد وغيرها، وتولوا مهمة القضاء والتدريس والإمامة والخطابة والإصلاح بين الناس .

نبذة عن بلاد العوالق منشأ الشيخ عبيد

بلاد العوالق جزءٌ من بلاد اليمن، والعوالق هم مجموعـة مـن القبائل العربية، مضاربها تـمتد من سواحل المحيط الهندي المتاخم لليمن حتى بلاد « قصاب بيحان » شمالاً، ومن بلاد العواذل غربـاً حتى بلاد الواحدي شرقاً .

وهي تنقسم إلى قسمين : **العوالق العليا،** وعاصمتها نِصـاب، ومن مد ا الصعيد ويشبم وخورة، **والعوالق السفلى،** وعاصمتهم أحور، ويقطنون السهول، ومن مد م المحفـد والحـاق ولُباخـة، ويعتـمد العوالق في حيا م على الزراعة ورعي الأغنام، وتجمعهم أواصِر عرقيةٌ واحدة، خصوصاً قبائلُ المنطقة القدماء، ويمتاز العوالق بشجاعتهم النادرة وهمتهم الأريحية وحبهم للخير وأهله، ورغبتـهم في التوجه إلى العلـم إذا وجدوا من يحسن أسلوب الدعوة معهم، وقد احتضن العوالق دولةً وشعوباً دعوة « آل البيـت النبـوي » بحضرموت منذ ظهورها، وأسهموا في نشـرها وحمايـة رجالهـا واستقبال الأفواج من ذرية بـنـي علوي في مناطقهم وقراهم، مع كمال التقدير والحب والاحترام، مما جعل العديد مـن آل البيـت يستقرون في هذه المناطق ويعيشون مع أهلها .

وقد أشارت كتب التراجم والتاريخ إلى هذا التعاطف وخاصة الكتب المعنية بهذا الأمر كـ« الشامل » للسيد علوي بن طاهر و«بضائع التابوت» للسيد عبد الرحمن بن عبيد اللّه، ومن قبلهم «المواهب والمنن» للسيد علوي بن أحمد بن الحسن الحداد، وفي كتاب « الطرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور » لجامع هذه الترجمة بسطٌ شاملٌ لهذه المسألة[1] .

وأما مدينة « يشبم » مسقط رأس الشيخ عبيد ومنشؤه فهي من مدن التاريخ القديم، ورد ذكرها في النقوش القديمة، ووصفت بأنها من مدن التجارة القديمة في التاريخ، وقد سكنها جملةٌ من الفئات الاجتماعية على مر العصور وتقلباته، ومنهم المشايخ آل بانافع قبيلةُ الشيخ عبيد، ولا زال من أعقابهم جماعات بها إلى اليوم، كما سكنها فيما بعد القرن الثاني عشر الهجري السادةُ آلُ الجفري وتكاثروا بها، وانتشرت ذُريتهم منها إلى بقاع أخرى وحازوا بها المكانة العليا من الاحترام والتقدير، وسار أوائلهم بالسيرة الحسنة والقدوة المستحسنة حتى صارت كلمتهم هي النافذة في الدولة والقبائل وبقية الرعايا .

---

(١) ولا زال تحت الطباعة.

وكان أول من قدم منهم إلى بلاد العوالق السيد علوي بن علي بن أحمد بن علوي بن عبد الرحمن الجفري الشهير « بمولى العرشة » تلميذ الشيخ أبي بكر بن سالم المقبور بتريس، وبقدوم سيدنا المذكور أسس لأبنائه وأحفاده مجداً ومقاماً لا يضاهى، ذكره صاحب « التاريخ المعتمد »[1] بقوله : ونتج عن ذلك الجاه العظيم والقَدر الجسيم في قلوب القبائل، حتى وصل بذلك أن العصا والذبلة[2] من الثوب تكون خِفيراً[3] فضلاً عن أحد أولاد السادة .

وكان موقف آل بانافع من السادة آل الجفري موقف المساندة والتأييد في كل الأحوال والأمور، مما هيأ للجميع حفظَ مودةِ الآباء وخدمةَ البلاد والرعايا وإقامة الشرع الحنيف .

---

(١) هو رسالةٌ لطيفةٌ في أنساب آل الجفري كتبها السيد عبدالله بن حسن الجفري، ولم تطبع بعد .

(٢) مجموعة خيوطٍ من طرف الثوب تبرم برماً ويحملها المنتسب للشيخ لإطفاء الفتن أو الحروب عند ظهورها .

(٣) ما يستجار به .

نبذة عن الشجرة النافعية

ينتمي المشايخ آل بانافع الموجودون ببلاد العوالق إلى بني أمية، وذلك بحسب الوثائق المحفوظة لديهم عن ذلك، ومن أهمها مكاتبات وأوراق الشيخ أحمد بن محمد بن أبي نجمة، وهي المصدر الوحيد إلى الآن في إيضاح هوية الشجرة النافعية بالتفصيل، وملخص ما ورد فيها قوله :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه عز شأنه، ليعلم من وقَف على هذا المرقوم بأني وجدت بخط من سمع من الجد العالم العلامة عبدالملك بن عبد اللّه المخرمي بانافع، ووجدت أيضا بخط الفقيه عبد اللّه بن علي بن عبد العليم بن عبدالملك بن عبد الرحمن بانافع قال :

وبعد فإني وجدت أنساباً مكتوبةً بقلم الفقير أبي بكر ابن الفقيه علي بن عبد العليم نافع أن نسب آل نافع إلى بني أمية، روى ذلك الشيخ الكبير القطب الشهير عبيد بن عبدالملك نفع اللّه به وببركاته آمين، وسمع مثل ذلك الفقير إلى اللّه أحمد بن محمد بن أبي نجمة من الحبيب أحمد بن محمد المحضار بالقويرة في وادي

دوعن، ومن الحبيب أحمد بن حسن العطاس بحريضة، أن آل بانافع منتسبين إلى الشهيد عثـمان بن عفان . اهـ .

ونقل الشيخ ابن أبي نجمة عن السيد سالـم بن أحمد بن علي بن عمر المحضار ما مثاله :

أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب يجتـمع بنسب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلـم عند عبد منـاف، فـإن سيدنا عثـمان بن عفان بن العاص بن أمية بن عبد شمـس بـن عبدمناف إليه يتصل نسب آل بانافع .

قال كاتب الشجرة : وأصل منشأهم من خراسان، كمـا روي أ م خرجوا ثلاثةَ إخوةٍ لأبوين إلى حضرموت، ثـم إلى قريـة تسمى عمد، فأحدهم سكن لها وله عقب فيها، وفي الهجرين يقال لهم آل بانافع . والثاني منهم سكن قرية يشبم ولـه ـا عقـب مشهورون ذا الاسم، وهو جدهم وجد آل الحيق المسـمين الآن «آل علي بن بوبكر»، وجد « آل علي بن حسن » القاطنين بوادي عبدان . اهـ .

وتسلسل نسبه هو الشيخ المربي عبيـد بـن عبـدالملك بـن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن نافع بن محمد بن أبي بكر بـن

نافع بن إبراهيم الأموي، حسب مـا ورد في الأصـل المخطـوط للشجرة النافعية[1] ، وأمه فاطمةُ بنت علي من قبيلةٍ عريقةٍ يسمون آل باديج بنواحي يشبم[2].

وقد خدمتِ الشجرةُ النافعيةُ في كتابنا «الطرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور»، في بحث ضاف متكامل اشتمل على بعض الوثـائق والمشجرات.

مولده ونشأته

ولد الشيخ عبيد بوادي يشبم في عائلة من عائلات المشايخ أهل العلـم والجاه والكرم .

اعتنى به أهله ووجهوه إلى تعلـم القرآن ولقنوه الآداب وحسن الأخلاق واحترام الأولياء الصالحين، ولهذا قيل عنه: إنه كان منـذ بداياته وهو متوجه إلى الله تعالى بقلبه وقالبه مشتغل بالطاعات من نوافل العبادات والأذكار والصلوات، حتى بلغ من إقباله وصـدق

---

(١) وقد أثبتناها كاملة في كتابنا « الطرف الأحور » ، ولا زال تحت الطباعة.

(٢) الترجمة المخطوطة لأبي نجمة ص١٠ .

توجهه أنه يقرأ كل يوم من رمضان ختـمتين من القرآن، وكـان ميالا بطبعه إلى المطالعات والـمراجعات في كتب العلـم وقراءة كتب التفسير وعلومه، حتى أثر عنه أنه قرأ تفسير الإمام البغـوي خمسين مرة مطالعة .

أما كتب التصوف والرقائق فكان مقبلا على قراء ا ومطالعتها خصوصا بعد أن كبر وشب ومنها « الرسالة القشيرية » و« روض الرياحين» و«الإرشاد» كلاهما لابن أسعد اليافعي وغيرها.

وكان له استئناس لأصوات السماع وحضور حضرات الـذكر منذ صباه حتى إنه كان يبذل جهده في إحيائها وجمع العديد مـن الأقران على ذلك .

وكانت فطرته مجبولةً على الأخلاق الحسنة وحسن المعاملة مـع الخاص والعام، حتى مالت إليه القلوب وأحبته وحصل له القَبـول التام، وأما بره لوالديه وتفانيه في خدمتهم فقـد بلـغ الغايـة في الإخلاص واللطف معهم .

وعاش معرضاً كل الإعراض عن الحيـاة الفانيـة، زاهـداً في حطامها، غير ناظر للناس في ذوا م فضلاً عما في أيديهم إلا مـن كان من عباد الله الصالحين أو من أهل البيت النبوي، فله معهـم

تـمام الأدب والانطواء، مظهراً لهم صدق المحبة، منـزلاً لهم مـن قلبه وعمله المكانةَ الرفيعةَ طمعاً فيما عند اللّه من الثواب المترتـب على إقامة الأسباب[1] .

وقد خالف منذ صباه كثيراً مما عليـه حـال أبنـاء المشـايخ والـمناصب مظهراً من نفسه طريق الفقر إلى اللّه مع الجميع مـع التواضع والأدب وإقامة الحقوق، وذاك لـما يجد من قـوة حالـه وملكته لنفسه، حتى إنه لـم يمِلْ قلبه للنساء ولـم يتـزوج ؛ ولكنه يأمر أصحابه ومن يستشيره به ويعينهم على ذلك حفظاً لهم وخشيةً عليهم من الوقوع في الحرام[2].

ومن عجائب أحوال هذا الشيخ أن توجهه الروحي واسـتعداده الذوقي برز في بيئةٍ انشغل غالب أهلِها بالحرث ومعالجـة الأرض، وكان له معهم نصيب من المعالجة والعمل مـع مخالفـة حـالهم وطباعهم وعادا م، فقد أُثر عنه قوله عن نفسه آنـذاك : كنـت أصوم وأنا أعمل، ونويت يوماً أن أطوي أياماً مجاهـدةً لنفسـي فطويتها وأنا في عمل الحرث أيام عناء البر وبذْرِه وشـدةِ عمـل

---

(١) المرجع السابق، بتصرف ص١١-١٢ .

(٢) المرجع السابق ص٣ بتصرف .

المسنا[1] من الفجر إلى الليل لا يمكنني الجلوس ساعة، وكنت مع ناسٍ لا يعرفون حالي ولا ما أنا فيه فلا يروني إلا كأحدهم، وتختلف عليه نفسي وتتوق إليه وتطالبني بشرب الماء ولباسي دلق -أي: جرم[2] - وشاد على وسطي شداً قوياً، وكان عتم[3] الماء يتبعني فمنعتها حتى آيستها، فرأيت شيئاً يخرج من فمي حتى وقع في الماء [4].

وكانت للشيخ عبيد نفس جوالةٌ وروح وثابةٌ إلى المكْرمات والأعمال الصالحات حتى أورثَه ذلك صدق المنامات، والمرائي الصالحات الواضحات . ومنها رؤياه لبعض رجال السلف الصالح الذين ظهر أمرهم في عصره وقبل عصره، فها هو يقول عن نفسه : « رأيت أنني بين يدي سادتي ومشايخي السادة المشايخ الكرام الأشراف الشيخ الكبير عبد اللّه بن أبي بكر العيدروس وأخيه الشيخ علي بن أبي بكر السكران، ورأيت أنني ولد الشيخ علي ليس عندي تردد ولا ريب في ذلك، وكنت مطمئناً لم أعرف لي والداً

---

(١) المَسنا والسناوة هي إخراج الماء من الآبار باليد .

(٢) هو اللباس الداخلي تحت القميص .

(٣) مجرى الماء وممره .

(٤) الترجمة المخطوطة ص١٣ .

غيره، فقال لي : خذْ بيد أخيك، وهو يعني الشيخ أبابكر بن عبدالله العيدروس، فأخذت بيده وتـماشينا بين أيديهما وهما يتبعان على أثرنا » .

وكان لهذه الرؤيا ومثلها أثر عظيم في نفس الشيخ عبيـد، بـل كانت بمثابة الدافع القوي لسفره إلى حضرموت فيما بعد رغبةً في الاتصال بمن بقي من أحفاد هؤلاء الرجال .

جاء في نص الترجمة المخطوطة ما مثاله : وحكي أن الشيخ عبيد والشيخ ربيع بن عمر في بداية أمرهما كانا يختلفان إلى حضـرموت على قدم التجريد لزيارة الشيخ معروف باجمال والـمعلـم باجابر ومحمد باعباد وغيرهم ممن يكْثُر عدهم، وكان الشيخ أبوبكر بـن سالـم في ذلك الوقت حالُه في غاية الخمول، وكثيراً ما يقـنص الصيد في البادية.

سفر الشيخ عبيد والشيخ ربيع لزيارة نبي اللّه هود

ورد في نص الترجمة ما صورته : وكان كلما دخل شهر رجب رحلَ الشيخ ربيع والشيخ عبيد لزيارة النبي هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، وينزلون قبل الزيارة بغرفة باعباد، ومنها إلى تريم إلى شعب نبي اللّه هود.

وأشار المترجم إلى تعرفِ الشيخ ربيع والشيخ عبيد على الشيخ أبي بكر بن سالم في تلك الزيارات، وهو لا يزال في ذلك الوقت على حال الخمول، ومع تكرار الزيارات لحضرموت اتسعت دائرةُ الأخذ والتلقي من الشيوخ الأكابر كما سيأتي في الفقرة الآتية .

مشايخه في بداية سلوكه

انتفع الشيخ عبيد بجملة من المشايخ الأجلاء، كان لهم الأثر العظيم في شحذ فطرته وتقويم عزيمته وارتقاء همته، وخصوصا في بداية الطلب والأخذ، ومنهم :

الشيخ الصوفي ربيع بن عمر[1]

(١) ولد الشيخ ربيع بن عمر في قرية تسمى ((المافود)) أسفل وادي عرما، ونشأ في بيئة بدو تميل إلى الشدة والأذى وقطع الطريق على المسافرين، كعادة البداوة في تلك الجهات، ولذلك كان الشيخ ربيع بادي حياته لصا يقطع الطريق هو ورجل من ((المقيط)) من قبيلة يقال لهم ((المقابرة)) اسمه ((عياش))، جمعت بينهم موافقة المهنة، فكانوا ينهبون السابلة ويعتدون على القوافل حتى ذاع صيتهم وخشيهم الناس، ولم يجرؤوا على معاقبتهم، وبينما هم في بعض الأيام كامنين في عقبة المافود بين شبوة وعِرما إذ أقبل رجل يسوق حماره فقال : يا جار اللّه من ربيع وعياش اللقيطي، فقال الشيخ ربيع : قد أجارك اللّه، ونحن نستجير اللّه مما نحن فيه، فتاب الشيخ ربيع عن قطع الطريق واشتغل بالأسباب، والسفر من حضرموت إلى أرض القبلة وإلى صنعاء ونواحيها لبيع وشراء ((الفوة))، وهي مادة تضاف للطيب وبعض الصناعات الحرفية، وينزلها إلى حضرموت، وفي هذه الرحلات اتصل بجملة من العلماء والأولياء وأخذ عنهم وانتفع بهم، وخاصة الشيخ إبراهيم بن عبداللّه باهرمز، روى عنه الكثير من الأخبار والآثار عن المشايخ الأحرار .

ومضت على حال الشيخ ربيع سنة كاملة وهو في حالة استغراق في البكاء والذهول، وتنكر على الناس وصار يصوم الوقت كله ولا يفطر إلا على حبات تمر، وفي أثناء ذلك عبر الشيخ العلامة إبراهيم بن عبداللّه باهرمز على الغرفة واجتمع بأعيانها، ومنهم الشيخ العارف باللّه سالم باعامر، وهو من أجل المشايخ الذين أخذ عنهم الشيخ ربيع فيما بعد، فأمرهم الشيخ باهرمز بمراعاة الشيخ ربيع والاهتمام به، فكان الأمر كذلك حتى إن بعض الفقراء الناسكين

من آل باعباد يأتيه بكتاب ((روض الرياحين)) بعد صلاة العصر ويقرأ عليه عشر حكايات، فإذا فرغ من القراءة طبق كتابه ولم يكلمه بشيء.

وبقى الشيخ ربيع في الغرفة ما شاء الله حتى تحرك عزمه إلى الخروج إلى وطنه، وهناك واصل جهاده بنفسه، صابرا على شظف العيش، حتى شعت عليه ينابيع الحكمة، وأنطقه الله بالعلم اللدني، واجتمع عليه المريدون والتلامذة، وكان منهم الشيخ عبيد بن عبدالملك وأخوه أحمد، لازماه وأخذا عنه وانتفعا به انتفاعا عظيما، حتى كان الشيخ عبيد يقول عنه : سيدنا وشيخنا ربيع بن عمر شيخ الوقت، وهو لذلك أهل .

وروي أن أهل شبوة آذوا الشيخ ربيعا ورموه بضفع البقر، أي:الروث، فخرج منها، فلما وصل إلى العقبة التي بين شبوة وعِرما صعد على أعلاها وأقبل إلى نحو شبوة ودعا على أهلها فقال : اللّهم ابتلهم بالماء العقيق، والدين اللصيق، وبياعة الرقيق، وقطاعة الطريق، وصلّى عليهم أربع تكبيرات . قال المترجم في ((ترجمته المخطوطة)) ص٣٩ : فترى ذلك مشاهداً فيهم نعوذ باللّه من سخطه وسخط أوليائه .

وتقوت صلة الشيخ ربيع بالسادة بني علوي في حضرموت، ورحل إليهم مرات ومرات، وكان جل تعلقه وارتباطه بالشيخ أبي بكر بن سالم، وبينهما صلات ومواصلات، وإلى مثل ذلك أشار كتاب ((أنس السالكين)) ص٤٢٠ للسيد عبداللّه بن عبدالرحمن بن علي باهارون بقوله:

كنا سنة من السنين بقبر نبي اللّه هود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، مع سيدنا قطب عصره الشريف أبي بكر بن سالم بن عبداللّه بن عبدالرحمن السقاف في زيارة لنبي اللّه هود، وكان رجل من ((رخية)) اسمه ربيع يتردد على الشيخ أبي بكر بن سالم، فقال لنا يوما من الأيام بعدما خرج ربيع من عنده :

وهو من أجل المشايخ الذين تأثر م الشيخ عبيد، حيث لقيه في نواحي بلاد العوالق وقرأ عليه، والتزم بسيره ومتابعته، ومن سماعـه لشيخه عن أخبار وأحوال المشايخ من آل باعلوي بحضرموت امتلأ قلبه بحبهم والرغبة في الالتحاق م وزيار م والاستـمداد منـهم والأخذ عنهم، وقد ظهر الشيخ ربيع بالتسليك والتأديب في بلاده بعد أخذه العلـم والطريق على جملة من المشايخ الذين ظفر م في رحلاته، كان منهم الشيخ سالـم باعامر من رجال الغرفة والشيخ العلامة إبراهيم بن عبد اللّٰه باهرمز، وكان جل انتفاعه به .

وقد اعتنى الشيخ ربيع بتأديب وتسليك الشيخ عبيـد، وأدنـاه وقربه وتفرس فيه صدق الرغبة وفرط التعطش إلى الطريق، وكـان معه أخوه أحمد بن عبدالملك وكلاهما انتفع بالشيخ ربيع[1] .

أبصروا، هذا ربيع، له نور كشعاع الشمس ما أحد يقدر يملأ عينيه من أنوارها، كذلك ربيع، ما أحد يتـملى فيه . انتهى . ولـم نقف على تاريخ وفاة الشيخ ربيع ولا موقع ضريحه، رحمه اللّٰه رحمة الأبرار .

(١) ورد في الترجمة المخطوطة ص١٩ عن امتلاء الشيخ عبيد بالشيخ ربيع أنه ظهر هذا الامتلاء على حاليهما وصفتيهما فكأ ما جسم وروح واحد، وكانت مجالسهما تحفةً ورحمةً وكشف حالٍ نوراني ونعمةً ظـاهرةً وباطنـةً وهمـا مستـمرين مستـمدين وسيل الرحمة إليهم وارد، يعرفه الغائب والشاهد، وأيامهم بالسعادة زاهرة، وأوقا م بتنـزلات الحق عامرة، فهما رحمةٌ للعام والخاص .

الشيخ الصوفي معروف بن عبدالله باجمال

هو الشيخ الكبير الشهير بأبي محمد معروف بن عبد الله بن محمد المؤذن ابن عبد الله بن محمد بن أحمد أبي جمال ؛ وترتفع نسبته إلى قبيلة ((آل باجمال))(١) المعروفين بحضرموت، وهم أهل بيت علـم

(١) أُثِر عن الشيخ الولي العارف بالله المحقق شهاب الدين بن عبدالرحمن باعلوي قوله:
إن لآل أبي جمال نسباً في أبي بكر الصديق رضي الله عنه من جهة بعض نسائه، قال : وفي تلك النسبة كانت فيهم الخاصية بكثرة العلـماء من زمن قـديم إلى الآن، وليس ذلك إلا من السر الذي وقَر في صدر الصديق رضي الله عنه .
وجاء في ((مناقب الشيخ باجمال)) : إن جد آل باجمال هو ثور بن مرتـع شيخ كِندة، وكانوا ولاةَ بلادِ ((بور)) المعروفة بحضرموت، فأخذها منـهم آل أبي نجار، فانتقلوا إلى شبام، وكان لهم بكل مكان ينـزلونه مآثر ومحامد وآبـار وسقايات ومساجد .
ولد الشيخ معروف بشبام ليلة الجمعة في الحادي والعشرين من رمضان عام ٨٩٣، وتربى في حِجر والده، ونشأ تحت رعايته المباركة لائحةً عليه بروق القَبول والسعادة من صباه، حتى إن بعض صالحي بلدته قال له : يا بخت مـن حضـر وقتك، وقال فيه الشيخ سعيد الشواف في ((قصعة العسل)) :

سعد من قد حضر وقته ومن رأى خياله
فوز من قد لثـم تربـه وقبـل نعالـه

حفظ القرآن في مدةٍ يسيرة، ثـم طلع به والده إلى الشحر، والتقى هنـاك بالشيخ العلامة عبداللّه بن عبدالرحمن بلحاج بافضل، فكان الشيخ يتفـرس فيـه ويقول : ما أعظم نورانية هذا الولد !

ألف الشيخ معروف الخلوة منذ صباه، وكان يذهب إلى المساجد ليلاً و اراً يختلي فيها صائماً قائماً متقشفاً، مع كمال الأدب والصيانة لجوارحه، متجرداً عن أشغال الدنيا .

أخذ عن جملة من العلـماء ومنهم الشيخ العلامة عمر بن عبداللّه بن عمـر جمال، وصحب الشيخ عبدالرحمن بن عمر باهرمز الأخضر، وكان يسير إليه من شبام إلى هينن كل يوم ويعود إلى أهله ليلاً، وبقي على ذلك مدة طويلة، وظهرت إشارات فتحه على يد ابن أخي الشيخ باهرمز والشيخ إبراهيم بن عبداللّه باهرمز، فأخذ عنه أخذاً تاماً بأمر شيخه عبدالرحمن باهرمز، حيث تـمثل له ذين البيتين:

سألت الناس عـن خِـل وفِـي فقالوا : مـا إلى هـذا سـبيلُ
تـمسك ِإنْ ظَفِرت بذَيل حـر فـإن الحُـر في الـدنيا قَلِيـلُ

ثـم قال له : إن إبراهيم من الأحرار، عديم المماثل، تـمسك به تظفـر إن شاء اللّه تعالى.

فكان أنْ لَزِمه متأدباً بآدابه، حتى قال عن نفسه : في ابتداء سلوكي مكثـت خمسة عشر سنة ما نمت فيها لا ليلاً ولا اراً، وتـمضي الأيام الكثيرة ما أطعم فيها غذاءاً، وربما قرأت نصف القرآن وأنا مضطجع طلباً للنوم، فلـم يطـرقني نعاس.

ولـما ظهر في مقام النفع العام ظهر بكامل الأخلاق والعلـم والاسـتقامة والكرم الذي لا نظير له في زمانه، حتى قيل: إنه فتح عليه يوماً بخمسين حملاً من التـمر، أرسلها بعض محبيه من بعض الجهات، فأمر بتفريقها في اليوم ذاته علـى

وصلاح وتقى، وأكثرهم بحضرموت علماء أعلام ومشايخ كرام، وقد سعد م أهل جهتهم دِيناً ودنيا .

أخذ عنه الشيخ عبيد وانتفع به خلال تردده على حضرموت حيث تمر قوافل المسافرين ببلاد شِبام مستقر الشيخ معروف ومثواه، ونال الشيخ عبيد من شيخه معروف كاملَ الاعتناء ومزيد الرعاية والنظر والدعاء .

فقراء البلدة ولم يبق لبيته منها شيء، وجيء له في يوم آخر بعشرة أحمال طعام ففرقها في حينها . وبلغ مرتبة عظيمة من العلم والاجتهاد حتى أُثر عنه قوله : من أراد أن يسألني عن شيء في المذاهب الأربعة فليسأل .

ويؤثَر عنه الصفح والحلم عمن أساء، ويقول عن نفسه : واللّه إني لا أجد فرقاً بين عدو ولا صديقٍ، بل لا فرق بين رجلين دخلا علي أحدهما ضرب هذا الرأس بالمعول -وأشار إلى رأسه- والآخر قَبلَ هذه القدم، وضرب بيده على قدمه .

ويصفه السيد الولي الشهير الشيخ علي بن أبي بكر السكران باعلوي بقوله : الشيخ معروف أمةٌ وحده وآيةٌ من آياتِ اللّه، لو أدركه المشايخ لاعترفوا بتقديمه وسبقِه . وكان يقول عنه أيضا : الشيخ معروف معروف في السماء ومعروف في الأرض .

وكانت وفاة الشيخ معروف يوم السبت الخامس عشر من شهر صفر سنة ٩٦٩ وعمره نحو ستة وسبعين سنة، رحمه اللّه رحمة الأبرار . انتهى من ((مواهب الرب الرؤوف)) ص٢٤١ . وقد أفردنا له ترجمة ضمن هذه السلسلة.

الشيخ أحمد بلوعار العفيف

مقدم تربة الهجرين، وهو من كبار الرجال الأولياء، يـذكر أن الشيخ سعيد بن عيسى العمودي تزوج ابنته ، ولـما كانت قـد أَلِفَتِ القيام ليلاً مع والدها رأت من الشيخ سعيد فترةً عن القيـام، فرجعت يومها الثاني إلى والد ا وقالت : هذا ما له مقام في ليله؟! فقال لها والدها : ارجعي وانظري ماذا يفعله في ليلتـه ؟ وأرسـل معها مرسولا لأجل أن يأتي بخبره، فقالت له : إنه إذا قَرب الفجـر يقوم ليصلي، ثـم يجلس ويقول : أنا.. أنا.. أنا.. كذا كذا مرة، فلما وصل الخبر إلى الشيخ أحمد بن سعيد بلوعار قال لها: هذا المقام الذي ما وصلنا إليه.. إشارةً إلى أن الشيخ سعيد يرد على المنادي : ألا هل من مستغفر ؟ ألا هل من تائب ؟.. إلخ .

وللشيخ أحمد بن سعيد دعاء يتداوله أهـل الهجـرين وبعـض المتعلقين به عند ختم القرآن وجدناه مكتوبا عند أحد المشايخ مـن آل بن عفيف ضمن نبذة موجزة كتبت عنه، توفي ليلـة الخمـيس الخامس من شهر ربيع الثاني عام ٦٣٢ هـ .

الشيخ إبراهيم بن عبدالله باهرمز

أخذ عنه الشيخ عبيد وانتفع به غاية الانتفاع خلال تردده على حضرموت مع شيخه ربيع بن عمر، وقد حظِي الشيخ عبيد مـن الشيخ إبراهيم بالإجازة والإلباس والصحبة والـمجالسة، ذكـر ذلك الشيخ الحسن بن علي بلحاج باجفير في ترجمته للشيخ عبيد، وقال : إن الشيخ باهرمز قال للشيخ عبيد في بعض مجالسـه عـن مجاهدته لنفسه : « ثلاثين سنة ما انطبق هذا على هذا » يعني عينيه، إشارة لعدم نومه في ذات اللّه، ثـم قال له : هذا يا عبيد ليس ثناءً، إن هذه الطريق التي مضى عليها السلف. اهـ . ووصف صاحب المناقب بقوله : وكان هذا الشيخ ناسكاً عابداً مجاهداً[1] .

---

(١) المصدر السابق ص٥٧ .

الشيخ أحمد بن عبد اللطيف باجابر « صاحب عندل »[(١)]

وهو أحد المشايخ الأكابر الذين كان لهم الصيت الذائع، والمظهر الرائع، والمقام الشاسع في نواحي حضرموت، وخاصة وادي دوعن، عرف بالمكارم والفضائل، وحسن السمت وزين الشمائل، له الأيادي في أعمال الخير ومبراته، ونشر العلم والدعوة إلى الله في كافة أوقاته .

أخذ عنه الشيخ عبيد بن عبدالملك خلال تردده المتكرر على الوادي بإشارة من شيخه الشيخ ربيع بن عمر، حتى صار الشيخ عبيد يمكث في ضيافة الشيخ أحمد بعندل الشهر والشهرين[(٢)] .

قال المترجم في ترجمته المخطوطة : « ومن مشايخه الشيخ المحقق أحمد بن عبداللطيف باجابر صاحب عندل، فلقد نال منه منالا عظيما، وعندما طلب منه التحكيم قال : أُحكمك في الكتاب والسنة، قال : إني لا أستطيع ذلك حيث إن أهل جهتي أهل

---

(١) عندل قرية من قرى وادي حضرموت تقع قريبا من مدينة حريضة، وكلاهما من المدن الشهيرة في التاريخ .

(٢) المصدر السابق ص١٨ .

((شرجة)) -أهل بداوة- وأهل زرع وجهل، فحكمني علـى مـا استطعت منها، فحكمه على ما استطاع من الكتاب والسنة[1] .

الشيخ عبدالغفار بانافع

وهو من بلاد يشبم الصالحين، خص الشيخ عبيداً بنظره ورعايته منذ كان في صباه، وكان يتفرس فيه النجابة والولاية، ذكر ذلـك مترجِمه في ص٢٣ عند ذكر بعض أحواله في صباه وشبابه، فمـن ذلك قوله : وكان - أي: الشيخ عبيد - في بدايات أمره يـدخل بالحطب على رأسه إلى ميدان القرية، فرآه يوما السلطان صلاح بن باقب وعنده الفقيه عبد الغفار بانافع، فقال : يا فقيه عبد الغفار ألا ترى إلى ولد الفقيه عبدالملك يفعل هكذا، شمـت بأبيـه وأهلـه وأوهنهم، يحتاج إلى أدب، فقال الشيخ عبدالغفار: يا صلاح هـذا يكون له شأن عظيم، وإن سلـمنا نحن وأنت عشـنا في بركتـه، فحقق الله قول الفقيه عبد الغفار وصار هو والسلطان صلاح وأهل الجهات المشرق والـمغرب في بركته .

---

(١) المصدر السابق ص٢٣ .

قال المترجم : وإنما جاهد نفسه - أي: الشيخ عبيد - ـذه الأحوال، حيث إن الدولة وأهل الجهة متعلقين به في ولاية القضاء، وكان طريقه الخمول أول عمره وآخره، ثم أعذروه من القضاء فتبتل في العبادة، ثم نزع في الرحلة لطلب التحكيم[1].

الشيخ عبدالرحمن بن أحمد باعباد

وصفَه صاحب الترجمة المخطوطة بما مثاله : الشيخ الكبير السالك الناسك ا اهد الزاهد بقية عباد اللّه العباد الزاهدين وكان رحمة للعالمين وجيه الدين عبد الرحمن بن أحمد عباد [2]، ارتبط به الشيخ عبيد خلال تردده على غرفة باعباد، وانتفع به ونال منه الإجازات والإلباسات وصدق المودة، وكان شيخا جليلا وقدوة يقتدى به.

كتب صاحب الترجمة عن علاقتهما ما مثاله : حصل له - أي : الشيخ عبيد مع الشيخ عبد الرحمن المذكور - مجالس كريمة وعنايات قديمة، ظهر منها على الشيخ عبيد صفاء المحبة والألفة الشافية، فكان يقيم عنده الشهر والشهرين والثلاثة مع وجود شيخه

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ص٥٨.

الشيخ ربيع، وكانت الأوقات تعبر عن أتـم الحـالات وأسـعد السعادات باتفاق الأحبة من غير أشتات .

كانت خواطرهم جميعاً تنبي بأحوالهم فتجيءُ كأ ا عـن قلـب واحد، وذلك باتفاق الأحوال وصفاء المحبة والوداد، وكـان دأب هذا الشـيخ - أي : الشـيخ عبـدالرحمن باعبـاد - الطاعـةَ والـمجاهدةَ في أنواع العبادات والرواتب والأوراد والدعاء لعامة المسلـمين والرغبة في خواصهم، مؤثراً الخمول صائماً قائماً الوقت كله، حتى قيل له في ذلك، فقال رضي اللّه عنه : أقول لنفسي مقرباً عليها المسافة :ِاصبِري يا نفس اليوم، فما أدري ما يكون الليلـة، وقومي الليلة فما أدري ما يكون غداً، فعاش على هـذا معتكفـاً حابساً نفسه في المسجد على التلاوة والأذكار والأوراد حتى كـان له شأن عظيم [1] .

---

(١) كـان أخـذه وانتفاعه بجملة من المشايخ المذكورين أثناء زيارته لتريم، وهو في طريقه إلى زيارة الشيخ أبي بكر بن سالـم بعينات، ذكـر ذالـك في الترجمـة المخطوطة أثناء ذكر دخول الشيخ عبيد إلى حضرموت بما مثاله : فأذن الشـيخ ربيع بن عمر للشيخ عبيد بالسفر إلى حضرموت وقال : عسـاك تأخـذ أنـت وإخوانك طوفة في حضرموت إلى عند الشيخ أبي بكر بن سالـم بن عبد اللّـه، وهو أول وقت ظهوره وشهرته، أعاد اللّه علينا من بركات الجميع، فسافروا بطن وادي حضرموت حتى أتوا تريم حماها اللّه وفيها أعيان من السادة الأشراف، مثل

الشيخ أبوبكر بن سالـم « صاحب عِينات »

كانت معرفة الشيخ عبيد بن عبدالملك بالشيخ أبي بكـر بـن سالـم قديمةَ العهد، وذلك قبل ظهور واشتهار الشيخ أبي بكـر، وإلى ذلك أشارت الترجمة المخطوطة ص٢٥ حيث إن الشيخ عبيداً كان يتردد على حضرموت وخاصة في زيارة نبي اللّه هود كل عام برفقة شيخه ربيع بن عمر وكان الشيخ أبوبكر بن سالـم في ذلك الوقت في حال الخمول.

ولـما برز الشيخ أبوبكر بن سالـم وكبر حاله ومقامه وأيضا كبر حال الشيخ عبيد في بلاده واشتهر تكررت زيارات الشيخ عبيد إلى الشيخ أبي بكر، وكانت زيارته الأولى بعد اشتهاره حاوية لجملة من الأصحاب ذكرها المترجم في سياق ترجمته بما مثاله :

الشيخ أحمد بن الحسين بن عبد اللّه العيدروس، والشـيخ أحمـد بـن علـوي باجحدب، والفقيه محمد بن حسن بن علي بن أبي بكر السكران، وغيرهم نفع اللّه م، والشيخ الكبير العارف باللّه الفقيه العالـم العلامة في الطريقتين حسين بـن عبد اللّه بافضل أعاد اللّه علينا من أسرار الجميع، فمكثوا في تريم لياليَ إلى أن دخل عليهم شهر رمضان وهم في أتـم حال وأنعم بال، وكانت أسفاره رضي اللّه عنه تحفاً وطرفاً وأعياداً، لـم يكن شيءٌ ألذ من أسفاره لأنه جمالي محبوب، زاده اللّه من فضله، ثـم توجهوا من تريم إلى عند الشيخ الكبير أبي بكر بن سالـم . اهـ المصدر السابق ص١٦.

بعد أن امتلأ قلب الشيخ عبيد بن عبدالملك بمحبة آل البيت النبوي القاطنين في حضرموت، رحلَ من يشبمٍ ومعه محِبه ومريده الغزالي ابن عبد اللّه الغزالي وخادمه مرشد وسالم بن فاضل والحسن بن علي بلحاج باجفير، ونزلوا ببلدة الغرفة لدى شيخه الشيخ ربيع بن عمر، ومكث مدة بالغرفة لم يؤذن له بالسفر إلى حضرموت، لما يعلمه الشيخ ربيع من تردد خاطر الشيخ عبيد في السفر، ثم لما قَوي الخاطر وصدق العزم أذن له وقال له : « عساك تأخذ أنت وإخوانك طوفة في حضرموت وتأخذون عن الشيخ أبي بكر بن سالم » .

فتوجه الشيخ عبيد بمن معه حتى دخلوا إلى تريم وفيها آنذاك أعيان من السادة الأشراف، مثل الشيخ أحمد بن الحسين بن عبداللّه العيدروس والشيخ أحمد بن علوي باجحدب والفقيه محمد بن حسن بن علي بن أبي بكر والشيخ الفقيه العالم العامل حسين بن عبد اللّه بافضل، فأخذ عنهم الشيخ عبيد ومن معه وارتبط م مدة إقامته في تريم ودخل عليهم شهر رمضان من ذلك العام وهم في أتم حال وأنعم بال بمدينة تريم ، وخلال شهر رمضان توجهوا إلى عينات واستقبلهم الشيخ أبوبكر بن سالم وأضافهم

إضافةً تليق بمقامهم، وحصل للشيخ عبيد بلقاء الشيخ أبي بكر تمام الأنس والانشراح، وهي أول معرفةٍ به وأول اتفاقٍ لهما، وجرت بينهما المذاكرة جل يومهم ذلك إلى قرب العصر، ثم طلب الشيخ عبيد الإذن بالسفر له ولمن معه واستودعوا من الشيخ أبي بكر، فأذن لهم وسافروا قبل الإفطار .

وبعد سفرهم كأن أحداً من أهل الشيخ أبي بكر عاتبه على الإذن لهم بالسفر من غير أن يعزم عليهم للإفطار، فوقع في بال الشيخ أبي بكر من ذلك شيء، فرأى في تلك الليلة الشيخ عبدالقادر الجيلاني وطائفة من عباد اللّه الصالحين أتوه وقالوا : لا يكن عندك حرج من سفر عبيد وأصحابه، فإن حاجتهم التي جاؤوا لها قد قُضيت وفوق ذلك زيادة، فكتب الشيخ أبوبكر بذلك إلى الشيخ ربيع بن عمر وبشره بالرؤيا ففرح ا الجميع واستبشروا .

وفي زيارة أخرى روى أن الشيخ عبيدا نوى الإقامة بعينات ليكون قريباً من الشيخ أبي بكر بن سالم، فقال له الشيخ أبوبكر: « يا عبيد الزم أرضك تكن مصباحاً في ظلمة، وأما حضرموت فإ ا غنية عن ضوئك »، فرحل إلى بلده فأحيا فيها الدين وعمرها بقراءة القرآن والعلم والرواتب والأوراد، حتى رحل إليه

الصالحون والعلماء من حضرموت ومن جهات اليمن ومن جميع جهات المشرق، فظهر في قريته أربعون عالماً وعمرت فيها مساجد كثيرة[1].

وفي إحدى زيارات الشيخ عبيد إلى حضرموت بعد ظهوره واشتهاره التقى بالشيخ أبي بكر بن سالم في مدينة سيؤون، ذكر ذلك كتاب مناقب الشيخ معروف باجمال المسمى « مواهب الرؤوف » فقال : أخبرني الشيخ الصالح الولي عبيد بن عبدالملك بانافع اليشبمي قال : حصل علي مرض شديد في يدي فهتفت بسيدي الشيخ أبي بكر نفع اللّه به، فمن اللّه علي بالعافية ببركاته، وتكلم في سيدي الشيخ وأثنى عليه كثيراً وقال : « إنه القطب صاحب الوقت » فقال له بعض من حضر : أشهد أنه القطب، فقال الشيخ عبيد : « أشهد أنه إمام الأقطاب » ، وكان ذلك في جمادى الأول عام ٩٨٦ في دار سيدي الشيخ أبي بكر بسيؤون، وكان الشيخ عبيد وصل في جمع كثير من المشايخ والفقراء من جهات اليمن ودثينة وأحور والظاهر وغيرهم لزيارة سيدي الشيخ

---

(١) المصدر السابق ص٢٣ بتصرف.

أبي بكر، وحصل له من التبجيل التام، وعـم الجميـع بالضـيافة والإكرام، غمر اللّه الجميع بكرامته آمين [1] .

وفي الترجمة المخطوطة ذكر المترجم الرحلة الأخيرة التي التقـى فيها الشيخ عبيد بالشيخ أبي بكر، وذكرها في حكاية طويلة حاوية على تفاصيل السفر بما مثاله : وروي أن الشيخ عبيـدا في بعـض أسفاره إلى عند الشيخ أبي بكر بن سالـم وصل في مئتي جمل مـع كثرة الخلق من آل الفقيه عمر بن سعيد صاحب امنجـدة[2] وآل الكودي من أحور وآل بريك وغيرهم ممن يكثر عدهم حتى وصلوا إلى شبام ، وأرادوا غداءهم عند الفقيه سالم باصهي من صدقة شبام وهي بنظره في تلك المدة، فخرج إليهم باصهي وقال : ما يصـح لكم من هذا الوقف من حيث تدقيق الشرع، فقال الشيخ عبيـد : سيروا بنا إلى تريس وتتغدوا هناك إن شاء اللّه، والفقيـه سالـم يخرج من الوقف معذب، فعزموا إلى تريس وعازمهم رجـل مـن قرو ا اسمه عوض باسلامة وأكرمهم جميعا، فقال له الشيخ عبيد :

(١) ((مواهب الرب الرؤوف في مناقب الشيخ معروف)) لمحمد بن عبدالرحمن بـن سراج جمال مخطوط ص٨٥ .

(٢) قرية قريبة من مدينة لودر تقع في واد يسمى عزان ، وهو من أكبر الأودية ، وتأتي منابعه من أرض الدماني ناحية الأكواع، ويصب في أرض دثينة.

ما تريد منا لكرامتك فينا ؟ قال : ما أريد إلا « التجـبرة » مـن الدولة، والتجبرة كأ ا إسقاط العشور على بضاعاته، فقال له : إن شاء اللّه يجبرونك، وليس له - أي: الرجل - بالدولة خلطـة ولا معاشرة، فما وقع بعد أيام إلا والسلطان عمر بن بـدر الكـثيري طلب عوض باسلامة وقال له : ما تريد عِوض إكرامك للشيخ عبيد ومن معه ؟ قال : أريد التجبرة، فكتب له بذلك خطاً له ولعاقِبِته، ثـم توجه سيدي لزيارة الشيخ أبي بكر بن سالـم، وكان مـن عادة أهل البلدان يخرجون بعيالهم في لقاء الشيخ عبيـد لشـهرته عندهم ومحبتهم فيه، ويقولون : « العادة يا شيخ عبيد »، وعادته أنه يركض لهم بعض الجمال حتى ينتهوا إلى آخر المدينة ، وكان له جمل من أشهر الجمال وعليه رجل اسمه حيدرة المقهوي عبـد حبشـي صالحٌ كان على مطبخ الشيخ، فركض بالجمل وعلى الجمل سـلة فناجين القهوة نحو مئتي فنجان، فسقطت السلة وأحس ا ولـ ـم يمتلك الجمل من شدة الركض حتى فرغ الجمع من الركض، ورجع للسلة فوجد الفناجين لـم يصبها شيء إلا واحدا كان في أسـفل السلة، حتى دخلوا تريم في خمسة عشر طارا وخمسة عشر قصـبة ؛ لأن سيدي صاحب فن في السماع، وأمر الحُداةَ أنْ يزفوا بالسماع

في طرق مدينة تريم ولـم يعترض أحد من السـادة علـى حـال الشيخ، وكان الشيخ أبوبكر بن سالـم يقول : من بشرني أن عبيداً دخل تريم بالسماع أعطيته بعيراً بخِطامه بشـارةً، ففطـن بعـض جلسائه فتقدم في « عِراض » -أي: استقبال- الشـيخ عبيـدٍ إلى شبام، وسار معه إلى أن دخل تريم، وحين شاهد ما ذكره الشـيخ أبوبكر بادر إليه وأعلـمه أن الشيخ عبيداً دخل تريم بما ذكـره، وكان مع الشيخ أبي بكر صبيغة أعطاها الرجلَ وأمر لـه بـالبعير، ثـم قدم الشيخ عبيد وتلقّاهم الشيخ أبوبكر ومن معهم، وكان مع الشيخ عبيد أخوه أحمد المكنون ابن عبدالملك والغزالي بن عبداللّـه وعدد كثير من الصالحين، فعمِلُوا سماعاً بحضرة الشيخ أبي بكر بـن سالـم حتى غاب الشيخ عبيد عن ظاهر الأمر وهكـذا في الليلـة الثانية، وكان مع الشيخ عبيد حداةٌ يقال لهم « آل زيتـون » مـن جردان يخدمون الشيخ ويعرفون قاعدة السماع، ولا يوجد أحـد أبلَغُ من أسلو م، وهم نافع بن فرحـان وأولاده وكـذا الشـيخ الناسك أحمد بن عبدالملك، حادٍ عارف قاعدةَ الحداء والسماع .

ولـما كانوا في حال السماع نادى الشيخ أبوبكر خادمه : يا ملهوف هات القمقم، فجاء ملهوف بقمقم فيه نحو من صاعٍ مـاءٍ

وردٍ، فقال : هات القمقم الكبير، فإ ا ليلة عرسٍ، لا يخفى عطـر بعد عروس .

وكان هذا آخر اجتـماع بين سيدي الشيخ أبي بكر والشـيخ عبيد، وفيه قال الشيخ أبوبكر لأخيه عقيل : إن عبيداً في الأوليـاء مثل يحيى بن زكريا في الأنبياء[1] .

وكان الشيخ عبيد يكاتب الشيخ أبا بكر ويواصله، ذكر ذلك في الترجمة المخطوطة ص٥٢ بقوله : وبينهما صلةٌ ومعانٍ لطيفـةٌ، ولا تنقطع بينهما المكاتبة والـمراسلة بالود الصادق، فإذا اجتـمعا رأيتهما شيئاً واحداً .

كان هؤلاء أهم شيوخ الشيخ عبيد بن عبدالملك بانـافع، ولـه شيوخ آخرون ذكر م كتب التراجم ، ومنهم:

الشيخ أحمد بن الحسين بن عبد اللّـه العيـدروس ، والشـيخ أحمد بن علوي باجحدب ، والشيخ حسين بن عبد اللّه بافضـل، والفقيه محمد بن حسن بن علي بن أبي السكران.

---

(١) نقلاً عن الترجمة المخطوطة ص٢٥ بتصرف واختصار .

حضور الشيخ عبيد جنازة الشيخ أبي بكر

ورد في الترجمة المخطوطة ص٥٣ حول هذه المسألة ما مثاله :

روي أن الشيخ أبا بكر بن سالم أعطى سيدي الشيخ عبيداً خاتمه وأخذ هو خاتم الشيخ عبيد، وقال له : من سبق به الأجلُ سيسقط خاتمه من يد صاحبه، أمارةً على موته، فلْيحضر دفْنه، فكان سيدي أبوبكر هو الذي سبق به الأجل وسيدي عبيد حينها كان نازلاً إلى أحور، فسقط الخاتم من يد الشيخ عبيد في صلاة الضحى، فركب الشيخ عبيد على ناقلته وحملته القدرة الإلهية هو ورديفُه ابن مرشد، وقال له: لا تفتح عينيك، فلما كان في أثناء الطريق فتح مرشد عينيه فهتف عليه بقوله : عمى! فقال : يا سيدي! واحدة! فقال سيدي الشيخ عبيد : واحدة إلى ولد ولدك.

فوصلوا إلى عينات ووجد من حضر مرادهم يحملون سيدي الشيخ أبا بكر، فلم يقدروا حتى وصل سيدي الشيخ عبيد فقال : شلوا وقولوا : « أربعة شلوا الجمل والجمل ما شلهم »، فهو أول من قالها.

ثـم طهره وكفنه هو ومن معه حتى أنـزلوه قبره، فكان سيدي الشيخ عبيد هو من تولى توسيده في القبر وفك العصـابات منـه وكشف على وجهه، فقال له الشيخ : مرحبا بصادق الوعد .

فيالها من بشارة، وطوبى لهذا الشيخ بما نال من سيدي الشـيخ أبي بكر[١] .

ذكر بعض أحوال وكرامات الشيخ عبيد

روي أن الشيخ عبيداً كان صاحب أحوال وكرامات عظيمـة، وهي مظهر من مظاهر كرم المولى على خواص عباده، وقد جمـع الشيخ الحسن بلحاج باجفير نبذَةً من هذه الأحـوال ومـظـاهر الكرامة على الشيخ في ترجمته المخطوطة، منها : أنه - أي: الشيخ عبيد - على عودته من عينات إلى بلده أظهر اللّه عليـه عنـوان الاتصال بالرجال، والانتساب لأهل الكمال، حتى كانت مناماتـه

(١) هذه الحكاية المشتملة على الكرامة الغريبة مثبتة في الترجمة المخطوطـة ص٥٣ - ص٥٤ ، وقد ذكرناها كما هي مثبتة في النص ، ولم نقف على ما يؤيد صـحة الحكاية في أخبار الشيخ أبي بكر بن سالم المتوفرة لدينا ، ولا يستبعد ذلك ، ففضل اللّه واسع لعباده الصالحين.

مثل فلق الصبح، فقد روي أنهم عبروا على جملة من المدن والقرى حتى بلغوا أطراف شبوة، فناموا جل يومهم، ونام الشيخ عبيـد في ظل شجرةٍ فرأى في منامه طوائف عبادِ اللّه من الأولياء والصالحين أتوه من جميع الجهات، وأول من جاءه كان من أولياء رخية، ثـم من وادي دهر، ثـم من أهل الكسر وأهل هينن، وأهل بـاوزير، ومن حوره، وآل باجـابر وآل وادي عمـد وآل حريضـة وآل باحفص وآل المعلـم وآل العفيف من الهجـرين، وكـل أوليـاء دوعن، ثـم جاء الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي في جمـعٍ كبيرٍ، ثـم جاء الفقيه محمد بن علي باعلوي، ثـم جاء أهل شبام ومقدمتهم الشيخ عبد اللّه بن محمد باعباد في جمعٍ كثيرٍ، ثـم أقبل عليه سواد عظيم وجمع كبير سد الأفق، فقال : قلت : من هؤلاء ؟ فقالوا : هذا الشيخ عبد القادر الجيلاني وأهـل العـراق، حـتى اجتـمعوا الكلّ في ذلك المكان، قال : فقلت : نحن ضيفانٌ .

فأتونا بكرامةٍ بمأكولٍ من أحسن المأكولات ولـم ير له نظير في الدنيا، لأنه من الجنة، فأكلنا حتى قَضينا وطَرنا منه، فأخذوه مـن عندنا واجتـمع عليه من بقي، وأكلوا من فضلتنا، ثـم جاؤوا لنا بشرابٍ في أباريق لها ألوانٌ عجيبةٌ، فأعطوني أحسـنهم وأعطَـوا

أصحابي من إبريق، واستودعنا منهم، وسـافروا كـل إلى جهتـه وانتبهت مسروراً، فيالها من بشرى ويالها من كرامة والحمد للّه رب العالـمين[1] .

ومن لطيف أحواله ما أورده صاحب الترجمة المخطوطة ص٢٤ بقوله :

وروي أن الشيخ عبيدا نفع اللّه به أراد نساخة «شرح الحكم»[2] ولـم يكن في فقرائه من يحسن الخط والكتابـة في أول ظهـوره، وكان عنده الفقيه العلامة حسين ابن أخيه عبد العلـيم والشـيخ عبدالوهاب بن الحسين بن عبد الحق وربيع بن مرشد خادمه، فأخذ القلـم وأعطاه ابن أخيه حسين بن عبد العليم وقال له : انته وربيع اكتبوا وخطوا مليح، فكان الأمر كذلك، وصار حسين ابن أخيـه خطه أعجوبة الزمان حتى إ م فاخروا به في مكة، وكذلك ربيـع وقع خطه مليح، وحين أعطى الشيخ عبيد القلـم لحسين ولد أخيه التفت إلى الشيخ عبد الوهاب وقال : بغيت معهما أو أنت من أهل «يا جدي»، فأخذه الحياء لأن أهل عبـد الحـق غالـب علـيهم

---

(١) الترجمة المخطوطة ص١٧ .

(٢) هي حكم ابن عطاء الله السكندري.

((الشراجة))، أي: البداوة، حتى إ م يقولون : نحن جدنا عبد الحق، وهذه الكلـمة جرت من الشيخ عبيد لعبد الوهاب تربيةً لـه في حقه، لأنه من تلامذته حتى إن عبد الوهاب فهمها، وكان رجـلاً صالحاً أخذ في السلوك، وله رياضات صالحةٌ، وبينه وبين حسين بن عبد العليم أُخوةٌ واتصالٌ على طاعة اللّه[1] .

ومن لطيف أحواله ما ذكره صاحب الترجمة المخطوطـة ص٢٥ بما مثاله :

وروي أن الفقيه علي بن عبد العليم كان في صغره قليلَ الفهم في القرآن، وأن عمه الشيخ عبيداً أدخله عند المعلـم عبدالرحيم هـو وأخاه حسينا، لأن سيدي عبيداً صار لهما ولياً بعد وفـاة أخيـه عبدالعليم، فإنه مات وولده علي في مدة الحمل ثـم تربوا في حجر الشيخ عبيد، فجلس علي بن عبد العليم سنةً كاملةً في العلـ ـمة ولـم يفهم شيئا، فجاء المعلـم إلى سيدي وقال له : إن الولد هذا لـم يفهم، فإن الذين دخلوا معه قد رشدوا، فقال سيدي عبيـد: جزعه -أي تجاوز به- عند القراءة إلى سورة الطلاق، بنيـة أن الله يطلق لسانه ويفتح عليه، فجزعه وختـم القرآنَ في سنة .

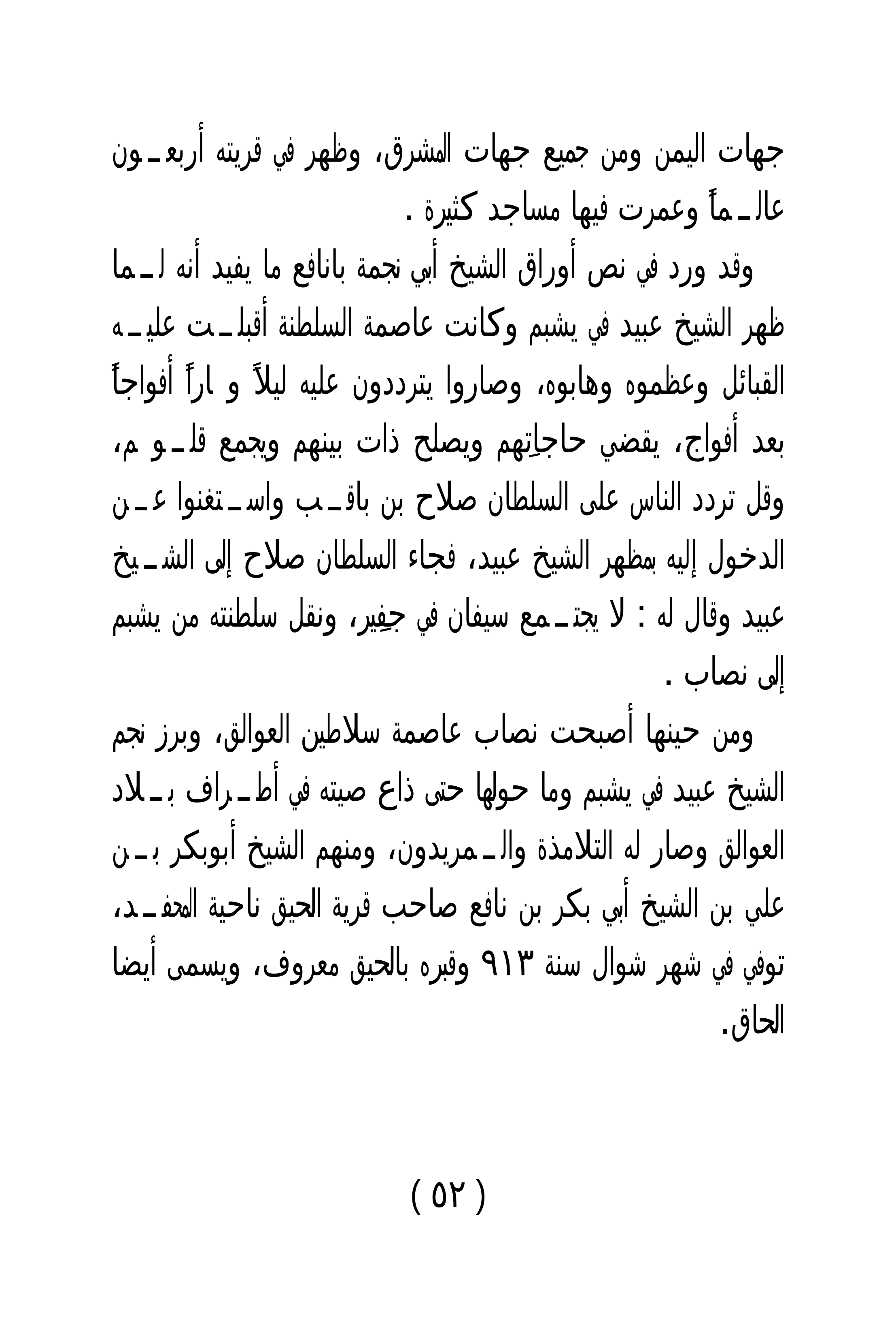
(١) المصدر السابق ص٢٣-٢٤ .

وكان فقراء الشيخ يحفظون القرآن بالغيب، فأراد الفقيه علي أن يغيب القرآن حفظاً مثلهم، فأمره عمه بقراءة الكتب، ولـم يظهر عليه فهم في شيء، فجزعه - أي تجاوز به - إلى باب الطـلاق في الفقه وأطلق اللّه عليه وفاق أهل الجهة علـماً وورعاً[١] .

مظهر الشيخ عبيد في بلاد العوالق ونواحيها

ورد في ترجمة الشيخ عبيد المخطوطة ص٢٣ أن الشيخ عبيد بن عبدالملك لـما أراد الإقامة عند الشيخ أبي بكر بن سالـم بعينات، قال له الشيخ أبوبكر : يا عبيد، اِلْزم أرضك تكـن مصـباحا في ظلـمة الليل، وأما حضرموت فإ ا غنية عن ضوئك. قال: فرحل إلى بلده فأحيا فيها الدين وعمرها بقراءة القرآن والعلـم والرواتب والأوراد، حتى رحل إليه الصالحون والعلـماء من حضرموت ومن

(١) يبدو أن هذه المسألة ترجع للتجربة وحسن النية في المقصود في سورة الطـلاق، وكما ذكر المؤلف أن الشيخ أمر أحد الفقراء أن يتجاوز القراءة من آخر القرآن إلى سورة الطلاق بنية أن الله يطلق لسانه ويفتح عليه.. ففعل الرجل وحصل لـه المقصود.



جهات اليمن ومن جميع جهات المشرق، وظهر في قريته أربعـون عالـماً وعمرت فيها مساجد كثيرة .

وقد ورد في نص أوراق الشيخ أبي نجمة بانافع ما يفيد أنه لـما ظهر الشيخ عبيد في يشبم وكانت عاصمة السلطنة أقبلـت عليـه القبائل وعظموه وهابوه، وصاروا يترددون عليه ليلاً و اراً أفواجاً بعد أفواج، يقضي حاجاِتهم ويصلح ذات بينهم ويجمع قلـو م، وقل تردد الناس على السلطان صلاح بن باقـب واسـتغنوا عـن الدخول إليه بمظهر الشيخ عبيد، فجاء السلطان صلاح إلى الشـيخ عبيد وقال له : لا يجتـمع سيفان في جِفير، ونقل سلطنته من يشبم إلى نصاب .

ومن حينها أصبحت نصاب عاصمة سلاطين العوالق، وبرز نجم الشيخ عبيد في يشبم وما حولها حتى ذاع صيته في أطـراف بـلاد العوالق وصار له التلامذة والـمريدون، ومنهم الشيخ أبوبكر بـن علي بن الشيخ أبي بكر بن نافع صاحب قرية الحيق ناحية المحفـد، توفي في شهر شوال سنة ٩١٣ وقبره بالحيق معروف، ويسمى أيضا الحاق.

قال في نص الترجمة المخطوطة ص٣٩ : وقد حـوط حوطتـه بالحيق سيدي الشيخ عبيد بن عبدالملك، وهي حوطة معروفـة[1]، وقيل له في ذلك :لِـم لَـم تحوطْ بلدك يشبم ؟ فقال : إني لـم أحوطها لأن ا قبائلُ لا يحترمون الحوطة، ويشبم أرض كافرية من قديم الزمان، وواليها في الجاهلية يسمى ((كحيل)) لـ ـم يحتـرم أحد، وخشيت أن أحوطها ويقلّ احترامها، ولكني إن شـاء اللّـه باأسكن فيها، وأنا فيهم كالسيف القاطع والسم الناقع، ولا يظفـر من لـم يحترمها، وإني كالنار في الدمان –أي السرجين- إن لـم تحصل الغارة في الثـمان، وحرمت على أولاد أخي عبد العلـيم: الصلح، والسيارة، ومدخل دثينة إلا عابر السبيل، أو بإشارة مـني بعد الاستخارة رؤيا أو غيرها، ومن حل من سوم حيدر الـذي في

(١) الحوطة جمعها حوط، وهي حدود معينة يتفق عليها أهل الحل والعقد ويمنع فيهـا الاعتداء ويأمن فيها القبائل والدول على أنفسهم وأموالهم وتجارا م تحت جاه أهل الجاه من المشايخ أو السادة أو غيرهم من أهل المظهر أو الولاية أو المقامات المعتبرة في تلك المرحلة، وقد انتشرت هذه الحوط في كثير من البلاد وأسهمت في نـزع السلاح والتعايش السلـمي بين أولي النـزعات والثأرات في سبيل النفع العـام وتقديم مصلحة الأمة على مصالح الأفراد.

وسط قرية يشبم من آل بانافع، فأنا خِلي بريءٌ ممن فعل واحدة من هذه الخصال [1].

تلاميذ الشيخ عبيد بن عبدالملك

اتسعت دائرة التلقي على يد الشيخ عبيد بعد ظهوره في ناحية بلاد العوالق، واشتهر صيته ووفد إليه المريدون من نواحي الأرض لطلب العلم وأخذ الطريق والتبرك بالارتباط به، فكان لهم كالغيث المخصب، فاتحاً قلبه وبيته، ومفنياً وقته في نشر الدعوة إلى اللّه وتعليم الجهال وتفقيه المريدين.

(١) المصدر السابق ص٤٠ ، وهذا من اختيارات الشيخ عبيد لحفظ كرامة بني أخيه الأيتام من تجاوزات البداوة أو دخولهم في شؤون المنازعات القبلية، فمنعهم عن ممارسة أسباب الجاهات كالصلح والسيارة ليشغلهم بالعلم وبالدعوة إلى الله.

وكذلك الدخول إلى مواقع الشهرة كدثينة التي كان فيها الشيخ عبيد مشهورا، ومنها تجبى لمقامه الأموال الكثيرة ، ومثل ذلك ما حدده الشيخ من سوم حيدر، وهي حدود متعارف عليها في منطقة يشبم من أرض العوالق يحذرهم من الدخول إليها باسم الجاهات أو طلب الشهرة والمقام.

وقد ورد أن الشيخ أبا بكر بن سالـم أرسل إليـه تلـ ـميذَه الناسك السيد يوسف بن عابدِ الحَسني المغربي لزيارته والاطـلاع على أحواله وأحوال تلاميذه في يشـبم، ورد ذلـك في الترجمـة المخطوطة ص٢٨ بما مثاله :

وروي أن السيد الجليل العارف باللّه يوسف بن عمر الفاسـي الحسني المتوطن ببلد مريمة أحد تلامذة الشيخ أبي بكر بن سالـم أمره الشيخ أبوبكر أن يخرج إلى يشبم لزيارة الشيخ عبيد، فوصـل إلى عند سيدي عبيد كما أمره شيخه، وكـانوا في تلـك السـنة مجدِبين، فاجتـمعوا وخرجوا وأهلُ البلدة لزيارة والـد سـيدي عبيد، وكانوا مجدِبين، وقد تضرروا بذلك مدةً طويلةً، فطلبوا من الشيخ عبيد أن يستسقي م فأحالهم على السيد يوسف المـذكور، فلزموه وألَحوا عليه وقالوا : يا سيدنا حولْ بالسيل وإلا رميناك في هذا الشجر -شجر له شوك- وفي « ا نة » -أي : المقبرة- فخاف السيد من رمِيه في الشجر وقولهم له : « رمينـاك » علـى سـبيل الانبساط، فقال: الفاتحة يا شيخ عبيد بالرحمة، فقرؤوا الفاتحة، فدعا لهم السيد بالغيث، فارتحمت الجهة كلها .

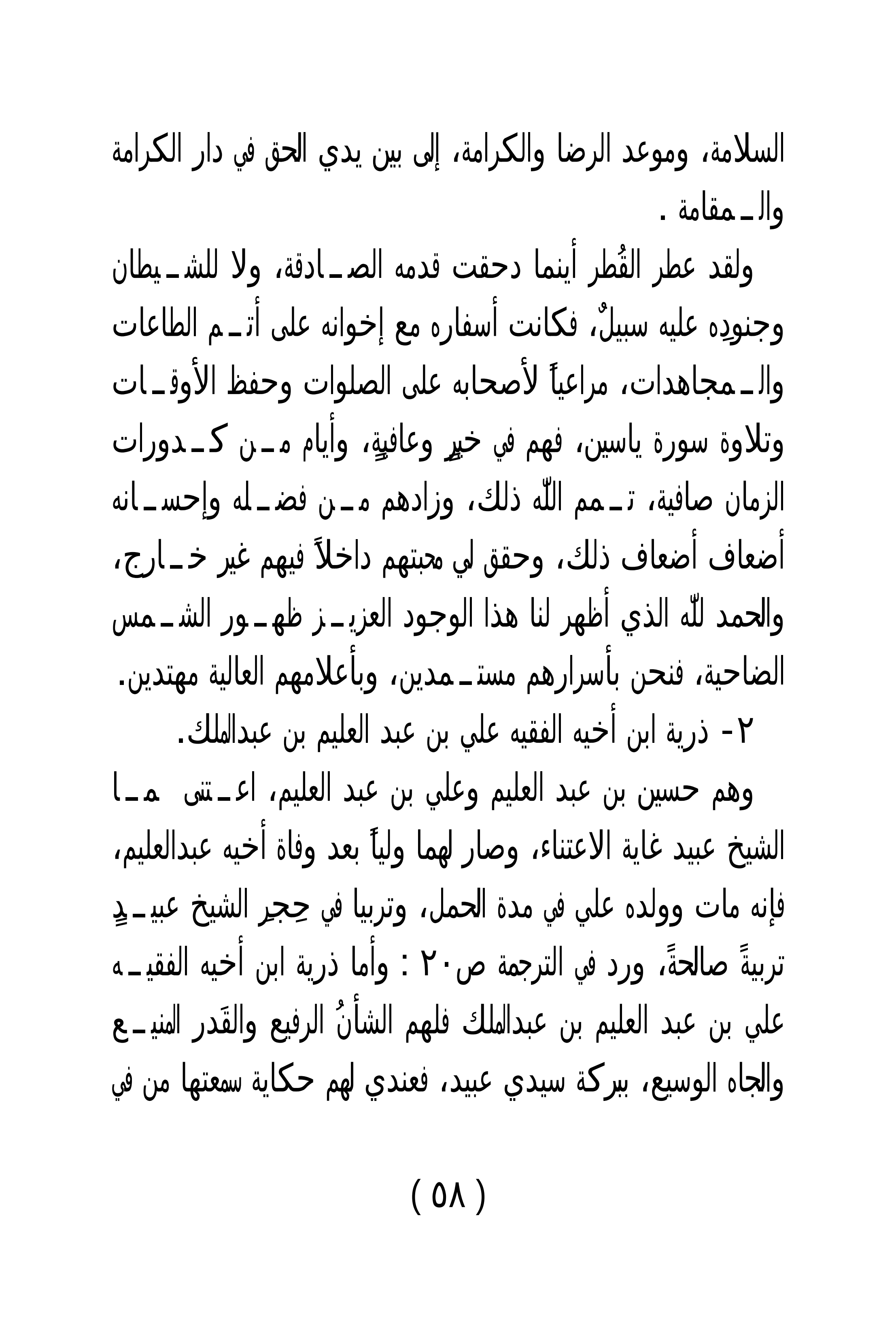
ومن أجل تلاميذه نخبةٌ ذُكِروا في الترجمة المخطوطة، ومنهم :

١- الغزالي ابن عبد اللّه الغزالي.

وصفه صاحب الترجمة المخطوطة ص١٩ بقوله : ومن أتـــم وأحسنِ وأكملِ ما من اللّه به على سيدي وحبيبي بأخيه وحبيبـه ومحبوبه ومريده الفاني الصادق أعجوبة الزمان وريحانة الإخوان العبد الصالح الناصح المحبوب الموهوب السالك الناسك غريـب الزمـان ومستوفي طالع الإحسان أخص خواص المحبين وعون عبـاد اللّـه الصالحين جمال الدنيا والدين محمد الغزالي ابن عبد اللّـه الغـزالي، أكرمه اللّه بما أكرم به عباده الصالحين الخدام الصادقين، فكان لـه عوناً ومعيناً، وكان هارونه وعونه وصديقَه، وهو كما قال قائلهم :

وإذا صفا لَكَ في زمانِك واحِد ِنعم الزمانُ ونِعم ذاك الواحِـد

ولهما نصيب وسهم وافر من قول الحق جل جلاله : سنشد عضدك بأخِيك ونجعلُ لَكما سلْطاناً فلا يصِلُونَ إليكمـا بآياتنـا أنتـما ومنِ اتبعكُما الغالِبون ، فلقد واللّه شد عضـده وأيـده وبذل الروح في كل ما يريح، وسعى سعي الكرام عبوديةً وفتـوةً، حتى كان لا يرى لنفسه شيئا، ولا لحاله وجسمه، فأقام في مقـام الفناء والـمحبة الصادقة الخاصة، فكانت سفينته في بحـر المحبـة جارية، شاحنة من جميع الفوائد العاجلة والآتية، متوجهة إلى قَـدر



السلامة، وموعد الرضا والكرامة، إلى بين يدي الحق في دار الكرامة والـمقامة .

ولقد عطر القُطر أينما دحقت قدمه الصـادقة، ولا للشـيطان وجنودِه عليه سبيلٌ، فكانت أسفاره مع إخوانه على أتـم الطاعات والـمجاهدات، مراعياً لأصحابه على الصلوات وحفظ الأوقـات وتلاوة سورة ياسين، فهم في خيرٍ وعافيةٍ، وأيام مـن كـدورات الزمان صافية، تـمم اللّٰه ذلك، وزادهم مـن فضـله وإحسـانه أضعاف أضعاف ذلك، وحقق لي محبتهم داخلاً فيهم غير خـارج، والحمد للّٰه الذي أظهر لنا هذا الوجود العزيـز ظهـور الشـمس الضاحية، فنحن بأسرارهم مستـمدين، وبأعلامهم العالية مهتدين.

٢- ذرية ابن أخيه الفقيه علي بن عبد العليم بن عبدالملك.

وهم حسين بن عبد العليم وعلي بن عبد العليم، اعـتنى مـا الشيخ عبيد غاية الاعتناء، وصار لهما ولياً بعد وفاة أخيه عبدالعليم، فإنه مات وولده علي في مدة الحمل، وتربيا في حِجرِ الشيخ عبيـدٍ تربيةً صالحةً، ورد في الترجمة ص٢٠ : وأما ذرية ابن أخيه الفقيـه علي بن عبد العليم بن عبدالملك فلهم الشأنُ الرفيع والقَدر المنيـع والجاه الوسيع، ببركة سيدي عبيد، فعندي لهم حكاية سمعتها من في

سيدي ينهاهم عنها، فمن جملة ما نهاهم سمعته مشافهةً يقول: من توجه إلى دثينة من آل عبدالملك لغير غرضٍ شرعي أو أمرٍ مهني أو عبر السيير [1] أو شلّ الصلح[2] أو حلّ من سوم حيدر وداخل فأنا خلِي بريءٌ منه حتى يرجع عما هو فيه[3] .

وكان الشيخ عبيد لا يرغب في أن يتصرف أولاد أخيه تحت جاهه ومظهره إلا بعلمه وأخذ رأيه في ذلك، خشيةَ أن يقع بسبب ذلك ما لا تحُمد عقباه .

٣- أحمد بن عبدالملك الملقب بالمكنون :

انتفع بأخيه الشيخ عبيد، وصحبه في بعض رحلاته إلى حضرموت، وأخذ عن الشيخ أبي بكر بن سالم، وكان معيناً لأخيه الشيخ عبيد في شؤون دينه ودنياه [4].

---

(١) قوله : ((عبر السيير))، أي : اشتغل بأخذ الأجرة في سبيل إمرار القوافل والمسافرين تحت جاه الشيخ عبيد .

(٢) قوله : ((أو شل الصلح)) أي : دخل بين القبائل المتحاربة وقَرض شروط الصلح.

(٣) المصدر السابق ص٢٠.

(٤) ذكر صاحب الترجمة المخطوطة رحلته إلى حضرموت وحضور مجالس الشيخ أبي بكر بن سالم ص٢٧.

٤- عبد الوهاب بن الحسن بن عبد الحق :

انتفع بالشيخ عبيد وصدق في صحبته والأخذ عنه، قـال عنـه صاحب الترجمة المخطوطة ص٢٤ : وكان رجلاً صالحاً أخـذ في السلوك، وله رياضات صالحةٌ، وبينه وبين حسين بن عبد العلـيم أُخوةُ اتصالٍ على طاعة اللّه . انتهى .

٥- الحسن بن علي بلحاج باجفير :

وهو من خواص أصحاب الشـيخ عبيـد والآخـذين عنـه والـمنطوين فيه، وهو الذي جمع فوائد ترجمة الشيخ عبيد ودو ا لـمن بعده، برغم ما تعرض له من النهي والأدب عندما حـرص على جمع مناقب شيخه .

ورد في نص الترجمة ص٩ ما مثاله : وهذه المناقب مـا جمعـه الفقيه الشهيد الصالح الحسن بن علي بن أحمد بـن عمـر الحـاج باجفير، صاحب قرية « منيف »، وهو من أجل تلامـذة الشـيخ عبيد بن عبدالملك بانافع، جمع لسيدنا عبيد جملة مناقب أول مـرة وثانية وثالثة، وكل مرة وسيدنا الشيخ عبيد كلـما علـم بما جمعه يطلبها منه ويمحوها و اه أن لا يعود لجمع شيء، فلـما تكرر منه مراراً قال له : إن لـم تنتهِ بالحسنى وإلا ينـزل اللّه عليك نازلـة

فتهلك، لأني أرجو أن ألقى اللّه بإناء ملآن مثل الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل، فلم ينتهِ الحسن ثم خرج مرة إلى قريته منيف بوادي يشبم ونزلت به صاعقة ومات منها، فلما سمع الشيخ عبيد الرعد والصاعقة قال لأصحابه : هلموا بنا نخرج إلى جنازة أخينا في اللّه الحسن بن علي فقد مات شهيداً بعد أن حيي سعيداً[1] .

٦- ربيع بن مرشد :

وهو خادم الشيخ عبيد ومحبه ومريده ولزيمه حضراً وسفراً، كان الشيخ عبيد يحبه ويرعاه وخصه بمزيد النظر والاهتمام، بل جعله هو وابن أخيه حسين بن عبد العليم يشتغلان بتعليم الكتابة وتحسين الخط لنقل الكتب العلمية[2] .

٧- نافع بن فرحان وأولاده « آل زيتون » :

أخذ الشيخ نافع وأولاده عن الشيخ عبيد، ولزما مجالسه وحضره وسفره، وكان الشيخ نافع وأولاده يشتغلون بالحداء والإنشاد والسماع في حضرة الشيخ عبيد، ورد ذلك في الترجمة المخطوطة بما

---

(١) المصدر السابق ص٢٤.

(٢) المصدر السابق.

مثاله : وكان مع سيدي عبيد حداةٌ يقال لهم ((آل زيتون)) من جردان يخدمون الشيخ، وحداةٌ عارفون قاعدة السماع، ولا يوجد أحد أبلغ من أسلوبهم في السماع، وهم نافع بن فرحان وأولاده[1].

٨- أحمد بن عبد الهادي بلجفار :

وهو من مشايخ أحور الذين أخذوا عن الشيخ عبيد وتأثروا به، ورد ذكره في الترجمة ص٣٢ بما مثاله : وروي أن الشيخ الكبير أحمد بن عبدالهادي بلجفار كان من تلامذة سيدي الشيخ عبيد بن عبدالملك، وكان كثيراً ما يختلف إليه آخر عمره كل عام في رمضان ويحضر ختم ليلة سبع وعشرين في مسجد الشيخ عبيد، وكثيراً ما يجيءُ في هذه الليلة جماعةٌ من زوايا أبين وأحور، وكان الشيخ جنيد بن عبد الهادي أخو الشيخ أحمد ينكر عليه اختلافه إلى الشيخ عبيد، فشق ذلك على الشيخ أحمد حتى وصل في بعض أسفاره إلى الشيخ عبيد، فقال له الشيخ عبيد : أنت يا شيخ أحمد حريص على محبتنا، وهذا أخوك الجنيد يجينا، وما أدري نقبله أم لا؟ فلا يحصل عندك من ذلك الأمر شيء، فكان الأمر كذلك، ففي آخر عمر الجنيد بن عبد الهادي وصل لزيارة الشيخ عبيد وهو يقول: جئت

---

(١) المصدر السابق ص٢٧.

وادع اللّه لي بالقبول، فقال له الشيخ عبيد : إن شاء اللّه مقبول يا شيخ جنيد .

وحكي أنه لـما مات الشيخ عبيد وبلـغ خـبره إلى الشـيخ أحمد بن عبد الهادي تأوه واسترجع وحمد اللّه تعالى ثـم قال : لقد عظُمت مصيبةُ سيدي الشيخ على أمة محمد عليه الصلاة والسـلام عامة .

وتوفي الشيخ أحمد بن عبد الهادي عقب الشيخ عبيد بسنتين[1] .

---

(١) ورد في الترجمة المخطوطة ص٤٢ : وروي أن سيدي أحمد بن عبدالهادي بلجفار كان سبب اتصاله بسيدي الشيخ عبيد أنه كان هو وأخوه الجنيد في بدو أمرهمـا غير محسنين الظن في سيدي الشيخ عبيد ومكذبين ولايته، فلـما كان بعد مـدة من الزمان حصل بين الشيخ أحمد عبدالهادي وفقير الحبيب جمال الدين مشـاجرة حتى وصلوا إلى باب الدولة، وطال نـزاعهما حتى عجـز أهـل أحـور عـن مصالحتهما، فأرسلهم والي أحور إلى والي صنعاء، وفي ذلك الزمـان كـان ولاة أحور زيدية، فحبسهم والي صنعاء سبع سنين، ولـم يتجاسر أحد أن يشفع فيهم ولكن الجماعة في الحبس تصالحوا بينهم وأرادوا الخروج من السجن، ولـم يمكن لهم، فاستغاثوا بأولياء اللّه ولـم يزالوا كذلك حتى كانت ليلة التروية المسـماة عندنا بالحج الصغير، فقال الشيخ أحمد لفقير جمال الدين : إنا نسمع أن الشـيخ عبيد شيخ وقته، والآن بانستغيث به لعل اللّه أن يفرج علينا ببركتـه، ففعلـوا، وعندما سكتوا ألهم اللّه صاحب السجن فقال لهم : أنا الليلة با أسير عند عيالي وبا آتيكم في الصباح، وطمس اللّه على قلبه فترك باب السجن مفتوحا، وكـان في

السجن بضع وسبعون نفراً مقيدين بالقيود، فألهم الله المسجونين معالجة القيود فانفكت بقدرة الله تعالى وخرجوا من السجن هاربين، وكان من أمر الرجلين الشيخ أحمد ورفيقه أن خرجوا إلى خارج مدينة صنعاء وواصلوا السير ليلهم و نهارهم مسرعين، وطوى الله لهم الأرض بقدرته حتى وصلوا ((جول المعابر)) بوادي ضِيقة ولم يعلموا بذلك ظانين أنهم لا زالوا في حدود صنعاء وما حولها، وأخذوا بعض الراحة وناموا، وما شعروا إلا بمن يناديهم : قوموا، عيدوا عند أهلكم إن أردتم عندهم، فإن هذا المكان جول المعابر في ضيقة، والطريق قد شرقتوا منها، فقاموا مرعوبين، فإذا رجلين سائرين في الطريق، فدعا عليهما الشيخ أحمد وسألهما عن المكان فأخبروه، قال لهم : وإلى أين أنتم متوجهين ؟ قالوا : إلى أحور، فبقيا يتحادثان الشيخ أحمد ورفيقه، فمنهم من أراد الرجوع لزيارة الشيخ عبيد ومنهم من أراد النزول إلى أحور، أما الشيخ أحمد فجد عزمه على زيارة الشيخ عبيد فسار حتى وصل ((نجد لبيح))، ثم طوى الله المسافة حتى رأس نجد، وهو معبر بجانب المزارع القريبة من يشبم بلد الشيخ عبيد، فاستراح ونام حتى صبح يوم العيد .

فدخل سعيد بن جابر الملاحي لصلاة العيد فوجد الشيخ أحمد كالنائم، فبهت وتركه وذهب للصلاة مع سيدي الشيخ عبيد، وعند انصرافهم أخبره الملاحي بخبر الرجل، فقال الشيخ عبيد : قوموا بنا بانعارضه، فهو الشيخ أحمد بن عبدالهادي، أتانا زائر، فخرجوا بالطيران والشباب حتى وصلوا إلى أسفل النجد، فقام الشيخ أحمد والتقى بالشيخ عبيد وتعانقا، ودخلوا بالشيخ أحمد إلى بيت الشيخ عبيد، وصارت عادة عند آل بانافع، فكل من دخل في المنصبة من آل الشيخ أحمد عليه زيارة للشيخ عبيد وآل بانافع يعارضونه بالطيران والشبابة إلى أسفل نجد معبر، وزار الشيخ أحمد وتغدى، ثم قال الشيخ عبيد للشيخ أحمد : يا شيخ، تريد تعيد

٩- ثابت بن محمد بن عبد الصمد :

وهو من الرجال الذين انتفعوا بصحبة الشيخ عبيد وكانوا تحت نظره ورعايته، ذكره صاحب الترجمة المخطوطة ص٤١ فقال : وروي أن الشيخ الصالح الناصح العارف بالله ثابت بن عبد الصمد سالك ناسك متبتلٌ من صغره، يقوم الليل ويصوم النهار، ملازم للخلوة والاعتزال عن الناس خصوصاً بعد موت سيدي الشيخ عبيد، فكان يختلي في الجبال والأودية، حتى إنه صار إلى حد لا يوصف في الفرار من الناس، فربما كان إذا رأى الناس شرد منهم، فإذا طلبه إنسانٌ تغيب منه وإلا اعتذر إليه .

وكان ذا قدمٍ راسخٍ في العلم، تفقه على سيدي الشيخ حسين بن عبد العليم، وفي كتب القوم على سيدي الشيخ أحمد بن عبدالملك، وكان يصلي الليل في مسجد الحوطة حق سيدنا الشيخ

عندنا أو تريد عند أهلك، فقال الشيخ أحمد : عيالي بعيد، فأمره الشيخ عبيد أن يتوجه من ساعته، وطوى الله له الطريق فبات عند أهله .

وأما الشيخ عبدالرحيم فقير جمال الدين فأخبره الشيخ عبيد أنه ضائع في طريقه ووقع به الرمد في عيونه، ولا يزال في ولد ولده إلى أبد الآباد، فعند وصول الشيخ أحمد إلى أهله أخبرهم بخبره، فساروا يدورون له، حتى وجدوه في ((الحمر))، وهو وادي من أودية قبيلة باكازم، فأعادوه إلى أحور .

عبيد بن عبدالملك، فيسمع للـمسجد دوي كدوي النوب، وقـد سمعت أنه فُتح عليه في المسجد المذكور .

١٠- الشيخ عبد اللّه بن عبد اللّه بامخيرم :

وهو من صالحي تلامذة الشيخ عبيد ومـن أهـل ا اهـدات، وكانت بينه وبين الشيخ ثابت بن عبد الصمد أخوة وصحبة، ورد ذلك في الترجمة ص٤٢ بما مثاله:

وروي أن الشيخين الجليلين ثابت بن محمد بن عبـد الصـمد الخطيب والشيخ عبد اللّه بن عبداللّه بامخيرم، كان بينهما صـحبة وأخوة في اللّه على طاعة اللّه، فحكي أنه كان لهم في كل يوم بعد يوم ختـمة من القرآن، لأن الشيخ عبد اللّه بامخيرم جاور في مكة سبع سنين حتى حفظ القرآن حفظاً أكيداً، ومكثا على ذلك خمسة عشر سنة، وكان مسكن الشيخ عبد اللّه بامخيرم بعطفة وادي يشبم يسمى ((خربان))، وكان الشيخ ثابت بن محمد يذهب إلى عنـد الشيخ عبد اللّه لأن الشيخ عبد اللّه بامخيرم ابتِلي بالجـذام، وإنمـا أصاب الجذام أطراف أصابع يديه ورجليه، وبدنه الباقي يتلألأ نوراً كأنه سبيكة فضة، ولـما كان الشيخ عبد اللّه مجاوراً بمكة رحلَ له أخوه الصالح محمد بامخيرم وأتى به إلى المكان المعروف بـ((خربان))،

وقام به المقام التام معظماً له ومعتقداً فيه جداً ومحترماً لـه، وهـو - أي : الشيخ عبد اللّه - متبتلٌ إلى اللّه مشتغلٌ بالطاعة حتى مات ودفن بالصعيد عند قبر الشيخ عبيـد بـن نـافع أخـي الشـيخ عبدالرحيم بن نافع صاحب أحور.

١١- الشيخ سالم باقطيان:

وهو من المشايخ الذين أخذوا عن الشيخ عبيد وعـن الشـيخ ربيع بن عمر، ذكره صاحب المناقب ص٣٥ بقولـه : والشـيخ باقطيان من خواص الشيخ ربيع والشيخ عبيد، وله ملازمات معهم ومجالس عظيمةٌ مشهورة .

١٢- الشيخ سالـم بن فاضل :

أحد المتلقين عن الشيخ عبيد، والـموصوفين بالصلاح، من جملة أتباعه، رحل مع الشيخ عبيد إلى حضرموت في رحلته التي زار فيها الشيخ أبا بكر بن سالـم، وأخذ عنه كما أخذ عن جملة من شيوخ تريم في تلك الرحلة[1] .

---

(١) المصدر السابق ص١٥ .

١٣- الشيخ سلامة بن مسعود :

انتفع بالشيخ عبيد وانطوى فيه حتى صار من جملـة الفقـراء المنسوبين إليه، ورد ذكره في المناقب ص٢٩ بما مثالـه : وروي أن الولي الشيخ الناصح الغزالي بن عبد اللّه كان يسعى لجمـع مـال للشيخ عبيد بأرض دثينة وأحور ونواحيهما، ولهم اعتقاد في الشيخ عبيد، فاتفق أن سافر الغزالي في بعض السنين ومعه سـلامة بـن مسعود من فقراء الشيخ عبيد يعينه ويخدمه، فلـما وصل إلى دثينة أوهجت الناس عليه - أي : التفتوا إليه وأحسنوا استقباله - حـتى انتظم حاله معهم وجمع من الأموال شيئاً كثيراً من البضائع والطعام والجمال وجميع أنواع النعم، ومن الطعام ما فاق على حمول مـئتي جمل، فعندما عزم الشيخ الغزالي على الرجوع إلى شيخه وقد سـار من دثينة قَدر نصف مرحلة تفكر في نفسه من حيث الورع بـأن هذه أموال الناس أخذناها ولـم نعلـم مرادهم بذلك وجه اللّه أو غير ذلك ؟ وهل يقبله شيخه أم لا ؟ فإن قَبِلَه فذاك وإن لـم يقبله فكيف يمكن مخارجة البعض من البعض في الطعام وأعيان البضـائع ورد كل ذي حق حقه ؟ واحتكم هذا الحال في قلبه ولـم يعلـم بما في الضمير إلا المولى .

ثـم إنه أرسل من وقته ذاك رجلا يقال له سلامة بن مسـعود، وهو من فقراء الشيخ عبيد، وكان معه معونةٌ على السير، فأرسـله إلى سيدي الشيخ وسلـم عليه وأعلـمه بوصولنا إليه، فعزم الرجل اليوم الأول ووصل العصر في اليوم الثاني، فعندما دخل على سيدي قال قبل أن يسلـم عليه : مرحباً يا سلامة، أرسلك الغزالي لـما عظُم عليه الأمر فيما جمعه، فارجع وسلـم عليه وقل له : الـذي معه للخلق يبغونه للحق ونحن إن شاء اللّه نوصله إلى الحق فمرحباً بالغزالي، ثـم سلـم سلامة على الشيخ وأعلـمه برحلة الغـزالي وإرساله إليه وأعطاه سيدي ثوبه الذي عليه بشارة بـالغزالي، ورده راجعاً إليه، فلـما كان في اليوم الثالث في أثنـاء الطريـق اتفـق بالغزالي وأعلـمه بما قال له شيخه، فحمد اللّه سبحانه وتعالى .

١٤- الشيخ أحمد الرفاعي ابن ربيع :

وهو ابن الشيخ ربيع بن عمر المتقدم ذكره مع مشايخ المتـرجم له، ورد ذكره في المناقب المخطوطة خلال حكاية جرت للشـيخ عبيد، وهذا مثالها :

وروي أن سيدي الشيخ عبيد كان يزور قـبر والـده الفقيـه عبدالملك في كل جمعة ويجلس عند سمرة هناك، وإلى جانب السمرة

مسجد فيه قبر السلطان صلاح بن باقب، فقال في بعـض الأيـام لأحمد الرفاعي ابن ربيع بن عمر ومن معه من الفقـراء : إني أرى نوراً في هذا المكان، فقال الرفاعي : حاشا للّه يا عم ما يكون نور جوار قبر صلاح الظالـم، فسكت الشيخ عبيد حتى الجمعة الثانية فزار ومن معه فقال : اُنظر.. ها هنا نور، فقال الرفاعي مثل مقالته الأولى، وكان لا يتفهم المعنى من سيدي، فعندما قال ذلك أقبل عليه الشيخ وقبض بلحيةِ نفسه وقال : يا رفاعي تكذب هذه الشـيبة ؟ وعِزةِ ربي وجلالهِ إن ها هنا نوراً يصعد إلى السـماء إلى أركـان العرش، فخلد الرفاعي من كلام الشيخ وتاب واستغفر.

ثـم بعد مدة انتقل سيدي رحمه اللّه بعد صلاة العشـاء ليلـة الخامس والسادس والعشرين من شهر صفر الخير سنة سـت بعـد الألف، وعمر السلطان صالح بن نمي مسجداً عند قـبره للصـلاة، واختلفوا في قبره بأي مكان يكون، فبدا لهم أن يقبروه في مسـجد القرية، فأبى اللّه إلا أن يتـم نوره، فاتفق أمر السلطان وأخيه المكنى بالـمكنون وابن أخيه عبد العليم أن يقبروه خارج البلـد عنـد

الشجرة التي شهد صعود النور من عندها، ولقد صارت تربته مـن آنس الترب[1] .

١٥- المحب حيدرة المقهوي :

وهو عبد حبشي صالحٌ كان يخدم الشيخ عبيداً وقائمـاً علـى مطبخه، وله تعلق كبير بالشيخ عبيد، رحل معه إلى حضـرموت، وجرت له حكاية تقدم ذكرها في كرامات الشيخ عبيد.

بقية ممن تعلق وأخذ عن الشيخ عبيد

ورد في نص المناقب المخطوطة إشارات مجملة لبعض العـائلات الصالحة التي كان لها تعلق وتردد على الشيخ عبيد، ومن أولئـك

(١) المصدر السابق ص٢٨ .

المشايخ آل الشيخ سالـم بأبين[1]، والمشايخ آل الكودي بأحور[2]،

والهياثـم[3] في دثينة، وآل بلجفار بأحور[4]، وقد رحل معهـم عدد من هذه البيوت إلى حضرموت أثناء تردده على قراها ومد ا

---

(١) آل الشيخ سالـم بأبين ينتسبون إلى الشيخ المحدث سالـم بن محمـد العـامري صاحب قرية المسيجيد قريبا من الساحل بين أبين وشقرة، ترجم له في ((طبقات الخواص)) .

(٢) المشايخ آل الكودي قبيلة عريقة يسكنون بمنطقة المدرك قريبا من ساحل البحـر بأحور، وينتـمون إلى المشايخ آل الخامري الذين أسسوا تلك القرية، وبنوا ـا المسجد الأثري القديم الذي يرجع بناؤه إلى القرن الثاني الهجري، ولكنه جدد عدة مرات، ولا زال من هذا البيت عدة عـائلات يقومـون بالـمقام المعـروف بالـمدرك، وهو أحد الأولياء المدفونين في تلك المنطقة، وفي ((الطرف الأحـور في تاريخ مخلاف أحور)) للـمؤلف تفصيلٌ شافٍ عنهم ، ولازال تحت الطباعة.

(٣) الهياثـم إحدى قبائل المنطقة القدماء، وقد أشارت كتب التاريخ إلى قدمهم مـع قبائل الجحافل والـمياسر، ويسكنون نواحي دثينة .

(٤) آل بلجفار قبيلة عريقة بأحور، وينتـمون إلى الشيخ أحمد بن محمـد بلجفـار المدفون بأحور والـمتوفى ا في القرن العاشر الهجري، أخذ العلـم عن الإمـام العيدروس الأكبر ورحل إلى مكة ومكث مجاوراً ا سنواتٍ طويلة، ثـم عاد إلى أحور واشتهر بالتسليك والتأديب وعِظَمِ الحال والعلـم، وقد أشرنا إلى تسلسل نسبهم والخلاف فيه في كتاب ((الطرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور)) ، ولا زال تحت الطبع.

وأخذه عن صلحائها وعلـمائها، وخاصة عن شيخه الإمام الشهير الشيخ أبي بكر بن سالـم، كما تردد على يشبم -حيـث يقـيم الشيخ عبيد- جماعات كبيرةٌ منهم، وإلى هذا أشار مؤلف المناقـب ص٢٥ بما مثاله :

وروي أن الهياثـم أتوا من دثينة إلى الشـيخ عبيـد، وأيضـا اجتـمع معهم أناس أضياف من آل بلجفار وآل الكود، ومن أبين من آل الفقيه سالـم وغيرهم، فذبحوا لهـم أربعـة رؤوس غـنم وطبخوا لهم كفايتهم من الطعام، فعندما حضر وقت الغداء وفـد على السلطان صلاح أناس من دولة الهياثـم في جملة خلق، فأرسل الشيخ إليهم هم ومن معهم فأتوا، فأبى خادمه مرشد وقـال : يـا سيدي الطعام ليس يكفي ربعهم، وكذلك الإدام، فأتى الشيخ إلى الطعام وإلى قدور اللحم وخاضه بالسواك، فتفقد مرشد قطع اللحم فعد شخص المقحفة فوجدها ست وثلاثين مقحفة، والطعام كذلك على مقدار اللحم، فصارت الأربع غنم في مقام ثـمانية عشـر جلبة.

وذكر مؤلف المناقب في مكان آخر بيوتاً أخرى ممن لهم تعلـق بالشيخ عبيد كالـمشايخ آل الفقيه عمر بن سعيد صاحب امنجدة وآل بريك وغيرهم[1] .

وكانت القبائل المذكورة وغيرها اب الشيخ عبيد وتحترم مقامه وصلحه، ولا يكاد أحد يخالفه في شيء إلا وأصيب بنازلة، وشواهد هذا الأمر مذكورة في المناقب، وفي غيرها من وريقات التـواريخ، فقد جاء في الترجمة المخطوطة أثناء كلامه عن دولة العوالق ذكـر لأحد رجالهم، وهو الشيخ عبد الوهاب الطيب بن صلاح فقـال : هذا الذي قتلوه دولة الهياثـم في صلح الشيخ عبيد بن عبـدالملك بانافع، ثـم إن القاتل أخذته صاعقةٌ هو وابنه ومركوبه هي وابنها، هي فرس وابنها حصان صغير .

وبعد ذلك أعطت الدولة للشيخ عبيد ساقية في دثينـة تسـمى داغر، ولا زالت الساقية تحت أيدي المشايخ آل بانافع حـتى ردت إلى يد أهل عبد اللّه بن صالح من دولة دثينة يسمون أهل داغـر، وأما رجوعها إليهم لـم يكن فيه بيان بأي صيغة [2].

---

(١) المصدر السابق ص٢٦ .

(٢) نقلا عن مؤلف في مناقب آل بانافع مخطوط للشيخ أبي بكر بن عبد الرحمن بانافع محفوظ في مكتبتهم .

وفاة الشيخ عبيد وانتقاله إلى الدار الآخرة

قضى الشيخ عبيد بن عبدالملك حياةً كلها نفع وانتفاع وخدمةٌ بارةٌ للّه ورسوله والمسلمين، مع غاية الورع والزهد والخوف من اللّه، ويظهر ذلك بيناً في جملة مريديه وأتباعه وذريته الذين حملوا رايته من بعده، وأبقوا عاطر ذِكْرِه، ونشروا في البقاع طَيب خيره، واستأنس بريحان أنفاسه الحائرون، فثابوا وتابوا، وانقلعت ببركته عن قلوب الكثير من البداوات جهالات الجاهلية وغلظة الأعراب، وأحيا اللّه البلاد والعباد بالعلم والذكر وتردد الصالحين.

وقد دعاه داعي مولاه بعد أن بلغ من العمر أقصاه، وحان حين ملقاه، ففاضت روحه الشريفة العفيفة بعد العشاء من ليلة الخميس السادس والعشرين من شهر صفر سنة ١٠٠٦هـ، وشيع إلى مثواه الأخير في جنازةٍ مهيبةٍ لم تشهد البلاد مثلها، ودفن خارج البلدة في بقعةٍ كان يقول لأصحابه إذا عبر عليها : إني أرى في هذا المكان نوراً يصعد إلى السماء، فكانت مدفنه الأخير، وورد الناس من شتى

الآفاق للتعزية، وكان الظهور من بعده لأخيه أحمد المكنون بن عبدالملك الذي قام المقام التام بالأمر من بعده، رحم اللّه الجميع رحمة الأبرار .

الخاتمة

جنى آلُ بانافع ثمراتِ ظهورِه وصاروا يمثلون مقامه ويهابهم الخاص والعام، ولم يقف بعضهم عند هذا الحد بل اشتد زحامهم على طلب العلم بحضرموت بغيةَ نيل الشيء من منبعه، ومنهم من أدرك الحبيب عبد اللّه بن علوي الحداد ومن في عصره، ومنهم من أدرك ولده الحبيب أحمد بن الحسن ومن في عصره .

ويفيض كتاب « المواهب والمنن » للسيد علوي بن أحمد بن الحسن الحداد بأخبار هؤلاء المشايخ القادمين إلى حاوي تريم للانتفاع، فمن ذلك قوله : « وأما أهل يشبم -آل بانافع- وغيرهم كالشيخ محمد بن عبدالملك وأخيه المخرمي والحسن وأحمد ومحمد بني عبيد بانافع وآل الشبلي ومحمد بن حسين وابنه وابن عمر بن أحمد وأولاده صغير وكبير ؛ فغالبهم قرؤوا على الحبيب الحسن

والوالد أحمد كتباً لا تحصى فقهاً وغيرها، حتى خرج منهم الكـثير وصاروا من المنتفعين بالدين، خصوصاً الفقيه علي بن محمـد بـن عبدالملك، حصلت له لحظةٌ من الوالد أحمد ترقى بها حيـاً وميتـاً وأحبه واجتباه وخصه بالـموالاة لعظم عقيدته الوثيقة فيه، ووصاه بوصايا نثراً ونظماً منها ما هو في ديوان الوالد معروف، ثـم ترقى بواسطة شيوخه فصار علـماً يهتدى به، وقام بمنصب جده الشيخ عبيد بن عبدالملك بانافع ببلد يشبم، وكان له القَدر والحشمةُ عند السلطان صالح بن فريد بن عوض بن منصر وعند قبائل جهته حتى توفي.

ومن انتفع بسيدنا الحسن والوالد من آل بانافع بصعيد يشـبم الفقيه صالح بن محمد الشيبة والشيخان محمد وحسين أبناء الشـيخ أبي بكر بن نافع، رحلا إلى شيخهما الحسن المرةَ بعد المرةِ لطلـب العلـم سنين وأعواماً، ولَبِسا منه الخرقة وأخذا الطريقة وتضلعا في كل فن من فنون العلـم، حتى قال الحبيب أحمد بن زين الحبشي: لـم أقل لأحد من آل بانافع: «فقيه» إلا الشيخ حسين.

أما محمد فحج مع شيخه الحسن ولحظه أكثر وحاله أكـبر وإن كان علـم الحسين أوفر، وصار محمد من أكابر الأوليـاء الـذين

يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قـالوا سـلاماً، ولـم يزل على الاستقامة التامة وأقرت بولايته أهل جهته وانتفعوا به في دينهم، ولـم يزل على المدارس ونشر العلـ ـم والأذكـار وصلاة الجماعة .

وأما حسين فكان كثير التردد والأسفار إلى عدن ونواحيها نفع اللّه به خلقاً كثيراً، وللحبيب أحمد بن الحسن أبيات في الشيخ محمد جواباً على قصيدةٍ وصلت منه إلى الوالد فأجابه بقوله :

ألا أيها المحبوب صـافي المـودةِ عليك سلام مِـن إلـهِ البريـةِ
وقد وصلت أبياتك الغر أنبـأت بصِدقِك في حب النبي والقرابـةِ
ومن حب قوماً فهو معهم ومِنهم وقد جاء هذا في صحيح الروايةِ

وقد توفي الشيخ محمد المذكور في بلدة السفال، وكـان لـه في الضيف محبةٌ وكرم، وتوفي عبد الرحمن ببلد تريم وكـان عالـ ـما وعابدا .

وقد أشار مؤلف « المواهب والـمنن » أن الحاوي لـم تخلُ من طلبة العلـم مدة حياة الحبيب عبد اللّه الحداد والحبيب حسن بـن عبد اللّه والحبيب أحمد بن الحسن حتى اشتهروا بجهة تـريم عنـد

العوام، وصار كل غريب يقطن الحاوي ممن لا يعرفه العوام ينادونه: يا بانافع .

وعلى العموم فالـمشايخ آلُ بانافع حفظـوا للـبلاد شـريعةَ المصطفى صلى اللّه عليه وسلـم خلالَ حِقَبٍ طويلةٍ، حتى ضعفَتِ الهمم عن تلَقي العلـم، واندرج المشايخ في السعي للـدنيا كمـا اندرج غيرهم من آل البيت وأتباعهم، وشِغِلَ الجميع بظواهر التعليم العصري وبالوظائف الدنيوية، وليتهم جمعوا بين هذا وذاك، ولكن البديلَ الذي استعاضوا به عن طريقة أسلافهم قد أوصل الجميع إلى غُثائيةِ الحياة الاجتـماعية، ولا حول ولا قـوة إلا باللّـه العلـي العظيم.



الفهرس

